

خِطَائِرُ الْعَرَبِ

٢٥

# الموازنة

بين شعرا أبي تمام والبُحْثَرِي

لأبي القاسم الحسن بن بشر الأمدى

٣٧٠ هـ

تحقيق

السيد أحمد صقر

الطبعة الرابعة

٢



دارالمعارف



# الموازنة



ذكر الفراق والوداع والترحل عن الديار والبكاء على الظاعنين

\*\*\*

وأفتتح ذلك بما جاء عنهما من الابتدآت في هذه المعاني ، وأبوها أبواباً ،  
لتصح الموازنة بينهما .

ما قاله في البكاء على الظاعنين

\*\*\*

قال أبو تمام :

يا بُعْدَ غَايَةِ دَمْعِ الْعَيْنِ إِذْ بَعُدُوا هِيَ الصَّبَابَةُ طُولَ الدَّهْرِ وَالْكَمْدُ<sup>(١)</sup>  
هذا أجودُ ابتدآته في هذا المعنى : وأبلغها .

وأجود منه وأحلى قول البحتري :

قَلْبٌ مَشُوقٌ عَنْهُ الْبَثُّ وَالْكَمْدُ وَمُقْلَةٌ تَبْذُلُ الدَّمْعَ الَّذِي تَجِدُ<sup>(٢)</sup>  
قوله : « تبذل الدمع الذي تجد » معنى ما لحسنه نهاية ، ولفظ في  
غاية البراعة والحلاوة .

وقال أبو تمام :

هِيَ فُرْقَةٌ مِنْ صَاحِبٍ لَكَ مَا جِدَ فَقَدْ إِذَا بَةُ كُلِّ دَمْعٍ جَاءَ<sup>(٣)</sup>  
وهذا ابتداء جيد .

(١) ديوان أبي تمام ٩٦ وشرح التبريزي ١٠ / ٢ وفيها « إن بعدوا . . . الدهر والسهد »

(٢) ديوان البحتري ٥٩١ ، ١ / ٤٩٥ دار المعارف

(٣) ديوان أبي تمام ٨٦ وشرح التبريزي ١ / ٤٠٦

وقال البحترى :

رَحَلُوا فَأَيَّةُ عَبْرَةٍ لَمْ تُسْكَبِ      أَسْفًا ، وَأَيُّ عَزِيمَةٍ لَمْ تُغْلَبِ<sup>(١)</sup>  
هذا أيضاً ابتداء جيد حسن .

وقال أيضاً :

أَكُنْتَ مُعَنَّيَ يَوْمَ الرَّحِيلِ      وَقَدْ لَجَّتْ دُمُوعِي فِي الْهُمُولِ<sup>(٢)</sup>  
وقال أيضاً :

إِنَّ سَيْرَ الْخَلِيطِ يَوْمَ اسْتَقْلًا      كَانَ عَوْنًا لِلدَّعَمِ حِينَ تَوَلَّى<sup>(٣)</sup>  
وقال أيضاً :

لَمْ تَبْلُغِ الْحَقَّ ، وَلَمْ تُنْصِفِ      عَيْنٌ رَأَتْ بَيْنًا فَلَمْ تَذْرِفِ<sup>(٤)</sup>  
وهذه كلها ابتدآت جيدة ، عذبة ، شهية .

وقال أيضاً :

دَغْ دُمُوعِي فِي ذَلِكَ الْأَشْتِيَاكِ      تَتَنَاجَى بِذِكْرِ يَوْمِ الْفِرَاقِ<sup>(٥)</sup>

وهذا بيت ردىء . قد عابه «ابن المعتز» ، وقال : ما أقبح قوله : « في

ذلك الاشتياق » . وهى - لعمري - قبيحة ، ولا أعرف له مثلها .

(١) ديوان البحترى ٦٠٠ ، ١ / ٣٧٨ / ١٧٣٦ ، وفى م « فأتى »

(٢) ديوانه ٤٨

(٣) ديوانه ١٥٥ « للدمع لما استهلا » وكذلك فى طبعة بيروت ١٦٩ / ٢ ، ١٦٥٥ / ٣

(٤) ديوانه ٢٣٣ ، ٣ / ١٣٦٠

(٥) ديوانه ٤٣٨ ، ٣ / ١٤٦١ « بفعل يوم »

## مالأبي تمام في البكاء على النساء المفارقات

\* \* \*

قال أبو تمام :

سَرَتْ تَسْتَجِيرُ الدَّمْعَ خَوْفَ نَوَى غَدٍ وَعَادَ قَتَادًا عِنْدَهَا كُلُّ مَرْقَدٍ<sup>(١)</sup>

قوله : « سرت » يريد أنها سهرت فكأنها قطعت الليل بالسهر ، مُسْتَجِيرَةً بالدمع ، تبكى ليلها أجمع . ولم يرد أنها سارت ليلا ، فجعل سهرها سُرى ، وفسر ذلك بقوله : « وَعَادَ قَتَادًا عِنْدَهَا كُلُّ مَرْقَدٍ » .

وهذا ابتداء ليس من جيد الابتداآت ، ولا من رديئها .

وقال أيضاً :

بُدِّلَتْ عِبْرَةٌ مِنْ الْإِيْمَاضِ يَوْمَ شَدُّوا الرِّحَالَ بِالْأَغْرَاضِ<sup>(٢)</sup>

« الْإِيْمَاضِ » أراد تبسمها وبريق<sup>(٣)</sup> ثغرها ، جعله مِثْلَ وَمِضِ البرق . يريد أنها بُدِّلَتْ من الضحك البكاء لما استعدوا للرحيل .

وهذا ابتداء جيد .

وقد عابه « ابن عمار » ، وغيره لقوله : « الْأَغْرَاضِ » ؛ وَلَحْنُوهُ ، وقالوا : الْأَغْرَاضِ : جمع غَرَضٍ ، وفَعْلٌ لا يجمع على أفعال .

أَفَمَا<sup>(٤)</sup> سَمِعُوا بِقَوْلِهِمْ : فَرَخٌ وَأَفْرَاحٌ ، وَفَرْدٌ وَأَفْرَادٌ ، وَشَكْلٌ وَأَشْكَالٌ ، وَجَفْنٌ وَأَجْفَانٌ ، وَعَصْرٌ وَأَعْصَارٌ ، وَزَنْدٌ وَأَزْنَادٌ ؟ !

(١) ديوان أبي تمام ١٠٠ وشرح التبريزي ٢٢ / ٢

(٢) ديوانه ١٨٧ وشرح التبريزي ٣٠٨ / ٢ وفي م « الأنماض »

(٣) م « الأنماض » . . . وبوبق ثغرة « والتصويب من ق

(٤) م « إنما »

وقول الأعشى :

\* وَزَنْدُكَ أَثْقَبُ أَرْزَادِهَا <sup>(١)</sup> \*

وقولهم أيضاً : شَرْطٌ وَأَشْرَاطٌ ، وقول الله تعالى : « فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا » <sup>(٢)</sup>

فقد نطقت العرب بهذا الجمع بعينه . قال الراجز في وصف الإبل :

حَتَّى إِذَا مَا قَلِقَتْ أَغْرَاضُهَا وَنَضَحَتْ بِمَائِهَا أَغْرَاضُهَا

وقال غِيلَانُ بْنُ حُرَيْثِ الرَّبْعِيِّ . .

بِكَلِّ سَامٍ فِي الزَّمَامِ نَهَاضٌ خَيْسَهُ بِالذَّلِّ رَوْضُ الرُّوَاضِ <sup>(٣)</sup>

فِي قُلُوصٍ تَمْطُو سَفِيفَ الْأَغْرَاضِ <sup>(٤)</sup>

سَفِيفٌ : نَسِيجٌ ، وَالْأَغْرَاضُ : جَمْعُ غَرَضٍ ، وَهُوَ لِلْبَعِيرِ مِثْلُ الْحَزَامِ

لِلْفَرَسِ .

وَأَنشَدْنَا الْأَخْفَشَ لِرَجُلٍ مِنْ طَيْئٍ :

إِذَا الْعَيْسُ أَضَحَّتْ بِالْفَلَاةِ كَأَنَّهَا وَقَدْ قَلِقَتْ أَغْرَاضُهُنَّ جُفُونُ

ومثله في الشعر - إِذَا تَتَبَعْتَهُ - كثير .

\* \* \*

وقال أبو تمام :

بَسَطْتَ إِلَيْكَ بَنَانَةً أَسْرُوعًا تَصِفُ الْفِرَاقَ ، وَمُقَلَّةً يَنْبُوعًا <sup>(٥)</sup>

وهذا ابتداء ليس بالجيد . ولا بالردى .

وَالْأَسْرُوعُ : دُوَيْبَةٌ نَاعِمَةٌ تَكُونُ فِي الزَّوْلِ تَشْبَهُ بِهَا أَصَابِعُ النِّسَاءِ .

(١) ديوان الأعشى ٥٤ و صدره : « وجدت إذا اصطلحو خيرهم »

(٢) سورة محمد ١٨

(٣) م ، ق « حبه » والتخييس : التذليل ، كما في اللسان ٣٧٦ / ٧

(٤) تَمْطُو : تَمِدُّ

(٥) ديوان أبي تمام ٤٩٨ وشرح التبريزي ٣ / ٣٩٠ « إلى بنانة » . والبنانة : واحدة البنان



وقال أيضاً :

نَشَرْتُ فَرِيدَ مَدَامِعٍ لَمْ تُنْظَمْ      والدَّمْعُ يَخِيلُ بَعْضَ ثِقَلِ الْمُغْرَمِ<sup>(١)</sup>

وقال أيضاً :

أَظُنُّ دُمُوعَهَا سَنَنَ الْفَرِيدِ      وَهِيَ سِلْكَاهُ مِنْ نَحْرِ وَجِيدِ<sup>(٢)</sup>

وهذان ابتداء آ ن جيدان .

\* \* \*

وقال :

ذَرِينِي مِنْكَ سَافِحَةً الْمَآقِي      وَمِنْ سَرَعَانٍ عَبْرَتِكَ الْمَرَاقِي<sup>(٣)</sup>

وهذا قول فيه جفاء .

ووجدت الناس يستحسنون قوله :

خُذْنِي عَبْرَاتِ عَيْنِكَ عَنْ زَمَاعِي      وَصُورِي مَا أَزَلَّتْ مِنَ الْقِنَاعِ<sup>(٤)</sup>

زَمَاعِهِ : إِزْمَاعُهُ الرِّحِيلُ . يقال : أَزْمَعَ يُزْمَعُ .

وقوله : « وَصُورِي مَا أَزَلَّتْ مِنَ الْقِنَاعِ » لأنها برزت عند الفراق جزءاً ،

وكشفت القناع .

( ١ ) ديوان أبي تمام ٣١٢ وشرح التبريزي ٢٤٨ يروى « بعض شجو »

( ٢ ) ديوانه ١٠٤ وفي شرح التبريزي ٣٢ / ٢ : « السنن : التساقط . والفريد : الدر ، وأراد بسنن الفريد : ما يسقط منه ، أخذ من قولهم : سن الماء يسنه سنا : إذا صبه صبا سهلا . أى أظن دموع هذه المرأة مستنة استنان الفريد »

( ٣ ) ديوانه ٢١٤ وشرح التبريزي ٤٢٢ / ٢

( ٤ ) ديوانه ١٩٣ وشرح التبريزي ٣٣٦ / ٢

ومن ابتدآآتهما من باب الفراق فى معان شتى

\* \* \*

١- قال أبو تمام :

سَعِدَتْ غُرْبَةُ النَّوَى بِسُعَادٍ      فَبِهِى طَوْعُ الْإِنْتِهَامِ وَالْإِنْجَادِ<sup>(١)</sup>

٢- وقال أيضاً :

أَلَا صَنَعَ الْبَيْنُ الَّذِى هُوَ صَانِعُ      فَإِنْ تَكُ مِجْزَاعاً فَمَا الْبَيْنُ جَازِعُ<sup>(٢)</sup>  
وهذا ابتداء صالح .

وقال أيضاً :

أَصْنَعِ إِلَى الْبَيْنِ مُغْتَرًّا فَلَا جَرَمًا      أَنَّ النَّوَى أَسَارَتْ فِى عَقْلِهِ لَمَمًا<sup>(٣)</sup>  
قوله : أصنعى إلى البين . أى سمع<sup>(٤)</sup> ما أخبروه به من ذكر الفرقة ،  
فغير ذلك من عقله . ويريد باللمم : الجنون .

وقد أوضح هذا المعنى فى البيت التالى ، وهو قواه :

أَصْنَعْنِى سِرُّهُمْ أَيَّامَ فُرْقَتِهِمْ      هَلْ كُنْتُ تَعْرِفُ سِرًّا يُورِثُ الصَّمَمَا  
أى صرت لا أفهم شيئاً بعد ذلك السر الذى دلَّهْنِى ، وأطار<sup>(٥)</sup> عقلى ،  
فكأنى أصم عن كل قيل .

(١) ديوان أبى تمام ٧٥ وشرح التبريزى ٣٥٨ / ١

(٢) ديوانه ٤٧٧ . وشرح التبريزى ٥٨٠ / ٣ وفيه : « يقول : صنع البين بك ما كنت تحذره ، فإن شئت فاصبر وإن شئت فاجزع ، فإن البين لا يبالى »

(٣) ديوانه ٣٠١ وشرح التبريزى ١٦٥ / ٣ وأسارت : أبقت

(٤) م « أسمع »

(٥) م « وأطال »

وهذا المعنى ليس من اختراعاته . وقد ذكرته في سرقاته ، وما جاء في معناه لغير واحد من الشعراء .

وقال :

أَهْلُوكِ أَضْحَوْا رَاحِلًا وَمُقَوَّضًا وَمُزَمَّمًا يَصِفُ النَّوَى وَمُغَرَّضًا<sup>(١)</sup>  
 الْمُقَوَّضُ : الذى يُقَوَّضُ البيوت ، ويقتلها للرحيل<sup>(٢)</sup> . وَمُزَمَّمًا يَصِفُ  
 النَّوَى : الذى يزعم الإبل والأزمة . [والمغرض]<sup>(٣)</sup> يشدها بالغرض .  
 وهو كالحزام للفرس .  
 وهذا ابتداء صالح .

وقال أيضاً :

تَحْمَلُ عَنْهُ الصَّبْرُ يَوْمَ تَحْمَلُوا وَعَادَتْ صَبَاهُ فِي الصَّبَا وَهِيَ شَمَالُ<sup>(٤)</sup>  
 قال ذلك لَأَنَّ الصَّبَا : رِيحٌ تُحِبُّهَا الْعَرَبُ مَحَبَّتَهَا لِلْجَنُوبِ ؛ لِأَنَّهَا  
 رِيحٌ لَيِّنَةٌ عَذْبَةٌ ، وَقَدْ تَجَلَّبَبَ الْمَطَرُ فِي بَعْضِ أَقْطَارِ الْأَرْضِ كَمَا تَجَلَّبَبُهُ  
 الْجَنُوبُ . قال امرؤ القيس :  
 رَاحَ تَمْرِهِ الصَّبَا ثُمَّ أَنْتَحَى مِنْهُ شُوْبُوبُ جَنْوِبٍ مُنْفَجِرِهِ<sup>(٥)</sup>  
 فأراد أن صباه – أى ريحه في الصبا التى كانت تُؤلف له ما يهواه  
 ويحبه مع من يحبه – عَادَتْ شمالاً ؛ لِأَنَّ الشَّامِلَ فِي أَكْثَرِ نَوَاحِي الْأَرْضِ  
 لَا تُؤَلَّفُ السَّحَابُ ؛ بَلْ تَمَحَقُّهُ وَتَشِينُهُ كَمَا قَالَ :

(١) ديوان أبى تمام ١٨٥ وشرح التبريزى ٣٠١ / ٢

(٢) م ، ق « للرجل »

(٣) الزيادة من م

(٤) ديوانه ٢٤٤ وشرح التبريزى ٧٢ / ٣

(٥) ديوان امرؤ القيس ٩٠

لعمري لئن رِيحُ المودَّةِ أَضْبَحَتْ شَمَالاً لَقَدْ مَأْ كُنْتُ وَهَى جُنُوبُ  
وقال أبو تمام :

تَصَدَّتْ وَجَبَلُ الْبَيْنِ مُسْتَحْصِدٌ شَزْرُ      وقد سَهَّلَ التَّوْدِيْعَ مَا وَعَرَ الْهَجْرُ<sup>(١)</sup>  
تصدت: أى بدت ، وظهرت . ومُستَحْصِدٌ : شديد الفتل . والشَزْرُ<sup>(٢)</sup> :  
الفتل إلى فوق . واليَسْرُ : الفتل إلى أسفل .

وقوله : « وقد سَهَّلَ التَّوْدِيْعَ مَا وَعَرَ الْهَجْرُ » - يريد أنها كانت هاجرة  
فبرزت عند التوديع .

وقال أيضاً :

مَالِي بِعَادِيَةِ الْآيَّامِ مِنْ قَبْلِ      لَمْ يَثْنِ كَيْدَ النَّوَى كَيْدِي وَلَا حِيْلِي<sup>(٣)</sup>  
وهذا من جيد ابتدآت هذا الباب .

\*\*\*

وقال البحتري :

رَاجَعَ الْقَلْبَ بَثُّهُ وَخَبَالُهُ      لِيَخْلِيَطَ . زُمْتُ لِبَيْنٍ جَمَالُهُ<sup>(٤)</sup>  
وقال أيضاً :

لَهُ الْوَيْلُ مِنْ لَيْلٍ بِطَاءٍ أَوَّخِرُهُ      وَوَشْلِكَ نَوَى حَتَّى تُزِمَّ أَبَاعِرُهُ<sup>(٥)</sup>  
وقال أيضاً :

شَطَّ مِنْ سَاكِنِ الْغَوَيْرِ مَزَارُهُ      وَطَوْتُهُ الْبِلَادُ فَاللَّهُ جَارُهُ<sup>(٦)</sup>

(١) ديوان أبي تمام ٤٧٤ « ما أوعز الهجر » ، وشرح التبريزي ٣ / ٥٦٧

(٢) اللسان ٦ / ٧٢

(٣) ديوانه ٢٤٩ وشرح التبريزي ٣ / ٨٨

(٤) ديوان البحتري ٧٩٦ ، ١٨٣١ « عاود القلب »

(٥) ديوانه ٢٥٠ ، ٢ / ٨٧٦

(٦) ديوانه ٥٣٤ ، ٢ / ٩١٧

وقال أيضاً :

إِذَا عَرَضْتَ أَحْدَاجُ سَلَمَى فَنَادَهَا سَقَتَكَ رَوَايَا الْمُنَنِ صَوَّبَ عِيَادَهَا<sup>(١)</sup>

وقال أيضاً :

تَظُنُّ شُجُونِي لَمْ تَعْتَلِجْ وَقَدْ خَلَجَ الْبَيْنُ مِنْ قَدْ خَلَجَ<sup>(٢)</sup>

وقال أيضاً :

بِمِثْلِ لِقَائِهَا شَفَى الْغَلِيلُ غَدَاةَ تَزَايَلَتْ تِلْكَ الْحُمُولُ<sup>(٣)</sup>

وقال :

فُوَادٌ بِذِكْرِ الطَّاعِنِينَ مُوَكَّلٌ وَمَنْزِلُ حَيٍّ فِيهِ لِلشُّوقِ مَنْزِلُ<sup>(٤)</sup>

وقال أيضاً :

لِمَا وَصَلَتْ أَسْمَاءُ مِنْ حَبْلِنَا شُكْرُ وَإِنْ حُمٌّ بِالْبَيْنِ الَّذِي لَمْ تُرِدْ قَدْرُ<sup>(٥)</sup>

وقال أيضاً :

عَلَى الْحَيِّ سِرْنَا عَنْهُمْ وَأَقَامُوا سَلَامٌ ، وَهَلْ يُدْنِي الْبَعِيدَ سَلَامٌ؟<sup>(٦)</sup>

وقال أيضاً :

لَاؤَشَكَ شَعْبُ الْحَيِّ أَنْ يَتَفَرَّقَا فَيُدْنِي الْجَوَى ، أَوْ يَرْجِعَ الْحَبُّ أَوْلَقَا<sup>(٧)</sup>

(١) في ديوان البحترى ١٠٩ «أحداج ليل» والأحداج : جمع حدج ، وهو من مراكب النساء ، يشبه المحفة ، كما في اللسان ٥٣ / ٣ . وهو في ٦٧٤ / ٢ دار المعارف

(٢) ديوانه ٥٥١ ، ١ / ٤١٩ ويقال : اعتلج الموج : التطم ، واعتلج الهم في صدره ، كذلك على المثل . وخلج : جذب وانتزع

(٣) ديوانه ٣٠٠ ، ١٨٢٢

(٤) ديوانه ٥٨٥ ، ١٧٩٢ ، وفي م : « فُوَادٌ مَذْكَرٌ » !

(٥) ديوانه ٢٤١ ، ٨٧٠ / ٢

(٦) ديوانه ٣٦٣

(٧) ديوانه ٢٦٢ ، ١٨١٠ « فیدی » ، ق : « أَوْ رَجِعَ »

أى يصير الحبُّ جُنونا . وهذا كقول أبي تمام :  
 \* أَشَارَتْ فِي عَقْلِهِ لِمَا \*<sup>(١)</sup>

وقال :

عَادَ لِلصَّبِّ شَجْوُهُ وَاسْتِثَابُهُ بِبِعَادِ الَّذِي يُرَادُ أَقْتِرَابُهُ<sup>(٢)</sup>

وقال أيضاً :

أَصْدُوْدٌ غَلَا بِهَا أَمَّ دَلَالُ يَوْمَ زُمْتُ بِرَامَةِ الْأَجْمَالِ<sup>(٣)</sup>

وهذه كلها ابتدآت جياد ، حسان ، مختارة المعاني .

وقال أبو تمام :

يَوْمَ الْفِرَاقِ لَقَدْ خُلِقْتَ طَوِيلًا لَمْ تُبْقِ لِي جَلْدًا ، وَلَا مَعْقُولًا<sup>(٤)</sup>

فجعل يوم الفراق طويلاً .

\* \* \*

وقال البحتري كأنه يرُدُّ هذا المعنى<sup>(٥)</sup> على أبي تمام ، وَيَنْسُبُ يَوْمَ

الفراق إلى القصر ، وَذَكَرَ الْعِلَّةَ فِي ذَلِكَ فَقَالَ :

وَلَقَدْ تَأَمَّلْتُ الْفِرَاقَ فَلَمْ أَجِدْ يَوْمَ الْفِرَاقِ عَلَى أَمْرِي بِطَوِيلِ<sup>(٦)</sup>

قَصُرْتُ مَسَافَتُهُ عَلَى مُتَزَوِّدٍ مِنْهُ لِذَهْرِ صَبَابَةٍ وَعَوِيلِ

وهذه إنما هي حال من كان محبوبه محبوباً منه ، ورؤيته متعذرة عليه

قبل يوم الفراق .

(١) ديوان أبي تمام ٣٠١ وشرح التبريزي ٣ / ١٦٥ . وانظر ص ١٠

(٢) ديوانه ١٤٩٥ / ١١٥

(٣) ديوانه ١٤١٨ / ١١٥

(٤) ديوانه ٢٤٢ وشرح التبريزي ٣ / ٦٦ . والمعقول : اسم مفعول بمعنى المصدر

(٥) « كأنه يريد بهذا »

(٦) ديوان البحتري ٦١٠ ، ١٦٦٣ « لا تؤدى » .

وقد بين هذا المعنى بقوله :

إِنَّ لِلْبَيْنِ مَنَّةً لَنْ تُودَى وَيَدَا فِي تَمَاضِيرِ بَيْضَاءِ<sup>(١)</sup>  
حَجَبُوهَا حَتَّى بَدَتْ لِفِرَاقٍ كَانَ دَاءٌ لِعَاشِقٍ وَدَوَاءٌ  
أَضْحَكَ الْبَيْنُ يَوْمَ ذَلِكَ وَأَبْكَى كُلَّ ذِي صَبَوَةٍ ، وَسَرَّ وَسَاءَ  
فَجَعَلْنَا الْوَدَاعَ فِيهِ سَلَامًا وَجَعَلْنَا الْفِرَاقَ فِيهِ لِقَاءً<sup>(٢)</sup>

وهذا مذهب صحيح ، ومعنى واضح .

وقال البحتري في نحوه أيضاً :

وَيَوْمَ تَلَاقٍ فِي فِرَاقٍ شَهِدْتُهُ بِعَيْنٍ إِذَا نَهْنَهَتْهَا دَمَعَتِ دُمَا<sup>(٣)</sup>

فكيف يكون يوم تلاق طويلاً ؟

وقال في نحوه أيضاً :

إِنَّ الْفِرَاقَ جَلَا لَنَا عَنْ غَادَةٍ بَيْضَاءَ تَجَلَّوْا عَنْ شَتِيَّتِ أَشْنَبِ<sup>(٤)</sup>  
أَلَوْتَ بِمَوْعِدِهَا الْقَدِيمِ وَأَيَّاسْتُ مِنْهُ بِلَى بَنَانَةٍ لَمْ تُخْضَبِ<sup>(٥)</sup>

وقال أيضاً فيما يؤكد هذا المعنى ، ويزيده صحة :

مِنْ وَرَاءِ الْعُيُونِ كُثْبَانُ رَمَلٍ تَتَشَنَّى أَفْنَانُهُنَّ فُنُونًا<sup>(٦)</sup>  
وَبُودُ الْقُلُوبِ يَوْمَ اسْتَقَلَّتْ ظُغْنُ الْحَيِّ أَنْ تَكُونَ عُيُونًا<sup>(٧)</sup>

(١) ديوان البحتري ٧١٢ ، ١ / ١٤ دار المعارف

(٢) م « فيه لفتاً ١ »

(٣) كذا في م ، ق ، وفي الديوان ٢٠٨٧ / ٤ وفيه ١٢٧ بيروت « قطرت »

(٤) يقال ثغر شتيت : مفرق مفلج . وجاء في اللسان ١ / ٤٨٨ « اختلَفُوا فِي الشَّنْبِ ، فَقَالَتْ

طائفة : هو تحزير أطراف الأسنان . وقيل : صفاؤها ونقاؤها . وقيل : هو تغليجها . وقيل : هو طيب

نكهتها . وقال الأصمعي : الشَّنْبُ : البرودة والمذوبة في الفم » وهما في ١ / ٢٨٢

(٥) في الديوان : « وآيست منه »

(٦) ديوانه ٣٤٥ ، ٤ / ٢١٦١ « من وراء السجوف »

(٧) في الديوان : « لو تكون »

وقد قال بعض الأعراب . أنشدناه الأخفض عن المبرد :

جزى الله يومَ البينِ خيرًا ؛ فإنه أرانا - على علائها - أمَّ ثابتٍ  
تباهى بها الأرضُ السماءَ إذا مَشَتْ عَلَيها وتُحْيِي غَشِيَةَ الْمُتَمَاوِتِ<sup>(١)</sup>

وقال بعض الظرفاء :

مَنْ يَكُنْ يَكْرَهُ الْفِرَاقَ فَإِنِّي أَشْتَبِهَهُ لِمَوْضِعِ التَّسْلِيمِ<sup>(٢)</sup>  
إِنْ فِيهِ أَعْتِنَاقَةٌ لِيُودَاعِ وَانْتَظَارَ أَعْتِنَاقَةٍ لِقُدُومِ

\* \* \*

وقال البحتري :

مَا كَفَى مَوْقِفُ التَّفَرُّقِ حَتَّى عَادَ بِالْبَثِّ مَوْقِفُ الْإِجْتِمَاعِ<sup>(٣)</sup>  
أَعْنَاقُ اللَّقَاءِ أَثْلَمُ فِي الْأَخْ شَاءَ وَالْقَلْبِ ، أَمْ عِنَاقُ الْوَدَاعِ ؟

وقال أيضاً :

لَمْ يَكُنْ يَوْمَنَا طَوِيلًا بِنُعْمَا نَ وَلَكِنْ كَانَ الْبُكَاءُ طَوِيلًا<sup>(٤)</sup>  
ولمَّا ذهب أبو تمام في معنى طول يوم الفراق إلى ما يعهده الناس ،  
ويتعارفونه من أن وقت البؤس ، وزمان المحنة أبداً - طويل . وأمله ما كان  
مَهْجُورًا قبل يوم الفراق ، ولا كانت حاله حال التي وصفها البحتري .  
وعلى أن البحتري قد ذهب إلى مثل ما ذهب إليه أبو تمام فقال :

يَا أَبْنَةَ الْعَامِرِيِّ عَمَّا قَلِيلٍ يَأْذُنُ الْحَيِّ - فَأَعْلَمِي - بِالرَّحِيلِ  
قَدْ سَمِعْتُ الْغُرَابَ يَذْكُرُ بَيْنًا وَأَنْصِرَامًا لِحَبْلِكَ الْمُؤْصِرِ<sup>(٥)</sup>

(١) م « غشية المتماوت » والتصويب من ق

(٢) هما من غير نسبة ، في أمالي المرتضى ٢ / ٢٥٧

(٣) ديوان البحتري ١٣١ ، ٢ / ١٢٤٣

(٤) ديوانه ٦٨٧ ، ١٧٦٧

(٥) ديوانه ١٦٧٧ « بوعبد بينا »



كَيْفَ لِي بِالسُّلُوكِ لَا كَيْفَ وَالْبَيِّنَةُ نُنْزِلُ بِخَطْبِ جَلِيلٍ  
إِنَّ يَوْمَ النَّوَى لَيَوْمٌ طَوِيلٌ لَيْسَ يَفْنَى ، وَيَوْمٌ حُزْنٍ طَوِيلٌ

ولمّا قال البحترى هذا لأن من يهواه كان مُوَاصِلًا له ، وذلك قوله :  
« وَأَنْصِرَامًا لِحَبْلِكَ الْمَوْصُولِ » .

ولم يقنع بأن قال : « إِنَّ يَوْمَ النَّوَى لَيَوْمٌ طَوِيلٌ » حتى قال : « ليس  
يفنى ، ويوم حزن طويل » .

فلعل أبا تمام كانت هذه حاله أيضاً في مُوَاصَلَةِ مَنْ فَارَقَ ،  
واستطال يوم الفراق لذلك .

\*\*\*

ومن ردىء ابتدأت أبى تمام فى هذا الباب قوله :  
هُنَّ عَوَادِي يُوسُفٍ وَصَوَاحِبُهُ فَعَزَمًا فَقَدِمًا أَذْرَكَ النَّأْيَ طَالِبُهُ<sup>(١)</sup>  
ولمّا جعله رديئاً قوله : « هن » ، فابتدأ بالكناية عن النساء ، ولم  
يجر لهن ذكر بعد .

ثم قال : « عوادى يوسف » ، ومعناها صَوَارِفُ ، يقال : عدانى عنك<sup>(٢)</sup>  
كذا : أبى صرفنى . أراد : هُنَّ صَوَارِفُ يوسُفٍ ، وصواحيبه ، وصوارف ههنا  
لفظة ليست قائمة بنفسها ؛ لأنه يحتاج أن يعلم صوارفه عن ماذا . واللفظة<sup>(٣)</sup>  
القائمة بنفسها أن لو قال : « واتن يوسف » ، أو « شواغف يوسف » ، أو  
نحو ذلك . وكأنه أراد صوارف يوسف عن تقاه ، أو عن هداه ، أو عن

(١) ديوان البحترى ٤٣ ؛ وشرح التبريزى ١ / ٢٢٣ ويروى : « أدرك الثار » و « أدرك السؤل » .

(٢) م « عنه »

(٣) م : « الكلمة بمشاهدة الألفاظ » ؛ والتصويب من ق

صحيح عزمه حتى هم بالمعصية . وإنما يتم معنى الكلمة بمثل هذه الألفاظ  
أَلُوْ وَصَلَهَا بِهَا .

ثم ألحق بيوسف التنوين . فجاء بثلاثة ألفاظ. متوالية كلها رديئة في  
موضعها .

وتعم البيت بعجز لا يليق بصدرة ، وهو أردأ معنى من الصدر . وذلك  
قوله : «فَعَزَمًا فَقَدِمًا أَدْرَكَ النَّأْيَ طَالِبُهُ»

فتصير جملة معنى البيت : هُنَّ صَوَارِفُ يَوْسُفَ فَأَعَزِمُ ؛ فَقَدِمًا أَدْرَكَ  
الْبُعْدَ طَالِبُهُ .

وهذا كلام لا يلائم بعضه بعضاً ، ولا يتشابه . وإنما كانت ألفاظه  
ومعانيه تتشابه لو قال :

هُنَّ عَوَادِي يَوْسُفَ وَصَوَاحِبُهُ فَلَا يَعْلُوْنُكَ مَطْلَبُ أَنْتَ طَالِبُهُ  
أَوْ «فَلَا يَعْلُوْنُكَ الْعَزْمُ فِيمَا تُطَالِبُهُ» . أى لا يتجاوزك .

أَوْ «فَلَا تَعْدِلُنْ عَنْ مَطْلَبِ أَنْتَ طَالِبِهِ» . أى هن صوارف يوسف عن  
عزمه ، فلا تنصرف أنت عن عزمك ومطلبك لِعَدْلِهِنَّ ، ومن أجلهن .

وقد عاب أبا تمام بهذا البيت - أبو سعيد الضَّرِير<sup>(١)</sup> ، وأبو العَمَيْشَلِ  
الْأَعْرَابِي<sup>(٢)</sup> ، وكانا على خزانة الأدب لعبد الله بن طاهر بخراسان وكان  
الشاعر إذا قصده ، عرض عليهما شعره ، فإن كان جيداً عرضاه عليه ، أو  
دعى به فأنشدته . وإن كان رديئاً نبذاه ، ودفع إلى صاحبه البرَّ على غير

(١) اسمه أحمد بن خالد . وترجمته في نكت الهميان ٩٦

وبغية الوعاة ١٣١ وإنباه الرواة ٤١ / ١ ومعجم الأدباء ١٥ / ٣

(٢) اسمه عبد الله بن خليل ، وترجمته في طبقات الشعراء لابن المعتز ٢٨٧ ووفيات الأعيان

٢ / ٢٧٥ وعبية الأيام ١٣٩

الشعر . فلما قدم أبو تمام على عبد الله قصدهما ، ودفع القصيدة إليهما فضمّهما إلى أشعار الناس . فلما تصفحا الأشعار مرّت هذه القصيدة على أيديهما . فلما وقفا على هذا الابتداء طرحاها مع الشعر المنبّذ . فأبطأ خبرها على أبي تمام فكتب إلى أبي العَمَيْثَل أبياتاً يعاتبه فيها ، ويقول :  
وَأَرَى الصَّحِيفَةَ قَدْ عَلَتْهَا فِتْرَةٌ      فَتَرَتْ لَهَا الْأَرْوَاحُ فِي الْأَجْسَامِ<sup>(١)</sup>  
ثم لقيهما فقالا له : لم لا تقول ما يفهم ؟ فقال : ولم لا تفهمان ما يقال ؟

فاستحسن هذا الجواب من أبي تمام .  
والرجلان ما عابا إلا معيياً ، وما أنكرا إلا منكراً . وكانا من أعلم الناس  
بالشعر وبكلام العرب .

\*\*\*

مضت ابتدآتهما بذكر الفراق فلنذكر الآن ما جاء عنهما من ذلك  
في وسط الكلام .

## البكاء على الظاعنين

قال أبو تمام :

فَارَقَتْنَا وَلِلْمَدَامِ أَنْوَا سَوَارٍ عَلَى الْخُدُودِ غَوَادٍ<sup>(١)</sup>  
 كُلُّ يَوْمٍ يَسْفَحْنَ دَمْعاً طَرِيفاً يُمْتَرَى مُزْنُهُ بِشَوْقٍ تَلَادٍ  
 وَقِعاً بِالْخُدُودِ وَالْبَرْدُ مِنْهُ وَقَعَ بِالْقُلُوبِ وَالْأَكْبَادِ<sup>(٢)</sup>

وهذا في البكاء مذهب حسن جداً ، في أجود لفظ. واضح سيال .

وقال أيضاً فأحسن كل الإحسان :

رَدُّ الْجُمُوحِ الصَّغْبِ أَيْسَرُ مَطْلَباً مِنْ رَدِّ دَمْعٍ قَدْ أَصَابَ مَسِيلاً<sup>(٣)</sup>

وقال البحتري في ضد هذا المعنى :

وَقَفْنَا وَالْعُيُونُ مُشْغَلَاتٌ يُغَالِبُ دَمْعَهَا نَظْرٌ كَلِيلٌ<sup>(٤)</sup>  
 نَهْنَهُ رِقَبَةُ الْوَاشِينَ حَتَّى تَعْلَقَ لَا يَغِيضُ وَلَا يَسِيلُ

والنَّاسُ لِبَيْتِ الْبَحْتَرِيِّ ، وَنَحْوِ مَذْهَبِهِ فِيهِ - أَشَدُّ اسْتِحْسَاناً ؛ لَكثْرَةِ مَا يَشَاهِدُ مِثْلَهُ .

\* \* \*

(١) ديوان البحتري ٧٥ وشرح التبريزي ١ / ٣٥٨

(٢) ويروى « والحر منه »

(٣) ديوانه ٢٤٢ وشرح التبريزي ٣ / ٦٦

(٤) ديوان البحتري ٣٠٠ ، ١٨٢٢

وقال أبو تمام :

لَعَمْرِي لَقَدْ أَقَوْتُ مَعَانِيَكُمْ بَعْدِي وَمَحَّتْ كَمَا مَحَّتْ وَشَائِعٌ مِنْ بُرْدٍ<sup>(١)</sup>  
وَأَنْجَدْتُمْ مِنْ بَعْدِ لِنْتِهِمْ دَارَكُمْ فَيَا دَمْعُ أَنْجِدْنِي عَلَى سَاكِنِي نَجْدٍ

قوله : « كَمَا مَحَّتْ وَشَائِعٌ مِنْ بُرْدٍ » - غلط ، لأنَّ الوَشَائِعَ هي : الغزل الملقوف من اللُحْمَةِ التي تداخل في السدى . فإذا نُسِجَ الثوبُ فليس فيه شيء يسمى « وَشِيعَةً » ولا « وَشَائِعٌ » .

وقد ذكرت هذا في باب أغاليطه المجموعة<sup>(٢)</sup> .

وقد عاب عليه أيضاً قوم قوله : « فَيَا دَمْعُ أَنْجِدْنِي عَلَى سَاكِنِي نَجْدٍ » وقالوا : الانْجَادُ إنما يكون على الْمُحَارِبِ . فَأَيُّ مُحَارَبَةٍ أَوْ مُجَاهِدَةٍ تكون أعظم من مجاهدة المغرم مَنْ يَهْوَاهُ ، ولا سيما إن كان مُنَوَّعاً ولم يكن مُوَاتِيَا ؟

وقد أفصح البحترى بأنَّ المحبوب مُحَارِبٌ فقال :

هَلْ كُنْتُ لَوْلَا بَيْنَهُمْ مُتَوَهِّمًا أَنْ أَمْرًا يُشْجِيهِ بَيْنَ مُحَارِبٍ<sup>(٣)</sup>  
فَقَوْلُ أَبِي تَمَامٍ : « أَنْجِدْنِي عَلَى سَاكِنِي نَجْدٍ » - من أحسن كلام ، وأحلاه ، وأجوده .

\*\*\*

وقال أبو تمام :

وَقَالُوا : أَسَى عَنْهَا ، وَقَدْ خَصَمَ الْأَسَى جَوَانِحُ مُشْتَقٍ إِذَا خُوِّصَتْ لَدُ<sup>(٤)</sup>

(١) ديوان أبي تمام ١٢٧ وشرح التبريزي ٩٢ / ١٠ و يروى : « شهدت لقد »

(٢) راجع ص ١٨٣

(٣) ديوان البحترى ٦٩٦ ، ١ / ١٥٩ دار المعارف

(٤) ديوان أبي تمام ١٢٠ وشرح التبريزي ٢ / ٨١

وَعَيْنٌ إِذَا نَهْنَهَتْهَا عَادَتِ الْكَرَى      وَدَمْعٌ إِذَا اسْتَنْجَدَتْ أَسْرَابَهُ نَجْدٌ<sup>(١)</sup>  
 وَمَا خَلَفَ أَجْفَانِي شُثُونٌ بِخِيلَةٍ      وَلَا بَيْنَ أَضْلَاعِي لَهَا حَجَرٌ صَلْدٌ<sup>(٢)</sup>  
 وَكَمْ تَحْتَ أَرْوَاقِ الصَّبَابَةِ مِنْ فَتَى      مِنْ الْقَوْمِ حُرٌّ دَمْعُهُ لِلْهَوَى عَبْدٌ  
 قوله : أَسَى عنها ، أى تَأَسَّى عنها . وقد خصم الأسى جوانح مشتاق :

أى غلبت التأسى وأبت عليه .

وعين إذا نهنتها ، أى كفتها عن النوم .

وقوله : « تحت أَرْوَاقِ الصَّبَابَةِ » فأرواق إنما هو : جمع رَوْق [وروق]  
 كل شئ : أوله ؛ ولذلك قيل للقرن : رَوْق . يقال : ألقى عليه أَرْوَاقَهُ : أى  
 ثقله . وواحدتها رَوْق ، ويقال : أَلْقَتِ السَّحَابَةُ أَرْوَاقَهَا : إذا دامت ولم  
 تُقْلِع .

\*\*\*

وقال أبو تمام أيضاً :

دَعَا شَوْقُهُ يَا نَاصِرَ الشَّوْقِ دَعْوَةً      فَلَبَّاهُ طَلَّ الدَّمْعُ يَجْرِي وَوَابِلُهُ<sup>(٣)</sup>  
 يَوْمَ تُرِيكَ الْمَوْتَ فِي صُورَةِ النَّوَى      أَوَاخِرُهُ مِنْ حَسْرَةٍ وَأَوَائِلُهُ  
 أراد أن الشوق دعا ناصراً ينصره فلبَّاه الدمع . بمعنى أنه يُخَفِّفُ لَأَعِجَ  
 الشوق ، ويطنى حرارته<sup>(٤)</sup> . وهذا إنما هو نُصْرَةٌ للمشتاق على الشوق ، والدمع  
 إنما هو حرب للشوق ؛ لأنه يثلمه وَيَتَخَوَّنُهُ ، وَيَكْمِرُ حُدَّهُ . ولو كان ناصراً

(١) فى الديوان وشرحه «إذا هيئت» وعادت : من المعادة . ونجد : قوى يجب إذا استنجد

(٢) الشئون : مخارج الدموع . والصلد : الصلب . يقول : شئنى ليست ببخيلة على عنى

بالدموع ، ولا بين أضلاعى حجر يصبر ، إنما هو قلب يألم ويجزع

(٣) ديوان أبى تمام ٢٣٠ وشرح التبريزى ٢٢ / ٣ . وسبق فى الجزء الأول ص ٢١٠ ، ٣٢٤ ،

له لكان يقويه ، ويزيد فيه . ألا ترى أنك تقول : قد ذَبَحَنِي الشوق إليك .  
فالشوق عدو المشتاق وَحَرْبُهُ ، وَاللَّمْعُ سِلْمُهُ ؛ لتخفيفه عنه ، وهو حرب  
للشوق . وليس بهذا الخطأ خَفَاءً على أحد . وقد ذكرته في أغاليطه <sup>(١)</sup> .

وأحسن منه قول البحترى :

إِنَّ الدُّمُوعَ هِيَ الصَّبَابَةُ فَاطْرِيحُ      بَعْضُ الصَّبَابَةِ تَسْتَرِيحُ بِهُمُولِهَا <sup>(٢)</sup>

لأن الصبابة - وهى رقة الشوق - تَنَحَّلُ مع الدمع ، وتَمُضِي بِمُضِيهِ ،  
فلذلك جعل الدموع هى الصبابة على السعة . وإنما هى عدو الصبابة  
كالنار التى هى عَدُوٌّ لما تحرقه ، وهى مع ذلك تنفذ بنفاده ، وتَمُضِي بِمُضِيهِ ،  
وكالريح إذا بَدَدَتْ الغيمَ وَمَحَقَّتْهُ ، فإنها تذهب بذهابه . وقد قال الشاعر :  
أَشْجَاكَ مِنْ لَيْلَتِكَ الطُّولُ      فالدَّمْعُ مِنْ عَيْنِكَ مَهْمُولٌ ؟  
وهو إذا أَنْتَ تَأَمَّلْتَهُ حُزْنٌ عَلَى الْخَدَيْنِ مَحْلُولٌ <sup>(٣)</sup>

لما كان الحزن يَنَحَّلُ ويسيل بسيلان الدمع ، جعله حُزْنًا . ولو جعله  
ناصرًا للحزن ، أو جعل البحترى الدُمُوعَ ناصرةً للصبابة - لكانا جميعاً  
مُخْطِئِينَ ؛ لأنَّ النَّاصِرَ لِلشَّيْءِ لَا يَمَحُقُ الشَّيْءُ ، ولا يفنيه ويذهب به .

ولكن البحترى اتبع أبا تمام فى خطئه بقوله :

نَصَرْتُ لَهَا الشُّوقَ اللَّجُوجَ بِأَدْمَعٍ      تَلَاخَقْنَ فِي أَعْقَابِ وَضَلَّ تَصَرَّمًا <sup>(٤)</sup>

\*\*\*

(١) راجع ص ٢١٠ ، ٣٢٤ من الجزء الأول

(٢) ديوان البحترى ٣٤٥ ، ١٧٧١/٣ . وقد سبق فى الجزء الأول ص ٥٢٩

(٣) للحسن بن وهب ، كما فى ديوانه المعانى ١ / ٢٥٨

(٤) ديوان البحترى ٣٥٥ ، ٢٠٤٢ / ٣ . وقد سبق فى ص ٢١١ ، ٣٢٤ من الجزء الأول

وقال أبو تمام :

تَوَلَّوْا فَوَلَّتْ لَوْعَتِي تَحْشُدُ الْأَسَى      عَلَيَّ ، رَجَاءَتِ مَقْلَتِي وَهِيَ تَهْمِلُ<sup>(١)</sup>  
بَذَلْتُ لَهُمْ مَكْنُونٌ دَمْعِي فَإِنْ وَنَى      فَشَوْقِي عَلَى أَنْ لَا يَجِفَّ مُوَكَّلُ  
وهذا جيد بالغ .

وأجود منه وأحسن قوله :

فَكَادَ شَوْقِي يَتَلَوُ الدَّمْعَ مُنْسَجِمًا      إِنْ كَانَ فِي الْأَرْضِ شَوْقٌ فَاضَ فَانْسَجَمًا<sup>(٢)</sup>  
ولم يذهب ههنا إلى نحو ما ذهب إليه البحترى في قوله :  
إِنَّ الدَّمْعَ هِيَ الصَّبَابَةُ فَاطَّرِحَ      بَعْضَ الصَّبَابَةِ تَسْتَرِخُ بِهَوْلِهَا<sup>(٣)</sup>  
ولمّا ذهب إلى أنه بكى لشدة شوقه وغلبته حتى كاد شوقه يفيض  
بفيض الدمع .

وقال في علي بن الجهم<sup>(٤)</sup> :

هِيَ فُرْقَةٌ مِنْ صَاحِبٍ لَكَ مَا جِدَ      فَعَدَا إِذَا بَةَ كُلِّ دَمْعٍ جَامِدٍ<sup>(٥)</sup>  
فَافْزَعْ إِلَى ذُخْرِ الشُّشُونِ وَعَذِيهِ      فَالدَّمْعُ يُذْهِبُ بَعْضَ جَهْدِ الْجَاهِدِ  
وَإِذَا فَقَدْتَ أَخَا فَلَمْ تَفْقِدْ لَهُ      دَمْعًا وَلَا صَبْرًا فَلَسْتَ بِفَاقِدِ

قوله : « يُذْهِبُ بَعْضَ جَهْدِ الْجَاهِدِ » أى بعض جهد الحزن الجاهد ،  
أى جهد الحزن الذى قد جهدك . وهو الجَاهِدُ لك .

ولو كان استقام له أن يقول : بعض جهد المجهود - لكان أحسن وأليق .  
وهذا أغرب وأطرف . وقد جاء أيضاً فاعِلٌ بمعنى مَفْعُولٍ : قالوا : عِيشَةٌ رَاضِيَةٌ

(١) ديوان أبي تمام ٢٤٥ وشرح التبريزى ٣ / ٧٣

(٢) ديوانه ٣٠٢ وشرح التبريزى ٣ / ١٦٨

(٣) ديوان البحترى ٣ / ١٧٧١

(٤) ديوان علي بن الجهم ٣٤٥

(٥) ديوان أبي تمام ٨٦ وشرح التبريزى ١ / ٤٠٦



بمعنى مَرَضِيَّة . وَلَمَحُّ بِاصِرٍ ، إِنَّمَا هُوَ مُبَصَّرٌ فِيهِ . وَأَشْبَاهُ لِهَذَا مَعْرُوفَةٌ . وَلَكِنْ لَيْسَ فِي كُلِّ شَيْءٍ يُقَالُ . وَإِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ نَنْتَهِيَ فِي اللُّغَةِ إِلَى حَيْثُ أَنْتَهَوْا ، وَلَا نَتَعَدَّاهُ إِلَى غَيْرِهِ ، فَإِنَّ اللُّغَةَ لَا يُقَاسُ عَلَيْهَا .

وقوله : « فَلَمْ يَفْقِدْ لَهُ دَمْعًا وَلَا صَبْرًا » — من أَفْحَشِ الْخَطَأِ ؛ لِأَنَّ الصَّابِرَ لَا يَكُونُ بَاكِيًا ، وَالْبَاكِي لَا يَكُونُ صَابِرًا ، فَقَدْ نَسَقَ <sup>(١)</sup> لَفْظَةً عَلَى لَفْظَةٍ ، وَهِيَ نَعْتَانِ مُتَضَادَّانِ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَا مُجْتَمِعَيْنِ . وَقَدْ ذَكَرْتُ هَذَا مَشْرُوحًا فِي أَغَالِيطِهِ <sup>(٢)</sup> .

\*\*\*

وقال البحتري :

قَدْ أَرْتَكَ الدُّمُوعَ يَوْمَ تَوَلَّيْتُ      طُعُنُ الْحَيِّ مَا وَرَاءَ الدُّمُوعِ <sup>(٣)</sup>  
عَبَرَاتُ مِلْءِ الْجُفُونِ مَرَّتْهَا      حُرْقُ الْفِرَاقِ مِلْءُ الضُّلُوعِ  
وهذا غاية في جودته وبراعته .

وقال أيضاً :

أَضْحَكَ الْبَيْنُ يَوْمَ ذَاكَ وَأَبْكَى      كُلَّ ذِي صَبَوَةٍ ، وَسَرَّ ، وَسَاءَ <sup>(٤)</sup>  
فَجَعَلْنَا لِلْوَدَاعِ فِيهِ سَلَامًا      وَجَعَلْنَا الْفِرَاقَ فِيهِ لِقَاءً  
وَوَشَّتْ بِي إِلَى الْوُشَاةِ دُمُوعُ الْ      هَمِينَ حَتَّى حَسِبْتُهَا أَعْدَاءَ  
وهذا من إحسان أبي عُبَادَةَ المشهور .

(١) م « فقد يشق بلفظه »

(٢) راجع ص ١٥

(٣) ديوانه ٤٢١ ، ٢ / ١٢٧٩

(٤) ديوانه ٧١٢ وانظر ص ١٥

وقال أيضاً :

هَيْنُ مَا يَقُولُ فِيكَ اللَّاحِي بَعْدَ إِطْفَاءِ غُلَّتِي وَالتَّيَاحِي<sup>(١)</sup>  
كُنْتُ أَشْكُو شَكْوَى الْمُعْرِضِ فَالَا نَ أَلَا فِي النَّوَى بِدَمْعِ صُرَاحِ<sup>(٢)</sup>

وهذا أيضاً غَايَةٌ في حسنه وجودته .

وقال أبو تمام :

صَيَّرْتُ لِي مِنْ تَبَارِي عَبْرَتِي سَكْنًا مُذْ صِرْتُ فَرْدًا بِلَا إِنْفٍ وَلَا سَكْنِ<sup>(٣)</sup>  
حَلَبْتُ صَرْفَ النَّوَى صَرْفَ الْأَسَى وَحَدَا بِالْبَثِّ فِي دَوْلَةِ الْإِغْرَامِ وَالِدَدْنِ<sup>(٤)</sup>  
فَمَا وَجَدْتُ عَلَى الْأَحْشَاءِ أَبْرَدَ مِنْ دَمْعٍ عَلَى وَطَنِ لِي فِي سِوَى وَطْنِي<sup>(٥)</sup>  
مَنْ ذَا يُعْظَمُ مِقْدَارَ السُّرُورِ بِمَنْ يَهْوَى إِذَا لَمْ يُعْظَمْ مَوْقِعَ الْحَزَنِ<sup>(٦)</sup>

قوله : حَدَا بِالْبَثِّ : أَى سَاقِهِ ، وَأَظْهَرَهُ ، وَأَشَاعَهُ فِي دَوْلَةِ الْإِغْرَامِ  
وَالِدَدْنِ . وَالْإِغْرَامُ : جَمْعُ غُرْمٍ مِثْلُ : بُرْجٍ وَأَبْرَاجٍ ، وَخُرْجٍ وَأَخْرَاجٍ . وَالْغُرْمُ  
وَالْغَرَامُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ . وَالِدَدْنُ : اللَّعِبُ .

يقول : سَاقُ صَرْفُ النَّوَى الْبَثُّ - وَهُوَ أَشَدُّ الْحَزَنِ - وَأَظْهَرَهُ فِي دَوْلَةِ  
غُرَامِي وَلَعْبِي . يَقُولُ : إِنَّهُ قَاسَى الْأَسْفَارَ وَالْهَمُومَ فِي أَيَّامِ شَبَابِهِ وَلَعْبِهِ .  
وَلِلَّهِ دَرُ الَّذِي يَقُولُ ، وَأَنْشَدْنَاهُ الْأَخْفَشَ ، وَأَنْشَدَهُ الْموصلِي أَيْضاً :

(١) ديوان البحترى ٣٨١ ، ٤٥٧/١ والالتياح : العطش

(٢) م « كيف أشكو » وفي الديوان « شكوى المصرح »

(٣) ديوان أبي تمام ٣٣٣

(٤) في الديوان وشرحه « وحدا » وفي م « وجدا »

(٥) فيهما « أوقد من »

(٦) في الشرح : « موضع الحزن »

ولما أرادَ الحىُّ بَيْنًا ولمْ يَكُنْ      دَرَى أَحَدٌ مَنْ بَيْنُ ظُمِيَاءٍ فَاجِعٍ  
أبى الدَّمْعُ أَعْيَانَ الصُّحَاكِ وَبَيَّنَّتْ      مَكَانَ ذَوَى الشَّجْوِ الْعُيُونُ الدَّوَامِعُ<sup>(١)</sup>

وأنشد إسحق أيضاً ، وأنشده الأَخْفَشُ عن المُبَرِّدِ :

ولما رَأَتْ أَنْ لَا سَبِيلَ وَأَنَّهُ      هُوَ الْبَيْنُ مَخْنُوءٌ عَلَيْهِ الْأَضَالِيعُ<sup>(٢)</sup>  
تَهَتَّتْ عَنْ أَسْتَارِ قَلْبٍ وَأَسْبَلَتْ      مَدَامِعُ عَيْنٍ بَيْنَهَا السَّرُّ ضَائِعُ<sup>(٣)</sup>

وأنشد أيضاً :

تَكَفَكَفَ دَمْعُهَا كَفَّ خَضِيبُ      لِتُخْفِيَهُ ، وَهَلْ يَخْفَى الْمُرِيبُ ؟

وهذا أيضاً حسن .

(١) فى الأصل : « فكان ذوى »

(٢) الزهرة ٣١٩ - « ولما رأى أن لا سبيل » « مقصوداً عليه »

(٣) فى الزهرة : « عن أسرار قلب » « وأسجعت مدامع »

## بكاء النساء المفارقات

قال أبو تمام :

بُدِّلْتُ عِبْرَةً مِنَ الْإِيمَانِ يَوْمَ شَدُّوا الرِّحَالَ بِالْأَعْرَاضِ<sup>(١)</sup>  
 أَعْرَضْتُ بُرْهَةً فَلَمَّا أَحَسْتُ بِالنَّوَى أَعْرَضْتُ عَنِ الْإِعْرَاضِ  
 غَصَبَتْهَا نَحِيبَهَا عَزَمَاتٌ غَصَبَتْنِي تَبِيتِي وَأَغْتَمَاضِي<sup>(٢)</sup>  
 نَظَرْتُ فَالْتَفْتُ مِنْهَا إِلَى أَخِي لِي سَوَادٌ رَأَيْتُهُ فِي بِيَاضِ  
 يَوْمٍ وَلْتُ مَرِيضَةً اللَّحْظِ وَالْجَفِّ نِ وَلَيْسَتْ دُمُوعُهَا بِمِرَاضِ

قوله : « أَعْرَضْتُ عَنِ الْإِعْرَاضِ » - ليس باللفظ. الجيد ، وهو من

توليدات المتأخرين . ومثله قولُ البحري :

شُغِلَ الرَّقِيبُ وَأَسْعَدْتَنَا خَلْوَةٌ فِي هَجَرٍ هَجَرٍ وَاجْتَنَابٍ تَجَنُّبٍ<sup>(٣)</sup>

قوله : « غَصَبَتْهَا نَحِيبَهَا » - يريد أن عزماتي استخرجت نحيبها وأظهرته ،

وقد كانت تَحْزُنُهُ ، فكأنها اغتصممتها إياه لما أظهرته .

وقوله « غَصَبَتْني تَبِيتِي » أي تَلَبُّتِي ، أي منعتني عزماتي من التَّلَوُّمِ  
 والتَّلَبُّثِ ، ومن النوم ؛ فكأنها غصبتني ذلك ، أي أخذته مني ، وأزعجتني  
 للرحلة .

وقال :

بَسَطْتُ إِلَيْكَ بِنَانَةً أُسْرُوعًا نَصِيفُ الْفِرَاقِ ، وَمُقَلَّةٌ يَنْبُوعًا<sup>(٤)</sup>

(١) ديوان أبي تمام ١٨٧ وشرح التبريزي ٢ / ٣٠٨

(٢) في الديوان « غصبتني تصبري » وهما روايتان

(٣) ديوان البحري ٦٠١ ، ١ / ٧٨

(٤) سبق ص ٨

كَادَتْ لِعِرْفَانِ النَّوَى أَلْفَاطَهَا مِنْ رِقَّةِ الشَّكْوَى نَكُونُ دُمُوعًا

وهذا معنى حسن لطيف حلو .

وَالْأَشْرُوعُ : واحد الأساريع ، وهى دُوبَّةٌ بيضاء تكون فى الرَّمْل ، تشبّه بها الأصابع ، وذلك قولُ امرئ القيس :  
وَتَعْطُو بِرَخِصٍ غَيْرِ شَنْنٍ كَأَنَّهُ أَسَارِيعُ رَمَلٍ ، أَوْ مَسَاوِيكُ إِسْحِلٍ<sup>(١)</sup>

\*\*\*

وقال أبو تمام أيضاً :

بَكَتْهُ بِمَا أَبَكَّتْهُ أَيَّامَ صَدْرُهَا خَلَى ، وَمَا يَخْلُو لَهُ مِنْ جَوَى صَدْرُ<sup>(٢)</sup>  
إِذَا الشَّمْسُ لَمْ تَغْرُبْ فَلَا طَلَعَ الْبَدْرُ وَقَالَتْ : أَتَنْسَى الْبَدْرَ ؟ قُلْتُ تَجَلَّدًا :  
فَأَذَرْتُ جُمَانًا مِنْ دُمُوعٍ نِظَامُهَا عَلَى النَّحْرِ إِلَّا أَنَّ صَائِغَهَا الشَّفَرُ<sup>(٣)</sup>  
وَمَا الدَّمْعُ ثَانٍ عَزَمْتَنِي وَلَوْ أَنَّهُمَا سَقَى خَدَّهَا مِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَهَا نَهْرٌ

قوله : « إِذَا الشَّمْسُ لَمْ تَغْرُبْ فَلَا طَلَعَ الْبَدْرُ » - لم يرد بذلك امرأة أخرى سواها ، وإنما جعل هذا القول احتجاجاً عليها ، ورداً لكلامها ، وَلِيُريَهَا أَنَّ عَزَمَهُ فِي الشَّفَرِ صَحِيحٌ ، وَأَنَّ بَكَاءَهَا لَا يَشْنِيهِ عَنْ وَجْهِهِ الَّذِي يَرِيدُهُ . وقد بيّن هذا المعنى وأفصح بقوله : « تَجَلَّدًا » .

وهذه الأبيات صالحة ، والمذهب فيها غير مُسْتَحْلٍ ، ولا مُسْتَهْيٍ ، وفيها

(١) ديوان امرئ القيس ١٣١ وشرح القصائد المشر ٣٤ « أساريع ظبي » وتعطو : تناول . برخص : أى بينان رخص . غير شَنْنٍ : أى غير كز غليظ . ظبي : اسم كتيب . والإسحل : شجر له أغصان ناعمة . شبه أناملها بأساريع أو مساويك فيها

(٢) ديوان أبي تمام ٤٧٤ فى م « بما بكته »

(٣) فى الديوان : « فأذرت جماناً . . . على النحر . . صائغها الشعر »

معنى غامض في الاحتجاج عليها يجوز أن يكون أرادته . وقد ذكرته في « جزء »  
أفردته لِغَامِضٍ معاني أبي تمام .

وقوله : « فَأَذَرْتُ جُمَانًا » فالجُمَانُ هو : اللُّؤْلُؤُ الصغار .

وقوله : « إِلَّا أَنْ صَانَعَهَا الشَّفَرُ » - فالجمان لا يُصَاغ ، ولكن قد  
يعمل على هَيْئَتِهِ خرز من فضة . وقد سَمَاهُ هُدْبَةُ بن خَشْرَم جُمَانًا فقال :  
عَلَيْهِنَّ مِنْ صَوْعِ الْمَدِينَةِ حِلْيَةٍ جُمَانٌ كَأَجْوَازِ الدَّبَا وَرَفَارِفُ<sup>(١)</sup>

\*\*\*

وقال أيضاً :

أَظُنُّ دُمُوعَهَا سَنَنَ الْفَرِيدِ وَهِيَ سِلْكَاةٌ مِنْ نَحْرِ وَجِيدِ<sup>(٢)</sup>  
لَهَا مِنْ لَوْعَةِ الْبَيْنِ الْتِدَامٌ يُعِيدُ بِنَفْسِجَا وَرَدَ الْخُدُودِ

والتدَامُ النساء في النياحة إنما هو : ضرب الصدور ، واللطم هو : ضرب  
الخدود . هذا المستعمل المعروف في كلامهم . فاللطم هو الذي يعيد بنفسجاً  
وَرَدَ الْخُدُودِ لا الالتدَام ؛ لَأَنَّ الالتدَام : أَنْ تَأْخُذَ الْمَرْأَةُ جِلْدًا أَوْ نَعْلًا فَتَدُقَّ  
بِهِ صَدْرَهَا ، وَتَأْخُذَ النَّاتِحَةَ الَّتِي هِيَ الْمُسَاعِدَةُ خِرْقًا<sup>(٣)</sup> تُشِيرُ بِهَا فِي النَّوْحِ  
إِلَى صَدْرِهَا . ويقال لها : الْمَالِي ، وَاحِدَتُهَا مِثْلَةٌ<sup>(٤)</sup> . فجعل أبو تمام لطم  
الوجه لَدَمًا . ولعل ذلك يسوغ ؛ فَإِنَّ اللَّدَّمَ هو : دَقُّ الشَّيْءِ عَلَى الشَّيْءِ .  
قال تميم بن أَبِي بن مُقْبِل :

(١) م : « كَلِيسَاةُ الْجَرَادِ »

(٢) ديوان أبي تمام ١٠٤ وشرح التبريزي ٣٢ / ٢٢ وفي م « في نحر »

(٣) م « حَزَنًا »

(٤) السان ١٨ / ٤٦

وَالْفُؤَادِ وَجِيبٌ تَحْتَ أَبْهَرِهِ لَدَمَ الْغَلَامِ وَرَاءَ الْغَيْبِ بِالْحَجَرِ<sup>(١)</sup>

\*\*\*

وقال أبو تمام :

نَشَرْتُ فَرِيدَ مَدَامِعٍ لَمْ تُنْظَمْ وَالِدَمْعُ يَحْمِلُ بَعْضَ ثَقْلِ الْمُغْرَمِ<sup>(٢)</sup>  
وَصَلَتْ دُمُوعًا بِالدَّمَاءِ فَخَذَّهَا فِي مِثْلِ حَاشِيَةِ الرَّدَاءِ الْمُعْلَمِ<sup>(٣)</sup>  
وَلِهَتْ فَظَلَمَ كُلُّ شَيْءٍ دُونَهَا وَأَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ مُظْلِمٍ<sup>(٤)</sup>  
وَكَانَ عَبْرَتَهَا عَشِيَّةً وَدَعَتْ مُهْرَاقَةً مِنْ مَاءٍ وَجْهِي أَوْدَى

وَلِهَتْ مِنْ الْوَلَه ، فَظَلَمَ كُلُّ شَيْءٍ دُونَهَا : أَى أَظْلَمَتِ الْأَشْيَاءُ فِي عَيْنِهَا  
مِنْ شِدَّةِ الْحُزَنِ وَالْوَلَه ، وَأَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ مُظْلِم : لِنُورِ وَجْهِهَا وَبَهْجَتِهَا.

\*\*\*

وقال أيضاً :

سَرْتُ تَسْتَجِيرُ الدَّمْعَ خَوْفَ نَوَى غَدٍ وَعَادَ قَتَادًا عِنْدَهَا كُلُّ مَرْقَدٍ<sup>(٥)</sup>  
وَأَنْقَذَهَا مِنْ غَمْرَةِ الْمَوْتِ أَنَّهُ صُدُودٌ فِرَاقٍ لَا صُدُودٌ تَعْمِدُ<sup>(٦)</sup>  
فَأَذْرَى لَهَا الْإِشْفَاقُ دَمْعًا مُورَدًا مِنْ الدَّمِ يَجْرِي فَوْقَ خَدِّ مُورَدٍ<sup>(٧)</sup>  
هِيَ الْبَدْرُ يُغْنِيهَا تَوَدُّدٌ وَجْهَهَا إِلَى كُلِّ مَنْ لَاقَتْ وَإِنْ لَمْ تَوَدِّدِ<sup>(٨)</sup>

(١) ديوان ابن مقبل ٩٩ واللسان ١٦ / ١٢

(٢) ديوان أبي تمام ٣١٢ وشرح التبريزي ٢ / ٢٤٨

(٣) في الشرح : « بالنجى » أى أسرفت فى البكاء حتى سال الدم من عيناها موصولا بالدمع ، فكأن الدم الأحمر فى صحن خدها الأبيض ، علم أحمر فى حاشية رداء أبيض

(٤) فى الديوان وشرحه « وأثار منها »

(٥) ديوانه ١٠٠ وشرح التبريزي ٢ / ٢٢

(٦) فى شرح التبريزي عن الصول : « خفف عنها أن الصلود ليس بقصد ، وإنما هو فراق بؤس

(٧) فى الديوان وشرحه « فأجرى لها »

(٨) تودد وجهها : حسنه وأن كل أحد يحبه

وهذا من إحسانه المشهور .

وقوله : « دَمْعاً مُورِداً من الدَّم » - لفظ حسن ، ومعنى ليست له براعة .

والجيد في مثل هذا قول البيهقي :

لو ترانا عند الوداعِ وَقَدْ وَرَدَ سَكْبُ الدموعِ وَرَدَ الخدود<sup>(١)</sup>

يريد أن الدموع إذامرت على الخدود [ورَدَتْها] . وهذا معنى صحيح مشاهد .

وأبو تمام لا يقنع إلا بأن يجعل المرأة باكية عليه دماً على عادته

في الاستقصاء الذي لا حلاوة له . فهلاً اقتصر على مثل قول « عُلْقَمَة بن

عَبْدَة » - وأنشده إسحاق الموصلي ، وأنشده ثعلب - :

تراءتُ وأستارُ من البيتِ دُونَهَا إلينا وَحَانَتْ غَفْلَةُ الْمُتَفَقِّدِ<sup>(٢)</sup>

بِعَيْنِي مَهَا يَحْدُرُ الشَّوْقُ مِنْهُمَا شَرِيبَتَيْنِ شَتَى : مِنْ دُمُوعٍ وَإِثْمٍ<sup>(٣)</sup>

قال ثعلب : فسرقه «ابن ميادة» فقال :

وَمَا أَنْسَ مِ الْأَشْيَاءِ لَا أَنْسَ قَوْلَهَا وَأَدْمَعُهَا يَحْدُرُنْ حَشْوِ الْمَكَاحِلِ<sup>(٤)</sup> :

تَمَتَّعَ بِذَا الْيَوْمِ الْقَصِيرِ فَإِنَّهُ رَهِينٌ بِأَيَّامِ الشُّهُورِ الْأَطْوَلِ

قال : فسرقه بعض المحدثين فقال :

خُذِي عُدَّةً لِلْبَيْنِ إِنِّي رَاحِلٌ قِرَى أَمَلٍ يُجَدِّدُكَ وَاللَّهُ صَانِعُ

فَسَحَّتْ بِسَمْطِي لَوْلَوْ خَلَطَ. إِثْمِدٍ عَلَى الْخَدِّ إِلَّا مَا تَكُفُّ الْأَصَابِعُ

\*\*\*

وقال أبو تمام :

خُذِي عَبْرَاتِ عَيْنِكَ عَنْ زَمَاعِي وَصُونِي مَا أَزَلْتِ مِنَ الْقِنَاعِ<sup>(٥)</sup>

(١) ديوان البيهقي ٢ / ٧٦٨ دار المعارف (٢) ديوان علقمة الفحل ٤١ - ٤٢ .

(٣) في ديوانه : « برمين » والبريم : كل شيء فيه لونان . والشريجان : لونان مختلفان من كل

شيء ، كما في لسان العرب ٣ / ١٣٠

(٤) الأغاني ٢ / ١٠ وحماة أبي تمام بشرح المرزوق ٣ / ١٣٥٥

(٥) ديوان أبي تمام ١٩٣ وشرح التبريزي ٢ / ٣٣٦



أَقْلَى قَدْ أَضَاقَ بُكَاءُكَ ذَرْعِي      وما ضَاقَتْ بِبِنَازِلَةٍ ذِرَاعِي<sup>(١)</sup>  
 أَلِفَسَةَ النَّجِيبِ كَمْ أَفْتَرَاكِ      أَظَلَّ فَكَانَ دَاعِيَةً أَجْنِمَاعِ<sup>(٢)</sup>  
 وَلَيْسَتْ فَرْحَةُ الْأَوْبَاتِ إِلَّا      لِمَوْقُوفٍ عَلَى تَرَحِّ الوَدَاعِ<sup>(٣)</sup>  
 تَعَجَّبُ أَنْ رَأَتْ جِسْمِي نَحِيفًا      كَأَنَّ الْمَجْدَ يُدْرِكُ بِالصُّرَاعِ<sup>(٤)</sup>

وهذه كلها أبيات جيّادٌ صحيحة الألفاظ والمعاني . وقد عابه ابن «عمار» وغيره بهذا البيت الأخير .

وحدثني أبو علي محمد بن العلاء السُّجِسْتَانِي قال : حدثني أبو [محمد] عبد الله بن قُتَيْبَةَ المَوْثَلَفُ ، قال : سمعت علي بن هارون الكاتب النصراني يقول : قلت لأبي تمام :

أَنشَدْنِي أَجُودَ شَعْرَ قَلْتِهِ . فَأَنشَدَنِي قَصِيدَتَهُ : « خُذِي عِبْرَاتٍ عَيْنِكَ »  
 فلما بلغ إلى قوله : « تَوَجَّعُ أَنْ رَأَتْ » قلت : يخيل إلي أن هذا غلط منك ؛  
 لأنَّ الصُّرَاعَ ليس من النَّحَافَةِ والجَسَامَةِ في شيء . ولو قلت : كَانَ المَجْدُ  
 يدرك بحرف في معنى الجسامة – كنت قد أصبت .

و «علي بن هارون» هذا ، وكل من عاب هذا البيت – عندي غَالِطٌ .  
 ولم كان الصرّاع عنده ليس من النّحافة والجسامة في شيء ؟ وهل تجد القوّة  
 أبداً إلا في العبالّة وغلظِ الألواح ؟ وهل الضّعفُ أبداً إلا في الدقّة والنّحافة ؟  
 وهذا هو الأعم الأكثر ، وإلاّ لم صار الفيل يحمل ما لا يحمل الجمل ،  
 والجمل يحمل ما لا يحمل البغل ، والبغل يحمل ما لا يحمل الحمار .

( ١ ) م « بنازل »

( ٢ ) م « فرحة الأوباد » !

( ٣ ) في الديوان وشرحه « توجع أن » وفي م « بالصواع » والبيت في الصناعتين ٣١٢

( ٤ ) م « كان الصواع » . من المحافة

فأراد أبو تمام أن المجد لا يدرك بالصراع الذى من كان فيه أغلظ.  
وعُبل، كان أولى بالغلبة . فهذا هو الأعم الأكثر في هذا الباب .  
ولست أنكر أن تكون القوة قد توجد مع الدقة والنحافة كما قال بعضهم :  
• إنا على دِقَّتِنَا صِلَابٌ •

وأن يكون الخور والرخاوة قد يوجدان مع الغلظ. والعبالَة في بعض  
الأشياء . فأمّا الشجاعة والجُرأة فقد توجدان في النحيف الجسم الضعيف ،  
وفي العَبِل الغليظ .

وهذا إنما يرجع إلى القلب لا إلى الجسم ؛ ولعل عامر بن الطفيل ،  
وعُتَيْبَة بن الحارث بن شهاب ، وبِسْطَام بن قَيْس - ما كان يقدر كل  
واحد منهم أن يحمل على كتفه مائة رجل .  
فجعل أبو تمام معناه على الوجه الأعم الأكثر . وقد أحسن عندى فيه ،  
ولم يُسَى .

• • •

وقال البحتري :

رَحَلُوا فَايَةً عَبْرَةً لَمْ تُسْكَبِ      أَسْفَا ، وَأَيُّ عَزِيمَةٍ لَمْ تُغْلَبِ (١)  
قَدْ بَيَّنَّ الْبَيْنَ الْمَفْرُقُ بَيْنَنَا      عَشِقَ النَّوَى لِرَبِيبِ ذَاكَ الرَّبْرِ  
صَدَقَ الْقُرَابُ لَقَدْ رَأَيْتُ شُمُوسَهُمْ      بِالْأَمْسِ تَغْرُبُ عَنْ جَوَائِبِ غُرْبِ  
لَوْ كُنْتَ شَاهِدَنَا وَمَا صَنَعَ النَّوَى      بِقُلُوبِنَا لَحَسَدَتْ مَنْ لَمْ يُحِبِّ (٢)  
شُغِلَ الرَّقِيبُ ، وَأَسْعَدَتْنَا خَلْوَةٌ      فِي هَجْرِهِجِرٍ ، وَاجْتَنَابِ تَجَنُّبِ

(١) ديوان البحتري ٦٠٠ ، ١ / ٧٨ دار المعارف

(٢) في الديوان « وما صنع الهوى »

فَتَلَجَّجَتْ عِبْرَاتُهَا ، ثُمَّ أَنْبَرَتْ تَصِفُ النَّوَى بِلِسَانٍ دَفَعٍ مُعْرِبٍ<sup>(١)</sup>  
تَشْكُو الْفِرَاقَ إِلَى قَتِيلٍ صَبَابَةٍ شَرِقِ الْمَدَامِعِ بِالْفِرَاقِ مُعَذِّبٍ<sup>(٢)</sup>  
قوله : « قَدْ بَيَّنَّ الْبَيْنَ الْمُفْرَقُ بَيْنَنَا » . فَاَلْبَيْنُ : الْفِرَاقُ . يريد  
قَدْ بَيَّنَّ الْفِرَاقَ الْمُفْرَقُ بَيْنَنَا .

وبعض أهل اللغة يقول : « الْبَيْنُ » من الْأَضْدَادِ<sup>(٣)</sup> يكون الاتصال ، ويكون  
الافتراق . وليس الأمر كذلك . بل البين : الْحَدُّ وَالْقَطْعُ بين الشيئين ، والذي  
يتميز به<sup>(٤)</sup> الْحَيِّزَانِ أَحدهما عن الآخر . يقال : وصلت بينهما ، وفرقت  
بينهما ، وبعدت<sup>(٥)</sup> بينهما . فيصلح ذلك كله فيه ؛ لأنه الحدُّ ، والْبَرْزَخُ ،  
لأنَّه الاتصال ، ولا الافتراق . إلا أن الشعراء جعلوه في استعمالهم : الفراق .  
فقوله : « قَدْ بَيَّنَّ الْبَيْنُ » - يريد قَدْ بَيَّنَّ الْفِرَاقَ الْمُفْرَقُ بَيْنَنَا .

والنوى : هى النية فى انتقال القوم من موضع إلى آخر . فعشق النية  
لِرَبِيبِ الرَّبْرِبِ - استعارة ليست بحسنة . غير أن الشعراء المتأخرين قد  
اصطلحوا على أن جعلوا البين ، والفراق ، والنوى كالأشخاص ، وجعلوها  
الْحَائِلَةَ بينهم وبين من يَهْوُونَهُ ، فهم يستعبدون الأفعال لها . وربما حسنت  
الاستعارة لها ، وربما قبحت ، على حسب مواضعها فى الإغراق والاقتصاد .

وقوله : « لو كنت شاهدا » من أبياته المشهورة فى الحسن والحلاوة .  
وقوله : « فى هَجْرِهِ جِرٍ ، وَاجْتِنَابِ تَجَنُّبٍ » - مذهب من مذاهب

( ١ ) وفيه : « تصف الهوى »

( ٢ ) م « تشكو الفراق »

( ٣ ) راجع الأضداد لابن الأنبارى ٦٢

( ٤ ) م « بها »

( ٥ ) م « ويعذب »

المولدين . وقد قدمت القول في أنه غير حسن ولا جميل .

ولم يعتمد البحرى في هذا الباب ذكر بكاء النساء إلا قوله :  
« وَقَدْ وَرَدَ سَكَبُ الدَّمُوعِ وَرَدَ الْخُدُودِ » وقوله : « فَتَلَجَلَجَتُ عَبْرَاتُهَا »

ولكنه وصفهن عند التوديع أحسن وصف وأحلاه فقال :

عَجَلْتُ إِلَى فَضْلِ الْخِمَارِ فَأَثَرْتُ عِلْبَاتُهُ بِمَوَاضِعِ التَّقْبِيلِ<sup>(١)</sup>  
وَتَبَسَّمتُ عِنْدَ الْوَدَاعِ فَأَشْرَقَتْ إِشْرَاقَةً عَنْ عَارِضٍ مَضْقُولٍ  
أَخِيبُ عِنْدَكَ وَالصَّبَا لِي شَافِعٌ وَأَرَدْتُ دُونَكَ وَالشَّبَابُ رُسُولِي؟

\*\*\*

وقال أيضاً :

أَكُنْتُ مُعَنَّفِي يَوْمَ الرَّحِيلِ وَقَدْ لَجَجْتُ دُمُوعِي فِي الْهُمُولِ؟<sup>(٢)</sup>  
عَشِيَّةَ لَا الْفِرَاقُ أَفَاءَ عَزَى إِلَى ، وَلَا الْلقاءُ شَفَى غَلِيلِي  
دَنْتُ عِنْدَ الْوَدَاعِ لَوْشِكِ بَيْنِ دُنُوِّ الشَّمْسِ تَجَنُّحُ لِلْأَصِيلِ<sup>(٣)</sup>

وقال أيضاً :

إِذَا مَا نَهَى النَّاهِي فَلَجَّ بِي الْهَوَى أَصَاخَتْ إِلَى الْوَاشِي فَلَجَّ بِهَا الْهَجْرُ<sup>(٤)</sup>  
وَيَوْمَ تَشَنَّتْ لِلْوَدَاعِ وَسَلَّمْتُ بَعَيْنَيْنِ مَوْضُولٍ بِلَحْظِهِمَا السَّحَرُ  
تَوَهَّمْتُهَا أَلَوَى بِأَجْفَانِهَا الْكَرَى كَرَى النَّوْمِ ، أَوْ مَالَتْ بِأَعْطَافِهَا الْخَمْرُ

(١) ديوان البحرى ٦١٠ ، ١٦٦٢ وفى م « إلى أفضل »

(٢) ديوانه ٤٨ ، ١٧٣٦ .

(٣) م « حنت عند » وفى الديوان « لو شك بعد »

(٤) ديوان البحرى ٨٦ ، ٨٤٤ / ٢ دار المعارف .

وقال أيضاً .

وَأَنَا الْفِدَاءُ لِمُرْهَفٍ غَضَّ الصَّبَا      يُؤْهِيه حَمْلُ وَشَاحِهِ وَعُقُودِهِ<sup>(١)</sup>  
قَصُرَتْ تَحِيَّتُهُ فَجَادَ بِخَدِّهِ      يَوْمَ الْوَدَاعِ لَنَا ، وَضَنَّ بِجِيدِهِ  
وَلَوْ اسْتَطَاعَ لَكَانَ يَوْمَ وَصَالِهِ      لِلْمُسْتَهَامِ مَكَانَ يَوْمِ صُدُودِهِ  
أَرَادَ أَنَّهَا لَمَّا قَصُرَتْ تَحِيَّتُهَا فَلَمْ تَقْدِرْ<sup>(٢)</sup> عَلَى السَّلَامِ - أَعْرَضَتْ فَرَأَى  
خَلْدَهَا ، فَكَأَنَّهَا جَادَتْ لَمَّا رَأَتْهُ ، وَقَدْ ضَنَّتْ عَلَى الْحَقِيقَةِ بِجِيدِهَا . وَهُوَ مَوْضِعُ  
الْعِنَاقِ<sup>(٣)</sup> .

\*\*\*

وقال أيضاً :

مَا أَرَى الْبَيْنَ مُخْلِيًّا مِنْ وَدَاعٍ      أَنْفُسُ الْعَاشِقِينَ حَتَّى تَبِينَا<sup>(٤)</sup>  
مِنْ وَرَاءِ الْعُيُونِ كُتُبَانُ رَمَلٍ      تَتَشَنَّى أَفْنَانُهُنَّ فُنُونَا<sup>(٥)</sup>  
وَبُودُ الْقُلُوبِ يَوْمَ اسْتَقَلَّتْ      طُعْنُ الْحَيِّ لَوْ تَكُونُ عُيُونَا  
فهذا المذهب الذى سلكه البحترى - أَوَّلَى بالصواب فى وصف النساءِ  
المُفَارِقَاتِ ، وَأَشْبَهَ بِأَحْوَالِهِنَّ مِنْ مَذْهَبِ «أَبَى تَمَامٍ» فى وصفه إِيَّاهُنَّ بِشِدَّةِ  
الْجَزَعِ ، وَالْوَلَكَةِ ، وَبُكَاءِ الدَّمِ ، وَلَطْمِ الْوَجْهِ ، وَالْإِشْفَاءِ عَلَى الْهَلَكَةِ ،  
وَإِظْهَارِهِ التَّجَلُّدَ ، وَقِلَّةَ الْإِحْتِفَالِ بِهِنَّ . وَذَلِكَ قَوْلُهُ :  
وَقَالَتْ : أَتَنْسَى الْبَدْرَ؟ قُلْتُ تَجَلَّدًا : إِذَا الشَّمْسُ لَمْ تَغْرُبْ فَلَا طَلَعَ الْبَدْرُ<sup>(٦)</sup>

\*\*\*

(١) ديوان البحترى ٦٥٨ ، ٢ / ٦٩٤ دار المعارف

(٢) م « يقدر »

(٣) م « العنان » !

(٤) ديوان البحترى ٢٤٥ ، ٤ / ٢١٦١

(٥) م « وراء الغيور » وفى الديوان « من وراء السجوف » وانظر ص ١٥

(٦) ديوان أبى تمام ٤٧٤

وقال أيضاً :

وَمَا الدَّمْعُ ثَانٍ عَزَمْتِي وَلَوْ أَنَّهُ سَقَى خَدَّهَا مِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَهَا نَهْرٌ<sup>(١)</sup>

وقوله :

لَهَا مِنْ لَوَعَةِ الْبَيْنِ أَلْتِدَامُ يُعِيدُ بِنَفْسَجَا وَرَدَ الْخُدُودِ<sup>(٢)</sup>

وقوله :

وَصَلَتْ دُمُوعاً بِاللِّدْمَاءِ فَخَدَّهَا فِي مِثْلِ حَاشِيَةِ الرِّدَاءِ الْمُعْلَمِ<sup>(٣)</sup>  
وَلِيَهَتْ فَأَظْلَمَ كُلُّ شَيْءٍ دُونَهَا وَأَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ مُظْلَمٍ

ولو كان وصف بهذا زوجته ، أو ابنته ، لكان معذوراً ، ولكنه إنما وصف حبايبه ؛ لأنه ذكرهن بالجمال والحسن ، والزوجات لا يوصفن بذلك . وما انتهى عمر بن أبي ربيعة - الذي كان مُعَشَّقاً يَنْذِرُ أَشْرَافُ النِّسَاءِ النَّثُورَ فِي رُوَيْتِهِ وَمَجَالِسَتِهِ - مِنْ ذِكْرِ صِبَوَتِهِنَّ بِهِ إِلَى مِثْلِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ ، وَلَا قَرِيبٍ مِنْهَا . وقد عيب عمر بذلك ، واستقبح منه . على أنه قد صدق في أكثر ما قال ، ولم يكذب ، وأتى بالأخبار على وجوها . فلم يقنع أبو تمام إلا بالزيادة عليه ، والتناهي فيما يخرج عن العادة .

\*\*\*

وقال أبو تمام :

لَمَّا اسْتَحَرَّ الْوَدَاعُ الْمَحْضُ وَأَنْصَرَمَتْ أَوَاخِرُ الصَّبْرِ إِلَّا كَاطِئاً وَجِماً<sup>(٤)</sup>  
رَأَيْتَ أَحْسَنَ مَرْتِيٍّ ، وَأَقْبَحَهُ مُسْتَجْمِعِينَ لِي التَّوْدِيعِ وَالْعِنَمَا

(١) ديوان أبي تمام ٤٧٤ وشرح التبريزي ٤ / ٥٦٨ « ولو أنها »

(٢) ديوانه ١٠٤ وشرح التبريزي ٢ / ٣٢

(٣) ديوانه ٣١٢ وشرح التبريزي ٣ / ٢٤٨

(٤) ديوانه ٣٠٢ وشرح التبريزي ٣ / ١٦٧

استحسن إصبعها<sup>(١)</sup> ، واستقبح إشارتها مُودَّعة . والغنم : شجر<sup>(٢)</sup> له أغصان لطيفة غَضَّة كأنها بنان جارية . الواحدة غَنَمَة .

وهذا خطأ منه أن يستقبح إشارتها بالوداع إليه . أترأه ما سمع قول جرير :  
أَتَنَسَى إِذْ تُودَّعُنَا سُلَيْمَى بِفَرْعٍ بِشَامَةٍ سَقَى الْبَشَامُ<sup>(٣)</sup>

فدعا للبشام بالسقياً ؛ لأنها ودَّعته به فَسَّرَ بتوديعها .

وأبو تمام إنما استحسن إصبعها ، واستقبح إشارتها . فما ظنك بمن استقبح إشارة معشوقة إليه عند توديعه . وهذا يدل على أنه ما عرف شيئاً من هذا ، ولا شاهده ، ولا بُلَى به .

\*\*\*

وقال في وصف النساء المفارقات أيضاً :

خَفَّتْ دُمُوعُكَ فِي إِثْرِ الْخَلِيطِ لَدُنْ خَفَّتْ مِنَ الْكُتْبِ الْقُضْبَانُ وَالْكُتْبُ<sup>(٤)</sup>  
مِنْ كُلِّ مَمْكُورَةٍ ذَابَ النَّعِيمُ لَهَا ذَوَّبَ الْغَمَامَ فَمَنْهَلٌ وَمُنْسَكِبُ  
أَطَاعَهَا الْحُسْنُ ، وَأَنْحَطَّ الشَّبَابُ عَلَى فَوَادِهَا ، وَجَرَتْ فِي رُوحِهَا النَّسَبُ<sup>(٥)</sup>  
لَمْ أَنْسَهَا وَصُرُوفُ الْبَيْنِ تَخْلِجُهَا وَلَا مُعَوَّلٌ إِلَّا الْوَائِكُفُ السَّرِبُ<sup>(٦)</sup>

(١) م « إصبعها » !

(٢) م « أشجار »

(٣) ديوان جرير ٥١٢ وأمالى المرتضى ١ / ٥٤١ ، ٢٥٦ / ٢

(٤) ديوان أبي تمام ٤٧ وشرح التبريزي ١ / ٢٤٥ ويروى : « في إثر الحبيب » والكتب الأولى : جمع كتيب من الرمل ، والكتب الثانية : مراد بها أرداف النساء ؛ لأنها تشبه بالكتب ، فعذف التشبيه .  
القضبان : أراد بها القنود ، على ترك آلة التشبيه أيضاً

(٥) يروى : « على قوامها » و « في وصفها »

(٦) في الديوان وشرحه : « البين تظلمها »

أَذَنْتُ نِقَاباً عَلَى الْخَدَّيْنِ وَأَنْتَسَبْتُ لِلنَّاظِرِينَ بِقَدْ لَيْسَ يَنْتَقِبُ<sup>(١)</sup>  
كَأَنْتَ لَنَا لَعْباً نَلْهُو بِزُخْرُفِهِ وَقَدْ يُنْفَسُ عَنْ جِدِّ الْفَتَى اللَّعِبُ<sup>(٢)</sup>

وهذه أبيات حسان ، جيدة المعاني .

وقوله : «أطاعها الحسن» من أبياته التي يسأل الناس عنها. فقلوه : «أطاعها الحسن» من قول<sup>(٣)</sup> بشار بن بُرْد :

كَمَا أَشْتَهَتْ خُلِقْتُ حَتَّى إِذَا أَعْتَدَلْتُ تَمَّتْ تَمَاماً فَلَا طُولٌ وَلَا قِصْرُ

وفي نحوه قول أبي نواس :

تَرَكْتُ وَالْحُسْنَ تَأْخُذُهُ تَنْتَقِي مِنْهُ وَتَنْتَخِبُ<sup>(٤)</sup>  
فَانْتَقَتْ مِنْهُ طَرَائِفُهُ وَأَسْتَزَادَتْ فَضْلَ مَا تَهَبُ<sup>(٥)</sup>

قوله : « وانحط الشباب على فؤادها » يريد الذكاء والنيقظ .

وقوله : «وجرت في روحها النسب» ، هو أن يقال : خفيفة الروح ، وعذبة الروح ؛ ونحو هذا . كذا فسرهُ الشيوخ بعد أن جرى في البيت خَوْضٌ طويل .

(١) ويروي « وانتصبت للناظرين » يقول : استتوت بالنقاب لئلا تعرف ففرت بقدها ، أي لما رأوا قدها قيل : هذه فلانة ؛ لأنها معروفة بحسن القوام والجمال .

(٢) م « وأنت لنا » وفي الديوان وشرحه « لنا ملعباً » وكل شيء حسن يسمى زخرفاً

(٣) م « الحسن ونحو القول »

(٤) ديوان أبي نواس ص ٣٦١ « خلعت »

(٥) في الديوان « فاكست »



## ما ذكره من استيلاء النوى على الأحباب المفاقرين

قال أبو تمام :

وفي الكيلة الصَّفراءِ جُوذُرُ رَمْلَةٍ      غَدًا مُسْتَقِيلاً ، والفِرَاقُ مُعَادِلُهُ<sup>(١)</sup>  
تَبَقُّنْتَ أَنَّ الْبَيْنَ أَوَّلُ      فَاتِكَ      بِهِ مُذْ رَأَيْتَ الْهَجَرَ وَهُوَ يُغَارِلُهُ

قوله : «الفراق معادله» معنى غير جيد ولا صحيح ؛ لأن الفراق هو مُفَارَقَةٌ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْاِثْنَيْنِ صَاحِبِهِ . فإذا جعل الفراق ماضياً مع أحدهما ، وأخلى الآخر منه كان الآخر غير مفارق . وهذا محال . وإنما أوقع أبا تمام فيه أنه جعل الفراق كأنه شخص مُسَلِّطٌ . على المحبوب ، استولى عليه فذهب به . وقد يستعمل مثل هذا ولكن ليس على هذا الوجه .

والاستعارة التي هي أقرب إلى الجواز قوله :

سَعِدْتَ غُرْبَةً النَّوَى بِسُعَادٍ      فَهِيَ طَوْعُ الْإِنْتِهَامِ وَالْإِنْجَادِ<sup>(٢)</sup>  
وذلك أن النوى إنما هي : نِيَّةُ الْقَوْمِ الْمَفَارِقِينَ دُونَ غَيْرِهِمْ مِنَ الْمَقِيمِينَ .

\* \* \*

وقال البحتري :

قَدْ بَيَّنَّ الْبَيْنُ الْمُفَرَّقُ بَيْنَنَا      عِشْقَ النَّوَى لِرَبِيبِ ذَاكَ الرَّبِّيبِ<sup>(٣)</sup>  
فنسب العشق إلى النوى على سبيل الاستعارة .

وقال البحتري وهو حسن :

نَوَيْنَ النَّوَى ، ثُمَّ اسْتَجَبْنَ لِهَاتِفٍ      مِنَ الْبَيْنِ نَادَى بِالْفِرَاقِ فَاسْمَعَا<sup>(٤)</sup>

(١) ديوان أبي تمام ٢٣٠ وشرح التبريزي ٢ / ٢٢

(٢) ديوانه ٧٥ وشرح التبريزي ١ / ٢٥٨

(٣) سبق ص ٣٤

(٤) ديوان البحتري ٧٠٢ ، ٢ / ١٢٦٣

وَحَاوَلْنَ كَيْمَانَ التَّرْحُلِ بِاللُّجَى فَبَاحَ بِهِنَّ الْمِسْكُ لَمَّا تَضَوَّعَا<sup>(١)</sup>  
وأردأ من قول أبي تمام : « والفراق معادله » ، وأقبح وأسخف - قول  
أبي تمام :

أَتَرَى الْفِرَاقَ يَظُنُّ أَنِّي غَافِلٌ عَنْهُ وَقَدْ لَمَسْتُ يَدَاهُ لَمِيسًا<sup>(٢)</sup>

ما زلت أسمع الشيوخ من أصحاب أبي تمام المتعصبين<sup>(٣)</sup> له دون من سواهم  
يقولون : أترأه أى شئ أراد أن يصنع بالفراق : يقطع يديه أو رجله ،  
أو يصلبه على جذع ؟

\*\*\*

وقال أبو تمام :

لَا أَظْلِمُ النَّأْيَ قَدْ كَانَتْ خَلَائِقُهَا مِنْ قَبْلِ وَشَلِكِ النَّوَى عِنْدِي نَوَى قَدْفَا<sup>(٤)</sup>

وهذا معنى جيد حسن .

وَالْقُفْ : البعيدة .

وقال أيضاً :

دَعِ الْفِرَاقَ فَإِنَّ الدَّهْرَ سَاعِدَهُ فَصَارَ أَمْلَكَ مِنْ رُوحِي بِجُشْمَانِي<sup>(٥)</sup>

وهذا فى جملة أبياته المشهورة التى لهج الناس بها وهى :

مَا الْيَوْمُ أَوَّلَ تَوْدِيعِي وَلَا الثَّانِي الْبَيْنُ أَكْثَرُ مِنْ شَوْقِي وَأَحْزَانِي [ <sup>(٦)</sup> ]

(١) فى الديوان : « حين تضوعا »

(٢) ديوان أبى تمام ١٥٧ وفى شرح التبريزى ٢ / ٢٦٣ « أى تناولتها يد الفراق . يقول : لا أزال  
أطلب ثأرى عنده حتى أدركه »

(٣) م « المعيين » والتصويب من ق

(٤) ديوانه ٢٠٠ وشرح التبريزى ٢ / ٣٦١

(٥) ديوانه ٣٢٣ وشرح التبريزى ٢ / ٣٠٨

(٦) الزيادة من ق

خليفة الخضر من يربغ على وطني في بلدة فظهور العيس أوطاني<sup>(١)</sup>  
 بالشام قوى ، وبغداد الهوى ، وأنا بالرقنين ، وبالفسطاط إخواني<sup>(٢)</sup>  
 وما أظن النوى ترضى بما صنعت حتى تبلغ بي أقصى خراسان<sup>(٣)</sup>  
 قوله : « البين أكثر من شوقي وأحزاني » أى زاد عليها ، وغلبها حتى  
 صرت لا أشتاق ، ولا أحزن ؛ لكثرة ما أفارق .

---

( ١ ) فى شرح التبريزى « الوجه أن ترفع خليفة على تقدير : أنا خليفة الخضر ؛ لأن طائفة من المسلمين يزعمون أن الخضر حى لم يمّت ، وأنه يطوف البلاد . والمعنى أنى أسير فى البلاد على ظهور العيس ، وكأنى خليفة الخضر ، أى على سفر طول الدهر »

( ٢ ) يروى : « بالشام أهل »

( ٣ ) يروى : « حتى تلوح لى » و « تسافر لى » و « تشاف لى »

## ذكر الأنفاس والحرق والزفرات، عند الفراق

قال أبو تمام :

فَلَوْ تَرَانَا وَإِيَّاهُمْ وَمَوْقِفَنَا فِي مَاتَمِ الْبَيْنِ لَاسْتِهْلَالِنَا زَجَلُ<sup>(١)</sup>  
 مِنْ حُرْقَةٍ أَطْلَقَتْهَا فُرْقَةٌ أَسْرَتْ قَلْبًا ، وَمِنْ عَذَلٍ فِي نَحْرِهِ غَزَلُ<sup>(٢)</sup>  
 قوله : « أَطْلَقَتْهَا فُرْقَةٌ » يعنى أبرزتها وأظهرتها . وإنما قال : « أَطْلَقَتْهَا »  
 من أجل قوله : « أَسْرَتْ قَلْبًا » ؛ ليطابق بين الإطلاق والإسار .

وقوله : « أَسْرَتْ قَلْبًا » يعنى الفرقة - معنى ردىء ؛ لأن القلب إنما يأسره  
 ويملكه شدة الحب لا الفراق . فإن لم يك مأسوراً قبل الفراق فما كان  
 هناك حباً . فلم خص التوديع<sup>(٣)</sup> ؟ وما كان وجه هذا البكاء والاستهلال  
 والزجل ، وهذه القصة الفظيعة التى وصف الحال فيها عند مفارقتهم ؟  
 وقد ذكرت هذا مشروحاً فى باب أغاليطه<sup>(٤)</sup>

\*\*\*

وقال أبو تمام :

أَمَرَ التَّجَلُّدَ بِالتَّلْدِدِ حُرْقَةٌ أَمَرَتْ جُمُودَ دُمُوعِهِ بِسُجُومِ<sup>(٥)</sup>

(١) ديوان أبى تمام ٢٢٧ وشرح التبريزى ٦ / ٣

(٢) ويرى « ومن غزل فى نحره عذل » أى لو رأيتنا ونحن نبكى لاستهلالنا زجل من حرقه أطلقها  
 فرقة ذهبت بقلبي ، ومن عشق فى نحره لوم يقاتله ويحاربه . ويقال : إنه أراد بنحره : بإزاره .

(٣) م « للتوديع »

(٤) راجع ص ٢١٢ من الجزء الأول

(٥) ديوانه ٣٠٥ وشرح التبريزى ٣ / ١٦١

قوله : « أمر التجلد بالتلدد حرقاً » . جعل الحرقه آمرة للتجلد بالتلدد .  
والحرقه التي يكون معها التلدد تسقط التجلد ألبته ، وتذهب به . وأما  
أن تجعله متلدداً فإن هذا من أحق المعاني ، وأولاها بالاستحالة . بلى لو  
قال : إن الفرقه أحالت التجلد إلى التلدد ، أو أبدلت من التجلد التلدد  
لكان ذلك هو السائق الحسن .

وأي لفظ أسخف أيضاً من أن جعل الحرقه آمرة . وإنما العادة في مثل  
هذا أن تكون باعثة ، أو جالبة ، أو نحو هذا . فأما الأمر فليس هذا  
موضعه .

\*\*\*

وقال أيضاً :

وَمِنْ زَفَرَةٍ تُعْطَى الصَّبَابَةَ حَقَّهَا وَتُورَى زَنَادَ الشَّوْقِ تَحْتَ الْحَشَا الصَّلْدِ<sup>(١)</sup>

قوله : « مِنْ زَفَرَةٍ تُعْطَى الصَّبَابَةَ حَقَّهَا » معنى جيد حسن .

ولله در البحتری إذ يقول :

بَاتُوا جَمِيعاً ، ثُمَّ فَرَّقَ شَمْلَهُمْ بَيْنَ كَتَقْوِيضِ الْجَهَامِ الْمُقْلِعِ<sup>(٢)</sup>  
وَوَرَاءَهُمْ صُعْدَاءُ أَنْفَاسٍ إِذَا ذُكِرَ الْفِرَاقُ أَقْمَنَ عُوجَ الْأَضْلَعِ<sup>(٣)</sup>

وقال أيضاً :

عَبَرَاتٌ مِلْءُ الْجُفُونِ مَرَّتْهَا حُرْقٌ لِلْفِرَاقِ مِلْءُ الضُّلُوعِ<sup>(٤)</sup>

(١) ديوان أبي تمام ١٢٧ وشرح التبريزي ١١١ / ٢

(٢) ديوان البحتری ٧٢٧ ، ١٢٨٦ / ٢ « كانوا جميعاً » .

(٣) م « إصعاد »

(٤) ديوان البحتری ٤٢١ ، ١٢٧٩ / ٢

ومثل قوله : « كَتَقْوِيضِ الْجِهَامِ الْمُقْلِعِ » - قولُ أبي تمام :  
 نَوَى كَانْفِضَاضِ النَّجْمِ كَانَتْ نَتِيجَةُ      مِنْ الْهَزْلِ يَوْمًا إِنَّ هَزَلَ الْهَوَى جِدًّا<sup>(١)</sup>  
 فقولهما : كتقويض الجهام ، وكانقضاض النجم - يُريدان السرعة .  
 والجَهَامُ : السحاب الذى قد أراق ماءه فهو سريع الذهاب .  
 فى بيت أبي تمام : لا يليق أوله بآخره ؛ لأنه قال : « كانت نتيجة  
 من الهزل » يعنى النوى . أى كان ذكرهم للرحيل قولاً عبثاً فنتج ذلك أن  
 حَقَّقُوا الرحيل ، وجثُّوا فيه . وهذا معنى جيد بالغ ؛ ولفظ مستقيم . ولكن  
 أفسده بقوله : « إن هزل الهوى جد » ؛ وليس هزل الهوى وجدّه من هذا  
 المعنى فى شيء . وإنما كان وجه الكلام أن يقول : ورب جد نتجه الهزل ،  
 أو ورب كبير هاجه صغير .

ولولا أَنَّ فى سائر النسخ « إن هزل الهوى » لظننته ما قال إلا « هزل النوى »  
 لأنهم أبداً ينغمون بالرحيل ولا يعزمون ، فيكون ذلك كالهزل ، ثم يجد  
 الجد فيحققون ، ويرتحلون . وقد عرفنا مثل هذا مشاهدةً فى غير شيء .

\*\*\*

وقال البحتري :  
 وَكَمْ نَافَسُوا مِنْ حُرْقَةٍ إِثْرَ فُرْقَةٍ      تعجَّب من أنفاسنا وامتدادها<sup>(٢)</sup>  
 فهذا موضع الحرقه والفرقة .

وأجود من هذا كله ما أنشدناه<sup>(٣)</sup> أبو الحسن : موسى بن سليمان الهمداني

(١) ديوان أبي تمام وشرح التبريزي ٨١ / ٢

(٢) ديوان البحتري ١٠٩ ، ٢ / ٦٥٧ دار المعارف

(٣) م « موسى أبو الحسن موسى » وهو خطأ .

عن أَبِي دُلْفٍ : هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخُزَاعِيُّ ، عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ ، وَحَكَى عَنْ أَبِي دُلْفٍ قَالَ :

دَخَلْتُ عَلَى ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ ، وَعِنْدَهُ الْبَحْتَرِيُّ . قَالَ : فَتَذَاكَرْنَا شِعْرَ الرَّجُلِ . فَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : مَا اسْتَحْسَنْتَ لَهُ شَيْئاً إِلَّا قَوْلَهُ :

فَلَمَّا تَبَيَّنْتُ الْمَنَازِلَ بِالْحِمَى وَلَمْ أَقْضِ مِنْهَا حَاجَةَ الْمُتَزَوِّدِ  
زَفَرْتُ إِلَيْهَا زَفْرَةً لَوْ حَشَوْتُهَا سَرَابِيلَ أَبْدَانِ الْحَدِيدِ الْمُسَرَّدِ  
لَذَابَتْ حَوَاشِيهَا وَظَلَّتْ بِحَرِّهَا تَلِينُ كَمَا لَأَنْتَ لِدَاوُدَ بِالْيَدِ

وَالرَّجُلُ - الْعَلَوِيُّ الْبَصْرِيُّ - أَشْعَرُ مِنْ أَبِي تَمَامٍ وَالْبَحْتَرِيُّ فِي هَذَا الْبَابِ .

## زوال الصبر وقلة التجلد

قال أبو تمام :

أَتَظُنُّنِي أَجِدُ السَّبِيلَ إِلَى الْعَزَا      وَجَدَ الْحِمَامُ إِذَا إِلَى سَبِيلَا<sup>(١)</sup>  
الصَّبْرُ أَجْمَلُ غَيْرَ أَنَّ تَلَدُّدًا      فِي الْحُبِّ أُخْرَى أَنْ يَكُونَ جَمِيلًا  
وهذا معنى حسن .

وقد قال نحوه في مَثْبُوتَةِ إِدْرِيسِ بْنِ بَدْرِ السَّامِي<sup>(٢)</sup> .

وقد كَانَ يُدْعَى لِأَبْسِ الصَّبْرِ حَازِمًا      فَأَصْبَحَ يُدْعَى حَازِمًا حِينَ يَجْزَعُ<sup>(٣)</sup>  
أَخَذَ الْجَمِيعَ مِنْ قَوْلِ الْعُتْبِيِّ :  
أَضَحَّتْ بِخَدِّي لِلدُّمُوعِ رُسُومُ      أَسْفَا عَلَيْكَ ، فِي الْفَوَادِ كُلُّومُ  
وَالصَّبْرُ يُحْمَدُ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا      إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومُ<sup>(٤)</sup>

وقال أبو تمام :

وَمَا أَحَدٌ طَارَ الْفِرَاقُ بِقَلْبِهِ      بِجَلْدٍ وَلَكِنَّ الْفِرَاقَ هُوَ الْجَلْدُ<sup>(٥)</sup>  
وهذا معنى سخيف جدًا .

ولكن قد أحسن ، وألطف ، وأجاد في قوله حين قال :

يُصْبِرُنِي أَنْ ضِيقْتُ ذَرْعًا بِحُبِّهِ      وَيَجْزَعُ أَنْ ضَاقَتْ عَلَيْهِ خَلَائِلُهُ<sup>(٦)</sup>

(١) ديوان أبي تمام ٢٤٢ وشرح التبريزي ٣ / ٦٦

(٢) م « البيهقي » !

(٣) ديوانه ٣٧٣ وشرح التبريزي ٣ / ٩٤

(٤) الوساطة ٢٩٠

(٥) ديوان أبي تمام ١٢٠ ، وانظر شرح التبريزي ٢ / ٨٢ وهامشه

(٦) ديوانه ٢٣٠ وشرح التبريزي ٣ / ٢٤ « ذرعا بنأيه » وروى : « يعنفني أن »



وقال أيضاً :

رَحَلَ الْعَرَاءُ مَعَ الرَّحِيلِ كَأَنَّمَا أُخِذَتْ عَنْهُمُودُهُمَا عَلَى مِيعَادٍ<sup>(١)</sup>  
وَكَأَنَّ أَفْثِدَةَ النَّوَى مَصْدُوعَةٌ حَتَّى تَصْدَعَ بِالْفِرَاقِ فُؤَادِي

و « أفثدة النوى مصدوعة » يشبه قوله :

وَكَمْ أَبْرَزَتْ مِنْكُمْ عَلَى قُبْحِ خَدِّهَا صُرُوفُ النَّوَى مِنْ مُرْهَفٍ حَسَنٍ الْقَدِّ<sup>(٢)</sup>  
وما أظن أحداً انتهى في الجهل ، والعي ، واللكنة ، وضيق الحيلة في  
الاستعارة إلى أن جعل لـصُرُوفِ النوى قدّاً ، وأفثدة مَصْدُوعَةً - غير أبي تمام .

\*\*\*

وقال البحتري :

وَيَأْمُرُنِي بِالصَّبْرِ مَنْ لَيْسَ وَجْدُهُ كَوَجْدِي ، وَلَا إِعْلَانُ حَالِي كَحَالِهِ<sup>(٣)</sup>  
فَإِنْ أَفْقِدَ الْعَيْشَ الَّذِي فَاتَ بِاللَّوَى فَقَدْماً فَقَدْتُ الظِّلَّ عِنْدَ أَنْتَقَالِهِ

وهذا ، لعدم الله ، لفظ ومعنى في غاية الحسن والبراعة .

ومثله قول أبي الشَّيْص :

يُصْبِرُنِي قَوْمٌ بَرَاءٌ مِنَ الْهَوَى وَلِلصَّبْرِ تَارَاتٍ أَمْرٌ مِنَ الصَّبْرِ

\*\*\*

وقال أبو تمام :

تَحَمَّلَ عَنْهُ الصَّبْرُ يَوْمَ تَحَمَّلُوا وَعَادَتْ صَبَاهُ فِي الصَّبَا وَهِيَ شَمَالُ<sup>(٤)</sup>  
بِیَوْمٍ كَطُولِ الدَّهْرِ فِي عَرَضٍ مِثْلِهِ وَوَجِدِي مِنْ هَذَا وَهَذَا أَطُولُ

(١) ديوان أبي تمام ١٣٣ وشرح التبريزي ٢ / ١٢٧

(٢) ديوانه ١٢٧ وشرح التبريزي ٢ / ١١٠

(٣) ديوان البحتري ٣ / ١٦٢٣

(٤) ديوان أبي تمام ٢٤٤ وشرح التبريزي ٣ / ٧٢

جعل الصَّبَا شَمَالًا ؛ لَأَنَّ الشَّمَالَ تُفَرِّقُ . وقد تقدم ذكر هذا في  
الابتدآت<sup>(١)</sup> .

ثم انظر إلى هذا السخف : كيف جعل للدهر عرضاً على هذا اللفظ  
الذي كأنه به يمسح أرضاً ، أو يَنْزِعُ ثوباً .

\*\*\*

وقال أبو تمام أيضاً :

لَمْ يُعْطِ نَازِلَةَ الْهَوَى حَقَّ الْهَوَى دَنِفٌ أَطَافَ بِهِ الْهَوَى فَتَجَلَّدَا<sup>(٢)</sup>  
صَبٌّ تَوَاعَدَتِ الْهُومُ فُوَادُهُ إِنَّ أَنْتُمْ أَخْلَفْتُمُوهُ مَوْعِدَا  
لِمَ تُنْكِرِينَ مَعَ الْفِرَاقِ تَلْدُدِي وَبِرَاعَةُ الْمُشْتَقِ أَنْ يَتَبَلَّدَا<sup>(٣)</sup>  
وهذا المعنى مأخوذ من قول قيس بن ذريح :

بَلِيغٌ إِذَا يَشْكُو إِلَى غَيْرِهَا الْهَوَى فَإِنْ هُوَ لَأَقَامَا فَعَيْرٌ بَلِيغٍ

\*\*\*

وقال البحتري :

هَلْ أَنْتَ مُضْطَبِّرٌ عَلَى مَضْضِ الْأَسَى إِذْ كَانَ بَيْنَهُمْ وَرِخْلَتُهُمْ غَدَا<sup>(٤)</sup>  
لَا تَكْلِينَ ؛ فَمَا أَمَارَاتُ النَّوَى لِلصَّبِّ إِلَّا مِنْ أَمَارَاتِ الرَّدَى  
لَوْمْ بَعْنِي أَنْ يُلَاثِمَهَا الْكَرَى عَنْ سَلْوَةٍ ، وَبِمَائِهَا أَنْ يَجْمَدَا  
قد أتى هذا البيت الأخير على غرض أبي تمام في بيته الأول .

وأبو تمام في أبياته - مع مافيهما من السرقة<sup>(٥)</sup> - أشعر من البحتري في أبياته .

(١) راجع ص ١٨٧ من الجزء الأول

(٢) ديوان أبي تمام ١٢٥ وشرح التبريزي ١٠٢ / ٢

(٣) ق ٢ م وفي الديوان وشرحه « تبلدى »

(٤) هذه الأبيات لا توجد في جميع طبقات ديوان البحتري

(٥) م « الشرقة » !

ما قالوا في قتل الفراق للمفارق وسفك دمه

قال أبو تمام :

قَالُوا : الرَّحِيلُ غَدًا لَا شَكَّ قُلْتُ لَهُمْ      الْآنَ أَيْقَنْتُ أَنَّ [ أَسَمَ ] الْجِمَامَ غَدًا<sup>(١)</sup>  
كَمْ مِنْ دَمٍ يُعْجِزُ الْجَيْشَ اللَّهُامَ إِذَا      بَانُوا سَتَحْكُمُ فِيهِ الْعَرْمُسُ الْأَجْدُ<sup>(٢)</sup>  
مَا لِأَمْرِي خَاضَ فِي بَحْرِ الْهَوَى عُمَرُ      إِلَّا وَلِلْبَيْنِ مِنْهُ السَّهْلُ وَالْجَلْدُ  
كَأَنَّمَا الْبَيْنُ فِي إِلْحَاحِهِ أَبَدًا      عَلَى النَّفْسِ أَخٌ لِلْمَوْتِ أَوْ وَلَدُ

اللُّهُامُ : الذي يلتهم كل شيء لكثرتِه . وَالْعَرْمُسُ : الناقة الشديدة . وكذلك  
الْأَجْدُ : هي الموثقة<sup>(٣)</sup> الخلق .

ولم يك هذا عندى وجه الكلام ، بل كان وجهه لما قال : الجيش  
اللُّهُامُ أَنْ يَقُولَ : النَّابُ الضَّعِيفَةُ ، فَيَهْوُنْ أَمْرَهَا ، لَا النَّاقَةُ الْأَجْدُ ؛ لِأَنَّ  
النَّابَ قَدْ يَقْطَعُ بِهَا السَّفَرَ الْبَعِيدَ كَمَا قَالَ<sup>(٤)</sup> :  
\* وَقَدْ تَقْطَعُ الدَّوْيَةَ النَّابُ \*

وقوله : « مَا لِأَمْرِي خَاضَ فِي بَحْرِ الْهَوَى عُمَرُ » قد أساء فيه إساءة ذكرتها  
فيما ذكرت من أغاليطه<sup>(٥)</sup> .

(١) ديوان أبي تمام ٩٧ وشرح التبريزي ١٠ / ٢

(٢) قال التبريزي : « والمعنى أن الجيش كان يعجز عن قتل هذا المحب ، فقتلته العرمس ، لأنها  
حملت محبوبه .

(٣) م « هي الموثقة » وهو تعريف

(٤) م « كما قال : بيت شعر ناب وقد » .

(٥) راجع ص ٢١٤ من الجزء الأول

وقال أبو تمام :

لَوْ حَارَ مُرْتَادُ الْمَنِيَّةِ لَمْ يَجِدْ إِلَّا الْفِرَاقَ عَلَى النَّفُوسِ سَبِيلًا<sup>(١)</sup>  
قَالُوا : الرَّحِيلُ فَمَا شَكَّكَتُ بِأَنَّهَا نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا تُرِيدُ رَحِيلًا  
إِنِّي تَأَمَّلْتُ النَّوَى فَوَجَدْتُهَا سَيْفًا عَلَى مَعَ الْعِدَا مَسْلُولا

قد عابه ابن عمار وغيره في قوله : «إني تأملت النوى» . وقالوا : مثل هذا الأمر الفظيع الذي مكروهه أبداً مضروب على الخلق لا تعلم البلية فيه إلا بعد التأمل . وهذا إنكار صحيح . وليس هذا كقول البحتري :

ولقد تأملتُ الفِرَاقَ فلم أجِدْ يومَ الفِراقِ على امرئٍ بطويلٍ<sup>(٢)</sup>  
لأن مثل هذا يوجبه التأمل . وقد فسره البحتري ، وذكر علته ، وكأنه رد لقول أبي تمام : «يوم الفراق لقد خلقت طويلاً» .

وقد ذكرت ذلك مشروحاً في باب الابتداءات من هذا الباب<sup>(٣)</sup> .

\*\*\*

وقال أبو تمام :

أَظَلُّهُ الْبَيْنُ حَتَّى إِنَّهُ رَجُلٌ لَوْ مَاتَ مِنْ شُغْلِهِ بِالْبَيْنِ مَا عَلِمَا<sup>(٤)</sup>  
أخذ المعنى من قول أبي الشَّيْبِصِ :  
فَكَمْ مِنْ مَيِّتَةٍ قَدِمَتْ فِيهَا وَلَكِنْ كَانَ ذَاكَ وَمَا شَعَرْتُ

(١) ق «لو جاز» وفي الديوان ٢٤٢ وشرح التبريزي ٣ / ٦٦ «النفوس دليلاً»

(٢) ديوانه ٦١٠

(٣) راجع ص ١٤

(٤) ديوانه ٣٠٢ وشرح التبريزي ٣ / ١٦٦ «أى حتى لو نزع روحه من جسده لم يعلم به ،

شغلا منه بأمر البين»

وبيت أبي تمام أجود . وقوله : « وما شعرت » لفظ . سخي .

وقال أبو تمام أيضاً :

طُلَّتْ دِمَاءٌ هُرِيْقَتْ عِنْدَهُنَّ كَمَا طُلَّتْ دِمَاءٌ هَدَايَا مَكَّةَ الْهَمَلُ<sup>(١)</sup>  
هَانَتْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَهُوَ يَسْفِكُهَا حَتَّى الْمَنَازِلُ ، وَالْأَحْدَاجُ ، وَالْإِبِلُ

الْهَمَلُ : وصف لقوله : « دماء هدايا مكة » من هَمَلَ يَهْمَلُ ، والمصدر هو الهمول . والهمل - ساكنة الميم - فحركتها .

وقوله :

هَانَتْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَهُوَ يَسْفِكُهَا حَتَّى الْمَنَازِلُ ، وَالْأَحْدَاجُ وَالْإِبِلُ<sup>(٢)</sup>  
- ردىء جداً ؛ لأنه إذا لم يسفك دماء العاشقين - المنازل إذا خلت من  
أهلها ، والإبل إذا سارت بهم<sup>(٣)</sup> ؛ فلى شئ يسفكها ؟ وهل شئ عند المحبين  
أعظم من فراق الأحباب حتى يجعل أسباب فراقهم من أهون الأشياء وأقلها  
فى سفك دماهم ؟

\*\*\*

وقد قال البحتري :

وَقَتْلُ الْمُحِبِّينَ الْعَيُونُ وَلَمْ أَكُنْ أَظُنُّ الرُّسُومَ الدَّارِسَاتِ قَوَاتِلًا<sup>(٤)</sup>  
فأحسن ، وأجاد وملح ، ولم يُفصِح بتخصيس أمر الرسوم .

\*\*\*

(١) ديوان أبي تمام ٢٢٧ وشرح التبريزي ٨ / ٣

(٢) ق ، م « والهمل » !

(٣) م « لم »

(٤) ديوان البحتري ٧٠٩ ، ٣ / ١٦٠٣ وسبق فى الجزء الأول ص ٤٨٩ .

وقال أبو تمام :

ضَعُفَتْ جَوَانِحُ مَنْ أَذَاقَتْهُ النَّوَى طَعْمَ الْفِرَاقِ فَذَمَّ طَعْمَ الْعَلَقَمِ<sup>(١)</sup>  
هِيَ مَيْتَةٌ إِلَّا سَلَامَةً أَهْلِهَا مِنْ خَلَّتَيْنِ : مِنْ الثَّرَى وَالْمَاتَمِ<sup>(٢)</sup>

قوله : «ضعفت» دعاء عليها ، أى أضعف الله جوانح من أذاقته النوى  
طعم الفراق فذم طعم العلقم .

وَالْجَوَانِحُ : هى الأضلاع الصَّغار فى الصدر ، التى تلى الفؤاد . الواحدة  
جانحة . فكأنه يدعو عليها بأن تَضَعُفَ عن حمل حرارة التَشْوِيقِ ، وحرق  
الفراق<sup>(٣)</sup> . إن كان صاحبها قد ذاق طعم الفراق ، وعلم مرارته فذَمَّ طَعْمَ الْعَلَقَمِ .  
و «ضَعُفَتْ» كلام ضعيف فى هذا الغرض جداً ، «وأضعف الله» لو كان  
استوى له أن يقولها - أحسنُ ، وأبلغ من ضَعُفَتْ .

وعلى أنه كلام لا يشبه بعضه بعضاً ، و «حواس» ههنا أحسن وأليق ،  
وأشبه من «جوانح» ؛ لأنه ذكر الطعم فكانت الحواس مع الطعم لفظاً يُشْبِهُ  
لفظاً ، ومعنى يُشْبِهُ معنى . أو كان يقول لو استوى نظمه : «ضعفت  
جوانح من أحرقت نار الهوى جوانحه فَذَمَّ حرارة النار ، أو فوجد للنار  
حرارة» .

ومنهم من يجعل «ضعفت» خبراً . أى لقد ضعفت جوانح من ذاق

(١) ديوان أبى تمام ٣١٢ وشرح التبريزى ٣ / ٢٤٩ «والمعنى أن النوى يفوق طعم الفراق ثم يذم  
طعم العلقم فقد ضعفت جوانحه ؛ لأنه لا يفرق بين الأشياء ، أى أن الفراق أشد مرارة من العلقم . ويقع  
فى بعض النسخ "ضعفت جوانح" والصواب "جوارح" والتفسير يدل عليه !

(٢) فى شرح التبريزى «هى ميتة ، يعنى مرارة الفراق ، إلا أن أهلها يسلمون من الدفن الذى  
يباشرون فيه الثرى ، ولا يقام عليهم الماتَم ، أى على الأموات» .

(٣) م «الفراق» !

طعم الفراق فذم طعم العلقم . وليس بشيء . وأظنه لو استوى له ذكر  
« الحواس » في البيت لما عدل عنه .

وليس هذا البيت من الباب الذى نحن فيه ، وإنما أوردته لأصل به  
البيت الذى بعده . وكلاهما ردىء .

\*\*\*

وقال أبو تمام :

الموتُ عِنْدِي والفِرَا قُ كِلَاهُمَا مَا لَا يُطَاقُ<sup>(١)</sup>  
يَتَعَاوَنَانِ عَلَى النَّفْوِ سِ قَدْذَا الْحِمَامُ ، وَذَا السِّيَاقُ  
لو لم يكن هَذَا كَذَا مَا قِيلَ : مَوْتُ أَوْ فِرَاقُ

وهذه أبياته المشهورة المتلوة في الفراق .

ذكر « أبو الحسن : على بن يحيى المنجم » أنه أخذ هذا المعنى من قول  
النمرى<sup>(٢)</sup> :

إِنَّ الْمَنِيَّةَ وَالْفِرَاقَ لَوَاحِدٌ أَوْ تَوَآمَانِ تَرَاضَعَا بِلَبَّانِ  
وليس هو عندي من دقيق المعاني التى يُتَّهَمُ آخرُ أنه أخذها من أول .

\*\*\*

ومما غرَى الناس به من شعر أبى تمام فى هذا المعنى قوله :

الْبَيْنُ جَرَعْنِي نَفِيعَ الْخَنْظَلِ الْبَيْنُ أَثْكَلَنِي وَإِنْ لَمْ أَثْكَلِ<sup>(٣)</sup>  
مَا حَسَرْتَنِي أَنْ كِدْتُ أَقْضِي إِنَّمَا حَسَرَاتُ نَفْسِي أَنَّنِي لَمْ أَفْعَلْ

(١) ديوان أبى تمام ٤٥٣ وشرح التبريزى ٢٤٠/٤

(٢) ق « قول البحتري » !!

(٣) ديوان أبى تمام ٤٥٧ « حشرات قلبى » وفى شرح التبريزى ٢٥٣/٤ كما هنا

قوله : « أَثْكَلْنِي » أى أَثْكَلْنِي مِنْ هَوِيَّتْ ، بِمَفَارِقَتِهِ لِئَايَ ، وَإِنْ لَمْ أَثْكَلْ عَلَى الْحَقِيقَةِ بِمَوْتِهِ . وَيَكُونُ أَثْكَلْنِي أى أَثْكَلْنِي أَهْلِي ، أى جَعَلْنِي قَدْ ثَكُلُونِي وَإِنْ لَمْ أَثْكَلْ عَلَى الْحَقِيقَةِ [ وَهَذَا سَائِغٌ ] <sup>(١)</sup> ؛ لِأَنَّهُ أَرَادَ قَتْلَ الْحُبِّ الَّذِي لَيْسَ بِإِتْيَانٍ عَلَى النَّفْسِ .

وقوله : « مَا حَسَرَنِي أَنْ كِدْتُ أَقْضِي » . أى أَهْلَكَ ، وَأَتْلَفَ ، « وَإِنَّمَا حَسَرَاتُ نَفْسِي أَنَّنِي لَمْ أَفْعَلْ » ، أى لَمْ أَقْضِ وَأَتْلَفَ . وَهَذَا لَفْظٌ وَمَعْنَى فِي غَايَةِ الضَّعْفِ وَالِاخْتِلَالِ وَالرَّدَاءَةِ <sup>(٢)</sup> .

ثم وصل هذا القول بالمعنى الذى كان يَفْتَحِرُ بِهِ ، وَهُوَ قَوْلُهُ :  
نَقْلُ فُؤَادِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْهَوَى مَا الْحَبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ <sup>(٣)</sup>  
كَمْ مَنْزِلٍ فِي الْأَرْضِ يَأْلَفُهُ الْفَتَى وَحَيْنُهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنْزِلٍ

وَكَانَ أَبُو تَمَامٍ يَقُولُ : أَنَا ابْنُ قَوْلٍ : نَقْلُ . . . وَيَذْكُرُ الْبَيْتَ <sup>(٤)</sup> ،  
كَمَا كَانَ أَبُو نَوَاسٍ يَقُولُ : أَنَا ابْنُ <sup>(٥)</sup> قَوْلٍ :  
إِذَا أَمْتَحَنَ الدُّنْيَا لَبِيبُ تَكَشَّفَتْ لَهُ عَنْ عُلُوِّ فِي ثِيَابِ صَدِيقٍ <sup>(٦)</sup>

وَكَمَا كَانَ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ يَقُولُ : أَنَا ابْنُ قَوْلٍ :  
تَجُودُ بِالنَّفْسِ إِذْ ضَنَّ الْجَوَادُ بِهَا وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ <sup>(٧)</sup>

(١) الزيادة من ق

(٢) كذلك في ق وفي م « والرذالة »

(٣) ديوان أبي تمام ٤٥٧ وشرح التبريزي ٢٥٣/٤

(٤) راجع الخبر في أخبار أبي تمام ٢٦٣ والأغاني ١٧ / ١٤٦

(٥) م « أنا ان » !

(٦) ديوان أبي نواس ١٩٢

(٧) ديوان مسلم بن الوليد ١٣٢



وكما كان دِجبل يقول : أنا ابن قولي :  
لا تَعْجَبِي يَا سَلَمُ مِنْ رَجُلٍ ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى<sup>(١)</sup>

\*\*\*

وقال البحتري :  
أَمَّا وَفُتُورٍ لَحْظِكَ يَوْمَ أَبْقَى      تَقَلُّبُهُ فُتُورًا فِي عِظَامِي<sup>(٢)</sup>  
لَقَدْ كَلَّفْتَنِي كَلْفًا أَعْنَى      بِهِ وَشَغَلْتَنِي عَمَّا أَمَامِي  
سَيَقْتُلُ فِي الْمَسِيرِ إِذَا رَحَلْنَا      عَلِيلٌ كَانَ يَمْرُضُ فِي الْمَقَامِ  
وحسبك بهذا حلاوة وحسناً .

ومما أَبَرَّ<sup>(٣)</sup> فيه على إحسان كلِّ مُحْسِنٍ قَوْلُهُ :  
أَيَا سَكَنًا فَاتَ الْفِرَاقُ بِأُنْسِهِ      وَحَالَ التَّعَادِي دُونَهُ وَالتَّزِيلُ<sup>(٤)</sup>  
بِكُرْهِ رِضَا الْعُدَالِ عَنِّي وَإِنَّهُ      مَضَى زَمَنٌ كُنْتُ فِيهِ أَعْدَلُ<sup>(٥)</sup>  
فَلَا تَعْجَبَا إِن لَمْ يَغْلُ جِسْمِي الضَّنَى      وَلَمْ يَخْتَرِمِ نَفْسِي الْجِمَامُ الْمُعْجَلُ  
فَمِنْ قَبْلُ بَانَ الْفَتْحُ عَنِّي مُودَّعًا      وَفَارَقَنِي شَفْعًا لَهُ الْمُتَوَكِّلُ<sup>(٦)</sup>

(١) أمالي المرتضى ١ / ٤٣٧ وفي الأغاني ١٧ / ١٤٦ أن محمد بن وهيب لما سمع أقوال هؤلاء الشعراء قال : وأنا ابن قولي :

مَا لِمَنْ تَمَّتْ مَحَاسِنُهُ أَنْ يَمَادَى طَرَفٌ مِنْ رِيقَا  
لَكَ أَنْ تَبْدَى لَنَا حَنَا وَلَنَا أَنْ نَعْمَلَ الْحَدَقَا

(٢) ديوان البحتري ٣٤٩ ، ٣ / ٢٠٣٠ « أبق تصرفه »

(٣) م « أبث » والتصويب من ق

(٤) ديوان البحتري ٥٢٩ ، ٣ / ١٨٩٢ وفي ق « أيا ساكتاً »

(٥) في الديوان « فكري » !

(٦) في الديوان « فقبلك بان »

فَمَا بَلَغَ الدَّمْعُ الَّذِي كُنْتُ أَرْتَجِي      وَلَا فَعَلَ الْوَجْدُ الَّذِي خِلْتُ يَفْعَلُ  
وَمَا كُلُّ نَيْرَانٍ الْجَوَى تَحْرِقُ الْحَشَا      وَلَا كُلُّ أَدْوَاءِ الصَّبَابَةِ تَقْتُلُ  
وقد كان قوم من الرواة يقولون : أجود الشعر أكذبه . ولا والله ،  
ما أجودُهُ إِلَّا أَصْدَقُهُ ، إذا كان له من يُلَخِّصُهُ هذا التَّلْخِيسُ ، ويُورِدُهُ هذا  
الإِبْرَادَ على حقيقة الباب<sup>(١)</sup>.

---

(١) م . حقيقة لكن ما قاله ! والتصويب من ق

ما قالاه في الغزل من أوصاف النساء

ونعوتهن ، وشدة الشوق ، والتذكر ، والوجد ، والغرام

• • •

وأفتح هذا الباب بما جاء عنهما من الابتدآت في هذه المعاني ، وأبوابها أبواباً ؛ لتصح الموازنة بينهما .

ذكر ابتدا آتتهما بتشبيه النساء بالظباء والبقر

قال أبو تمام :

نَوَارٌ فِي صَوَاحِبِهَا نَوَارٌ كَمَا فَاجَاكَ سِرْبٌ أَوْ صَوَارٌ<sup>(١)</sup>

«نوار» اسم امرأة . «في صواحبها نوار» أى نفور ، أى هى نفور في صواحبها ، أى مع صواحبها ، فجعلهن جميعاً نوافر .

«كما فاجاك سرب أو صوار» . فالسرب : الجماعة من الظباء ههنا ، والصَّوَارُ : الجماعة من بقر الوحش . أى فيها وفي صواحبها نِفَارٌ كما تفاجئك الظباء والبقر فتراهن نوافر عنك .

وإنما ذكر الظباء والبقر جميعاً لأن النساء يُشَبَّهْنَ بهن في حسن عيونهن و [في] قد تكون بمعنى مع . قال الجعدي :

وَلَوْحٌ ذِرَاعَيْنِ فِي بَرَكَةٍ إِلَى جُوجُؤٍ رَهْلٍ الْمُنْكَبِ<sup>(٢)</sup>  
أى مع بركة .

(١) ديوان أبي تمام ١٤٠ وشرح التبريزي ١٥٢ / ٢

(٢) اللوح : العظم الريفض . والبركة : البروك . والجُوجُؤُ : الصدر . والرهْل : المسترخى . وإنما أراد أن جلد صدره واسع غير ضيق ، فنكه يمجج ويتقلب ، وذلك مستحب في الفرس . راجع أبيات المعاني ١ / ١٣٧ والاقتضاب ٤٥٣ ، وديوان الجعدي ١٨

وصدر هذا البيت ليس بجيد .

وقال :

مَهَاةُ النَّقَا لَوْلَا الشَّوَى وَالْمَايِضُ وَإِنْ مَحَضَ الإِعْرَاضَ لِي مِنْكَ مَاحِضٌ<sup>(١)</sup>

الشَّوَى : يريد القوائم ، والمَايِضُ : الأَرْفَاعُ<sup>(٢)</sup> ، والمَهَاةُ : البقر .

يقول : أنت مهاة النقا لولا قوائمها فإنها ليست كقوائمك ، وكذلك المايِض .

وفي البقر أشياء أخر ليست في الناس منها القرون ، والأذنان وسائر خلقها ، وما هناك من الشبه غير العيون [و] إذا مشى النساءُ شُبُهْنَ بالبقر . فلم يمكنه أن يقول : مهاة النقا لولا الشَّوَى ، والمَايِضُ ، والأظلاف ، والقُرُون ، والشعر ، والجلد ، وغير ذلك مما ليس في الإنسان .

وإذا اقتصر الإنسان على بعض هذه الأشياء أجزأته ، وإنما أخطَرَ أبو تمام بِبَالِهِ قولَ الشاعر :

فَعَيْنَاكِ عَيْنَاهَا ، وَجِيدُكِ جِيدُهَا سَوَى أَنْ عَظَمَ السَّاقِ مِنْكَ دَقِيقُ<sup>(٣)</sup>

فلذلك قال : الشَّوَى .

وقوله : «والمَايِضُ» عِيٌّ منه وَلُكْنَةٌ ، وأراد القافية .

وقوله : « وَإِنْ مَحَضَ الإِعْرَاضَ لِي مِنْكَ مَاحِضٌ » . أى أنا أجعلك كمهاة النقا ، وأشبهك بها وإن أعرضت عني . وهو معنى ضعيف جدًا .

(١) ديوان أبي تمام ١٨٣ وشرح التبريزي ٢ / ٢٩٤

(٢) اللسان ١٠ / ٣١١ وفي م ، ق « الأرفاع »

(٣) اللسان ٧ / ٢٣٣

وقد يجوز أن يكون أراد : لولا<sup>(١)</sup> الشوى والمآيض وأن محض الإعراض  
لى منك ماحض - بفتح أن - أى لولا أن محض الإعراض لى منك ما حض ،  
يريد أن مهة النقا لا تقصده بإعراض ، ولا غير إعراض . وهذا أيضاً معنى  
ضعيف .

\*\*\*

وقال البحرى :

دَنَا السَّرْبُ إِلَّا أَنْ هَجَرًا يُبَاعِدُهُ وَلَا حَتَّ لَنَا أَفْرَادُهُ وَفَرَائِدُهُ<sup>(٢)</sup>

والسرب : القطيع من الطباء ، والنساء ، والقطا . وهو ههنا : النساء .

وقوله : « لَا حَتَّ لَنَا أَفْرَادُهُ » أى أفراده فى الحسن ، جمع فرد .

وفرائده : درره ، جمع فريدة ، وهى الدرة . يريد نساء مفردات فى الحسن  
ونساء كفرائد الدرر .

وبعضهم جعل الفرائد ههنا : الثغور .

\*\*\*

وقال أيضاً :

عَارَضْنَنَا أَضْلًا ، فَقُلْنَا : الرَّبْرَبُ حَتَّى أَضَاءَ الْأَقْحُوَانُ الْأَشْنَبُ<sup>(٣)</sup>

الرَّبْرَبُ : القطيع من بقر الوحش . أى فحسبنا هُنَّ من البقر ؛ لشبههن  
هن من جهة عيونهن .

« حَتَّى أَضَاءَ الْأَقْحُوَانُ الْأَشْنَبُ » يريد ثُغُورَهُنَّ ، أى لَمَّا ابْتَسَمْنَ عَلِمْنَا  
أَنْ لَسْنَ بِالْبَقَرِ ؛ لِأَنَّ الْبَقَرَ لَا يَبْسُمُ ، وَلَا يَبْدُو لَهُنَّ سِنَّ إِلَّا عِنْدَ التَّثَاوُبِ ،  
أَوْ الرَّغَى .

(١) م « أراد أولاً بالشوى » !

(٢) ديوان البحرى ٤٣٣ ، ١ / ٥٨٢ دار المعارف وفى م « وما السرب »

(٣) ديوان البحرى ٦٨١ ، ١ / ٧١ وفى م « عارضتنا »

وَنَوْرُ الْأَقْحَوَانِ مِنْ أَشْبَهَ شَيْءٍ بِالثَّغْرِ . وَالْأَشْنَبُ : الْبَارِدُ .

وهذا الابتداء أجود من جميع ما مضى .

\* \* \*

وقد تصرف « البحتري » في الابتداءات بهذا المعنى تصرفاً حسناً فقال<sup>(١)</sup> :  
إِنَّ الطُّبَّاءَ غَدَاةَ سَفْحٍ مُحَجَّرٍ هَيْجَنَ حَرٍّ جَوَى ، وَفَرَطَ تَذَكُّرٍ<sup>(٢)</sup>

وقال :

هَلْ فِيكُمْ مِنْ وَاقِفٍ مُتَفَرِّسٍ يُعْدِي عَلَى نَظَرِ الطُّبَّاءِ الْأُنَّسِ<sup>(٣)</sup>

وقال :

يَشُوقُكَ تَخْوِيدُ الْجِمَالِ الْقَنَاعِيسِ بِأَمْثَالِ غِزْلَانِ الصَّرِيمِ الْكَوَانِيسِ<sup>(٤)</sup>

وقال :

مَا لِذَا الرِّيمِ لَا يُرَامُ أَفْتِنَاصُهُ وَهُوَ لِلْقُرْبِ بَيْنٌ إِفْرَاصُهُ<sup>(٥)</sup>

وقال :

تَوَهَّمْ لَيْلَى وَأَطْعَانَهَا طِبَّاءُ الصَّرِيمِ وَغِزْلَا نَهَا<sup>(٦)</sup>

وقال :

عِنْدَ طِبَّاءِ الرَّمْلِ أَوْعِينِهِ قَلْبُ مَشُوقِ الْقَلْبِ مَحْزُونِهِ<sup>(٧)</sup>

(١) م « فقال البحتري » !

(٢) ديوان البحتري ٣١ ، ٢ / ١٠٣٩

(٣) ديوانه ١٥٧ ، ٢ / ١٢٥٠

(٤) ديوانه ١٥ ، ٢ / ١١٢٣ وفيه « توخيد » والتخويد : الإسراع . والقناعس : جمع قنعاس ،

وهو الحمل الضخم العظيم .

(٥) ديوانه ٥١٢ ، ٢ / ١١٨٧ « ما لذا الطي »

(٦) ديوانه ٣٩٤ ، ٤ / ٢١٧٤

(٧) ديوانه ٤ / ٢٣٤٠

وقال :

رُنُوْ ذَاكَ الْغَزَالِ أَوْ غَيْدُهُ مُوَلِّعُ ذِي الْوَجْدِ بِالَّذِي يَجِدُهُ<sup>(١)</sup>

وهذا كله ، من ذكر الطباء ، غاية في حسنه ، وصحته ، وحلاوته ،  
على اختلاف فنونه ومعانيه .

ولست أعرف لأبي تمام غير البيتين الأولين في ذكر البقر .

## ابتدآتهما بذكر الثغور

قال أبو تمام :

وثنَايَاكَ لِنَهَا إَغْرِضُ وَلَّالِ تُوْمٌ ، وَبَرْقُ وَمِيْضُ<sup>(١)</sup>

وهذا وصف حسن ، وزاد في حسنه وبهجته أنه جعله يمينا حلف بها .

والإغريض : ما تنشق عنه الطَّلَعَةُ ، وهو الضَّحْكُ أيضاً .

والتُّومُ : حَبٌّ يعمل من الفضة يشبه باللولؤ .

وقد كان يكفيه أن يقول : [ولال] <sup>(٢)</sup> ولكنه احتاج إلى تُوْم .

\* \* \*

وقال البحتري :

يَضْحَكُنْ عَنْ بَرْدٍ وَنَوْرِ أَقْحَ وَيَشْبُنْ ظَلَمَ رُضَابِهِنَّ بِرَاحِ<sup>(٣)</sup>

وقال أيضاً :

أَضَوْهُ بَرْقٍ بَدَا ، أَمْ ضَوْهُ مِصْبَاحٍ أَمْ ابْتَسَامَتُهَا بِالْمَنْظَرِ الضَّاحِي<sup>(٤)</sup>

وقال أيضاً :

بِعَيْنَيْكَ ضَوْهُ الْأَقْحُوَانِ الْمُفْلَجِ وَتَفْتِيرُ عَيْنِي فَاتِرِ اللَّحْظِ أَدْعَجِ<sup>(٥)</sup>

(١) ديوان أبي تمام ١٨١ وشرح التبريزي ٢٨٧/٢

(٢) الزيادة من ق

(٣) ديوان البحتري طبع بيروت ١ / ١٢٤ ، ٤٧٦ / ١ دار المعارف وفي م « وعن نور »

(٤) ديوانه ٥٨ « ألمع برق سري » ، ١ / ٤٤٢

(٥) ديوانه ٦٤٤ ، ١ / ٤١٥ « وألحظ عيني »



وقال أيضاً :

تَبَسَّمُ عَنْ وَاصِحٍ ذِي أَشْرٍ وَتَنْظُرُ مِنْ فَاتِرٍ ذِي حَوَرٍ<sup>(١)</sup>  
شبه أبو تمام في بيته الثَّغَرُ بثلاثة أشياء : بالإغريض ، ولؤلؤ التُّوم ،  
والبرق .

وشبهه البحتري بالبرد ، والآقاحي في صدر البيت . وكلا الصَّدْرَيْنِ جَيِّدِ .  
ولو كان أبو تمام قال : « وجنى لؤلؤ وبرق وميض » - لَفَضَّلْتُ بيته .  
وجنى لؤلؤ : هو<sup>(٢)</sup> اللؤلؤ الرطب . ولكن قوله : « وَلَا لَ تُوْمٌ » ليس بالجيد .

• • •

فاجعلهما في البيتين متكافئين ، وسائر أبيات البحتري فَضْل .

( ١ ) ديوان البحتري ٩٩ ، ٢ / ٨٤٨ دار المعارف .

( ٢ ) م « وجنى هذا اللؤلؤ الرطب » والتصويب من ق .

## ابتدآتهما بذكر البكاء والدموع

قال أبو تمام :

لَوْصَحَّ الدَّمْعُ لِي ، أَوْ نَاصَحَ الْكَمَدُ لَقَلَّمَا صَحْبَاكَ الْخَدَّ وَالْكَبِدَ<sup>(١)</sup>

وهذا بيت صالح ، وليس بالجيد ، ولم يستو له أن يقول : العين والكبد ؛ لأنهما مونثتان فكان يقول : صحبتاك ، فجعل مكان العين الخد ؛ لأنه مذكر ، ولأن كثرة البكاء تؤثر فيه ، وتذهب بلحمه ، وذهاب العين بالبكاء أخص من ذهاب الخد .

ولو قال : « صحبتاك العين والكبد » لكان ذلك سائغاً وإن كانتا مؤنثتين ؛ لأن هذا يجوز فيما ليس لتأنيثه حقيقة .

ولأبي تمام في باب الفراق والتوديع من الابتدآت بذكر البكاء والدمع - كل شيء جيد نادر ، وقد مضى في بابيه .

\* \* \*

وقال البحتري :

شَوْقٌ إِلَيْكَ تَفِيضٌ مِنْهُ الْأَذْمُعُ وَجَوَى عَلَيْكَ تَضِيقُ عَنْهُ الْأَضْلُعُ<sup>(٢)</sup>

وهذا من مشهور أبياته في الحسن والجودة .

(١) ديوان أبي تمام ٣٦٦ وشرح التبريزي ٧٤/٤ « ما صحبتاني الروح والجسد »

(٢) ديوان البحتري ٣٣ ؛ ٢ / ١٣١٠ دار المعارف

وقال أيضاً :

يَكَادُ يُبْدِي لِسُعْدَى غَيْبَ مَا أَجِدُ      تَحْدُرُ مِنْ دِرَاكِ الدَّمْعِ مُطْرِدُ<sup>(١)</sup>

وهذا معنى حلوه حسن .

وقال أيضاً :

لَأَخِي الْحُبُّ عِبْرَةٌ مَا تَجِفُّ      وَغَرَامُ يُدْوِي الْحَشَا ، وَيَشْفُ<sup>(٢)</sup>

وقال أيضاً :

تَعُودُ عَوَائِدُ الدَّمْعِ الْمُرَاقِ      عَلَى مَا فِي الصُّدُورِ مِنْ اخْتِرَاقِ<sup>(٣)</sup>

وقال أيضاً :

دُمُوعٌ عَلَيْهَا السَّكْبُ ضَرْبَةٌ لَازِمٌ      تُجَدُّ مِنْ عَهْدِ الصَّبَا الْمُتَقَادِمِ<sup>(٤)</sup>

وقال أيضاً :

أَذْمُوعٌ قَدْ غَرِينَ بِالْهَمَلَانِ      وَفَوَادٌ قَدْ لَجَّ فِي الْخَفَقَانِ<sup>(٥)</sup>

وقال أيضاً :

بِعَيْنِكَ لَوْعَةُ الْقَلْبِ الرَّهَيْنِ      وَفَرَطُ تَتَابُعِ الدَّمْعِ الْهَتْنِ<sup>(٦)</sup>

وقال أيضاً :

تَذَكَّرَ مَخْزُونٌ ، وَأَنْتَى لَهُ الذُّكْرَى      وَفَاضَتْ بِغَزْرِ الدَّمْعِ مُقْلَتُهُ الْعَبْرَى<sup>(٧)</sup>

(١) ديوان البحري ٧٧٣ ، ٦٤٥/٢ دار المعارف

(٢) ديوانه ٣٢٩ ، ١٣٧٥/٣

(٣) ديوانه ٢٠٩ ، ١٥٢٥/٣ « ما في الضلوع »

(٤) ديوانه ٤٤٨ ، ١٩٦٩ / ٣

(٥) ديوانه ٢٧٥ ، ٢١٩٧ / ٤

(٦) ديوانه ١٣٧ ، ٢٢٦٦ / ٤

(٧) ديوانه ٥٨ / ١ دار المعارف

وقال أيضاً :

بِأَيِّ أَسَى تُثْنَى الدُّمُوعُ الْهَوَامِلُ وَيُرْجَى زِيَالُ مِنْ جَوَى لَا يُزَايِلُ؟<sup>(١)</sup>

وهذه كلها ابتداءات جياذ . وأجود منها ، ومن كل ابتداء في هذا الباب وغيره بذكر البكاء والدمع - قوله :

قَلْبٌ مَشُوقٌ عَنَاهُ الْبِثُّ وَالْكَمْدُ وَمَقْلَةٌ تَبْدُلُ الدَّمْعَ الَّذِي تَجِدُ<sup>(٢)</sup>  
وقد ذكرته في باب الفراق<sup>(٣)</sup> ، وهذا موضعه .

(١) ديوان البحترى ٤٩٠ ، ١٧٣١/٣ ،

(٢) ديوانه ٥٩١ ، ١ / ٤٩٥

(٣) راجع ص ٢ من هذا الجزء

## ابتدآتهما بذكر السهر وطول الليل

ولا أعرف لهما في وسط. كلامهما من هذا الباب شيئاً يعتد بمثله كنحو ما جاء في الشعر القديم والمحدث .

قال أبو تمام :

أَفَنَى ، وَلَيْلِي لَيْسَ يَفْنَى آخِرُهُ هَاتَا مَوَارِدُهُ فَأَيْنَ مَصَادِرُهُ؟<sup>(١)</sup>

وهذا ابتداء حسن وكلام سَجَسَج<sup>(٢)</sup> ، ومعنى جيد بالغ .

وقد أخذ البحترى معنى هذا الصَّدْرِ فوق دُونَهُ فقال :

لَهُ الْوَيْلُ مِنْ لَيْلٍ بَطَاءٍ أَوْ آخِرُهُ وَوَشْكٍ نَوَى حَى تَزُمُ أَبَاغِرُهُ<sup>(٣)</sup>

وقد ذكرته في ابتدآت باب الفراق<sup>(٤)</sup> .

\* \* \*

وقال البحترى :

هو الظلام فلا صُبح ، ولا شَفَقُ هل يُطَلِّقُ الليلُ عن عيني فأنطَلِقُ؟<sup>(٥)</sup>

عجز هذا البيت في غاية الصحة والبراعة والحسن والحلاوة ، ولكن قوله :

« والظلام فلا صبح » - معنى [غير] صحيح ؛ لتوقعه الصبح وهو مبطلٌ متأخر

فما وجه قوله : ولا شفق ؟ لأن من كان في الليل فإنما يتوقع الصبح ولا

يتوقع الشفق . وأظنه أراد نحن في ظلام ولسنا في أول نهار ولا آخره .

(١) ديوان أبي تمام ١٥٥ وشرح التبريزي ٢ / ٢١٠

(٢) م ، ق « سَجَج »

(٣) ديوان البحترى ٢٥٠ « قدم » وهو تحريف

(٤) راجع ص ١٢ من هذا الجزء

(٥) ديوانه ١٤٦٩/٣ « من طرق فأنطلق » وفي ق « عن ليل »

وقال أيضاً :

أَبَى اللَّيْلُ إِلَّا أَنْ يَعُودَ بِطُولِهِ عَلَى عَاشِقٍ نَزَرَ الْمَنَامَ قَلِيلُهُ<sup>(١)</sup>

وقال :

لَيْلِي بِذِي الْأَثَلِ عَنَّا تَطَاوُلُهُ أَرَى بِهِ مُقْبِلًا قِرْنًا أَنْزَلُهُ<sup>(٢)</sup>

وقال أيضاً :

تَرَى اللَّيْلَ يَقْضِي عُقْبَةً مِنْ هَزِيرِهِ أَوْ الصُّبْحَ يَجْلُو غُرَّةً مِنْ صَدِيدِهِ<sup>(٣)</sup>

وهذه أبيات كلها جيدة المعنى ، بارعة اللفظ . حسنة السبك ، كثيرة الماء والرواق .

وهذا البيت الأخير أجودها وأبرعها .

وقال أيضاً :

أَيُّهَا الْعَاتِبُ الَّذِي لَيْسَ يَرْضَى نَمَ هَنِئًا فَلَسْتُ أَطْعُمُ غَمْضًا<sup>(٤)</sup>

(١) ديوان البحري ٤١ ، ١٦٣٣/٣

(٢) ديوانه ٧٨٩ ، ١٧٨٢/٣

(٣) ديوانه ٣٧٢ ، ١٢٧٥ / ٢

(٤) ديوانه ٢١ ، ١٣٢ / ٢

## باب آخر من الابتدآت

قال أبو تمام :

مَتَى أَنْتَ عَنْ ذُهْلِيَّةِ الْحَيِّ ذَاهِلٌ وَصَدْرُكَ مِنْهَا مُدَّةُ اللَّهْرِ أَهْلٌ؟<sup>(١)</sup>

قوله : « ذاهل » . أى منصرف . يقال : ذهلت عن الشيء بمعنى انصرفت عنه . فيقول : متى أنت عنها مُنْصَرِفٌ ، وصدرك أَبْدأ منها أهل ؟ أى لا تخلو أبداً من قلبك .

وقال البحتري :

ضَمَانٌ عَلَى عَيْنَيْكَ أَنَّنِي لَا أَسْلُو وَأَنَّ فُؤَادِي مِنْ جَوَى بِكَ لَا يَخْلُو<sup>(٢)</sup>

فعجز هذا البيت مثل عجز [بيت] <sup>(٣)</sup> أبي تمام . وهو أجود ؛ لتصريحه بذكر الجوى .

وصدرا البيتين <sup>(٤)</sup> متقاربان . وبيت البحتري أجود وأبرع .

وقال البحتري :

هَوَاهَا - عَلَى أَنَّ الصُّدُودَ سَبِيلُهَا - مُقِيمٌ بِأَكْنَافِ الْحَشَا مَا يَزُولُهَا<sup>(٥)</sup>

وهذا البيت أيضاً أجود من بيت أبي تمام لفظاً ومعنى .

وقال في نحو هذا :

أَفَاقَ صَبٍّ مِنْ هَوَى فَأَفِيقَا أَوْ خَانَ عَهْدًا ، أَوْ أَطَاعَ شَفِيقًا؟<sup>(٦)</sup>

(١) ديوان أبي تمام ٢٥٥ وشرح التبريزي ١١٢ / ٣ « وقلبك منها »

(٢) ديوان البحتري ٥٩ ، ١٦١٥ / ٣

(٣) الزيادة من ق

(٤) م « وصدرا البيت »

(٥) ديوان البحتري ١٧٩٩ / ٣

(٦) ديوان البحتري ٧٢٢ ، ١٤٥٠ / ٣ « أم خان . . أم أطاع » وفي ق « إذ خان »

وقال أيضاً :

أَرَادَ سُلوًا عَن سُلَيْمَى وَعَن هِنْدٍ فَغَالَبَهُ غَيُّ السَّفَاهِ عَلَى الرُّشْدِ<sup>(١)</sup>

وقال :

سِوَايَ مُرَجَّى سَلَوَةٍ ، أَوْ مُرِيدُهَا إِذَا وَقَدَاتُ الْحُبِّ حُبٌّ نَحْمُودُهَا<sup>(٢)</sup>

وهذا كله غاية في الحسن والجودة .

وقد تصرف البحتري في باب الوجد والغرام وشدة الحب في ابتداآته  
ثصرفاً حسناً . فمن ذلك قوله :

حَاشَاكَ مِنْ ذِكْرِي ثَنَّتُهُ كَثِيبًا وَصَبَابَةٍ مَلَأَتْ حَشَاهُ نُدُوبًا<sup>(٣)</sup>

وقال أيضاً :

حَقًّا أَقُولُ : لَقَدْ تَبَلَّتْ فُؤَادِي وَأَطْلَتِ مُدَّةَ غَيْبِ الْمُتَمَادِي<sup>(٤)</sup>

وقال أيضاً :

نَاهِيكَ مِنْ حَرَقِ أَبِيْتِ أَقَاسِي وَجُرُوحِ حُبِّ مَا لَهْنُ أَوَاسِ<sup>(٥)</sup>

وقال أيضاً :

أَتَرَكَ نَسَمْعَ لِلْحَمَامِ الْهَتَفِ شَجَوَايَكُونُ كَشَجْوَى الْمُسْتَطْرِفِ<sup>(٦)</sup>

وقال أيضاً :

يَهُونُ عَلَيْهَا أَنْ أَبِيتَ مُتَيِّمًا أَعَالِجُ وَجَدًا فِي الضَّمِيرِ مُكَّمًا<sup>(٧)</sup>

(١) ديوان البحتري ٢ / ٧٥٩ دار المعارف ، م « عن السفاه » وهو تحريف

(٢) ديوانه ٢٩٣ ، ٥٣١/١

(٣) ديوانه ٢٥٢ ، ١٨٤ / ١ دار المعارف « من ذكر »

(٤) ديوانه ١٦٣ ، ٧٣١ / ٢

(٥) ديوانه ٣٨٥ ، ١١٣٤ / ٢

(٦) ديوانه ٦٧٥ « شجوايكن بشجوك المستطرف » ، ١٤١٥/٣ « كشجوك »

(٧) ديوانه ٩٣ « أعالج شوقاً » ، ١٩٨١ / ٣



وقال أيضاً :

غَرَامٌ مَا أُتِيحَ مِنَ الْغَرَامِ وَشَجْوٌ لِلْمُحِبِّ الْمُشْتَهَامِ<sup>(١)</sup>

وقال أيضاً :

أَنَافِعُ عِنْدَ لَيْلَى فَرَطٌ حُبِّهَا وَلَوْعَةٌ لِي أَبْدِيهَا وَأُخْفِيهَا<sup>(٢)</sup>

وقال أيضاً :

قَلِيلٌ لَهَا أَنَّى بِهَا مُغْرَمٌ صَبٌّ وَأَنْ لَمْ يُقَارِفْ غَيْرَ وَجَدِ بِهَا الْقَلْبُ<sup>(٣)</sup>

أراد : قليل لها غرامى بها وصباتى وإن لم أهو غيرها . ولا وجه لكسر أن الثانية .

فانظر إلى هذا التصرف الحسن ، والألفاظ المختلفة في المعاني المتقاربة .  
ولا أعرف لأبى تمام في هذا كله شيئاً .

\*\*\*

ومما افتتحه البحترى بالهجر قوله :

نَصِيبِي مِنْكَ لَوْمٌ الْعَاذِلَاتِ وَهَجْرَانٌ أَطْلَتْ آيَهُ أَذَاتِي<sup>(٤)</sup>

وقال أيضاً :

شَدَّ مَا أُغْرِيتَ ظُلُومٌ بِهِجْرِي بَعْدَ وَجْدِي بِهَا وَغُلَّةٌ صَدْرِي<sup>(٥)</sup>

(١) ديوان البحترى ٣٤٨ ، ٣ / ٢٠٣١

(٢) ديوانه ٣٦ ، ٤ / ٢٤٠٩ « أنا فمى »

(٣) ديوانه ٢٥٠ ، ١ / ١٢٢ وفى م « لم يفارق » !

(٤) ديوانه طبع بيروت ١ / ٩٧ ، ١ / ٣٧٧ دار المعارف « وهجران بلغت به »

(٥) ديوانه ٣٦٩ ، ٢ / ٩٧٠ « شد ما أغريت »

وقال أيضاً :

خَيْرُ يَوْمَيْنِكَ فِي الْهَوَى وَأَقْتَبَسَالِهَ يَوْمُ يُدْنِيكَ هَاجِرٌ مِنْ وَصَالِهَ<sup>(١)</sup>

وقال أيضاً :

لَجَّ هَذَا الْحَبِيبُ فِي هِجْرَانِهَ وَغَدَا وَالصُّدُودُ أَكْبَرُ شَانِهَ<sup>(٢)</sup>

وقال أيضاً :

لِي حَبِيبٌ قَدْ لَجَّ فِي الْهَجْرِ جَدًّا وَأَعَادَ الصُّدُودَ مِنْهُ وَأَبْدَى<sup>(٣)</sup>

وقال أيضاً :

طَافَ الْوُشَاةُ بِهِ فَصَدَّ وَأَعْرَضَا وَغَلَا بِهِ هَجْرٌ أَمْضَ وَأَرْمَضَا<sup>(٤)</sup>

وقال أيضاً :

مِنْنَى وَصَلُّ ، وَمِنْكَ هَجْرٌ وَفِي دُلُّ ، وَفِيكَ كِبَرٌ<sup>(٥)</sup>

\*\*\*

وليس لأبي تمام في هذا النحو شيء إلا قوله :

خَشَنْتَ عَلَيْهِ أُخْتَ بَنَى خُشَيْنَ وَأَنْجَحَ فِيكَ قَوْلُ الْعَاذِلَيْنِ<sup>(٦)</sup>

وهذا ابتداء ردىء .

(١) ديوان البحترى ٥٧٠ ، ١٨٤٢/٣

(٢) ديوانه ٣٥ ، ٢١٦٩/٤ « ومضى والصود »

(٣) ديوانه ٢٠ ، ٧١١/٢ دار المعارف

(٤) ديوانه ٧٣٩ ، ١٢٠٣/٢

(٥) ديوانه ٧٠ ، ١٠٥٠/٢

(٦) ديوان أبي تمام ٣٢١ وشرح التبريزي ٣ / ٢٩٧

## ومما جاء في ابتدآته في ذكر العيون

قال البحرى<sup>(١)</sup> :

تُرِيكَ الذى حَدَّثَتْ عَنْهُ مِنَ السُّحْرِ بِطَرْفِ عَلِيلِ اللَّحْظِ مُسْتَغْرِبِ الْفَتْرِ<sup>(٢)</sup>

وقال أيضاً :

غَالَ صَبْرِي - أَمَا سَأَلْتَ بِصَبْرِي مَا بَعَيْنِكَ مِنْ فُتُورٍ وَسُحْرِ<sup>(٣)</sup>

وقال أيضاً :

مَا بَعَيْنِي هَذَا الْغَزَالِ الْغَرِيرِ مِنْ فُتُونٍ مُسْتَجَلِبٍ مِنْ فُتُورٍ<sup>(٤)</sup>

وقال أيضاً :

وَمُهْتَزَّةٍ الْأَعْطَافِ نَازِحَةِ الْعَطْفِ مُنْعَمَةِ الْأَطْرَافِ فَاتِرَةِ الطَّرْفِ<sup>(٥)</sup>

وقال أيضاً :

سَطَا فَمَا يَأْمَنُهُ خِطُّهُ أَغْنَدُ سَاجِي الطَّرْفِ مُعْتَلُهُ<sup>(٦)</sup>

وقال أيضاً :

فُتُورُ الْعُيُونِ وَإِمْرَاضُهَا نُبُوُ الْجُنُوبِ وَإِقْضَاضُهَا<sup>(٧)</sup>

وهذا كله جيد حسن عذب .

وليس لأبى تمام فى معناه شىء .

(١) م « قال أبو تمام » وهو خطأ

(٢) ديوان البحرى ٦٢١ ، ١٠٠٤/٢

(٣) ديوانه ١٠٧٩ / ٢

(٤) ديوانه ٢٦٩ ، ٨٨٤ / ٢ وفى م « من فتور »

(٥) ديوانه ٧٦٤ ، ١٣٦٩/٣

(٦) فى ديوانه ٤٢٣ ، ١٨٠٣/٣ « أحوى سقيم الطرف »

(٧) ديوانه ١٢١٩ / ٢ « فتور الجفون »

وقال أيضاً :

لَوْتُ بِالسَّلَامِ بَنَانًا خَضِييَا وَلَحْظًا يَشُوقُ الْفُؤَادَ الطَّرُوبَا<sup>(١)</sup>

عهدت بعض الشيوخ بِكَرّه قوله : « لوت » ، ويقول : كان ينبغي أن يقول : أشارت : أو أومأت ، أو نحو هذا . وكان بعضهم يحتاج له ويقول : لم يمكنه ذلك في نظم البيت .

والذى أظنه « أنا » أنه أومأ إليها بالسلاّم فردّت عليه . والسلاّم الأول يشار فيه بمد الإصبع على استقامة ، والرد : فمن الناس من يردُّ بمدّ الإصبع على استقامة أيضاً ، ومنهم من يفتلّها ويلويها كأنه يقول بإصبعه : وعليك . فيلويها إذا أراد هذا المعنى . وذلك مما نراه أبداً مشاهدة ، ونفعلّه .

وقد ذكر البحرى لى البنانة في موضع آخر فقال :

إِنَّ الْفِرَاقَ جَلَا لَنَا عَنْ غَادَةِ بَيْضَاءَ تَجْلُو عَنْ شَتِيَتٍ أَشْنَبِ<sup>(٢)</sup>  
أَلَوْتُ بِمَوْعِدِهَا الْقَدِيمِ ، وَأَيَّاسْتُ مِنْهُ بِلَى بَنَانَةٍ لَمْ تُخْضَبِ<sup>(٣)</sup>

فدل هذا على مثل ذلك . وإن كان المعنيان مختلفين في أنها لم تمد إصبعها مُشيرةً بها على استقامة كما يُشير المبتدئ بالسلاّم ، وإنما أَلَوْتُ إصبعها في الإشارة إليه إما يَمَنَّةً أو شَامَةً بمعنى تنحّ عنا ، أو اعدل عنا ؛ فليس إلى ما التمسست سبيل .

وفي هذا البيت سؤال آخر وهو قوله : « لَمْ تُخْضَبِ » ومن شأنهم أن

(١) ديوان البحرى ٩١ ، ١ / ١٤٩ دار المعارف

(٢) ديوان البحرى ١٢٢ ، ١ / ٢٨٢ دار المعارف

(٣) في الديوان « وأيست »

يصفوا بَنَانِ الْمَرْأَةِ بِالْخَضَابِ نحو قول الشاعر :  
 وَيُبْدِي الْحَصَى مِنْهَا إِذَا قَذَفَتْ بِهِ مِنْ الْبُرْدِ أَطْرَافَ الْبَنَانِ الْمُخَضَّبِ  
 وقول الراعي :

\* حُمُرُ الْأَنَامِلِ عَيْنٌ طَرَفُهَا سَاجِرٌ \*

ومثله كثير<sup>(١)</sup> . وعليه مذاهب الناس .

ولا نعلم أحداً شرط في البنان أنه غير مخضوب غير البحرى في هذا البيت ،  
 وإنما يذكرون الخضاب أو لا يذكرونه .

وما أظن البحرى قال هذا عيباً ولا جُزافاً ، ولا قاله ؛ إلا أن البنانة لم تكن  
 مَخْضُوبَةً ، فوصف الحال على مذاهب الناس ومذهبه في وصف الشيء على  
 ما هو ، لأن هذا إذا أوردته على ما هو لم تك فائدة ، فأقول :

إنه قد يجوز أن يكون -<sup>(٢)</sup> والله أعلم - ذهب إلى أحد معنيين :

إما أن يكون خطر بباله عند نظم البيت قول الشاعر :

وإِنْ حَلَفْتَ لَا يَنْقُضُ النَّأْيُ عَهْدَهَا فَلَيْسَ لِمَخْضُوبِ الْبَنَانِ يَمِينٌ<sup>(٣)</sup>

فقال هو : « وَأَيَّاسْتُ مِنْهُ بِلَى بَنَانَةٍ لَمْ تُخَضَّبِ » ؛ لأن المرأة لا عهد لها  
 مخضوبة البنان كانت أو غير مخضوبة ؛ ألا ترى إلى قوله بعد هذا :

وَأَرَتْ عُهُودَ الْغَائِيَاتِ صَبَابَتِي آلا جَرَى ، وَوَمِيضَ بَرْقِ خُلْبٍ<sup>(٤)</sup>

(١) راجع ديوان المعاني ١ / ٢٥٤ - ٢٥٥

(٢) م « يكون والده أعلم ذهب » ! !

(٣) البيت لكثير كما في ديوانه ١ / ٢٦٥ وهو غير منسوب في الموشى ١٢٣

(٤) م ، ق « وأرى عهد . . آل جرى »

فَدَلَّكَ هَذَا عَلَى أَنَّهُ خَطَرُ ذَلِكَ الْبَيْتِ بِبَالِهِ فَذَهَبَ إِلَى ذَلِكَ الْمَعْنَى .  
أَيُّ مَنْ كَانَ يَذِمُّ عَهْدَ مَخْضُوبَةِ الْبَنَانِ فَهَذِهِ غَيْرُ مَخْضُوبَةٍ وَأَنَا أَذِمُّ عَهْدَهَا  
أَيْضاً . فَهَذَا الْمَعْنَى - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - جَيِّدٌ لَائِقٌ .

وَالْمَعْنَى الْآخَرُ : أَنَّهُ يَكُونُ أَرَادَ أَنَّهَا عَزَفَتْ عَنِ الصَّبَا ، وَتَرَكْتَ الزَيْنَةَ ؛  
لأنَّه قَالَ : « أَلَوْتُ بِمَوْعِدِهَا الْقَدِيمِ » . فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ إِنَّمَا انْتَجَزَهَا مَوْعِدًا  
قَدِيمًا وَأَنَّ حَالَهَا الْآنَ غَيْرُ تِلْكَ الْحَالِ .

وهذا أيضاً وجه قوى دقيق . وكأنَّه أَوَّلَى مِنَ الْمَعْنَى الْأَوَّلِ بِالصَّوَابِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .  
وَقَوْلُهُ : « وَلَحِظَا يَشُوقُ الْفُؤَادَ الطَّرُوبَا » بِالنَّصْبِ<sup>(١)</sup> إِنَّمَا أَرَادَ أَلَوْتُ  
بِالسَّلَامِ بَنَانًا خَضِيئًا ، وَلَحِظْتُ لِحْظًا يَشُوقُ الْفُؤَادَ .

## ومن ابتدآت البحترى فى الشوق

قال :

أَقِيمُ عَلَى التَّشَوُّقِ أَمْ أَسِيرُ وَأَعْدِلُ فِي الصَّبَابَةِ أَمْ أَجُورُ؟<sup>(١)</sup>

وقال أيضاً :

شَوْقٌ لَهُ بَيْنَ الْأَضَالِيعِ هَاجِسٌ وَتَذَكُّرٌ لِلصَّدْرِ مِنْهُ وَسَاوِسُ<sup>(٢)</sup>

وقال أيضاً :

عَهْدُ الْمَشُوقِ بِوَصْلِ الْأُنْسِ الْخُرْدِ يَكَادُ يَشْرُكُ نَجْمَ اللَّيْلِ فِي الْبُعْدِ<sup>(٣)</sup>

وقال أيضاً :

لَبَّيْتُ فِيكَ الشَّوْقَ حِينَ دَعَانِي وَعَصَيْتُ نَهْيَ الشَّيْبِ حِينَ نَهَاَنِ<sup>(٤)</sup>

وقال أيضاً :

أَمَّا لِعَيْنِي كَلِيمُ الْهَمِّ تَغْيِيزُ أَمِ الْكَرَى عَنْ جُفُونِ الْعَيْنِ مَرْحُوضُ<sup>(٥)</sup>

وقال أيضاً :

يَبَيْتُ لَهُ مِنْ شَوْقِهِ وَنِزَاعِهِ أَحَادِيثُ نَفْسٍ أَوْشَكَتْ مِنْ زَمَاعِهِ<sup>(٦)</sup>

أى أسرع من إزْمَاعِهِ عَلَى الرَّحِيلِ .

(١) ديوان البحترى ٥٠٨ ، ٢ / ٩٣

(٢) ديوانه ٢٨١ ، ٢ / ١١٣٢

(٣) ديوانه ١ / ٥١٤ دار المعارف

(٤) ديوانه ٣٩ ، ٤ / ٢٢٥٢

(٥) ديوانه ١٢١٧ / ٢ « طليح الشوق » ومرحوض : مفسول

(٦) ديوانه ٤٦٨ ، ٢ / ١٣١٧

وقال أيضاً :

شَوْقٌ إِلَيْكَ تَفِيضٌ مِنْهُ الْأَذْمُعُ      وَجَوَى عَلَيْكَ تَضِيقُ عَنْهُ الْأَضْلَعُ<sup>(١)</sup>

وقد مر هذا البيت في باب البكاء والدمع<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

وهذه كلها ابتداءات جياد لفظاً ومعنى .

ولا أعرف لأبي تمام في نحو هذا شيئاً .

---

(١) ديوان البحترى ٣٣ ، ٢٠ / ١٣١٠ وفي م « تضييق منه »

(٢) راجع ص ٦٦



وفي ابتداء آت البحري في معان شتى وهي كثيرة

قال :

رَأَى الْبَرْقَ مُجْتَازًا فَبَاتَ بِلَا لُبٍّ وَأَضْبَاهُ مِنْ ذِكْرِ الْبَخِيلَةِ مَا يُضْبِي<sup>(١)</sup>

وقال أيضاً :

أَخْفَى هَوَى لَكَ فِي الضُّلُوعِ وَأُظْهِرُ وَالْأَمُّ مِنْ كَمَدٍ عَلَيْكَ وَأَعْدَرُ<sup>(٢)</sup>

وقال أيضاً :

يَزْدَادُ فِي غَيِّ الصَّبَا وَلَعْنَةُ فَكَاثِمًا يُغْرِبُهُ مَنْ يَزَعُهُ<sup>(٣)</sup>

وقال أيضاً :

بُودَى لَوْ يَهْوَى الْعَذُولُ وَيَعْشَقُ فَيَعْلَمُ أَسْبَابَ الْهَوَى كَيْفَ تَعْلَقُ<sup>(٤)</sup>

وقال أيضاً :

أَجْرَنِي مِنَ الْوَأَشِيِّ الَّذِي جَارَ وَأَعْتَدَى وَغَابِرُ حُبٍّ غَارَ بِي ثُمَّ أَنْجَدَا<sup>(٥)</sup>

وقال أيضاً :

بِاللَّهِ أُولَى يَمِينًا بَرَّةً قَسَمَا مَا كَانَ مَا زَعَمَ الْوَأَشِيُّ كَمَا زَعَمَا<sup>(٦)</sup>

(١) ديوان البحري ٤٠٢ ، ١ / ١٥٤ دار المعارف وفي م « مجتازاً بنات بلا »

(٢) ديوانه ١٧ ، ٢ / ١٠٧٠ « في كد » وفي م « كد لك »

(٣) ديوانه ٢٢٦ ، ٢ / ١٢٤٨

(٤) ديوانه ١٤٨ ، ٣ / ١٥٣٤ وفي م « يهوى في العذول » !

(٥) ديوانه ١٣٣ ، ٢ / ٦٧٠ « وغابر شوق »

(٦) ديوانه ٥٣٠ « بالله آلى » ، ٣ / ٢٠٤٦

وقال أيضاً :

تَغَيَّرَ ، أَوْحَالَ عَنْ عَهْدِهِ وَأَضْمَرَ غَدْرًا وَلَمْ يُبْدِهِ<sup>(١)</sup>

وقال أيضاً :

جَائِرٌ فِي الْحُكْمِ لَوْ شَاءَ قَصَدَ أَخَذَ النَّوْمَ وَأَعْطَانِي السُّهْدَ<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

مضت الابتدآت بأنواع الغزل .

وأنا أذكر الآن ما جاء عنهما من أوصاف الغزل في وسط الكلام ، وأتلقط ذلك من باب الفراق والتوديع ، وسائر أبواب التشبيب<sup>(٣)</sup> ؛ ليكون كل نوع من أنواع الوصف في باب واحد لا في أبواب متفرقة .

(١) ديوان البحري ٥٣٢ ، ٢ / ٥٦٥ دار المعارف ، وفي م « وأضم غدرا »

(٢) ديوان البحري ٢٥٦ ، ٢ / ٦٦٧ دار المعارف

(٣) م « أبواب الشيب »

ذكر ما قالاه في الجمال والبهجة وحسن الوجوه  
وتشبيه النساء بالشموس ، والبدور ، والنجوم ، وغير ذلك

قال أبو تمام :

لَحِقْنَا بِأَخْرَاهُمْ وَقَدْ حَوَّمَ الْهَوَى      قُلُوبًا عَهْدَنَا طَيْرَهَا وَهَى وَقَعُ  
فَرَدَّتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَاللَّيْلُ رَاغِمٌ      بِشَمْسٍ لَهُمْ مِنْ جَانِبِ الْخِذْرِ تَطْلُعُ  
نَضًا ضَوْوُهَا صَبَغَ الدُّجْنَةَ وَأَنْطَوَى      لِبَهْجَتِهَا ثَوْبُ السَّمَاءِ الْمُجَزَّعُ<sup>(١)</sup>  
فَوَاللَّهِ مَا أَذْرَى أَحْلَامُ نَائِمٍ      أَلَمْتُ بِنَا أَمْ كَانَ فِي الرُّكْبِ يُوشَعُ؟  
وَعَهْدِي بِهَا تُخَيِّ الْهَوَى وَتُمِيتُهُ      وَتَشْعَبُ أَعْشَارَ الْقُلُوبِ وَتَصْدَعُ<sup>(٢)</sup>  
وَأَقْرَعُ بِالْعَتَبَى حُمِيًّا عِنَابِهَا      وَقَدْ تَسْتَقِيدُ الرَّاحُ حِينَ تَشْعَشَعُ؟  
وَتَقْفُولِي<sup>(٣)</sup> الْجَدْوَى بِجَدْوَى، وَإِنَّمَا      يَرُوقُكَ بَيْنْتُ الشَّعْرِ حِينَ يُصْرَعُ

قوله : « حَوَّمَ الْهَوَى قُلُوبًا » أى هَيَّجَهَا الشوق وكانت طيرها ساكنة .  
يريد أن ظعنهم هَيَّجَ الشوق بعد سكونه والدارُ جامعة .

و « ثَوْبُ السَّمَاءِ الْمُجَزَّعُ » . يريد طمس نورها نور الكواكب التي هي  
نقش السماء ، كالجزع نقط البياض .

و « يوشع » . يريد يُوشعُ بن نون . قيل : إن الشمس رُدَّتْ له ، في قصة  
تؤثر .

(١) ديوان أبي تمام ١٨٩ وشرح التبريزي ٢ / ٣١٩

(٢) ويرى : « أعشار الفؤاد »

(٣) ويرى « وتقفو إلى الجدى »

وقوله : « تُخَيِّى الهَوَى » . أى بهجرها ، و « تُمَيِّتُهُ » بوصلها ونائلها ،  
كما قال جرير :

فَلَمَّا أَلْتَقَى الْحَيَّانِ أَلْقَيْتَ الْعَصَا وَمَاتَ الْهَوَى لَمَّا أَصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ<sup>(١)</sup>  
أى لما أصيبت مَقَاتِلُهُ بالاجتماع .

« وَتَشَعَّبُ أَعْشَارَ الْفُؤَادِ »<sup>(٢)</sup> . تضمها ، وتلائم بينها . وَأَعْشَارُهُ : أجزاؤه  
من قول امرئ القيس

\* « فى أعشار قلب مُقْتَل » \*

<sup>(٣)</sup> وإنما قيل أَعْشَار ؛ لأن العشرة نهاية فى كل شيء من العدد ، واحدها  
عُشْر . فإنما أراد جميع القلب .

وقوله « تَصْدَعُ » . أى تشق . يريد<sup>(٤)</sup> ثلاثم بين أجزائه مَرَّة ، وتفرق  
مَرَّة أخرى بينها . مثل قوله : « تُخَيِّى الهوى وتُمَيِّتُهُ » .

وقوله : « وَأَقْرَعُ بِالْعُتْبَى حُمَيَّا عِتَابِهَا » . أى أعتب إذا عاتبت ،  
وأنتهى إلى ما فيه رضاها . فجعل شدة غضبها عند العتاب حُمَيَّا كحُمَيَّا  
الخمير . وهى شدتها . وجعل العُتْبَى التى تكون منه حتى يَزُولَ غضبها - قَرَعاً  
كقَرَعِ الخمير بالماء حتى تلين .

وقوله : « وَقَدْ تَسْتَقِيدُ الرَّاحُ حِينَ تَشْعَشَعُ » . أى وهى - مع أنى كسرت  
غضبها وقمعتها - يَقْهَرُنِي حُبُّهَا ، ويغلبنى سُكْرُ هواها ، ويملكنى كما تَسْتَقِيدُ  
الراح فتصرع بالسكر من يَقْرَعُهَا بِالْمِزَاجِ .

( ١ ) ديوان جرير ٤٧٨

( ٢ ) كذا فى م ، ق وهو الصواب ، وقد سبق فى هذا البيت « أعشار القلوب »

( ٣ ) صدره : « وما ذرفت عيناك إلا لتفترى بهميك » وهو من مملقته . وانظر إعجاز  
القرآن للباقلاوى ٢٥٨

( ٤ ) م « تشق أى يريد »

وهذه كلها معان صحيحة مستقيمة ، واستعارات لائقة بما استعيرت له .  
فأما قوله :

وَتَقْفُوا لِي الْجَدْوَى بِجَدْوَى وَإِنَّمَا يَرَوْكُ بَيْتُ الشَّعْرِ حِينَ يُصَرِّعُ  
فلفظ حسن حلو ، ولكنه مَثَلٌ شيئاً بشيء كان غيره بالتمثيل أليق ،  
وذلك لما قال : «وَتَقْفُوا لِي الْجَدْوَى» كان سبيله أن يقول : وإنما يبيل  
الغليل العَلَلُ بعد النَّهْلِ ، أو ما كان أشبه هذا وقاربه ؛ لأنَّ الجَدْوَى هو  
نائل المرأة ، وليست من حظوظ السمع فيمثل بها بيت الشعر المصَّرَّع الذى  
إنما يُروِّقُ السمع فقط .

ولست أقول إنه خطأ ، ولكن ليس بالجيد اللائق . والجيد فيه قول  
البحترى :

فَإِنْ تُتْبِعِ النُّعْمَى بِنُغْمَى فَإِنَّهُ يَزِينُ اللَّائِي فِي النِّظَامِ أَرْدَوَاجُهَا<sup>(١)</sup>  
فجعل اللَّائِي التى هى فرائد تحصل فى اليد والعين والنفس - مثلاً لنعمة  
المنعم وليس للأذن ههنا ولا هناك حَظٌّ .

\*\*\*

وقال أبو تمام :

عَطَفُوا الْخُدُودَ عَلَى الْبُؤُورِ [وَوَكَّلُوا ظَلَمَ السُّتُورِ بِنُورِ حُورٍ نُهْدِ<sup>(٢)</sup>  
وَوَثَّنُوا عَلَى وَشَى الْخُدُودِ صَيَانَةَ وَشَى الْبُرُودِ بِمُسْجَفٍ وَمُمَهَّدِ<sup>(٣)</sup>  
البيت الأول حسن حلو . وأخذ قوله : «وَوَثَّنُوا عَلَى وَشَى الْخُدُودِ صَيَانَةَ

(١) ديوان البحترى ٢١٨ ، ١ / ٢٢٧ دار المعارف « فإن تلتحق »

(٢) ديوان أبى تمام ١١١ وشرح التبريزى ٢ / ٤٦ والزيادة منه ومن ق

(٣) م « ومهل »

وشى البرود» من قول الكُمَيْت :

وَأَذْنَيْنَ الْبُرُودَ عَلَى خُدُودٍ يُزِينُ الْفَدَاغَمَ بِالْأَسِيلِ

أراد بالفداغم : الخدود اللَّحِيْمَة ، أى يزِينُهَا بِأَسَالَةٍ خدودهن . أو أن يكون أراد بالفداغم المواضع الممتلئة من الجسد بالشحم . فيزين ما كان ممتلئاً بِأَسَالَةٍ خدودهن . وهذا غير حسن . والأول أشبه بلفظ البيت .  
ومعناه أيضاً غير جيد ؛ لأن الخد الأسيل إذا اقترن بالخد اللَّحِيمِ قَبَحُهُ وشأنه ، ولم يزنه ؛ لبيان فضله عليه . وقد ذكرت هذا فى أغاليطه مشروحاً<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

وقال أبو تمام :

وفى الخُدُورِ مَهًا لَوْ أَنَّهَا شَعَرَتْ      به طَغَتْ فَرَحًا ، أَوْ أُلْبِسَتْ أَسْفًا<sup>(٢)</sup>  
لَأَلَى كَالنَّجُومِ الزُّهْرِ قَدْ لَبِسَتْ      أَبْشَارُهَا صَدَفَ الْإِحْصَانِ لَا الصَّدْفَا  
مِنْ كُلِّ خَوْدٍ دَعَاهَا الْبَيْنُ فَاثْتَكَّرَتْ      يَكْرًا ، وَلَكِنْ غَدَا هِجْرَانُهَا نَصْفًا<sup>(٣)</sup>  
لَا أَظْلِمُ النَّأَى قَدْ كَانَتْ خَلَاثُفُهَا      مِنْ قَبْلِ وَشَكِ النَّوَى عِنْدَى نَوَى قُدْفَا  
غَيْدَاءَ جَادَ وَلِىَ الْحُسْنِ سُنَّتُهَا      فَصَاغَهَا بِيَدَيْهِ رَوْضَةً أَنْفَا<sup>(٤)</sup>  
مَضْمُولَةٌ سَتَرَتْ عَنَّا تَرَائِبُهَا      قَلْبًا بَرِيئًا يُنَاغِي نَاطِرًا نَطْفَا<sup>(٥)</sup>

(١) راجع الجزء الأول ٢٣٥

(٢) ديوان أبى تمام ٢٠٠ وفى شرح التبريزى ٢ / ٣٦٠ « أو ألبست أسفا » معناه : لو علمت كيفية حسنها لورثها وكسبها علمها به أحد شيتين : إما فرحاً يفضى إلى الطغيان ؛ إذ لا ترى لنفسها نظيراً ، وإما حزناً يؤيسها من نفسها شفقة على الناس ورقة لهم ، لأنها تراهم مقي صرعى عليها ، ويروى : لو أنها سفرت » .

(٣) فى شرح التبريزى « أى دعاها البين فأجابت وفارقتنا وهى حديث السن ، ولكن هجرانها قديم »  
(٤) وفيه عن أبى العلاء المعرى : « استعار ولى الحسن من المطر الولى ، وهو الذى يحى بعد الومى لأن من شأن الثبت أن يكثر إذا أصابه الولى بعد الومى ، فدل بقوله ولى الحسن على أن الجمال فى هذه المذكورة عميم »

(٥) النظف : الفاسد الدخلة المملطخ التية . قال المازوقى « المعنى أنها تريك ظاهراً من أمرها معك يخالفه الباطن ، فهى تتعلق لك وتظهر الوجد وتبتاكي لفراقك . ومعنى ذلك كله على قلب برىء وصدر من الحب سليم »

[<sup>(١)</sup> قوله : « صَدَفُ الْإِحْصَانِ لَا الصَّدَقَا » ليس بالجيد ؛ لأنه قال : قد لبست صدف الإحصان ، فأراك أنها لا يسته في الحال .

وقوله : « لَا الصَّدَقَا » ليس له وجه ؛ لأن اللؤلؤ قد فارق الصدف وليس هو لا يسته في الحال .

والجيد الصحيح المعنى قول البحترى :  
إِذَا نَضَوْنَ شُفُوفَ الرِّيطِ آوَنَةً قَشَرْنَ عَنْ لُؤْلُؤِ الْبَحْرَيْنِ أَصْدَاقًا<sup>(٢)</sup>  
فشبه أجسامهن في وقت تجردهن من الثياب ، باللؤلؤ في الوقت الذي يقشر عنه الصدف .

والعذر لأبي تمام أن يقال : إنما أراد أنها خلقت لابسة صدف الإحصان لا الصدف ، أى ليست كاللؤلؤ الذى خلق في الصدف .  
وبيت البحترى أجود .

وقول أبي تمام : « صدف<sup>(٣)</sup> الإحصان » معنى لطيف .  
ونوله : « لَوْ شَعَرْتُ بِهِ » أى لو شعرت بشسدة وجده طغت فرحاً ،  
أو « ألبست أسفاً على ما فات منه . وهذه طريقة ابن أبي ربيعة التى كانت تليق به ، ومع ذلك يُعَابُ بها .

وهذه أبيات متكلّفة ، وخاصة قوله : « فابْتَكَرْتُ بِكَرّاً وَلَكِنْ غَدَا هِجْرَانَهَا نَصْفاً » فإنه غير شهى ، ولا مَرَى اللفظ . ولا المعنى .

( ١ ) الزيادة من ق

( ٢ ) ديوان البحترى ٣٣٧ ، ١٣٨٠/٣

( ٣ ) ق « صدف » !

\* \* \*

ولله در أبي عبادة إذ يقول على هذا الوزن :

وفي الخُذورِ بُذورٌ قَلَمًا طَلَعَتْ      إِلَّا تَصَرَّمَ ضَوْءُ الْبَدْرِ أَوْ كُسِفًا  
مَقْسُومَةٌ بَيْنَ أَرْذَافٍ مُبْتَلَةٍ      تَدْعُو الْهَوَى ، وَخُصُورٍ أُرْهَفَتْ قَصْفًا -  
[قَدْ كُنْتُ أَشْكُو تَمَادِي حُبِّهَا حَدَثًا      فَالآنَ أَطْمَعُ فِي إِنْصَافِهَا نَصْفًا] <sup>(١)</sup>  
أَكَادُ مِنْ كَلَفٍ أُعْطِيَ الْحَمَامُ يَدًا      إِذَا الْحَمَامُ عَلَى أَغْصَانِهِ هَتَفًا  
مَا بَاشَرَ النَّارَ - مَشْبُوبًا تَضُرُّمَهَا -      مَنْ لَمْ يُصِفْ تَحْتَ أَخْنَاءِ الْحَشَا كَلَفًا <sup>(٢)</sup>  
أَرَا جُعٌ مِنْ شَبَابِي قِيضٌ مُبْتَذَلٌ      أَنْفَقْتُهُ فِي لُبَانَاتِ الصَّبَا سَرَفًا  
لِلَّهِ أَيَّامُنَا مَا كَانَ أَحْسَنَهَا      لَوْ أَنَّ دَهْرًا تَوَلَّى ذَاهِبًا وَقَفَا  
لَا تَكْذِيبَنَّ فَمَا الدُّنْيَا بِرَاجِعَةٍ      مَا فَاتَ مِنْ لَذَّةِ الدُّنْيَا وَمَا سَلَفَا

\* \* \*

وقال أبو تمام :

وَرَفِيقَةُ اللَّحْظَاتِ يُعْقِبُ رَفْقُهَا      بَطْشًا بِمُغْتَرِّ الْقُلُوبِ عَنِيفًا <sup>(٣)</sup>  
حُزْنُ الصِّفَاتِ : رَوَادِفًا ، وَسَوَالِفًا      وَمَحَاجِرًا ، وَنَوَاطِرًا ، وَأُنُوفًا <sup>(٤)</sup>  
كُنَّ الْبُدُورَ الطَّالِعَاتِ فَأَوْسَعَتْ      مِنَّا أَفُولًا بِالنَّوَى وَكُسُوفًا <sup>(٥)</sup>  
آرَامٌ حَتَّى زَعَزَعَتْهُمْ نِيَّةٌ      تَرَكَكَ مِنْ خَمْرِ الْفِرَاقِ نَزِيفًا  
كَانُوا رِدَاءَ زَمَانِهِمْ فَتَصَدَّعُوا      فَكَانَمَا لِبَسِ الزَّمَانِ الصُّوفَا <sup>(٦)</sup>

(١) ديوان البحري ١٤٣٧/٣ والزيادة من ق

(٢) م « النار مسبوقة » . لم يصف

(٣) ديوان أبي تمام ٢٠٦ وشرح التبريزي ٢ / ٣٧٩ وفي م « وريقة »

(٤) ويرى : « جزن » أى قد تجاوزن حد الصفات في الأشياء المذكورة

(٥) في الديوان وشرحه : « عنا أفولا » تقديره : فأوسعت أفولا وكسوفاً عنا : وفائدة « أوسعت »

أنها عمت بالكسوف عنا حتى لا يتجلى شيء من جوانبها »

(٦) الواسطة ٧١



وهذه معان جيدة لاثقة إلا قوله : «لَيْسَ الزَّمَانُ الصُّوفاً» ؛ فإن الناس جميعاً استهجنوه . ولو كان اعتمد أن لا يترك قافية على الفاء إلا أوردتها - لما كان ينبغي أن يذكر الصوف وخاصة على هذا الوجه .

\*\*\*

وقال البحترى :

إِنَّ فِي السَّرْبِ لَوْ يُسَاعِفُنَا السَّرُّ      بْ شُمُوساً يَخْشِينَ مَشِياً وَثِيداً<sup>(١)</sup>  
يَتَدَافَعْنَ بِالْأَكْفُفِ وَيَعْرِضُ      نَ عَلَيْنَا عَوَارِضاً وَخُلُوداً  
يَتَبَسَّمْنَ عَنْ شَتِيئِ أَرَاهُ      أَفْحَوَانَا مُفْصَلاً أَوْ فَرِيداً  
رُخَنَ وَاللَّيْلُ قَدْ أَقَامَ رَوَاقاً      فَأَقَمْنَ الصَّبَاحَ فِيهِ عُمُوداً  
بِفَتَاةٍ مِثْلِ الْمَهَاةِ أَبَتْ أَنْ      تَصِلَ الْوَصْلَ ، أَوْ تَصُدَّ الصُّدُوداً<sup>(٢)</sup>  
ذَاتِ حُسْنٍ لَوْ أَسْتَزَادَتْ مِنَ الْحُ      سُنِّ إِلَيْهِ لَمَّا أَصَابَتْ مَزِيداً  
فَهِيَ الشَّمْسُ بِهَجَّةٍ ، وَالْقَضِيبُ أَلْ      فَضْ لَيْنَا ، وَالرُّثْمُ طَرْفَاً وَجِيداً

وحسبك بهذا حسناً ، وصحة ، وجودة . وخاصة هذا البيت الأخير وما جمع من التشبيه بأبرع لفظ ، وأحلى سبك ، ولكن أفسده بقوله : «أبت أن تصل الوصل ، أو تصد الصدود» . [ولمّا علقه من أبي تمام]<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

وقال أبو تمام :

سَلَبْنَا غِطَاءَ الْحُسْنِ عَنْ حُرٍّ أَوْجُهُ      تَظَلُّ لِلْبَبِّ السَّالِييْهَا سَوَالِباً<sup>(٤)</sup>  
وَجُوهٌ لَوْ أَنَّ الْأَرْضَ فِيهَا كَوَاكِبُ      تَوَقَّدُ لِلْسَارِي لَكَانَتْ كَوَاكِيسَا

(١) ديوان البحترى ٤٥١ ، ١ / ٥٩٠ دار المعارف

(٢) في الديوان « بمهارة » وفي م « تصد صدودا »

(٣) الزيادة من ق

(٤) ديوان أبي تمام ١٧ وشرح التبريزي ١ / ١٤٥

وهذا معنى قديم متداول ، وأحسن ما قيل فيه قول مُرَاحِمِ الْعُقَيْلِي .  
وَجُوهٌ لَوْ أَنَّ الْمُتَدَلِّجِينَ اعْتَشَوْا بِهَا صَدَعْنَ الدُّجَى حَتَّى تَرَى الصُّبْحَ يَنْجَلِي<sup>(١)</sup>  
وهذا كثير .

وقال البحتري .

كَالْبَدْرِ إِلَّا أَنَّهَا لَا تُجْتَلَى وَالشَّمْسِ إِلَّا أَنَّهَا لَا تَغْرُبُ<sup>(٢)</sup>

فجاء بمعنى آخر فيه سؤال ؛ وذلك أنه لما قال : « كالبدر إلا أنها لا تجتلى »  
كان هذا من أحسن معنى وألطفه ؛ لأن عيون الناس كلهم ترى البدر وتجتليه ،  
وهي لا تراها العيون ، ولا تجتلى [ ثم قال : « والشمس إلا أنها لا تغرب » ]  
وإنما قال لا تجتلى [ <sup>(٣)</sup> ] لأنها <sup>(٤)</sup> محجوبة ، وإذا كانت في حجاب فهي في  
غروب ؛ لأن الشمس إذا غربت فإنما تدخل تحت حجاب . فظاهر المعنى :  
كالبدر إلا أن العيون لا تراها ، والشمس إلا أن العيون لا تفقدها . وظاهر هذا <sup>(٥)</sup>  
القول - كما تراه - متناقض ، وأظنه أنه أراد أنها وإن كانت في حجاب فإنه  
لا يقال لها غربت تغرب كما يقال للشمس . وإنما يقال لها إذا سافرت :  
بعدت ، واغتربت ، وغربت إذا توجهت نحو الغرب .

وقد يقال للرجل اغرب عنا أى ابعد . ولو استعار لها اسم الغروب عن  
الأرض التي تكون فيها إذا ظنعت عنها إلى أرض أخرى - كان ذلك حسناً  
جداً ، لا سيما وقد جعلها شمساً . كما قال إبراهيم بن العباس الصولي :  
وَزَالَتْ زَوَالِ الشَّمْسِ عَنْ مُسْتَقَرِّهَا فَمَنْ مُخْبِرِي فِي أَيِّ أَرْضٍ غُرُوبُهَا<sup>(٦)</sup>

(١) الوساطة ٣٥٥

(٢) ديوان البحتري ٦٨٢ ، ٧٢/١ طبع المعارف

(٣) الزيادة من ق

(٤) م « لأن تلك »

(٥) م « وهذا »

(٦) حماسة ابن الشجري ١٦٩

وقد يجوز أن يقول قائل : إنه أراد [أنها] لا تغرب تحت الأرض  
كما تغرب الشمس . وهذه معاذير ضيقة لأبي عبادة . فإن لم يك قد أخطأ  
فقد أساء [وإن لم يكن أساء فما أحسن<sup>(١)</sup>]

\*\*\*

وقال أبو تمام :

قالتْ وَقَدْ أَغْلَقْتُ كَفِّي كَفَّهَا      حِلًّا وَمَا كُلُّ الْحَلَالِ بِطَيِّبٍ<sup>(٢)</sup>  
فَنَعِمْتُ مِنْ شَمْسٍ إِذَا حُجِبَتْ بَدَتْ      مِنْ نُورِهَا فَكَأَنَّهَا لَمْ تُخْجَبِ  
وهذا معنى حسن . وقد تقدم الناس فيه وأكثروا .

قال قيس بن الخطيم :

قَضَى لَهَا اللَّهُ حِينَ صَوَّرَهَا الْ      خَالِقُ أَنْ لَا يُكِنَّهَا سَدَفُ<sup>(٣)</sup>  
وأجود من هذا قول جرير :

كَأَنَّهَا مُزَنَّةٌ غَرَاءُ رَائِحَةٌ      أَوْ دُرَّةٌ لَا يُوَارِي صَوْعَهَا الصَّدَفُ<sup>(٤)</sup>

ووصل أبو تمام ذلك بأن قال :

وَإِذَا رَنَتْ خِلَتِ الظُّبَاءَ وَلَدْنَهَا      رِبْعِيَّةٌ ، وَاسْتَرْضَعَتْ فِي الرَّبْرِ  
إِنْسِيَّةٌ إِنْ حُصِّلَتْ أَنْسَابُهَا      جَنِيَّةُ الْأَبْوَيْنِ مَا لَمْ تُنْسَبِ

قوله : « رِبْعِيَّةٌ » يريد أنها ولدت في الربيع أول النتائج فهي أحسن  
ما تكون ، وأقوى ، « وَاسْتَرْضَعَتْ فِي الرَّبْرِ » . والربرب : القطيع من  
[بقر] <sup>(٥)</sup> الوحش ، كأنه يؤكّد حسنَ عينها .

(١) الزيادة من ق

(٢) ديوان أبي تمام ١٢ وشرح التبريزي ١ / ١٠١ « أي قد جمع هذا الذي أحلت لي من نفسها  
أنه حلال وأنه طيب مستلذ »

(٣) ديوان قيس بن الخطيم ٥٦ والأغاني ٢ / ١٦٨ والوساطة ٢٩٧

(٤) ديوان جرير ٣٨٦ « غراء واضحة »

(٥) الزيادة من م

وقوله :

إِنْسِيَّةٌ إِنْ حُصِّلَتْ أَنْسَابُهَا جِنِّيَّةُ الْأَبَوَيْنِ مَا لَمْ تُنْسَبِ  
فيه سؤال وهو أن يقال : قوله : « جنية الأبوين » هو كقوله : تميمة  
الأبوين ، أو قُرَشِيَّةُ الْأَبَوَيْنِ. وهذا أصح ما يكون من النسب ، فكيف يقول :  
ما لم تنسب ؟ والنسب إلى الجن كالنسب إلى الإنس ، فكما تقول :  
إنسي فكذلك تقول . جِنِّي ، فكيف يكون ذلك نسباً ، وهذا غير نسب ؟

فالجواب أنه أراد إِنْ حُصِّلَ نَسَبُهَا فَقِيلَ : فلانة بنت فلان من بني  
فلان - عَلِمَ أنها من الإنس . وإن أبصرها المبصر ولم يسأل عن نسبها ظن  
أنها من الجن من قَرُطِ حسننها الزائد على حسن الإنس المعهود . فإنما قال :  
« ما لم تُنْسَب » أى ما لم تنسبها<sup>(١)</sup> إلى آبائها من الإنس . وقال المؤمل  
بن أميل المَحَارِبِي<sup>(٢)</sup> :

جِنِّيَّةٌ ، أَوْ لَهَا جِنٌّ يُعَلِّمُهَا رَمَى الْقُلُوبِ بِسَهْمٍ مَالَهُ وَتَرُّ  
وأحسن في هذا كل الإحسان ؛ لأن الرمي عن غير وتر ليس من رمي الإنس  
وقال [بشار] <sup>(٣)</sup> :

إِنْسِيَّةٌ جِنِّيَّةٌ أَوْ فَوْقَ ذَلِكَ أَجَلٌ قَلْبَرَا

فجعلها - لحسنها وجمالها - فَوْقَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ .

وقال حَسَّان :

جِنِّيَّةٌ أَرْقَنِي جُهِمَا تَذْهَبُ صُبْحاً وَتُرَى فِي الْمَنَامِ<sup>(٤)</sup>

(١) م « أى ما ينسبها إلى »

(٢) ق « وقال أبو دهبيل الجمحي »

(٣) الزيادة من ق

(٤) ديوان حسان ٣٨٠ « أرقني طيفها » وفي ق « أرقني حسنها »

فَمَا قَوْلَ الشَّنْفَرَى :

\* فَلَوْ جُنَّ إِنْسَانٌ مِنَ الْحُسْنِ جُنَّتْ <sup>(١)</sup> \*

فإني أظنه أراد : لو عرضت الجنُّ لأحد من حُسْنِه عَرَضَتْ لها . وقد قيل فيه غير شيء ، وكله ردى ، وليس مثله يذكر .

\*\*\*

وقال أبو تمام :

أَيْنَ الَّتِي كَانَتْ إِذَا شَاءَتْ جَرَى      مِنْ مُقْلَتِي دَمْعٌ يُعْصِفُهُ دَمٌ؟ <sup>(٢)</sup>  
بَيْضَاءُ تَسْرَى فِي الظَّلَامِ فَيَكْتَسِي      نُورًا ، وَتَبْدُو فِي الضِّيَاءِ فَيُظْلِمُ <sup>(٣)</sup>  
يَسْتَعْذِبُ الرَّغِيدُ فِيهَا حَتْفَهُ      فَتَرَاهُ - وَهُوَ الْمُسْتَعِيتُ - الْمُعْلَمُ <sup>(٤)</sup>  
مَقْسُومَةٌ فِي الْحُسْنِ بَلْ هِيَ غَايَةٌ      فَالْحُسْنُ فِيهَا وَالْجَمَالُ مُقْسَمٌ  
مَلْطُومَةٌ بِالْوَرْدِ ، أَطْلَقَ طَرْفُهَا      فِي الْخَلْقِ فَهَوَ مَعَ الْمَنُونِ مُحَكَّمٌ

قوله : «بَيْضَاءُ تَسْرَى فِي الظَّلَامِ فَيَكْتَسِي نُورًا» - هو مذهب الناس نحو قول امرئ القيس :

تُضِيُّ الظَّلَامَ بِالْعِشَاءِ كَأَنَّهَا      [ مَنَارَةٌ مُمْسِي رَاهِبٍ مُتَبَتِّلٍ ] <sup>(٥)</sup>

وقول مُزَاحِم : «صَدَعَنَ الدُّجَى» . وأشباه هذا .

وقوله : «تَبْدُو فِي الضِّيَاءِ فَيُظْلِمُ» . يريد أن نورها يغلب على ضوء

(١) سبق مع تخريجه ص ١٤٥ من الجزء الأول .

(٢) ديوان أبي تمام ٢٨٣ وشرح التبريزي ٣ / ٢١٢

(٣) ويرى : «بَيْضَاءُ تَبْدُو . . . وتسرب في الضياء»

(٤) شرح التبريزي «يستغيب المقدم» والمعلم : الذي يجعل لنفسه علامة يعلم بها في الحرب .

(٥) الزيادة من ق ، وديوان امرئ القيس ١٣١

النهار حتى يصير كأنه مظلم . وهذا أيضاً معنى معروف ، من قولهم : لو برزت للشمس لكسفتها ، والنهارُ عند نُورِ وَجْهِهَا ليلٌ ، وأشباد هذا .

وقال في موضع آخر :

وَلِهَتْ فَأَظْلَمَ كُلُّ شَيْءٍ دُونَهَا وَأَصَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ مُظْلِمٍ<sup>(١)</sup>

فقوله : « أَظْلَمَ كُلُّ شَيْءٍ دُونَهَا » - ليس من هذا الباب . وإنما أراد أن أمر الفراق أَوْلَهِهَا فَأَظْلَمَتِ الْأَشْيَاءُ فِي عَيْنِهَا ؛ لِإِعْظَمَ مَا وَرَدَ عَلَيْهَا . وهذا مثل قول الشاعر ، وأنشده أبو تمام في الحماسة .

نَعَى لِي أَبَا الْمَقْدَامِ فَاسْوَدَّ مَنْظَرِي مِنْ الْأَرْضِ ، وَأَسْتَكَّتْ عَلَى الْمَسَامِعِ<sup>(٢)</sup>

قوله : و « أَصَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ مُظْلِمٍ » - مثل قوله : « تَبْدُو فِي الظَّلَامِ فَيَكْتَسِي نُورًا » .

وقوله : « مَقْسُومَةٌ فِي الْحُسْنِ » أى محظوظة منه : كأنها قد قسم لها منه ، والقسم : النصيب .

وقوله : « مَلْطُومَةٌ بِالْوَرْدِ » - يريد حُمْرَةً خَدَّهَا . فلم لم يقل : مَضْفُوعَةٌ بِالْقَارِ ، ويريد سَوَادَ شعرها ، وَمَخْبُوطَةٌ بِالشَّحْمِ يريد امتلاءً لجسمها ، ومضْرُوبَةٌ بِالْقَطْنِ يريد بياضها . إن هذا لِأَحْمَقُ ما يكون من اللَّفْظِ ، وَأَسْخَفُهُ ، وَأَوْسَخُهُ .

وقد جاء مثل هذا في كلام العرب ولكن على وجه حسن . قال النابغة :

مَقْنُوقَةٌ بِدَخِيسِ اللَّحْمِ بِأَزْلُهَا [لَهُ صَرِيفٌ صَرِيفُ الْقَعْوِ بِالْمَسِيدِ]<sup>(٣)</sup>

(١) ديوان أبي تمام ٣١٢ وشرح التبريزي ٣ / ٢٤٨ « وأنار »

(٢) الحماسة بشرح المرزوق ٢ / ٨٦٧ وفي الأصل : « أبوالمقدام »

(٣) ق « بدخيس النحض » والزيادة منها ومن الديوان ٢٦ والبيت في اللسان ٧ / ٣٨٠ ، ٩٣/١١

والدخيس : اللحم المكتنز . والنحض : اللحم . والصريف : الصوت . والقمو : البكرة

يريد أنها قُذِفَتْ بالشَّخْم ، أى كأنه رُمِيَ على جسمها رمياً .

وإنما ذهب أبو تمام إلى قول أبي نواس : «وَتَلَطُّمُ الْوَرْدِ بِعُنَابٍ»<sup>(١)</sup>

وهذه كانت تلطم على الحقيقة في مَأْتَمٍ على مَيِّتٍ بَأَنَامِلٍ مَخْضُوبَةٍ  
الْأَطْرَافِ ، فجعلها عُنَاباً تلطم به ورداً ، فَأَتَى بِالظَرْفِ كُلَّهُ ، والحسن أجمعه ،  
والتشبيه على حقيقته .

وجاء أبو تمام بالجهل على وجهه ، والحمق بِأُسْرِهِ ، والخطأ بعيذه .

\* \* \*

وقال :

وَمَقْدُودَةٌ رُودٍ تَكَادُ تَقْدُهَا إِصَابَتُهَا بِالْعَيْنِ مِنْ حُسْنِ الْقَدِّ<sup>(٢)</sup>  
تُعَصِّفُ خَدَيْهَا الْعُيُونُ بِحُمْرَةٍ إِذَا وَرَدَتْ كَانَتْ وَبَالاً عَلَى الْوَرْدِ  
إِذَا زَهَّدْتَنِي فِي الْهَوَى خِيفَةُ الرَّدَى جَلَتْ لِي عَنْ وَجْهِ يُزْهَدُ فِي الزُّهْدِ

قوله : «مِنْ حُسْنِ الْقَدِّ - بضم السين - من أقبح لفظه وأهجنها .

ومثله قوله :

\* «أَعْرَضْتُ عَنِ الْإِعْرَاضِ» \*<sup>(٣)</sup>

وهذا إذا سمعه الأعراب ضحكوا منه . بل الجيد قوله :

لَوْلَا الْعُيُونُ وَتُفَاحُ الْخُدُودِ إِذَا مَا كَانَ يَخْشُدُ أَعْمَى مَنْ لَهُ بَصَرٌ<sup>(٤)</sup>

(١) صدره : «يبكى فيذكر الدر من نرجس» والبيت في ديوان أبي نواس ٣٥٠ والصناعتين

٢٠١ والوساطة ٣٨ ، ٣٢٠

(٢) ديوان أبي تمام ١١٤ وشرح التبريزي ٢ / ٦١

(٣) تمام البيت ، كما في ديوان أبي تمام ١٨٧

أعرضت برهة فلما أحست بالنوى أعرضت عن الإعراض

(٤) ديوان أبي تمام ١٤٩ وشرح التبريزي ٢ / ١٨٤

وأول هذه القصيدة :

يا هذه أقصِرِي ما هذه بَشْرُ      ولا الخَرَائِدُ من أترابِها الأخرُ<sup>(١)</sup>  
خَرَجْنَ في خُضْرَةٍ كالرَّوْضِ لَيْسَ لها      إلَّا الحُلِيَّ على أعناقِها زَهْرُ  
يَدْرَةُ حَفَّها مِنْ حَوْلِها دُرُّ      أَرْضَى غَرَامِي فيها دَمْعِي الدَّرُّ  
صَبَّ الشَّبابُ عليها وهو مُقْتَبِلُ      ماءً من الحُسْنِ ما في صَفْوِهِ كَثَرُ

قوله : « خَرَجْنَ في خُضْرَةٍ » ، فَإِنَّ الخُضْرَةَ ليست من ألوان ثياب  
نساء البادية ، ولا من صِبْغِ نساء الأمصار إلا في الفُرط ، لا يلبس إلا أن  
يكون أصل لون الثوب أخضر

وقد جعل<sup>(٢)</sup> أبو تمام جميع لباس هؤلاء النسوة الأخضر ، وشَبَّهه بالروض  
من أجل تشبيهه الحلي بالزهر ، وهو نبت حسن . وغرضه في ذكر الخضرة  
غرض صحيح إلا أنه غير معروف .

\*\*\*

وقال البحتري :

وَأَخْضَرَ مَوْشَى الْبُرُودِ وَقَدْ بَدَأَ      مِنْهُنَّ دِيبَاجُ الْخُدُودِ الْمُذْهَبُ<sup>(٣)</sup>

ذكر الخضرة لأنه لم يجد لوناً غيرها ؛ وذلك أن البياض ليس مما  
توصف به ثياب النساء ، والسواد ثياب الحزن والمصائب . وقد جعل  
خُدودهن ديباجاً مُذْهَباً ، والذَّهَبُ يشتمل على لون الحمرة ، والصفرة ،  
والتَّوَزِيدُ هو من ألوان الخد ، والكُحْلِيَّ لا يلفظ به ، والعرب لا تذكِّره في

(١) م « وقد جمع »

(٢) ديوان البحتري ٦٨١ ، ٧١/١ طبع المعارف

(٣) م « الحسن » !



الألوان ، وكذلك الأزرق لا تستعمله إلا في صفة الماء والصبح . ويقولون :  
عَدُوُّ أَرْزَقٍ ، أى حديد النَّظَرِ ، وسانان أَرْزَقٍ أى حديدته . ولم يبق من  
الألوان ما يخالف لونَ الخدود المذهبة كما قال إلا الخُضْرَة . فهذا وجه  
ذكر البحترى الخضرة ؛ لأنه لو قال :  
وأخمرٌ مَوْشِيٌّ الخدودِ وقد بَدَاَ منهن ديباجُ الخدودِ المذهبُ  
لكان مدحاً بلونين متفقين .

\* \* \*

وقال البحترى :

هَزَّ مِنْهَا شَرْخُ الشُّبَابِ فَجَالَتْ      فَوْقَ خَضِرٍ كَثِيرِ جَوْلِ الْوِشَاحِ<sup>(١)</sup>  
وَأَرْتَنَا خَدًّا يُرَاحُ لَهُ الْوَرْدُ      دُ وَيَشْتَمُهُ جَنَى الثُّفَاحِ  
وَشَتِينًا يَغُضُّ مِنْ لَوْلُؤِ النَّظْرِ      م وَيُزِرِّي عَلَى شَتِيبِ الْأَقَاحِي  
فَأَضَاءَتْ تَحْتَ الدُّجْنَةِ لِلشَّرِّ      بِ وَكَادَتْ تُضِيءُ لِلْمِضْبَاحِ  
وَأَشَارَتْ عَلَى الْغَنَاءِ بِأَلْحَا      ظِ مِرَاضٍ مِنَ التَّصَابِي صِحَاحِ  
فَطَرِينَا لَهُنَّ قَبْلَ الْمَثَانِي      وَسَكِرْنَا مِنْهُنَّ قَبْلَ الرَّاحِ  
قَدْ تُدِيرُ الْجُفُونَ مِنْ عَدَمِ الْأَ      بَابِ مَا لَا يَكُونُ فِي الْأَقْدَاحِ

قوله : « فَجَالَتْ فوق خضر » كلام حسن .

وقوله : « يَرَا حَ لَهُ الْوَرْدُ » حسن أيضاً .

وقول أبي تمام : « كَانَتْ وَبَالاً عَلَى الْوَرْدِ » - أحسن منه وألطف ،  
وأشبه بما يستعمل في هذا المعنى .

وقوله : « وَيَشْتُمُهُ جَنَى التَّفَاحِ » - ليس بالجيد ، بل هو ردىء؛ لأنه لا يدخل في الاستعارة أن يشتم التفاح خدّها ، ولكنه يحمل على أنه لو كان مما يشتم لاشتّم خدّها ، أو لو كان الورد مما يراح لراح له .  
و « يراح » أسهل من « يشتم » .

وهذا مثل قول [عَوْفُ بْنُ عَطِيَّةٍ] <sup>(١)</sup> بن الخَرَج :  
لَهَا حَافِرٌ مِثْلُ قَعْبِ الْوَلِيدِ يَتَّخِذُ الْفَارَ فِيهِ مَغَارًا <sup>(٢)</sup>  
والفأر لا تتخذ في الحافر مغاراً ، وإنما قال ذلك لعظم الحافر . ومثله أيضاً قولهم : جاء بِجَفْنَةٍ يقعد فيها خمسة . وإنما أراد لوقعها فيها لوسعتهم .  
وهذا على كل حال أقرب من استعارة البحتري .  
وقوله : « وَشَتَيْتَا يَغُضُّ مِنْ لُؤْلُؤِ النَّظْمِ » بيت في غاية الجودة ، والصحة ، والبراعة .

وكذلك قوله : « وَكَادَتْ تُضِيءُ لِلْمِصْبَاحِ » . وهو أجود من قول أبي تمام :  
« وَتَبْدُو فِي الضِّيَاءِ فَيُظْلِمُ » ، وأوضح وأليق ، وأشدّ مبالغة في الضوء .

\* \* \*

وقال <sup>(٣)</sup> البحتري :  
وَبِنَفْسِي مُسْتَعْرَبُ الْحُسْنِ فِيهِ حَيْدٌ عَنْ مُحِبِّهِ وَنِفَارٌ <sup>(٤)</sup>  
فَاتِرُ النَّاطِرَيْنِ يَنْتَسِبُ الْوَرْدَ دُلَى وَجَنَّتِيهِ ، وَالْجُلُنَّارُ <sup>(٥)</sup>  
مُذْنِبٌ يُكْثِرُ التَّجَنِّيَ فَمِنْهُ الذَّنْبُ ظُلْمًا ، وَمِنِّي الْإِعْتَذَارُ

(١) الزيادة من ق

(٢) المفضليات ١٤٤ والمعاني الكبير لابن قتيبة ١ / ١٦٩ والشرح منه .

(٣) م « وقول »

(٤) ديوان البحتري ١٠٤ ، ٢ / ٨٥٢ « حبة وازورار » .

(٥) م « ينسب الورد » والجلنار : زهر الرمان .

وهذا من قول المؤمل بن أميل المحاربي :  
 \* وَتَذْنِبُونَ فَنَاتِيَكُمْ فَنَعْتَذِرُ<sup>(١)</sup> \*

وقال البحرى :

وَقَدْ نَهَيْتُ فَوَادِي لَوْ يُطَاوِعُنِي عَنْ ذِي دَلَالٍ غَرِيبِ الْحُسْنِ مُفْرَدِهِ<sup>(٢)</sup>  
 عَنْ حُبِّ أَخَوَى أَسِيلِ الْخَدِّ أَبْيَضِهِ سَاجِي الْجُفُونِ، كَحِيلِ الطَّرْفِ أَسْوَدِهِ  
 مِثْلِ الْكَثِيبِ تَعَالَى فِي تَرَائِكُمْ مِثْلِ الْقَضِيبِ تَثْنَى فِي تَأْوُدِهِ

فجعل الخدَّ ههنا أبيض من أجل قوله : « كحيل الطرف أسوده » .  
 وابيضاض الخد عند كثير من الناس - إذا كان له ماء ورونق - أحسن  
 من احمراره .

وقوله : « أَخَوَى » . إنما ذهب به إلى الظبي . وهو الذى فى ظهره خط  
 أسود ، فقال « أَخَوَى » مكان قوله « ظبي » لَوْ قَالَهُ .

وهذا لفظ ومعنى فى غاية الحسن .

وقال :

بَيْضَاءُ أَوْقَدَ خَدَيْهَا الصَّبَا وَسَقَى أَجْفَانَهَا مِنْ مَدَامِ الرَّاحِ سَاقِيهَا<sup>(٣)</sup>  
 فِي حُمْرَةِ الْوَرْدِ شَكْلٌ مِنْ تَلْهِيهَا وَلِلْقَضِيبِ نَصِيبٌ مِنْ تَثْنِيهَا

قوله : « أَوْقَدَ خَدَيْهَا الصَّبَا » يريد احمرارها . وهذا لفظ حسن ،

ومعنى مستقيم .

(١) صدره : « إذا مرضنا أتيناكم نعودكم » ، كما نهاية الأرب ٣ / ٩٢ وهو غير منسوب فى

عيون الأخبار ٣ / ٤٥

(٢) ديوان البحرى ٥٨٠ ، ١ / ٩٨ دار المعارف .

(٣) ديوانه ٣٦ ، ٤ / ٢٤٠٩ - ٢٤١٠

وقوله : « وسقى أجفانها من مُدام الرّاحِ ساقِها » يريد تفتيرَ  
الْحَاضِظِهَا ، وانكسار أجفانها من الغنَج ، كما تنكسر أجفانُ السكران .  
وهذا كقوله :

تَحْسِبُهُ نَشْوَانَ إِذَا مَا رَنَا لِإِ فْتَرٍ مِنْ أَجْفَانِهِ وَهُوَ صَاحٌ<sup>(١)</sup>  
وَالْأَشْهُرُ<sup>(٢)</sup> الْأَكْثَرُ فِي كَلَامِهِمْ تَشْبِيهِهُمْ أَجْفَانَ الْمَحْبُوبِ بِطَرْفِ الْوَسْنَانِ  
لا بطرف السكران . فذلك نحو قول الشاعر :

وَكَاثِنُهَا بَيْنَ النِّسَاءِ أَعَارَهَا عَيْنِيهِ أَخَوْرٌ مِنْ جَاذِرِ جَاسِمٍ<sup>(٣)</sup>  
وَسْنَانٌ أَقْصَدُهُ النُّعَاسُ فَرَنْقَتُ فِي عَيْنِهِ سِنَّةٌ ، وَلَيْسَ بِنَائِمٍ<sup>(٤)</sup>  
ويجعلون طرف المحبوب هو الذى يُسْكَر ، ويقيمونه مقام الرّاح . وقد  
أكثر البحتري من هذا الوصف ، وذلك قوله :

أَرْسَلَتْ شُغْلَيْنِ : مِنْ لَفْظٍ مَحَاسِنُهُ تُدَوِّى الصَّحِيحَ ، وَلَحْظُ يُسْكَرُ الصَّاحِي<sup>(٥)</sup>  
حَيِّتُ خَدَيْكَ ، بَلْ حَيِّتُ مِنْ طَرَبٍ وَرَدًا بِوَرْدٍ ، وَتَفَاحًا بِتُفَاحٍ  
[وقوله :

قد تُدِيرُ الْجُفُونَ مِنْ عَدَمِ الْأَلِّ بَابِ مَا لَا يَدُورُ فِي الْأَقْدَاحِ]<sup>(٦)</sup>

(١) ديوان البحتري ٦٤٩ ، ١ / ٤٣٥ دار المعارف .

(٢) م « والأشهد » !

(٣) لعدى بن الرقاع كما فى الكامل ١٢٧ / ١ والشمر والشعراء ٦٠٢ / ٢ وأمالى المرتضى ١١١ / ١  
وفى الأغاني ١٨١ / ٨ « الجاذر : جمع جؤذر ، وهى أولاد البقر الوحشية . وجاسم : موضع . ويروى  
عاسم مكان جاسم . والوسنان : النائم . والنوم ، الواحدة منه سنة . والترنيق : الدنوم من الشيء  
يريد أن يفعله » .

(٤) له فى اللسان ١١ / ٤١٩

(٥) ديوان البحتري ٥٨ ، ١ / ٤٤٣ وفى م « تروى الصحيح » ! .

(٦) سبق ص ٩٧ .

وقوله :

وَمَا أَشْكُرُنِي الرَّاحُ لَكِنْ أَعَانَهَا عَلَى بَعَيْنَيْهِ الْعَدَاةُ - مُدِيرُهَا<sup>(١)</sup>

وقوله :

سَقَانِي بِكَأْسِيهِ ، وَعَيْنَيْهِ قَادِرًا بِالْحَاطِظِ دُونَ الْمُدَامِ عَلَى سُكْرِي<sup>(٢)</sup>

وقوله :

مُسْكِرِي إِنْ شَرِبْتُ مِنْهُ بَعَيْنِي أَرْجُوَانُ مِنْ خَمْرِ خَدَيْهِ صِرْفُ<sup>(٣)</sup>

ولو قال : « خندريس من خمر عينيه » كان ذلك صحيحاً مستقيماً ، ولكن « أرجوان من خمر خديه » أحسن وألطف .

ولما قال : « بِيضَاءُ أَوْقَدَ خَدَيْهَا الصَّبَا » كان يجب أن يقول : في حمرة الورد شكل من تلهبها ، فلم يَقُلْ ، ونسب التَّلَهَّبُ إليها ، وإن كان للخدين ، وذلك من أجل قوله :

\* وَلِلْقَضِيبِ نَصِيبٌ مِنْ تَشْنِئِهَا \*

ويجوز أن يكون ذهب بقوله من تَلَهَّبَهَا إلى تَلَهَّبَ نار الخدين ؛ لأنه قد دل عليها بالإيقاد .

\*\*\*

وقال أبو تمام في حُمْرَةِ الْخَدِّ :

إِنَّ فِي خَيْمِهِمْ لَمُطْعَمَةً الْحِجْ لَمَيْنِ وَالْمَتْنُ مَتْنُ خُوطٍ وَرِيقٍ<sup>(٤)</sup>  
وَكَاَنَّ الْجَرِيَالَ شَيْبَ بِمَاءِ الدُّرِّ فِي خَدَّهَا بِمَاءِ الْعَقِيقِ

(١) ديوان البحرى ٦٠٥ « وما صرعتى الكأس » وفي ق « حتى أعانها » وكذلك في ديوانه

٢ / ٩٩٩ طبع دار المعارف

(٢) ديوانه ١٥١ ، ٢ / ٤١٥ دار المعارف .

(٣) ديوانه ١٣٧٦ « إن سقيت » .

(٤) ديوان أبي تمام ٢١٦ وشرح التبريزى ٢ / ٤٣٢ ويروى : « لمفمة الحجلين » .

كذا رواية هذا البيت : « شيب بماء الدر في خدها<sup>(١)</sup> بماء العقيق »  
[وهو الصحيح] <sup>(٢)</sup>

والجريال : اللون الأحمر . وأراه أراد لون الخمر ، كما قال الأعشى :  
« سَلَبْتُهَا جَرِيَالَهَا »<sup>(٣)</sup> . أى حمرتها . وقد سئل عن هذا ، فقال :  
شربتها حمراء ، وبلتها بيضاء .

واستقامة اللفظ أن يكون أراد : وكأن الجريال بماء العقيق شيب بماء  
الدر في خدها ، كما قال في نحو هذا اللفظ :  
وَأَخْلَاقُ كَأَنَّ الْمِسْكَ فِيهَا بِصَفْوِ الرَّاحِ بِالنُّطْفِ الْعَذَابِ<sup>(٤)</sup>  
فإن كان هذا أراد فقد كان ماء العقيق يُغْنَى عن الجريال ، لأن  
الدر والعقيق جوهران ، واختلاط مائهما على الاستعارة حتى يشبه الخد  
المورّد - سائغ .

وإن كان أراد بالجريال الخمر نفسها كما قال الشاعر :

\* وَتَكَلَّمْتُ بِلِسَانِهَا الْجَرِيَالُ \*

- فإن الخمرة بحمرة لونها مستغنية عن ماء<sup>(٥)</sup> العقيق ؛ لأنها أنصع  
وأحسن

وهو أيضاً [جمع] <sup>(٦)</sup> بين شيئين لا يتشابهان :

(١) م « في خدها بالعقيق »

(٢) الزيادة من ق

(٣) تمام بيت الأعشى ، كما في ديوانه واللسان ١١٤ / ١٣

وسبيته مما تمتق بابل كدم الذبيح سلبها جريالها

(٤) ديوان أبي تمام ٥٥ وشرح التبريزي ٢٨٨ / ١

(٥) م « مستغبة بماء »

(٦) الزيادة من ق .

والعادية الجارية في مثل هذا أن يقال : كَانَ خدّها الخمر والماء ، أو  
كَأَنَّهَا جرت في خدّها الخمر والماء ، فأما الخمر ممزوجة أو مشوبة بماء العقيق  
فإنه خَطَلٌ من القول .

\* \* \*

وقال أبو تمام :

رُودٌ أَصَابَتْهَا النَّوَى فِي خُرْدٍ      كَانَتْ بُدُورَ دُجْنَةٍ وَشُمُوسَا<sup>(١)</sup>  
وَكَأَنَّهَا أَهْدَى شَقَائِقَهُ إِلَى      وَجَنَاتِهِنَّ ضَحَى أَبُو قَابُوسَا  
بِيضًا يُدِرْنَ عُيُونَهُنَّ إِلَى الصَّبَا      فَكَأَنَّهِنَّ بِهَا يُدِرْنَ كُوسَا<sup>(٢)</sup>  
وهذه أبيات صالحة .

ثم جُنَّ بعد هذا فقال :

لَوْلَا حَدَائِثُهَا وَأَنْتَى لَا أَرَى      عَرْشًا لَهَا لَطَنَنْتُهَا بِلَقَيْسَا<sup>(٣)</sup>  
فَنَأَى شَيْءٌ يَزِيدُكَ عَلَى هَذِهِ الْحِمَاقَةِ .

\* \* \*

وقال البحتري :

سَفَرْتُ كَمَا سَفَرَ الرَّبِيعُ الطَّلُقُ عَنْ      وَرْدٍ يَرْفِرُقُهُ الضُّحَى مَصْقُولِ<sup>(٤)</sup>

( ١ ) ديوان أبي تمام ١٧٥ وشرح التبريزي ٢٦٤

( ٢ ) في الديوان وشرحه : « بيض تلور »

( ٣ ) غاية ما علق به التبريزي على هذا البيت قوله : « لأن بلقيس متقدمة المهدي ، ولو بقيت إلى  
الآن لصارت قفة » ! ! !

( ٤ ) ديوان البحتري ١٧٨ ، ٣ / ١٨٣٩

وَتَبَسَّمتَ عَنْ لَوْلُوْكَ فِي رَضْفِهِ بَرْدٌ يَرُدُّ حُشاشَةَ الْمَتَبُولِ

أى شىء يزيدك على هذا الإحسان<sup>(١)</sup> ؟

وأجود من هذا وأحلى - قول كثير :

وَيَوْمَ الْخَيْلِ قَدْ سَفَرْتَ وَكَفَّتْ رِداءَ الْعَصْبِ عَنْ رَتْلِ بَرَادٍ<sup>(٢)</sup>

وَعَنْ نَجْلَاءَ تَذْمُعُ فِي بِياضِ إِذَا دَمَعَتْ، وَتَنْظُرُ فِي سَوَادٍ<sup>(٣)</sup>

وَعَنْ مُتْكَاوِسٍ فِي الْعَقْصِ جَثَلٍ أَثِيثِ النَّبْتِ، ذِي غُدْرِ جَعَادٍ

مُتْكَاوِس : شعر كثير قد ركب بعضه بعضاً .

(١) في حماسة ابن الشجرى ١٩٠ « وقال البحتري ولم يقصر عن غاية الإحسان : أسفرت ... »

(٢) ديوان كثير ٢ / ١٥٩ والأغاني ١١ / ٤٧ « ويوم الخيل » وأمالى المرقضى ٢ / ١٧٨ .

و م ، ق : « يوم الخيل »

(٣) سبق في ص ١٢٤ من الجزء الأول



## ما لاقاه في وصف الثغور

وقال أبو تمام :

وَنَاسِيَاكِ إِنِّهَا إِغْرِضُ وَلَّالِ تُوْمٌ ، وَبَرْقٌ وَمِيضٌ <sup>(١)</sup>  
وَأَقْصَحِ مُنَوَّرٌ فِي بَطَاحٍ هَزَّةٌ فِي الصَّبَاحِ رَوْضُ أَرِيضُ  
وَأَرْتِكَاضِ الْكَرَى بِعَيْنَيْكَ فِي النَّوْمِ فَتُونًا ، وَمَا لِعَيْنِي غُمُوضٌ <sup>(٢)</sup>  
لَتَكَاءَ ذَنْبِي غِمَارٌ مِنَ الْأَخْ ذَاتِ لَمْ أَذِرْ أَيُّهِنَّ أَخُوْضُ

وهذه لعمر الله - يَمِينٌ في غاية الحسن [والحلاوة] <sup>(٣)</sup> والملاحة .

وقوله : « وَأَقْصَحِ مُنَوَّرٌ فِي بَطَاحٍ » كلام مستقيم . والبَطَاحُ : ما اطمأن  
من الأرض وأنهبط <sup>(٤)</sup> . والندى ، والعشب فيه أبقى . ورياضُ الحَزْنِ  
أحسن . فأما قول الأعشى :

\* مَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْحَزْنِ مُغْشِبَةٌ <sup>(٥)</sup> \*

فإن الحَزْنَ ههنا : موضع كانت إبل الملوك تَرَعِي فيه على ما ذكر .

وقوله : « هَزَّةٌ فِي الصَّبَاحِ رَوْضُ أَرِيضُ » ليس بالجيد اللائق ؛  
لأنَّ الْأَقَاحِي هي من الروض ، والرَّوْضُ إنما يهزه ويحركه الندى ، والنسيمُ ،  
لا أَنْ يَهْزُ بَعْضُهُ بَعْضًا .

(١) ديوان أبي تمام ١٨١ وشرح التبريزي ٢ / ٢٨٧

(٢) م « فتونا »

(٣) الزيادة من ق

(٤) م « والهبط »

(٥) ديوان الأعشى ٤٣ وعجزه : « خضراء جاد عليها مسبل هطل »

والأريض<sup>(١)</sup> : هو المتمكن في موضعه ، الجيد النبات .

\* \* \*

وقال البحرى :

لها غرائبٌ دلَّ ما يزالُ لها      على الغرام به حثٌ وتَحْرِيسُ<sup>(٢)</sup>  
تُفَاحُ خدٍّ إذا أَحْمَرَتْ مَحَاسِنُهُ      مُقْبَلٌ بِخَفِيِّ اللَّحْظِ مَعْضُوسُ  
وَوَاضِحَاتِ تُرَيْكَ الدَّرِّ مُتَسِقاً      كَأَنَّهُنَّ إِذَا اسْتَغْرَبْنَ إِغْرِيسُ<sup>(٣)</sup>  
لو كان يَكْفِيكَ عِلْمُ الشَّيْءِ تَجْهَلُهُ      فَقَدْ كَفَاكَ مِنَ التَّضْرِيحِ تَعْرِيسُ<sup>(٤)</sup>  
فقوله : «تُرَيْكَ الدَّرِّ مُتَسِقاً» أحسن ، وأصح من قول أبي تمام :

«وَلَا لِي تُؤْمَ» . غير أن أبا تمام شَبَّه الشَّغَرَ فِي بَيْتِهِ بثلاثة أشياء . وقد فعل

البحرى ذلك فقال :

بَاتَ نَدِيماً لِي حَتَّى الصَّبَاحِ      أَغْيَدُ مَجْدُولُ مَكَانِ الْوِشَاحِ<sup>(٥)</sup>  
كَأَنَّمَا يَضْحَكُ • عَنْ لَوْلُؤٍ مُنْظَمٍ ، أَوْ بَرْدٍ ، أَوْ أَقَاخِ  
فشبه الشجر بثلاثة أشياء ، وشرط في اللؤلؤ أنه منظم ، كما قال في  
البيت الآخر :

«تُرَيْكَ<sup>(٦)</sup> الدَّرِّ مُتَسِقاً» ، حتى استوى التشبيه بالإغْرِيس .

(١) م «والأرض» !

(٢) ديوان البحرى ١٢١٧ / ٢ «بنا بث» ، م «حث وتعريض» والتصويب من ق

(٣) م «استغرين»

(٤) ق «لقد كفاك»

(٥) ديوان البحرى ٦٤٩ ، ١ / ٣٥٥ دار المعارف .

(٦) م «يريد» !

وقد شبه الثغر بالبرد والأقاحى فى مصراع فقال :  
يَضْحَكُنَّ عَنْ بَرْدٍ ، وَنَوْرٍ أَقَاحٍ وَيُشْبِنَ ظَلَمَ رُضَابِهِنَّ بَرَّاحٍ<sup>(١)</sup>

ووصله بيت هوفى حسنه وحلاوته فقال :  
وَإِذَا بَرَزْنَ مِنَ الْخُدُورِ سَفَرْنَ عَنْ هَمِّكَ : مِنْ وَرْدٍ ، وَمِنْ تَفَّاحٍ  
وقد شبه البحرى أيضاً بياض ثغر المرأة بالبرق ، وبضوء المصباح ،  
فقال :

أَصْوُهُ بَرَقَ بَدَا ، أَمْ ضَوْءُ مِصْبَاحٍ أَمْ أَبْتِسَامَتُهَا بِالْمَنْظَرِ الضَّاحِى<sup>(٢)</sup>  
ثم قال بعده :

وَيَرْجِعُ اللَّيْلُ مُبَيَّضًا إِذَا ضَحِكَتْ عَنْ أَبْيَضِ خَضِلِ السَّمْطَيْنِ لَمَّاحٍ<sup>(٣)</sup>  
وهذا أحسن كلام ، وأصححه ، وأحلاه .

ولكن البديع فى تشبيه الثغر بالبرق قول العُدَيْلِ بن الفَرَّخِ العَجَلِي :  
ضَحِكَتْ فَقُلْتُ بِغَمَامَةٍ بَرَقَتْ لَنَا بِشِعَابِ مَكَّةَ بَرَقَهَا لَا يَبْرَحُ<sup>(٤)</sup>  
فشرط أن بَرَقَهَا مقيمٌ لا يبرح . وهذا ألطف ما يكون من المعانى وأحسنها .

وقد أحسن البحرى كل الإحسان فى قوله :  
وَشَتِيئًا يَغُضُّ مِنْ لَوْلُو النَّظْمِ وَيَزِرَى عَلَى شَتِيئِ الْأَقَاحِ<sup>(٥)</sup>

(١) ديوان البحرى ١ / ١٢٤ طبع بيروت ، ١ / ٤٧٦ دار المعارف .

(٢) ديوانه ٥٨ ، ١ / ٤٤٢ « ألمع برق سرى » .

(٣) فى الديوان « إذا ابتسمت » وفى ديوان المعانى ١ / ٢٣٨ « فجعله يحلو الظلام لبياضه ، وذكر كثرة الريق فقال : « خضل » لأن قلة الريق تورث تغير الفم ، وذكر حسن تنفيذ الثغر فجعله سمطين . فلا يرى فى هذا المعنى أجمع من هذا البيت

(٤) ق « بشماف »

(٥) ديوان البحرى ٣٨٢ ، ١ / ٤٥٨ دار المعارف ، وفى م « ويندى عل »

ومن إحسانه المشهور لفظاً ومعنى قوله :

وَمَا أَلْتَقَيْنَا وَالنَّفَا مَوْعِدُ لَنَا تَعَجَّبَ رَأْيِي الدَّرُّ حُسْنًا وَلَا قِطْعَةً<sup>(١)</sup>  
فَمِنْ لَوْلُو تَبْدِيهِ عِنْدَ ابْتِسَامِهَا وَمِنْ لَوْلُو عِنْدَ الْحَدِيثِ تُسَاقِطُهُ<sup>(٢)</sup>

والعرب تشبه الشجر باللؤلؤ . والإغريض ، وهو ما<sup>(٣)</sup> يتشقق عنه الطلع من النخل ، [و] بالأفاحى ، وهو أشبهها بالشجر هيئةً ، وشكلاً ، وبياضاً ، وتفلجاً . وتُشَبَّهُه بالبرد ، وبشوك السَّيَال ، وهو شجر ، ولا يريدون اللون ، وإنما يريدون الشكل والتفرُّق ، قال الأعشى :

بَاكَرَتْهَا الْأَغْرَابُ فِي سِنَةِ النَّوْمِ فَتَجْرِي خِلَالَ شَوْكِ السَّيَالِ<sup>(٤)</sup>  
الْأَغْرَابُ : أَقْداح الفِضَّةِ باكرتها وفيها الخمر

[وقد] قال أبو تمام :

وَعَلَى الْعَيْسِ خُرْدٌ يَتَبَسَّمُ نَ عَنِ ، الْأَشْنَبِ الشَّتِيبِ الْبَرَادِ<sup>(٥)</sup>  
كَانَ شَوْكُ السَّيَالِ حُسْنًا فَأَضْحَى دُونَهُ لِلْفِرَاقِ شَوْكُ الْقِتَادِ<sup>(٦)</sup>  
فالبراد : هو البارد ، والأشْنَبُ أيضاً : البارد ، والشنب : البرد .  
وإنما جمع بينهما لاختلاف اللفظ

وقال أبو تمام :

وَلَوْ تَبَسَّمَ عُجْنَا الطَّرْفِ فِي بَرَدٍ وَفِي أَقَاحٍ سَقْتُهُ الْخَمْرُ وَالضَّرْبُ<sup>(٧)</sup>  
مِنْ شَكْلِهِ الدَّرُّ فِي رَصْفِ النَّظَامِ وَمِنْ صِفَاتِهِ الْفِتْنَتَانِ : الظُّلْمُ ، وَالشَّنْبُ

(١) ديوان البحرى ١٧٩ ، ٢ / ١٢٣٠ وديوان المعاني ١ / ٢٣٨

(٢) في الديوان « لؤلؤ تجلوه »

(٣) م « وهاما »

(٤) ديوان الأعشى ه واللسان ٢ / ١٣٦ ، ١٣ / ٣٧٤

(٥) ديوان أبي تمام ٧٥ وشرح التبريزى ١ / ٣٥٩ وأمالى المرتضى ٢ / ١٧٨

(٦) في الديوان وشرحه « فأمسى »

(٧) ديوانه ٤٧ وشرح التبريزى ١ / ٢٤٧

قوله : « في أقاح سقته الخمر والضرب » معنى حسن جداً ، ولائق بالمعنى .  
والظلم : ماء الأسنان . والشنب : بردها .

وتزعم الرواة أن أحسن ما قيل في وصف الثغر قول بشر بن أبي خازم<sup>(١)</sup> :  
يُفْلَجْنَ الشِّفَاهُ عَنْ أَقْحُوَانٍ جَلَاهُ غِبٌّ سَارِيَةٍ قِطَارُ<sup>(٢)</sup>

وهذا - لعمري - يستحق التقديم والتفضيل . وليس بدونه قول النابغة :  
كَالْأَقْحُوَانِ غَدَاةَ غِبٍّ سَمَائِهِ جَفَّتْ أَعَالِيهِ ، وَأَسْفَلُهُ نَدَى<sup>(٣)</sup>

بل قول النابغة أجمع للمعنى ؛ لأن قوله : « كَالْأَقْحُوَانِ غَدَاةَ غِبٍّ سَمَائِهِ » - بإزاء قول بشر : « جَلَاهُ غِبٌّ سَارِيَةٍ قِطَارُ »

وقول النابغة : « جَفَّتْ أَعَالِيهِ ، وَأَسْفَلُهُ نَدَى » زيادة حسنة .

ولكن بيت بشر أبرع ؛ لأنه مستغن بنفسه ، وبيت النابغة متعلق على البيت الذي قبله .

( ١ ) م « حازم »

( ٢ ) ديوان بشر بن أبي خازم ٦٣ وديوان المعاني ١ / ٢٣٨

( ٣ ) ديوان النابغة ٣٧ وديوان المعاني

ما قالاه في وصف القدود ، والخصور ، والأخفاف  
وثقل الأرداف ، وحسن المشى

قال أبو تمام :

ومَقْدُودَةٌ رُوْدٍ تَكَادُ تَقْدُمَا إِصَابَتُهَا بِالْعَيْنِ مِنْ حُسْنِ الْقَدِّ<sup>(١)</sup>  
تُعْصِفُ خَدَّيْهَا الْعَيُونُ بِحُمْرَةٍ إِذَا وَرَدَتْ كَانَتْ وَبَالًا عَلَى الْوَرْدِ<sup>(٢)</sup>

وقال :

وخطِيبَةٌ شَمْسِيَّةٌ رَشِيَّةٌ مُهْفَهَفَةٌ الْأَعْلَى ، رَدَّاحِ الْمُحَقَّبِ<sup>(٣)</sup>  
تُصَدِّعُ شَمْلَ الْقَلْبِ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ وَتَشْعِبُهُ بِالْبَثِّ مِنْ كُلِّ مَشْعَبٍ  
بِمُخْتَلِلِ سَاجٍ مِنَ الطَّرَفِ آخُورٍ وَمُقْتَتَلِ صَافٍ مِنَ الثَّغْرِ أَشْنَبِ  
مِنَ الْمُعْطِيَّاتِ الْحُسْنِ ، وَالْمُؤْتِيَّاتِ مُجَلْبَبَةٍ ، أَوْ فَاضِلًا لَمْ تُجَلْبَبِ

وهذه معان حسنة ، وقول حلو .

والرَّدَّاحِ : العظيمة العَجْز .

وقوله : تُصَدِّعُ شَمْلَ الْقَلْبِ ، وتشعبه - بمعنى واحد . ولولا قوله :  
« بِالْبَثِّ » لصلح أن يكون تَشْعِبُهُ : تضم أجزاءه ، وتلائم بينها ؛ لأن  
شَعَبَ مِنَ الْأَضْدَادِ<sup>(٤)</sup> : يكون جمعت وفرقت ، فكان المعنى حينئذ : تصدع شمل

(١) ديوان أبي تمام ١١٤ وشرح التبريزي ٦١ / ٢

(٢) راجع ص ٩٥

(٣) ديوانه ٢٣ وشرح التبريزي ١٥٤ / ١

(٤) راجع الأضداد لابن الأنباري ٤٣

القلب أى تفرقه إذا شاءت ، وَتَشَعَّبَهُ أى تضمه وتجمعه ، كما قال فى موضع آخر :

وَعَهْدِي بِهَا تُحْيِي الْهَوَى وَتُمِيتُهُ وَتَشَعَّبَ أَعْشَارَ الْفُؤَادِ وَتَصْدَعُ<sup>(١)</sup>  
أى تحيى الهوى بهجرها ، وتميته بوصلها .

وقوله : « ساج » أى يختل بنظره . ومقتل صاف ، يريد قتل الحب ؛ يقال : أَقْتَلْتُهُ الحبَّ ، وَأَقْتَلَّتُهُ الجنُّ ، كأنه اعتمد ازدواج اللفظين بقوله : مُخْتَلَّ ، ومُقتَل .

وقوله : « مُجْلَبَّةٌ » من الجلباب وهو : الخِمَار ، وقد يكون أيضاً : الثوب . « أَوْفَاضِلًا لَمْ تُجْلَبِبِ » ، والفَاضِل : هى الْمُتَفَضِّلَةُ فى ثوب واحد ، وهو الذى تَلْبَسُهُ<sup>(٢)</sup> المرأة لِلْبِذْلَةِ وَالْأَعْتِمَالِ .

\*\*\*

وقال :

مِنْ كُلِّ ضَاحِكَةٍ التَّرَائِبِ أَرْهَفَتْ إِرْهَافَ خُوطِ الْبَانَةِ الْمَيَّاسِ<sup>(٣)</sup>  
بَذْرُ أَطَاعَتْ فَيْكَ بَادِرَةَ النَّوَى خَطَأً ، وَشَمْسٌ أُولِعَتْ بِشِمَاسِ<sup>(٤)</sup>  
وَإِذَا مَشَتْ تَرَكْتَ بَصْدْرِكَ ضِعْفَ مَا يَحْلِيهَا مِنْ كَثْرَةِ الْوَسْوَاسِ<sup>(٥)</sup>  
وَالْخِطْءِ : ما يعتمده الإنسان ، وَالْخَطَأُ : ما لا يعتمد<sup>(٦)</sup> .

( ١ ) سبق ص ٨٣

( ٢ ) م « البسته »

( ٣ ) ديوان أبى تمام ١٧٣ وشرح التبريزى ٢ / ٢٤٣ وأرهفت : أى رق خلقها .

( ٤ ) فى الديوان وشرحه « التوى ولما »

( ٥ ) هذا البيت فى الأصل مؤخر عن شرح البيتين .

( ٦ ) اللسان ١ / ٥٩

وقوله : « ضاحكة الترائب » : يرير ما على صدرها من الحلى . والترائب :  
عظام الصدر .

وقال :

إِنْ فِي خَيْمِهِمْ لَمُطْعَمَةُ الْحِجَّةِ لَمَيْنَ ، وَالْمَتْنُ مَتْنُ خُوطٍ وَرِيقٍ<sup>(١)</sup>  
وَهِيَ لَا عَقْدٌ وَدَّهَا سَاعَةُ الْبَيْنِ ن ، وَلَا عَقْدٌ خَصَرَهَا بُوَيْثِيقٍ

قوله : « مطعمة الحجلين » ، والحجل : الخَلخال ، والمُطْعَمُ :  
المرزوق من الطعام . جعل امتلاء لحم ساقها طعاماً لخلخالها ؛ لأنه يعضُّ به .

وقوله : « وهي لا عقد ودَّها ساعة البين » [ أراد : ولا عقد ودَّها ساعة  
البين ] بوئيق ، ولا عقد خصرها بوئيق على كل حال . ولكنه لما أخبر عنها<sup>(٢)</sup>  
خبراً واحداً ، ونسق بأحدهما على الآخر - صار الظرف ، وهو ساعة البين ،  
على ظاهر اللفظ . كأنه يضمهما<sup>(٣)</sup> معاً ، فيكون عقد خصرها غير وثيق  
أيضاً في ساعة البين . وهو قبيح على جوازه وسوَّغِه .

\*\*\*

وقال البحتري :

وَفِيهِنَّ مَشْغُولٌ بِهِ الظَّرْفُ هَارِبٌ بَعَيْنَيْهِ مِنْ لَحْظِ الْمُحِبِّ الْمُخَالِيسِ<sup>(٤)</sup>  
يُخَبِّرُ عَنْ غُصْنٍ مِنَ الْبَانَ مَا ئِيدٍ إِذَا أَهْتَزَّ فِي ضَرْبٍ مِنَ الدَّلِّ مَائِسٍ

وهذا نمط البحتري الحلو . وإنما قال : « هارب بعينه » ، فخصهما

(١) م « في حميم » وسبق ص ١٠١ « خيمهم »

(٢) م « عنها »

(٣) م « يضمها »

(٤) ديوان البحتري ١١٦ ، ٢ / ١١٢٣



دون غيرهما ؛ لأن الحسن <sup>(١)</sup> إنما هو في العين ، وعلاقة الحب إنما تكون عند النظر إلى العين <sup>(٢)</sup> .

وقال :

وَقَدْ بَانَ فِيهِمْ غُصْنُ بَانَ إِذَا بَدَا ثَوَى مُخْبِرًا عَنْ مِثْلِهِ أَوْ مِثَالِهِ <sup>(٣)</sup>  
يَسُوءُكَ أَلَّا عَطَفَ عِنْدَ أَنْعَاطِهِ وَيُشْجِيكَ أَلَّا عَدَلَ عِنْدَ أَعْتِدَالِهِ <sup>(٤)</sup>  
كَأَنَّهُ أَرَادَ بِالْمِثْلِ الشَّيْءَ نَفْسَهُ ، وَالْمِثَالُ : الشَّبَهُ ، أَيْ ثَوَى مُخْبِرًا عَنْ  
غُصْنِ بَانَ مِثْلِهِ ، أَوْ شَبِهُهُ . إِلَى هَذَا ذَهَبَ .

وقال :

أَعْطَيْتَ بَسْطَةً عَلَى النَّاسِ حَتَّى هِيَ صِنْفٌ فِي الْحُسْنِ ، وَالنَّاسُ صِنْفٌ <sup>(٥)</sup>  
أَعْتِدَالٌ يَمِيلُ مِنْهُ أَنْخِنَاتٌ وَتَشَنُّ فِيهِ الْفَخَامَةُ لُطْفٌ <sup>(٦)</sup>  
نَعْمَةُ الْغُصْنِ إِنْ تَأَوَّدَ عِطْفٌ مِنْهُ عَنْ هِزَّةٍ تَمَاسَكَ عِطْفٌ <sup>(٧)</sup>  
مُسْكِرِي إِنْ سَقِيَتْ مِنْهُ بِعَيْنِي أَرْجُوَانٌ وَنَ خَمِرٍ خَدِيهِ صِرْفٌ <sup>(٨)</sup>  
وهذا من إحسانه المشهور .

\*\*\*

( ١ ) م « إلا أن الحسن »

( ٢ ) م « إلى العين » !

( ٣ ) في الديوان ١٦٢٣/٣ « مخبر »

( ٤ ) كذا في م ، ق وفي الديوان : « إلا العطف . . . إلا العدل »

( ٥ ) ديوان البحري ٣٢٩ ، ١٣٧٥ « صنف والناس في الحسن صنف »

( ٦ ) في الديوان « ويشئ فيه »

( ٧ ) م « عن حمة تماسك »

( ٨ ) سبق ص ١٠١

وقال :

لَمَّا مَشَيْنَ بِذِي الْأَرَاكِ تَشَابَهَتْ      أَعْطَافُ قُضْبَانٍ بِهِ وَقُدُودُ<sup>(١)</sup>  
 فِي حُلَّتِي جِبْرِ وَرَوْضِ فَالْتَقَى      وَشِيَانٍ : وَشَى رُبَى ، وَوَشَى بُرُودِ  
 وَسَفَرَنَ فَاْمْتَلَأَتْ عُيُونُ رَاقِهَا      وَرَدَانٍ : وَرَدُ جَنَى ، وَوَرَدُ خُدُودِ<sup>(٢)</sup>  
 وَضَحِكَنَ فَاغْتَرَبَ الْأَقَاحِي مِنْ نَدٍ      غَضٍّ ، وَسَلْسَالِ الرُّضَابِ ، بُرُودِ<sup>(٣)</sup>  
 وهذا أيضاً من إحسانه المعروف .

وقوله : « فَاغْتَرَبَ » يريد الضَّحِكُ . والمستعمل اسْتَعْرَبَ فِي الضَّحِكِ  
 إِذَا اشْتَدَّ فِيهِ ، وَأَغْرَبَ أَيْضاً ، قَالَ ذُو الرُّمَّةِ :

فَمَا يَغْرُبُونَ الضَّحْكَ إِلَّا تَبَسُّمًا      وَلَا يَنْسُبُونَ الْقَوْلَ إِلَّا تَنَاجِيًا<sup>(٤)</sup>

وَلَمْ أَسْمَعْ فِي الضَّحْكَ اغْتَرَبَ . إِنَّمَا ذَاكَ مِنَ الْغُرْبَةِ وَالْبَعْدِ . فَقَوْلُهُ :  
 « فَاغْتَرَبَ الْأَقَاحِي مِنْ نَدٍ غَضٍّ » يَرِيدُ النُّورَ نَفْسَهُ . « وَسَلْسَالُ الرُّضَابِ »  
 يَعْنِي : الثَّغُورَ ، كَأَنَّهُ جَعَلَهُمَا جَمِيعاً مِنَ الْأَقَاحِي ، وَفَصَّلَهُ فَقَالَ : مِنْ نَدٍ  
 غَضٍّ ، وَمِنْ سَلْسَالِ الرُّضَابِ ، وَسَلْسَالِ الرُّضَابِ هُوَ نَدٍ غَضٍّ أَيْضاً ، إِلَّا  
 أَنَّهُ جَعَلَ الْفَرْقَ بَيْنَهُمَا أَنَّ هَذَا أَنْدَى ، وَأَجْرَى مِنْ ذَاكَ .

وَأُظِنُّ الْمُسْتَعْرَبَ فِي الضَّحْكَ إِنَّمَا أُخِذَ مِنْ غُرُوبِ الْأَسْنَانِ إِذَا بَدَتْ  
 كُلُّهَا فِي الضَّحْكَ ، وَهِيَ أَطْرَافُهَا ، وَغَرَبَ كُلُّ شَيْءٍ : حُدَّهُ

أَوْ أَنَّ يَكُونُ اسْتَعْرَبَ فِي الضَّحْكَ أَيْ امْتَلَأَ ضَحْكَاً مِنْ قَوْلِهِمْ : أَغْرَبْتُ

(١) ديوان البحري ص ٨ ، ٢ / ٦٩٧ دار المعارف

(٢) م « ورد ضعى جنى ورد »

(٣) كذا في م ، ق وفي م « فاعترف الاقاحي » وفي الديوان : « من ندى »

(٤) ديوان ذى الرمة ٦٥٥ « ينسبون » وفي م « فا يعرفون »

السَّقاء إِذَا مَلَّاتَهُ ، قَالَ بِشْرُ بْنُ أَبِي خَازِمٍ :  
وَكَنَّ ظُغْنَهُمْ عَدَاةَ تَحَمَّلُوا سُفْنُ تَكْفَأُ فِي خَلِيجٍ مُغْرَبٍ<sup>(١)</sup>

وسبيل هذا البيت أن يلحق في « باب الشغور » .

وقوله : « فالتقى وَرْدَان : وَرْدُ جَنَى ، وَوَرْدُ خُدُودٍ » - إن كان أراد  
هذا الورد المعروف ، فمن أين بذى الأراك وَرْدُ ؟ إلا أن يريد بعض الأنواع<sup>(٢)</sup> ،  
والحمر من الأنوار فإنها كثيرة . وإياها - إن شاء الله - أراد .

ومن عجيب ما أوردته في حُسن القَدِّ قوله :

تَهْتَزُّ مِثْلَ أَهْتِزَّازِ الْغُصْنِ أَتَعْبُهُ مُرُورُ غَيْثٍ مِنَ الْوَسْمِيِّ سَحَّاحٍ<sup>(٣)</sup>

وقال :

بَيْضَاءُ يُعْطِيكَ الْقَضِيبَ قَوَامَهَا وَيُريكَ عَيْنَيْهَا الْغَزَالُ الْأَخْوَرُ<sup>(٤)</sup>  
تَمْشِي فَتَحْكُمُ فِي الْقُلُوبِ بِدَلَّهَا وَتَمِيسُ فِي بُرْدِ الشَّبَابِ فَتَخْطُرُ<sup>(٥)</sup>  
وَتَمِيلُ مِنْ لَيْنِ الصَّبَا فَيُقِيمُهَا قَدْ يَوْنُثُ تَارَةً وَيَذَكَّرُ

وقال :

هَلِ الذَّلْفَاءُ مُخْبِرَتِي أَهْجَرًا أَرَادَتْ بِالتَّجَنُّبِ ، أَمْ دَلَالًا؟<sup>(٦)</sup>  
ذَكَرْتُ بِهَا قَضِيبَ الْبَانَ لَمَّا غَدَتْ تَخْتَالُ فِي الْحُسْنِ أَخْيَالًا  
تُشَاكِلُهُ أَنْعَافًا ، وَأَهْتِزَّازًا وَتَحْكِيهِ قَوَامًا ، وَأَعْتِدَالًا

(١) ديوان بشر بن أبي خازم ٣٥ واللسان ٢ / ١٣٥

(٢) ق « بيض أنواع الحمر من »

(٣) ديوان البحري ٥٨ ، ١ / ٤٤٢ دار المعارف

(٤) ديوانه ١٧ ، ٢ / ١٠٧٠

(٥) في الديوان « في ظل الشباب وتخطر »

(٦) ديوانه ٧٧٦ ، ١٧٢٨ « هل الحسناء »

وهذا ما لا يكاد يسمع أحلى ، ولا أعذب ، ولا أبرع منه .

وقال :

أَلَا مَ عَلَى هَوَى ظَمِيَاءَ ظُلْمًا وَقَلْبِي فِي يَدَي ظَمِيَاءَ عَانٍ<sup>(١)</sup>  
إِذَا أَنْصَرَفَتْ أَضَاءَتْ شَمْسَ دَجْنٍ وَمَالَ مِنَ التَّعَطُّفِ غُصْنُ بَانٍ

قوله : « أَضَاءَتْ شَمْسَ دَجْنٍ » . أى إذا انصرفت مُؤَلِّةً بوجهها كان ضوءها كضوء الشمس من تحت الدَّجْنِ ، وهو لباس الغيم الأفق . وهذا أحسن ما يكون من المعنى<sup>(٢)</sup> . وألفظه . أى إذا غاب وجهها حين تَوَلَّى فَاتَنَا منها أيضاً في ضياء كضياء<sup>(٣)</sup> الشمس من تحت الدَّجْنِ .

وقال أبو تمام :

أَذْنَتْ نِقَاباً عَلَى الْخَدَيْنِ ، وَأَنْتَسَبَتْ  
لِلنَّاطِرِينَ بِقَدْ لَيْسَ يَنْتَقِبُ<sup>(٤)</sup>

وهذا حسن جداً .

وقال أبو تمام :

لِيَا لِي أَضَلَلْتَ الْعَزَاءَ وَجَوَلْتُ بِعَقْلِكَ آرَامَ الْخُلُورِ الْخَوَاذِلُ<sup>(٥)</sup>  
مِنَ الْهَيْفِ لَوْ أَنَّ الْخَلَاحِلَ صُبْرَتْ لَهَا وَشُحَا جَالَتْ<sup>(٦)</sup> عَلَيْهَا الْخَلَاحِلُ  
مَهَا الْوَحْشِ إِلَّا أَنَّ هَاتَا أَوَانُسُ قَنَا الْخَطَّ إِلَّا أَنَّ تِلْكَ ذَوَابِلُ

(١) ديوان البحترى ٢١٢ ، ٢٢٢٨/٤ « هوى الحسناء . . فى هوى الحسناء عان »

(٢) م « المعانى »

(٣) م « كظياء »

(٤) ديوان أبى تمام ٤٧ وشرح التبريزى ١ / ٢٤٧

(٥) ديوان أبى تمام ٢٥٦ وشرح التبريزى ٣ / ١١٥ ويروى « وخذلت » و « حولت »

و « الخلور » العقال ، وفى ق « لعقلك آرام »

(٦) م « جالت عليه »

قوله : « جَوَلْتُ » من أجل قوله : « الْخَوَازِلُ » وهُنَّ<sup>(١)</sup> اللِّوَاتِي تَخْلُفْنَ من جملة السرب على أولادهن ، فأراد أن يُطابِقَ بَيْنَ « الْجَوْلَانِ » و« التَّأَخَّرِ » . وهو طباق غير جيّد ، ولا لائق .

وقوله : « مِنْ الْهَيْفِ لَوْ أَنَّ الْخَلَائِلَ صُبِّرَتْ لَهَا وَشُحَا » - من أقبح الخطأ وأفحشه ؛ لأن الخلخال لا يكون في موضع الوشاح ؛ لأن الوشاح : ما تتقلّده المرأة من سير ، أو خيط تنظم فيه خرزاً ، أو حلياً من فضة أو غيرها ، تنزيه به فيكون منها في موضع حَمَائِلِ السيف من الرَّجُل . والخلخال لا يكون في هذا الموضع إلا إذا مسخها الله ، وأقمأها .

[<sup>(٢)</sup> وقد أخطأ في البيت الثاني أيضاً فقال : « قَنَا الْخَطُّ إِلَّا أَنْ تَلَكْ ذَاوِيلُ » وإنما قيل للرماح : « ذوايل » لئنها وتثنيتها ، فنَفَى ذلك عن قُدود النساء التي من أكمل أوصافها التَّثْنِي واللين والانعطاف ، كما قال « تميم بن أبي ابن مقبل » :

يَهْزُزْنَ لِلسَّيْ أَوْصَالاً مُنْعَمَةً هَزَّ الْجَنُوبِ ضَحَى عِيدَانِ يَبْرِينَا<sup>(٣)</sup>  
أَوْ كَاهْتِزَا زِرَ رُدَيْنِي تَدَاوَلَهُ أَيْدِي التَّجَارِ فَرَادُوا مَتْنَهُ لَيْنَا

وقد ذكرت هذا مشروحاً في أغاليطه<sup>(٤)</sup> .

ولله در أبي عبادة إذ يقول :

عَدَتْ قُضْبَانُ أَسْحَلَةٍ عَلَيْهَا لِفَرَطِ الْجَدَلِ أَوْ شِحَةِ تَجُولِ<sup>(٥)</sup>

(١) م « وهى »

(٢) الزيادة من ق .

(٣) ديوان ابن مقبل ٣٢٧ .

(٤) راجع ج ١ / ١٥١ .

(٥) ديوان البحرى ٣٠٠ ، ١٨٢٣ .

يُقَوْمُ مِنْ تَشْنِيهَا أَغْتِدَالُ      تَكَادُ تَقُولُ مِنْ هَيْفٍ: نُحُولُ<sup>(١)</sup>  
 مَشِينٌ عَلَى خَمَائِلِ ذِي طُلُوحٍ      وقد ضَاقَتْ بِمَا فِيهَا الْحُجُولُ  
 فَقُلْتُ: أَزِيدُ مِنْ سَقَمٍ فُوَادِي؟      وهل يَزْدَادُ مِنْ قَتْلِ قَتِيلٍ؟<sup>(٢)</sup>

فهذا - والله - هو الشعر ، لا تَعْلِيلَاتُ أَبِي تمام ببطاقه وَتَجْنِيسه ، وفرط تَقَعْره ، وكثرة إحدائه . وما زلت أسمع الشيوخ يفضلون هذا البيت الأخير على كل ما سمعوه في الغزل .

وهذه القصيدة من قلائده . وفيها يقول قبل هذه الأبيات :

بَعِيدَةٌ مَطْلَبٍ ، وَجَمَادُ نَيْلٍ      فَهَا هِيَ لَا تُنَالُ ، وَلَا تُنِيلُ  
 إِذَا خَطَرَتْ تَارَّجَ نَجَائِيهَا      كما خَطَرَتْ عَلَى الرُّوضِ الْقَبُولُ  
 وَيَحْسُنُ دَلُّهَا ، وَالْمَوْتُ فِيهِ      وَقَدْ يُسْتَحْسَنُ السَّيْفُ الصَّقِيلُ

\*\*\*

وقال أبو تمام :

وَنَاضِرَةٌ الصُّبَا حِينَ أَسْبَكْرَتْ      طِلَاعَ الْمِرْطِ وَالذَّرْعِ الْيَدِي<sup>(٣)</sup>  
 تَشْكِي الْأَيْنِ مِنْ نِصْفِ سَرِيعٍ      إِذَا قَامَتْ ، وَمِنْ نِصْفِ بَطِيٍّ  
 وهذا ما لا مَدْفَعَ لجودته وحسنه ، وكأنه صفوة خاطر أبي تمام . إذا كان بِجَمَامِهِ يَأْتِي بِهِ وَبِأَمْثَالِهِ ، فَإِذَا أَعْيَا ، وَكُلَّ زَمَانًا - رَمَى بِالْأَوْسَاحِ وَالْأَقْدَارِ وَالْغُنَاءِ .

( ١ ) ق « يكاد يقول » وفي الديوان « يكاد يقال »

( ٢ ) في الديوان « أقول أزيد »

( ٣ ) ديوان أبي تمام ٣٤٣ وشرح التبريزي ٣ / ٣٥٣ « اسبكرت : تم شباها . ويرى « البدي »

وهو البديع العجيب »

وقوله : « طِلَاحُ المِرْطِ » أى تملأ الملحفة تماماً وكمالاً ، كأنها تطلع عليها ، أى تعلوه . والدرع : القميص التام . واليدى : الواسع .

\*\*\*

وقال البحرى :

نَوَاصِعُ كَسُيُوفِ الصَّقْلِ مُشْعَلَةٌ ضَوْءًا ، وَمُرْهَقَةٌ فِي الْجَدَلِ إِرْهَاقًا<sup>(١)</sup>  
إِذَا نَضَوْنَ شُفُوفَ الرِّيطِ آوِنَةً قَشَرْنَ عَنْ لُؤْلُؤِ الْبَحْرَيْنِ أَصْدَافًا  
كَأَنَّهُنَّ وَقَدْ قَرَّبْنَ مِنْ طَرَفِي ضَيْدَيْنِ فِي الْحَسَنِ تَثْقِيلًا ، وَإِخْطَافًا<sup>(٢)</sup>  
رَدَدْنَ مَا خَفَّتْ مِنْهُ الْخُصُورُ إِلَى مَا فِي الْمَآزِرِ فَاسْتَنْقَلْنَ أَرْدَافًا

وحسبك بهذا حُسنَ لفظ ، وحلاوةَ نظم ، وصحةَ معنى .

والطّف من قوله : « قَشَرْنَ عَنْ لُؤْلُؤِ الْبَحْرَيْنِ أَصْدَافًا » - قول أبي تمام :  
لَآئِي كَالنُّجُومِ الزُّهَرِ قَدْ لَبِسْتُ أَبْشَارُهَا صَدَفَ الْإِحْصَانِ لَا الصَّدَفَا<sup>(٣)</sup>  
وبيت البحرى أبرع وأحلى .

وقال البحرى أيضاً :

غَدَتْ أَتْرَابُهَا بِنَهَضِنَ هَوْنًا لثَقَلِي مِنْ رَوَادِفِهَا الثَّقَالِ<sup>(٤)</sup>  
مَشِينَ ضُحَى بِأَقْدَامِ لَطَافٍ وَسُوقٍ فِي خَلَاجِهَا خِدَالٍ  
إِذَا اجْتَبَنَ الْحُلِيَّ رَأَيْتَ بَيْضًا أَوَانَسَ كَاللَّآئِي فِي اللَّآئِي<sup>(٥)</sup>

(١) ديوان البحرى ٣٣٧ ، ١٣٨١ وفى م « تواضع لسيوف »

(٢) فى الديوان « وقد قارب بن . . . . تيتيلا »

(٣) ديوان أبي تمام ٢٠٠ وشرح التبريزى ٢ / ٣٦٠

(٤) ديوان البحرى ١٧٠٨ / ٣ « بثقل »

(٥) اجتبن : لبس

وقال :

أَطَاعَ لَهَا دَلَّ غَرِيرٌ ، وَوَاضِحٌ  
وَالْحَاطُ عَيْنٍ مَا عَلِقْنَ بِفَارِغٍ  
وَهَذَا مِنْ مَشْهُورِ أَبِي عِبَادَةَ .

[وقال أبو تمام] (٣) :

وَمِنْ جِيدِ غَيْدَاءِ التَّنْثِي كَأَنَّمَا  
كَأَنَّ عَلَيْهَا كُلَّ عِقْدٍ مَلَا حَةً  
وَمِنْ نَظَرَةٍ بَيْنَ السُّجُوفِ عَلِيلَةٌ  
وَمِنْ فَاحِجٍ جَعْدٍ ، وَمِنْ كَفَلٍ نَهْدٍ  
مَحَاسِنُ مَا زَالَتْ مَسَاوٍ مِنَ النَّوَى  
أَتَتْكَ بِلَيْتَيْنِهَا مِنَ الرَّشْلِ الْفَرْدِ (٤)  
وَحُسْنًا ، وَإِنْ أَمَسَتْ ، وَأَضَحَتْ بِلَا عِقْدٍ  
وَمُخْتَضِنٍ شَخْتٍ ، وَمُبْتَسِمٍ بَرْدِ (٥)  
وَمِنْ قَمَرٍ سَعْدٍ ، وَمِنْ نَائِلٍ ثَمْدِ (٦)  
تُغَطِّي عَلَيْهَا ، أَوْ مَسَاوٍ مِنَ الصَّدِّ

شَخْتُ : دقيق يتمكن الذراع من احتضانه ، كأنه ينفي عنها ضخم  
البطن وموضع (٧) [الكشح] ويستحب فيها الضمير .

(١) ديوان البحري ٥٩ ، ١٦١٥

(٢) م « ما علقت بفاتر »

(٣) الزيادة من ق

(٤) ديوان أبي تمام ٢٧ وشرح التبريزي ٢ / ١١١ واليت : صفحة العنق

(٥) م « بين السيوف » والمختضن : موضع الاحتضان

(٦) التمد : القليل

(٧) م « البطن والموضع ويستحب »



ما قالاه في : شدة الحب ، والوجد ، والتشوق ، والغرام ،  
والحزن ، وانتجاز المواعيد ، وإخلافها ، ونحو ذلك

\* \* \*

في الحزن والوجد

قال أبو تمام :

حُزْنٌ غَدَاةَ الْحُزْنِ هَاجَ غَلِيلُهُ      فِي أَبْرِقِ الْحَنَانِ مِنْكَ حَيْنٌ<sup>(١)</sup>  
سِمَةٌ الصَّبَابَةِ زَفَرَةٌ ، أَوْ عَبْرَةٌ      متكفل بهما حشاً ، وشُؤنُ  
لَوْلَا التَّفَجُّعُ لَادَّعَى هَضْبُ الْحِمَى      وَصَفَا الْمُشَقَّرِ أَنَّهُ مَعْزُونُ

وهذا المعنى غاية في حسنه وجودته . وإنما حَدَا على قول الأَخْوَص :

إِذَا كُنْتَ عِزْهَاءَ عَنِ اللَّهِ وَالصَّبَا      فَكُنْ حَجْرًا وَنِيبَاسَ الصَّخْرِ جَلْمَدًا<sup>(٢)</sup>

ولكنه عبر عنه بعبارة<sup>(٣)</sup> أغرب فيها حتى صار كأنه ليس ذلك المعنى

وهو هو بعينه .

والعِزْهَاءُ : الذي قد عَزَفَ عَنِ اللَّهِ وَالصَّبَا .

\* \* \*

(١) ديوان أبي تمام ٣٢٨ وشرح التبريزي ٣ / ٣٢٤ وفي م .

« الجنان منك جنينه وقال : سمة الصبابة »

الآبيات متصلة في ق والديوان .

(٢) البيت له في الشعر والشعراء ٥٠٢/١ ، وطبقات فحول الشعراء ٥٣٩ ، وهو غير منسوب في

اللسان ١٧ / ٤١٠

(٣) م « عبارة »

وقال البحتري :

زَعَمَ الزَّاعِمُونَ أَنَّ الَّذِي يَهْ  
كَذَبَ الزَّاعِمُونَ قَدْ يَحْسُنُ الْحُ  
وَيَ مِرَاصَ الْعُيُونِ غَيْرُ رَشِيدٍ<sup>(١)</sup>  
بُ يَمَنَ لَيْسَ قَلْبُهُ مِنْ حَلِيدٍ  
وقال :

ولو أَنَّ الْجِبَالَ فَقَدَنَ إِنْفَاءً  
لَأَوْشَكَ جَامِدٌ مِنْهَا يَذُوبُ<sup>(٢)</sup>  
وقال :

حَقًّا أَقُولُ لَقَدْ تَبَلَّتْ فُؤَادِي  
بِحَوَى مُقِيمٍ لَوْ عَلِمْتَ غَلِيلَهُ  
وَأَطْلَتِ مَدَّةَ غَيْيِ الْمُتَمَادِي<sup>(٣)</sup>  
لَوَجَدْتِهِ غَيْرَ الْهَوَى الْمُتَعَادِ  
وَالْحَبُّ سُكَّرٌ لِلنَّفُوسِ يَسُرُّنِي  
وهذا معنى آخر حسن جدًا .

وقد قال أبو تمام

بِهِ عِلَّةٌ صَمَاءٌ لِلْبَيْنِ لَمْ تُصِخْ  
لِبُرْءٍ ، وَلَمْ تُوجِبْ عِيَادَةَ عَائِدِ<sup>(٤)</sup>  
ومعنى البحتري أجود وأحلى .

وقال أيضاً :

بَلْ مَا أَوْدُ بِإِنْنِي أَفْرَقْتُ مِنْ  
وَأَعْدُ بُرْنِي مِنْ هَوَاكَ ضَمَانَةً  
وُجِدَ وَلَا أَنَّى بَرَدْتُ غَلِيلِي<sup>(٥)</sup>  
وَالْبُرْءُ أَكْبَرُ حَاجَةِ الْمَخْبُولِ<sup>(٦)</sup>

(١) ديوان البحتري ٢ / ٧٦٨ دار المعارف « العاذلون . . يصيبه نجل العيون »

(٢) ديوانه ٤٨٤ ، ١ / ٢٥٧ دار المعارف وفي م « أن الجياد فقدن »

(٣) ديوانه ١٦٣ ، ٢ / ٧٣١ « لو بلوت »

(٤) في الديوان « مصور العوائد »

(٥) ديوان أبي تمام ١١٦

(٦) ديوان البحتري ١٧٨ ، ١٨٣٩

(٧) م « رزية » والديوان : « رزية »

## وفى الشوق والصبابة

قال أبو تمام :

لا شَوْقَ مَا لَمْ تَصِلْ مِنْهُ بِأَلْتَى هَجَرْتِكَ وَجَدًا كَالْأَبَاءِ الْمُحْرَقِ<sup>(١)</sup>  
يَغْلِي إِذَا لَمْ يَضْطَرِّمْ ، وَيُرَى إِذَا لَمْ يَخْتَدِمْ ، وَيُغْصُ إِنْ لَمْ يُشْرِقِ  
قوله : ما لم تصل [منه] أى من الشوق . وجدًا : أى من الوجد .  
كالأبَاءِ الْمُحْرَقِ : أى فتكون إذا مليت<sup>(٢)</sup> [به] كالأبَاءِ الْمُحْرَقِ من الوجد .  
وقوله : «يَغْلِي إِذَا لَمْ يَضْطَرِّمْ» . كأنه جعل الاضطرام أشدَّ من الغلى ،  
والغلى هو اضطرام أيضاً .

و«يُرَى» معناه يحرق . وَالْأَخْتِدَامُ : شدة الحرِّ ، ويقال : وجدت  
للحر حُدْمَةً .

يقول : هو يحرق وإن لم يشتدَّ حرّه .

«وَيُغْصُ إِنْ لَمْ يُشْرِقِ» . فَنَزَلَ مِنَ الْغُلْيَانِ ، وَالاضْطِرَام ، وَالْوَرَى ،  
وَالْأَخْتِدَام - إِلَى الْغَصَصِ ، وَالشَّرْقِ . وليس ذلك بخطأ ولا هو بالجيد ،  
ولا الحلو ، ولا الشَّهَى .

\*\*\*

وقال البحتري :

وَحَرَّضَ شَوْقِي خَاطِرُ الرِّيحِ إِذْ سَرَى وَبَرَّقَ بَدَا مِنْ جَانِبِ الْغَرْبِ لَامِعُ<sup>(٣)</sup>

(١) ديوان أبى تمام ٢١١ وشرح التبريزى ٢ / ٤٠٦ وق « منه فى التى » وفى الديوان « ما لم تصل  
وجدًا بالتى \* تأبى وصالك كالآباء »

(٢) م « صليت » والزيادة من ق

(٣) ديوان البحتري ٧١ ، ٢ / ١٣٠٢ دار المعارف .

وما ذاك أنَّ الشوقَ يَذْنُو بِنَارِحٍ ولا أنى في وَضَلِ عُلُوَّةٍ طامِعُ  
خَلَاً أَنْ وَجَدًا ما يُغِبُّ ، وَلَوْعَةً إذا اضْطَرَمَتْ فَاضَتْ عليها المَدَامِعُ<sup>(١)</sup>

وهذه طريقة البحترى التى يخبر فيها بالثىء على ما هو فيعنى<sup>(٢)</sup> على كل  
بديع ، واستعارة إذا اعتمدها ؛ وذلك لحسن عبارته وتلخيصه .

وقوله : « خَاطِرُ الرِّيحِ » : من الخَطَرَانِ كما قال فى موضع آخر :  
\* كما خَطَرْتُ عَلَى الرُّوضِ القَبُولُ \*<sup>(٣)</sup>

وقال :

شَوْقٌ إِلَيْكَ تَفِيضٌ مِنْهُ الْأَذْمُعُ وَجَوَى عَلَيْكَ تَضِيقٌ عَنْهُ الْأَضْلُعُ<sup>(٤)</sup>  
وَهَوَى تُجَدِّدُهُ اللَّيَالِ كُلَّمَا قَدُمْتُ ، وَتُرْجِعُهُ السَّنُونُ فَيَرْجِعُ

وقال :

هَلْ أَنْتَ مِنْ حَرِّ الصَّبَابَةِ مُنْقِلِدِي أَوْ أَنْتَ مِنْ شَكْوَى الصَّبَابَةِ عَائِدِي<sup>(٥)</sup> ؟  
شَوْقٌ تَلَبَّسَ بِالْفَوَادِ دَخِيلُهُ وَالشَّوْقُ يُسْرِعُ فِي الْفَوَادِ الْوَاجِدِ

ومما أحسن فيه البحترى وأغرب - قوله فى شدة الحب وتمكنه :

غَيْرَ حَبٍّ لِسُلَيْمَى لَمْ يَزِدْ فِيهِ إِسْعَافٌ ، وَلَمْ يَنْقُضْهُ ضَنْ<sup>(٦)</sup>  
ثَبَّتَتْ تَحْتَ الْحَشَا آخِيَةً مِنْهُ لَا يَنْزِعُهَا الْمُهْرُ الْأَرَنْ<sup>(٧)</sup>

(١) فى الديوان « أن شوقاً » وفى م « إذا اضطربت فاظت عليه »

(٢) ق « فيغل »

(٣) سبق البيت فى صفحة ١١٨ .

(٤) ديوان البحترى ٣٣ ، ٢ / ١٣١٠ وفى ل « و جوى إليك »

(٥) ديوانه ٢٩٨ ، ١ / ٥٥١ « أنت فى سفه الصبابة عازى » أم أنت من برح الصبابة »

(٦) ديوانه ٦١٣ ، ٤ / ١٥٤ م « غير حبى » ومن أرن : أى نشط

(٧) ق « آخية » وفى الديوان ٦١٣ « لا يقطعها المهر »

وقد بالغ أيضاً الذى يقول :

أَحْبَبُكَ مَا لَوْ كَانَ بَيْنَ قَبَائِلٍ مِنَ النَّاسِ أَعْدَاءُ - لَجَرَّ التَّصَافِيَا<sup>(١)</sup>

وأبلغ من هذا كله وأجود - قول الأعشى :

كفى بالذى تُولِينُهُ لَوْ تَجَنَّبَا شِفَاءً لِسُقْمٍ بَعْدَ مَا كَانَ أَشِيْبَا<sup>(٢)</sup>

ولكنما كَانَتْ تَوَابِعُ حُبِّهَا تَوَالَى رَبْعَى السَّقَابِ فَأَضْحَبَا

فَتَمَّ عَلَى مَعْشُوقَةٍ لَا يَزِيدُهَا إِلَيْهِ بَلَاءُ السَّوْءِ إِلَّا تَحَبُّبَا

وكان حماد الراوية يتعجب من قوله : « فتم على معشوقه » ، ويقول :

هذا<sup>(٣)</sup> - والله - غاية العشق ، ونهاية الإحسان فى النسب .

يقول : كفى بالذى تولينه من البعد والقطيعة شفاء له من سقم الحب لو تجنَّبَ ، ولكنه لا يقدر على ذاك .

وقوله : « تَوَابِعُ حُبِّهَا » أى ما تتابع وتوالى من حبها كتوالى الربيعى ، وهو : السَّقْبُ الذى نُتِجَ فى أوّل الربيع ، يتنقل مِنْ سِنٍّ إِلَى سِنٍّ حَتَّى قَوَى ومَرَنَ ، وأنقاد<sup>(٤)</sup> . جعل هذا مثلاً لزيادة حبه شيئاً فشيئاً حتى تمكَّن ، فذلك معنى قوله : « تَوَالَى » .

وقد روى « تَوَالَى رَبْعَى » من حال إلى حال ، مِنْ آلٍ يَتُولَى .

وقال « أَبُو حَيَّةَ التَّمِيمِي » فى هذا المعنى ، وجاء به أَكْشَفَ وَأَبْيَنَ وَأَحْسَنَ

مما جاء به الأعشى ، فقال :

لَا مُنْكَرٌ لِقَبِيحٍ مِنْكَ أَعْرِفُهُ إِلَى أَرَاهُ - إِذَا أَرْضَاكِ - إِحْسَانَا

أُحْدِثُ النَّفْسَ مَسْرُورًا بِذِكْرِكُمْ حَتَّى كَانَ الذى قَدْ كَانَ مَا كَانَ

(١) لم أعرف قائله

(٢) ديوان الأعشى ص ٨٨

(٣) م « هو »

(٤) راجع الصحاح لابن فارس بتحقيق ص ٣١٥

ومن هذا أخذ أبو الشَّيْص - والله أعلم - قوله :  
 وَأَهْنَيْتَنِي فَأَهَنْتُ نَفْسِي عَامِدًا      ما من يَهُونَ عَلَيْكَ مِمَّنْ أَكْرَمُ<sup>(١)</sup>  
 ولكنه تناسى في التذلل فأحسن المعنى كل الإحسان ، ولكنَّ الحرَّ  
 الكَرِيمَ الْأَنْفَ : «كثيرُ بن عبد الرحمن» إذ يقول :  
 وَلَمَّا رَأَتْ وَجَدِي بِهَا وَتَبَيَّنَتْ      صَبَابَةَ حَرَّانِ الصَّبَابَةِ صَادٍ  
 أَدَلَّتْ بِبَصِيرٍ عِنْدَهَا وَجَلَادَةً      وَتَحَسِبُ أَنَّ النَّاسَ غَيْرُ جَلَادٍ  
 فَيَا عَزَّ صَادِي الْقَلْبَ حَتَّى يَوَدَّنِي      فُوَادُكَ ، أَوْ رُدِّي عَلَى فُوَادِي<sup>(٢)</sup>  
 وكان هذا مما ينشده «أبو العباس ثعلب كثيراً» ويستحسنه . ذكر  
 ذلك الأَخْفَشُ .

[و] قوله : «صَادِي الْقَلْبَ» أي دَارِيهِ . وَالْمُصَادَاةُ : الْمُدَارَاةُ .  
 وقال «كثير» أيضاً ، وأحسن كل الإحسان :  
 وَكُنْتُ أَلُومُ الْجَازِعِينَ عَلَى الْبُكَاءِ      فَكَيْفَ أَلُومُ الْجَازِعِينَ وَأَجْزَعُ؟  
 وَلِي كَبْدٌ قَدْ بَرَّحْتُ بِي مَرِيضَةٌ      إِذَا سُمْتُهَا الْهَجْرَانَ ظَلَّتْ تَصْدَعُ  
 وَأَظُنُّ «أبا الشَّيْص» أخذ قوله :  
 أَشْبَهْتُ أَعْدَائِي فَصِرْتُ أُحِبَّهُمْ      [إِذْ كَانَ حَظِّي مِنْكَ حَظِّي مِنْهُمْ]<sup>(٣)</sup>  
 من قول كثير :  
 مُجَاوِرَةٌ قَوْمًا عِدِّي لِي صُدُورُهُمْ      أَلَا حَبْدًا مِنْ حُبِّهَا مَنْ تُجَاوِرُ

(١) في الأغاني ١٥/ ١١٠ «من يكرم»

(٢) م «حين يودني»

(٣) الأغاني ١٥/ ١٠٩ والزيادة من ق .

وقد أحسن أيضاً الإحسان كله - الذى يقول :  
وَلَمَّا بَدَأَ لِي مِنْكَ مَيْلًا مَعَ الْعِدَا عَلَيَّ ، وَلَمْ يَحْدَثْ سِوَاكَ بَدِيلًا<sup>(١)</sup>  
صَدَدْتُ كَمَا صَدَّ الرَّيُّ تَطَاوَلَتْ بِهِ مُدَّةُ الْآيَامِ وَهُوَ قَتِيلٌ

\* \* \*

وقال أبو تمام يذكر الوعد وإخلافه :  
وَفِي الْكِلَّةِ الْوَرْدِيَّةِ اللَّوْنِ جُودَرٌ مِنْ الْعَيْنِ وَرَدَ الْخَدَّ ، وَرَدَ الْمَجَاسِدِ<sup>(٢)</sup>  
غَدَتْ مُغْتَدَى الْغَضْبَى وَأَوْصَتْ خِيَالَهَا بِحِرَّانٍ نِضْوِ الْعَيْسِ ، نِضْوِ الْخَرَائِدِ  
وَقَالَتْ : نِكَاحُ الْحُبِّ يُفْسِدُ شَكْلَهُ وَكَمْ نَكَحُوا حُبًّا ، وَلَيْسَ بِفَاسِدِ  
سَاوَى بِهِذَا الْقَلْبِ مِنْ لَوْعَةِ الْهَوَى إِلَى ثَغْبٍ مِنْ نُطْفَةِ الْيَأْسِ بَارِدِ  
وهذه أبيات سخيفة المعانى ، قد أتى فيها بكل قببح وفحش ، لأنه  
قال :

رَمَتْهُ بِخُلْفٍ بَعْدَمَا عَاشَ حَقْبَةً لَهُ رَسْفَانُ فِي قِيُودِ الْمَوَاعِدِ  
وبعد ذلك بيّن بأن الوعد كان مُبَاصَعَةً ، وأنه لما حَقَّقَ المطالبة غضبت ،  
وذلك قوله : « غَدَتْ مُغْتَدَى الْغَضْبَى » .

وقوله : « وَقَالَتْ : نِكَاحُ الْحُبِّ يُفْسِدُ شَكْلَهُ » . فقال هو : « وَكَمْ نَكَحُوا  
حُبًّا وَلَيْسَ بِفَاسِدِ » ، فاحتجت عليه ، واحتج عليها .

وهذه خصومة ومناظرة على ذلك الباب شديدة مُسْتَقْصَاة ما أظن أحداً  
سبقه إلى مثلها .

(١) أمالى القالى ١ / ٢١٧ وحامسة أبى تمام بشرح المزدوق ٣ / ١٢٩٦

(٢) ديوان أبى تمام ١١٦ وفى شرح التبريزى ٢ / ٦٩ « ويرى : من الإنس يمشى فى رفاق

المجاسد »

وقوله بعد هذا :

سَاوَى بِهَذَا الْقَلْبِ مِنْ لَوْعَةِ الْهَوَى إِلَى ثَغْبٍ مِنْ نُطْقَةِ الْيَأْسِ بَارِدٍ<sup>(١)</sup>

هو أيضاً غضب منه لمنعها إتياء مما التمس . ومثل هذا إنما يفصح به  
[الشاعر إذا هَزَلَ وَمَجَنَ . وإنما وصل هذه الأبيات بما افتتحه من قوله :

قَفُّوا جَدُّدُوا مِنْ عَهْدِكُمْ بِالْمَعَاهِدِ وَإِنْ هِيَ لَمْ تَسْمَعْ لِنَشْدَانٍ نَاشِدٍ  
لَقَدْ أَطْرَقَ الرَّبْعُ الْمُحِيلُ لِفَقْدِهِمْ وَبَيْنَهُمْ إِطْرَاقُ ثُكْلَانَ فَاقِدٍ<sup>(٢)</sup>  
وَأَبْقَوْا لِضَيْفِ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ مِنْهُمْ قَرَى مِنْ جَوَى سَارٍ ، وَطِيفٍ مُعَاوِدٍ<sup>(٣)</sup>  
سَقْتَهُ دُعَافاً عَادَةً الدَّهْرِ فِيهِمْ وَسَمُّ اللَّيَالَى فَوْقَ سَمِّ الْأَسَاوِدِ  
بِهِ عَلَّةٌ صَمَاءٌ لِلْبَيْنِ إِنْ لَمْ تُصْخِخْ لِيُبْرَهُ ، وَلَمْ تُوجِبْ عِيَادَةَ عَائِدِ

ومن يقف على المعاهد ، ويصف ما به من الهم ، والحزن ، والجوى ،  
وأن عادة الدهر فيهم سقته الدُّعَاف - وهو السم - ، وأن به علَّة للبين  
صَمَاءٌ لم تُصْخِخْ لبره : أى لم تصخ إليه ، ولم تقرب منه - فلأنه لا يقول  
بعد ذلك كله : إنه كان التمس من المرأة الفاحشة ، وناظرها<sup>(٤)</sup> عليها ،  
وغضب من منعها إتياء . هذا غاية ما يكون من السَّخْف والحمق .

فإن قيل : إن المعاهد التى وقف عليها لم تك معاهد هذه المرأة ذات  
الكِلَّةِ الْوَرْدِيَّةِ اللون ، وإن هذه إنما كانت معه فى الرفاق وهم سائرون ،  
فاستوقفهم لتجديد عهد بديار كان فيها أحباب أول .

(١) م « عن لوعة . . . نقطة الماء »

(٢) م « أطرق الركب »

(٣) فى ديوان أبى تمام وشرحه « الحزن منى بدمهم »

(٤) م « وناظر »



قيل : هذا غلط من التأويل ؛ لأنه قال : « به علة صماء للبين لم تصخ لبرء » ، فأوجب هذا القول أن حُبّه باق غير منصرم .

وإذا كان لم يبرأ حُبّه من امرأة أولى ، فكيف يقف صَحْبُهُ على معاهدها وفيهم امرأة أخرى يهاها ، وقد طالباها سَنَةً ، وهي تَعِدُّهُ ، وذكر أنها أوصت خيالها [به] <sup>(١)</sup> ، وأنه حَرَّان ؟ هذا محال . لم يكن الحب إلا لهذه المرأة ذات الكلة [رحم الله غفلته] .

وقوله : « نضوا العيس » لطول السفر . و« نضوا الخرائد » ، يعنى الخيالات .

ولله در « أبى عبادة » إذ يقول :

لَوْ تُسْعِفِينَ - وَمَا سَأَلْتُ مَشَقَّةً - لَعَدَلْتُ حَرَّ جَوَى بِبَرْدِ رُضَابٍ <sup>(٢)</sup>  
وَلَيْنُ شَكْوَتْ ظَمَايَ إِنَّكَ لِلَّتِي قَدِمًا جَعَلْتَ مِنَ السَّرَابِ شَرَابِي <sup>(٣)</sup>  
وَعَتَبْتَ مِنْ حُبِّكَ حَتَّى إِنْنِي أَخْشَى مَلَأَمَكَ أَنْ أَبْثُكَ مَا بِي <sup>(٤)</sup>

وقال البحتري :

إِذَا رَاجَعْتُ وَضَلًا عَلَى طُولِ هِجْرَةٍ تَرَا جَعْتُ شَيْئًا مِنْ بَلَايَ إِلَى سُقْمِي <sup>(٥)</sup>  
وَقَدْ زَعَمْتُ أَنْ سَوْفَ تُنْجِحُ مَا وَأَتُ وَظَنُّنِي بِهَا الْإِخْلَافَ فِي ذَلِكَ الزَّعْمِ <sup>(٦)</sup>  
خَلِيلِي مَا لِي : لَا شِفَاءَ مِنَ الْجَوَى وَلَا نَعَمَ مَرْجُوَّةُ التَّنْجِحِ مِنْ نَعَمِ <sup>(٧)</sup>

(١) الزيادة من ق

(٢) ديوان البحتري ٣٤١ ، ١ / ٢٩٥

(٣) م « من الشراب شراب »

(٤) ق « أحشى عتابك »

(٥) ديوان البحتري ١٩٠ ، ٣ / ٢٠١٤ « رجعت »

(٦) ق « تنجز ما وأت » والوأي : الوعد

(٧) م ، ق « ما في لا شفاء »

وقال :

بِنَفْسِي مَنْ تَنَأَى ، وَيَدْنُو أَدَّكَارَهَا      وَيَبْذُلُ عَنْهَا طَيْفُهَا وَتَمَانِعُ<sup>(١)</sup>  
خَلِيلٍ : أَبْلَانِي هَوَى مُتَلَوْنٌ      لَهُ شِيمَةُ تَابِي ، وَأُخْرَى تُطَاوِعُ

وهذا - لعمرى - حسن . وأحسن منه قول « كثير » لأنه تمنى الحال التي وصفها البحترى فقال :

والله ما يدرى غريمٌ لَوَيْتِهِ      أَيَسْتَدُّ إِنْ لَاقَاكَ أَمْ يَتَضَرَّعُ<sup>(٢)</sup>  
بَخِلْتُ فَكَانَ الْبَخْلُ مِنْكَ سَجِيَّةً      فَلَيْتَكَ ذُلُونَيْنِ يُعْطَى وَيَمْنَعُ  
وقال [ البحترى ] (٣) :

مَاذَا عَلَى الْآيَامِ لَوْ سَمَحْتَ لَنَا      بِشَوَاءِ أَيَّامٍ لَدَيْكَ قَلَائِلُ؟<sup>(٤)</sup>  
فَأَوَيْتَ لِلْقَلْبِ الْمَعْنَى الْمُبْتَلَى      بِهِوَالكِ ، وَالْبَدَنِ الضَّئِيلِ النَّاحِلِ  
وقال [ أيضاً ] :

فِدَاؤُكَ مَا أَبْقَيْتَ مِنِّي فَإِنَّهُ      حُشَّاشَةٌ حُبٌّ فِي نُحُولِ عِظَامِ<sup>(٥)</sup>  
صَلِي مُغْرَمًا قَدْ وَاتَرَ الشَّوْقُ دَمْعَهُ      سَجَامًا عَلَى الْخَلْدَيْنِ بَعْدَ سَجَامِ<sup>(٦)</sup>  
فَلَيْسَ الَّذِي حَلَلْتِهِ بِمُحَلَّلٍ      وَلَيْسَ الَّذِي حَرَّمْتِهِ بِحَرَامِ

(١) ديوان البحترى ٧١ ، ٢ / ١٣٠٢

(٢) في م ، ق « لاقاني » ولكن الحديث عن « عزة » ويروى : « كريم مطلته أيشد إن قاضاك » كما في الهامس والمسأوى للبيهقي ٣٥١ / ١ وانظر الأغاني ١٧٤ / ١٤ والموشح ١٦٩ .

(٣) الزيادة من ق

(٤) ديوان البحترى ١ / ١٢٩ ، ٣ / ١٦٤٧

(٥) ديوانه ١٠ « حشاشة جسم ... عظامي » وفي ق « فلانها » ، وفي ٣ / ٢٠٠٠ : « حشاشة نفس »

(٦) م « قد أوتر »

وقال :

وَدِدْتُ وَهَلْ نَفْسُ أَمْرِي بِمُليمة  
لو أن سُلَيْمِي أَسْمَحَتْ ، أُولُو أَنَّهُ  
إِذَا هِيَ لَمْ تُعْطَ. الهَوَى مِنْ وَدَادِهَا<sup>(١)</sup>  
أَعِيرَ فُؤَادِي سَلْوَةً مِنْ فُؤَادِهَا<sup>(٢)</sup>

وقال :

أَيَّنَ الْغَزَالُ الْمُسْتَعِيرُ مِنَ الذَّقَا  
ظَمِئْتُ جَوَانِحُنَا إِلَيْهِ وَرِيهَا  
كَفَلًا ، وَمِنْ نَوْرِ الْأَقَاحِي مَبْسَمًا<sup>(٣)</sup>  
فِي ذَلِكَ اللَّعَسِ الْمُمنَعِ وَاللَّمَى<sup>(٤)</sup>  
مُتَعَتِّبٌ فِي حَيْثُ لَا مُتَعَتَّبٌ  
إِنْ لَمْ يَجِدْ جُرْمًا عَلَى تَجَرَّمَا<sup>(٥)</sup>  
أَلَفَ الصُّدُودَ فَلَوْ يَمُرُّ خِيَالُهُ  
بِالصَّبِّ فِي سِنَةِ الْكَرَى مَا سَلَّمَا

وقال :

أَرَى ثِقَةَ الرَّاجِي مُوَاصَلَةَ الْمَهَا  
كَأَنَّ الَّذِي يَكْذِبُنْهُ نَحْبُ نَاذِرٍ  
تَكَادَ دَهَا ، أَوْ آدَهَا شَكُّ خَائِفٍ<sup>(٦)</sup>  
يُقْضَيْنَ مِنْهُ ، أَوْ أَلِيَّةُ خَالِفٍ<sup>(٧)</sup>  
فَلَيْتَ لُبَانَاتِ الْمُحِبِّ رُدْدَنَ فِي  
جَوَانِحِهِ ، أَوْ كُنَّ عِنْدَ مُسَاعِفٍ  
وهذا حسن جدًا .

وقال :

إِذَا قَرَّبْتَ فَهَجْرٌ مِنْكَ يُبْعِدُنِي وَإِنْ بَعَدْتَ فَوَاضِلٌ مِنْكَ يُدْنِي<sup>(٨)</sup>

(١) ديوان البحري ١٠٩ ، ٢ ، ٦٧٤ دار المعارف « معلقة تعط المني »

(٢) في الديوان « سليمي أَسْمَحَتْ »

(٣) ديوانه ٢٢٩ ، ٣ / ١٩٥٨ - ١٩٥٩

(٤) ق « تظني جوانحنا » وفي الديوان : « مرأشفنا إليه »

(٥) م « لا متعَب »

(٦) ديوانه ٣٧٤ ، ١٣٩٠ وفي م « الراجي موافقة »

(٧) في الديوان « كَأَنَّ النوى » وفي ص م « تحت »

(٨) ديوانه ٤١٧ ، ٤ / ٢٢٤٧

تَصَرَّمَ الدَّهْرُ لَا جُسُودٌ فَيُطْمَعِنِي      فِيمَا لَدَيْكَ ، وَلَا يَأْسُ فَيُسْلِبِنِي  
فَلَسْتُ أَعْجَبُ مِنْ عَضِيَّانِ قَلْبِكَ لِي      يَوْمًا إِذَا كَانَ قَلْبِي فِيكَ يَعْصِيَنِي<sup>(١)</sup>

وهذا إحسانه المشهور . ويقال : إنه أخذه من قول « الخليل » :

أَتَطْمَعُ أَنْ يُطِيعَكَ قَلْبُ سَعْدَى      وَتَزْعُمُ أَنَّ قَلْبَكَ قَدْ عَصَاكَ  
وما أحسن ما قال بشار :

وَإِذَا قُلْنَا لَهَا : جُودِي لَنَا      خَرَجَتْ بِالصَّنْتِ مِنْ لَا ، وَنَعَمْ<sup>(٢)</sup>

\* \* \*

وقال أبو تمام في النائل النزر القليل ما هو فوق كل حسن وحلاوة :  
تَأْبَى عَلَى التَّضَرِيدِ إِلَّا نَائِلًا      إِلَّا يَكُنْ مَاءً قَرَاخًا يُمَدَّقِ<sup>(٣)</sup>  
نَزْرًا كَمَا اسْتَكْرَهْتَ عَائِرَ نَفْحَةٍ      مِنْ فَاةِ الْمِسْكِ الَّتِي لَمْ تُفْتَقِ<sup>(٤)</sup>

\* \* \*

وقد تصرف البحتري في جملة معاني هذا الباب تصرفاً كثيراً حسناً .  
ومن ذلك قوله :

ظَلَمْتَنِي تَجَنُّبًا      وَصُدُّوْا      غَيْرَ مُرْتَاعَةِ الْجَنَانِ لِظُلْمِي<sup>(٥)</sup>

(١) م « عمداً إذا » وكذلك في الديوان

(٢) الأغاني ٢٦ / ٣ « وإذا قلت » وكذلك هي في ق

(٣) ديوان أبي تمام ٢١١ وشرح التبريزي ٢ / ٤٠٧ « يقول : تأبى هذه المرأة المحبوبة مع تقليلها النوال ، إلا نيلاً بمنزلة غير خالص ، ووصلاً مشوباً بالامتناع ، فلا تصافى الوصال ولا تترك الإطماع ، فيكون حبيبها أبداً معذباً من جهتها ٢٢ وفي م ، ق « تمذق »

(٤) أى نيلها عندي قليل كأنه عائر من ريح فاة المسك . وروى التبريزي عن المعري : « نزراً كما استكهرت » أى عطاء نزر لا غناء فيه كالرائحة التى تفلت من فاة مسك لم تفتق ، أى بعد نائلها ، كشمة من هذه الفاة ، ولا تغنى هذه الشمة عنا ، فكذلك نائلها

(٥) ديوان البحتري ٣١٧ ، ٣ / ١٩٤٠

وَيَسِيرُ عِنْدَ الْقَتُولِ إِذَا مَا  
أَجِدُ النَّارَ تُسْتَعَارُ مِنَ النَّارِ  
أَثِمْتُ فِي أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي<sup>(١)</sup>  
رِ وَيَنْشَأُ مِنْ سُقْمِ عَيْنَيْكَ سُقْمِي

وقوله :

لَوِشْتِ عُدَّتِ إِلَى التَّنَاصُفِ فِي الْهَوَى  
أَخْنُو عَلَيْكَ فِي فُؤَادِي لَوْعَةً  
وَلِذَا هَمَمْتُ بِوَصْلِ غَيْرِكَ رَدَدَنِي  
وَأَعِزُّ ، ثُمَّ أَذِلُّ ذِلَّةَ عَاشِقٍ  
وَبَدَلْتُ مِنْ مَكْنُونِهِ مَا أَبْذُلُ<sup>(٢)</sup>  
وَأَصْدُّ عَنْكَ وَوَجْهَهُ وَدَى مُقْبِلُ<sup>(٣)</sup>  
وَلَهُ إِلَيْكَ ، وَشَافِعُ لَكَ أَوَّلُ<sup>(٤)</sup>  
وَالْحُبُّ فِيهِ تَعَزُّزٌ وَتَذَلُّلٌ

وقوله :

وَبِي ظَمًا لَا يَمْلِكُ الْمَاءُ دَفْعَهُ  
تَزَوَّدْتُ مِنْهَا نَظْرَةً لَمْ تَجِدْ بِهَا  
وَمَا كَانَ حَظُّ الْعَيْنِ فِي ذَلِكَ مَذْهَبِي  
أَعْبِدُكَ أَنْ تُمَنِّى بِشُكْوَى صَبَابَةٍ  
وَيَخْزُنُنِي أَنْ تَعْرِفِي الْحُبَّ بِالْجَوَى  
إِلَى نَهْلَةٍ مِنْ رِيْقِهَا الْخَصِرِ الْعَذْبِ<sup>(٥)</sup>  
وَقَدْ يُؤْخِذُ الْعَلَقُ الْمُنْعُ بِالْغَضَبِ  
وَلَكِنْ رَأَيْتُ الْعَيْنَ بَاباً إِلَى الْقَلْبِ  
وَلِإِنْ أَكْسَبْتَنَا مِنْكَ عَطْفًا عَلَى الصَّبِّ<sup>(٦)</sup>  
وَلِإِنْ نَفَعْتَنَا فِيكَ مَعْرِفَةُ الْحُبِّ<sup>(٧)</sup>

وقوله :

نَظَرْتُ ، وَكَمْ نَظَرْتُ فَأَقْصَدْتَنِي  
فُجَاءَاتُ الْبُدُورِ عَلَى الْغُصُونِ<sup>(٨)</sup>

(١) م « عند القتيل . . أثمت فيه »

(٢) ديوان البحري ٢٣ ، ١٥٩٩/٣

(٣) في الديوان « أخنو إليك »

(٤) م « وله عليك »

(٥) ديوانه ٤٠٢ ، ١٠٤ / ١ دار المعارف

(٦) في الديوان « أكسبتنا »

(٧) م « أن تعرف » في الديوان « ولو نفعتنا منك »

(٨) ديوان البحري ١٣٨/٤ ، ٢٢٦٦ وفي م « وكم من نظرت »

وَرَبَّةٌ نَظَرَةٌ أَقْلَعَتْ عَنْهَا بِسُكْرِ فِي التَّصَابِي ، أَوْ جُنُونٍ  
فِيَا لِلَّهِ مَا تَلَقَّى الْقُلُوبُ إِلَّا هَوَائِمُ مِنْ جَنَائَاتِ الْعُيُونِ  
وَقَدْ يَتَسَّ الْعَوَازِلُ مِنْ فُؤَادٍ لَجُوجٍ فِي غَوَايَتِهِ حَرُونَ  
وقوله :

قَالَ بَطْلًا ، وَأَقَالَ الرَّأْيَ مَنْ لَمْ يَقُلْ : إِنَّ الْمَنَايَا فِي الْحَدَقِ<sup>(١)</sup>  
إِنْ تَكُنْ مُخْتَسِبًا مَنْ قَدْ ثَوَى لِحِمَامٍ فَاخْتَسِبْ مَنْ قَدْ عَشَقَ  
يَمْلَأُ الْوَاشِيَ جَنَانِي دُغْرًا وَيُعْنِيَنِ الْحَدِيثُ الْمُخْتَلَقُ<sup>(٢)</sup>  
حُبَّهَا أَوْ فَرَقًا مِنْ هَجَرِهَا وَصَرِيحُ الذَّلِّ حُبٌّ أَوْ فَرَقٌ  
قوله : «يُعْنِيَنِ الْحَدِيثُ الْمُخْتَلَقُ» - من أحسن المعاني وأحلاها ،  
وأجراها في عادات كل عاشق - فأراد يعنيني اختلاق الحديث ، وهو  
أخترأصه أى يُنصِّبِنِي ، ويحزني ؛ لشدة حبي لها ، وخوفي من هجرها .  
والألف في قوله : «أَوْ» في البيت مقحمة في الموضعين ؛ وإنما أراد  
حبها وفرق هجرها ، وصريح الذل حب وفرق ، ولم يرد بإدخال الألف أحدهما  
وقال «آخر» في نحو هذا :

تُكَلِّبُنِي فِي الْحَبِّ سَلَمَى ، وَلَيْسَ لِي شُهُودٌ ، وَأَنْنَى بِالشُّهُودِ عَلَى صِدْقِ  
مِوَى ذَوْبِ جِسْمِي ، وَأَنْتِ كَاثِبُ شَاشَتِي وَرَوْعَةٌ قَلْبِي بِالْأَبَاطِيلِ وَالْحَقِّ

[قوله : «رَوْعَةٌ قَلْبِي بِالْأَبَاطِيلِ وَالْحَقِّ»] <sup>(٣)</sup> نحو قول البحتري :

\* وَيُعْنِيَنِ الْحَدِيثُ الْمُخْتَلَقُ \*

(١) ديوان البحتري ٣٢٢ ، ١٤٧٢

(٢) ق «الواشي حياتي»

(٣) الزيادة من ق

وهذا البيت حسن التقسيم .

كان بعض شيوخ الأدب تعجبه<sup>(١)</sup> التقسيمات في الشعر ، وكان مما

يعجبه قول عباس بن الأحنف :

وَصَالِكُكُمْ هَجْرٌ ، وَحُبُّكُمْ قِلَى وَعَظْفُكُمْ صَدٌّ ، وَسَلْمُكُمْ حَرْبٌ<sup>(٢)</sup>

ويقول : هذا أحسن من تقسيمات إقليدس .

وقال أبو العباس ثعلب : سمعت « سيد العلماء » يستحسنه . يعنى ابن الأعرابي<sup>(٣)</sup> .

ونحو هذا ما أنشده المبرد لأعرابي ، وليس هو عندى من كلام الأعراب ، وهو بكلام المولدين أشبه :

وَأَذْنُو فَتَقْصِينِي ، وَأَبْعُدُ طَالِباً رِضَاهَا فَتَعْتَدُ التَّبَاعِدَ مِنْ ذَنْبِي<sup>(٤)</sup>  
وَشَكْوَايَ تُؤْذِيهَا ، وَصَبْرِي يَسُرُّهَا وَتَجْزَعُ مِنْ بُعْدِي . وَتَنْفِرُ مِنْ قُرْبِي<sup>(٥)</sup>

(١) ق « وكان محمد بن موسى بن شاعر المنجم تعجبه »

(٢) ديوان العباس بن الأحنف ٩٩

(٣) في ق بعد ذلك تعليق أدرج في أصل الكتاب ، وهو : « وقال عبد السلام : أنشدني أبو الحسن : عمر بن أبي عمر السنجزي قال : روى لنا ابن طباطبا ، رضى الله عنه في آخر كتاب « عيار الشعر » - للبحترى ، ولم أجده في شعر البحترى .

وفى أربع منى حلت منك أربع فإنا دار أيها هاج لى كربى  
أوجهك فى عيى أم الريق فى فى أم النطق فى سمى أم الحب فى قلبى ؟

ولكنهما فى عيار الشعر ١٢٨ لقاتل غير معين . ونقلهما أبو هلال المسكرى فى الصنائع عن  
كذلك من غير نسبة . وهما غير منسوبين فى نهاية الأرب ٢ / ٣٣ وهما لابن الرومى فى المنتظم ٥ / ٦٦

(٤) هما فى ثلاثة آخر فى الكامل ١ / ٢٤٥

(٥) فى ق بعد هذا البيت « وههنا زيادة بيت أنشده المبرد وهو :

فهل عندكم من حيلة تعلمونها أشيروا بها واستوجبوا الشكر من ربى  
وهو أدون الأبيات الثلاثة »

وقول البحتري :

وَلِي هَفَوَاتُ بَاعِثَاتُ لِي الْجَوَى      يُعْرِضُنِي مِنْ بَرَحِهِ لِلْمَتَالِفِ<sup>(١)</sup>  
كَأَنَّ الْعُيُونَ الْفَاتِنَاتِ تَعَاوَنَتْ      عَلَى تِرَةٍ عِنْدَ الْعُيُونِ الذَّوَارِفِ<sup>(٢)</sup>

وقوله :

وَإِذَا كَسَرْنَ جَفُونَهُنَّ نَظَرْنَ مِنْ      مَرْضَى - يَشْفُكَ سِخْرُهُنَّ - صِحَاحِ<sup>(٣)</sup>  
تَظْمًا إِلَيْهِنَّ الْقُلُوبُ ، وَقَدْ تَرَى      فِيهِنَّ رَىَّ الْحَائِمِ الْمُلْتَاحِ<sup>(٤)</sup>  
وَالْحُبُّ سَقَمٌ لِلصَّحِيحِ إِذَا غَلَا      فِيهِ الْمَحَبُّ ، وَنَشْوَةُ لِلصَّاحِي<sup>(٥)</sup>  
بَكَرَ الْعُتُولُ فَكَفَّ غَرْبَ بَطَالَتِي      وَبَدَا الْمَشِيبُ فَرَدَّ غَرْبَ جِمَاحِي  
قَدْ آنَ أَنْ أَغْصِيَ الْغَوَايَةَ إِذْ نَضَا      صَبَغُ الشَّبَابِ ، وَأَنْ أُطِيعَ الْلَاحِي

وقوله .

جُنُونِي إِلَى سَعْدَى ، وَسُعْدَى خَلِيَّةُ      وَصَغْوِي إِلَى سُعْدَى، وَسُعْدَى تَجَنَّبُ<sup>(٦)</sup>  
إِذْ لَيْسَتْ كَانَتْ جَمَالَ لِبَاسِهَا      وَتَسْلُبُ قَلْبَ الْمُجْتَلِي حِينَ تَسْلُبُ<sup>(٧)</sup>  
وَسَمِيَّتُهَا مِنْ خَشْيَةِ النَّاسِ زَيْنَبًا      وَكَمْ سَتَرْتُ حُبًّا عَنِ النَّاسِ زَيْنَبُ<sup>(٨)</sup>

(١) ديوان البحتري ٣٧٤ ، ٣ / ١٣٩٠

(٢) م « العيون الروادف »

(٣) ديوانه طبع بيروت ١ / ١٢٤ ، ١ / ٤٧٦ دار المعارف

(٤) ق والديوان « الهائم الملتاح »

(٥) ق والديوان « سقم للحبيب »

(٦) ديوانه ٦٠٧ ، ١ / ١٣٤ « جنوني في ليل وليل خلية \* وصغوي في ليل وليل »

(٧) م « وتسلب حب » وفي الديوان « لب »

(٨) م « على الناس »



غَضَارَةُ دُنْيَا شَاكَلَتْ بِفُنُونِهَا مُعَاقِبَةَ الدُّنْيَا الَّتِي تَتَقَلَّبُ  
وَجَنَّةُ خُلْدٍ عَذَّبَتْنَا بِدَلَّهَا وَمَا خِلْتُ أَنَا فِي الْجَنَانِ نَعَذَّبُ<sup>(١)</sup>

وهذا البيت يزيد على إحسان كل محسن في الغزل<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

ولا خفاء بفضل «أنى عبادة» على «أبى تمام» فى هذا الباب .

( ١ ) فى الديوان « بالحنان »

( ٢ ) فى ق بعد ذلك « والرواية : وجنة دنيا . ولا خفاء فى تفضيل ... »

## ما قيل في ائتلاف المحبين

قال البحتري :

وَجَدْتَ نَفْسَكَ مِنْ نَفْسِي بِمَنْزِلَةٍ هِيَ الْمَصَافَاةُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالرَّاحِ<sup>(١)</sup>

وهذا حسن جداً ، وأظنه أخذه من قول «بشار» :

وَإِذْ نَلْتَقِي خَلْفَ الْعُيُونِ كَأَنَّنَا سُلاَفُ عُقَارٍ بِالنُّقَاحِ مَشُوبُ<sup>(٢)</sup>

أخذه أيضاً من قول «ابن أبي عُيَيْنَةَ»<sup>(٣)</sup> فقال :

ذَاكَ إِذْ رُوحُهَا وَرُوحِي مِزَاجًا نِ كَأَصْفَى خَمَرٍ بِأَعْدَبِ مَاءٍ<sup>(٤)</sup>

وقول البحتري أيضاً أجود من البيتين . وأخذه «عباس بن الأحنف» فقال :

مَا أَنْسَ لَا أَنْسَ يُمْنَاهَا مُعْطَفَةٌ عَلَى فَوَادِي ، ويسرها على راسي<sup>(٥)</sup>

وَقَوْلَهَا : لَيْتَهُ ثَوْبٌ عَلَى جَسَدِي أَوْلَيْتَنِي كُنْتُ سِرْبَالاً لِعَبَّاسٍ

أَوْلَيْتَهُ كَانَ لِي خَمَرًا ، وكنتُ له من ماءٍ مُزِنٍ فَكُنَّا الدَّهْرَ فِي كَاسِ

(١) ديوان البحتري ٥٨ ، ١ / ٤٤٢ دار المعارف ، وأمالى المرتضى ٦٤ / ٢

(٢) ديوان بشار ١٨٥ / ١ وأمالى المرتضى ٦٣ / ٢

(٣) م «غينية»

(٤) أمالى المرتضى ٦٤ / ٢ في الأغاني ١٧ / ١٣ بعد البيت : «قال محمد بن يزيد : وقد أخذ

المعنى غيره منه ، ولم يسمه وهو البحتري فقال :

جعلت حبك من قلبي بمنزلة هي المصافاة بين الماء والراح

(٥) ديوان العباس بن الأحنف ١٥٦ وأمالى المرتضى ٦٤ / ٢

وَأَخَذَهُ «عَلَى بَنِ الْجَهْمِ» ، وجعله في العِناق [فقال] <sup>(١)</sup> :  
 وَبَيْتَنَا عَلَى رَغَمِ الْحُسُودِ كَأَنَّنا خَلِيطَانِ مِنْ مَاءِ الْغَمَامَةِ وَالْخَمْرِ <sup>(٢)</sup>  
 وَأَجُودُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ وَأَحْلَى ، وألطف معنى - قول «بِشَّارِ» :  
 لَقَدْ كَانَ مَا بَيْنِي زَمَانًا وَبَيْنَهَا كَمَا بَيْنَ رِيحِ الْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ الْوَرْدِ <sup>(٣)</sup>

وقال «عبد الصَّمَد بن المُعَدَّل» في العناق والاختلاط :  
 كَأَنِّي عَانَقْتُ رِيحَانَةً تَنَفَّسْتُ فِي لَيْلِهَا الْبَارِدِ <sup>(٤)</sup>  
 فَلَوْ تَرَانَا فِي قَمِيصِ الدُّجَى حَسِبْتَنَا فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ  
 وهذا أحسن من بيتي «العباس» الأولين .

وقال البحتري :  
 وَلَمْ أَنْسَ لَيْلَتَنَا فِي الْعِنَا قِيْلَ الصَّبَا بِقَضِيبٍ قَضِييَا <sup>(٥)</sup>  
 وما زلت أسمع أهل العلم بالشعر يقولون إن هذا البيت أجود ما قيل في  
 العناق ؛ لأنه أصاب حقيقة التشبيه بأجود لفظ . وأحسن نظم .  
 ومثله قول «آخر» وجدته في الأناشيد ، ولست أدري أيهما أخذ من صاحبه :  
 وَضَمُّ لَا يُنْهِنُهُ ، وَأَعْتِنَاكُ كَمَا أَلْتَفَّ الْقَضِيبُ عَلَى الْقَضِيبِ <sup>(٦)</sup>

(١) الزيادة من ق .

(٢) ديوان علي بن الجهم ١٤٤ وحماسة ابن الشجري ١٩٦ وأمالى المرتضى ٦٣ / ٢

(٣) ديوان بشار ٣١٤ / ٢ وأمالى المرتضى ٦٤ / ٢

(٤) نقلهما المرتضى في أماليه ٦٢ / ٢ وهما في حماسة ابن الشجري ١٩٦ والمختار من شعر بشار

٢٩٥ ونسبا لابن المعتز في أمالي القالي ١ / ٢٢٦ وفي م «كأنني علقت»

(٥) ديوان البحتري ٩٢ ، ١٥٠ / ١ «وأنس ليلتنا»

(٦) نقله المرتضى من هنا ٦٣ / ٢ ومن عجب أنه قدم له بقوله : «ولآخر في مثل هذا المعنى ،

ولسنا ندرى هل سبق البحتري أو تأخر عنه !!

وبيت «البحترى» أجود سبكاً ، وأحلى لفظاً ؛ لقوله : «لَفَّ الصَّبَا» ؛  
لأن القضيبي إنما يلتف بالقضيبي بالريح .

وقد قال «بشار» في نحو هذا ، وأظن هذين منه أخذا :  
إِنِّي أَشْتَهِي لِقَاءَكَ وَاللَّهِ فَمَاذَا عَلَيْكَ مِنْ لُقْيَانِي<sup>(١)</sup>  
قَدْ تَلَفَ الرِّيحُ غُصْنًا مِنَ الْبَا نِ إِلَى مِثْلِهِ فَيَلْتَقِيَانِ  
وقال «علي بن الجهم» في وكيد الالتزام :

سَقَى اللَّهَ لَيْلًا ضَمْنَا بَعْدَ هَجْعَةٍ وَأَذْنَى فَوَادًا مِنْ فَوَادٍ مُعَلَّبٍ<sup>(٢)</sup>  
فَبِتْنَا جَمِيعًا لَوْ تُرَاقُ زُجَاجَةٌ مِنَ الرَّاحِ فَمَا بَيْنَنَا لَمْ تَسْرَبِ  
وهذا أيضاً حسن لفظاً ومعنى .

\*\*\*

وأحسن ما قيل في المضاجعة قول «امريء القيس» :  
تَقُولُ وَقَدْ جَرَّدْتُهَا مِنْ ثِيَابِهَا كَمَا رَغْتَ مَكْحُولًا مِنَ الْعَيْنِ أَتْلَعًا<sup>(٣)</sup>  
وَجَدَكَ لَوْ شِئْتُ أَتَانَا رَسُولُهُ سِوَاكَ وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَذْفَعًا  
فَبِتْنَا نَذُودُ الْوَحْشَ عَنَّا كَأَنَّنَا قَتِيلَانِ لَمْ يَعْلَمْ لَنَا النَّاسُ مَضْرَعًا  
تَجَافَى عَنِ الْمَآثُورِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا وَتَذْنَى عَلَى السَّابِرِيِّ الْمُضْلَعًا  
إِذَا أَخَذَتْهَا هِزَّةُ الرُّوعِ أَمْسَكَتْ بِمَنْكَبٍ مِقْدَامٍ عَلَى الْهَوْلِ أَرْوَعًا  
وهذا لا شيء أجود منه ، ولا أحلى ، ولا أبرع ؛ وقد أخبر بالأمر على ما كان .

(١) أمالي المرتضى ٢ / ٦٣ «عليك أن تلقاني» .

(٢) ديوان علي بن الجهم ٨٥ وحامسة ابن الشجري ١٩٦ وأمالي المرتضى ٢ / ٦٢ والمختار من

شعر بشار ٢٩٥

(٣) حماسة ابن الشجري ١٩٥ وأمالي المرتضى ٢ / ٦٢ وفي ديوانه ١١٣ وق «مكحول المدايع»

وقد أحسن أيضاً «عبد بنى الحشاحس» في قوله :  
 وَبِئْنَا وَسَادَانَا إِلَى عَلْجَانَةٍ وَحَقْفٍ تَهَادَاهُ الرِّيحُ تَهَادِيَا<sup>(١)</sup>  
 فَمَا زَالَ بُرْدِي طَيِّباً مِنْ ثِيَابِهَا إِلَى الْحَوْلِ حَتَّى أَنْهَجَ الْبُرْدُ بِأَلِيَا<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

ولست أعرف لأبي تمام في هذا الباب شيئاً .

---

(١) ديوان سحيم ١٩ - ٢٠ وبينهما أبيات . وهو في اللسان ١٥٢ / ٣ وفي م « وسادتنا على »  
 والعليانة . شجرة اختلف في وصفها . والحقف : ما اعوج من الرمل واستطال .  
 (٢) ديوان المعاني ١ / ٢٦٠ واللسان ٢٠٧ / ٣ ، وأنهج البرد : أى أخذ في البلى .

## باب فى نوح الحمام

قال أبو تمام :

أَتَضَعُضَتْ عِبْرَاتُ عَيْنِكَ أَنْ دَعَتْ      وَرَفَاءُ حِينَ تَضَعُضَعِ الْإِظْلَامُ<sup>(١)</sup>  
لَا تَنْشِجَنَّ لَهَا ؛ فَإِنَّ بُكَاءَهَا      ضَحِكٌ ، وَإِنَّ بُكَاءَكَ اسْتِغْرَامُ  
هُنَّ الْحَمَامُ فَإِنْ كَسَرْتَ عِيَاةً      مِنْ حَائِثِهِنَّ فَإِنَّهُنَّ حِمَامُ<sup>(٢)</sup>

قوله : « أَتَضَعُضَتْ عِبْرَاتُ عَيْنِكَ » . أى وهت ، وانحل نظامها .

وقوله : « حِينَ تَضَعُضَعِ الْإِظْلَامُ » : أى حين تَقْوُضُ إِلَّا أَقْلَهُ .

والتَّشِيجُ : البكاء .

وهنا معارضات عورض بها أبو تمام فى هذه الأبيات ، وهى أن قيل :

قوله : « أَتَضَعُضَتْ عِبْرَاتُ عَيْنِكَ » إنكار على نفسه البكاء من أجل  
دعاء حمامة ، كأنه يُخَسِّسُ<sup>(٣)</sup> أمرها ، فما وجه قوله : « فَإِنَّهُنَّ حِمَامُ ؟ »  
فسهّل أمرها أولاً ، ثم أعظمه هذا التعظيم آخرًا . هذا عين المناقضة .  
ثم من ذا رآه قتله بكاء الحمام<sup>(٤)</sup> حتى يجعلهن حِمَاماً ؟ وزعم أن بكاءها  
ضَحِكٌ ، والحَمَامُ إنما ينوح لفقد إلفه وفراخه فيطيل الترنّم والنوح ،  
فكيف يكون ذلك ضَحِكاً أَوْ كَالضَّحِكِ ؟

(١) ديوان أبى تمام ٢٧٩ وشرح التبريزى ٣ / ١٥٢ والزهرة ٢٤٢ ويروى « أتحدرت »  
و « أتصعصعت » . . تصعصع « والتصعصع : التفرق والاضطراب

(٢) الصناعتين ١١٨ وعيون الأخبار ١ / ١٥٠

(٣) م « يحسن »

(٤) م « حمامة »

فقيل للمعارضين : وأى دليل في [قوله] <sup>(١)</sup> : « أتضعضعت عبرات عينك أن <sup>(٢)</sup> دعت ورَقَاءَ » - على أنه خَسَسَ <sup>(٣)</sup> أمر الورقاء وهي الحمامة ، وحقَّره حتى يكون قوله : فإنهن <sup>(٤)</sup> حِمَام - نقضاً لهذا المعنى .

فقالوا : هذا مذهب من مذاهب العرب معروف في تهوين أمر الحمامة ، وتعنيف من يبكي لبكاؤها . ومن ذلك قول « البحتري بن عزاfer الحرشي » :  
 أَلِنْ غَرَدَتْ يَوْمًا بِوَادٍ حَمَامَةٌ بَكَيتَ ، وَلَمْ يَغْذُرَكَ بِالْجَهْلِ عَاذِرُ  
 فقوله : « أَلِنْ غَرَدَتْ حمامةٌ بكيت » - تهوين لأمر الحمامة في تغريدها ، أى ذلك لا يوجب البكاء . وهذه الألف تسمى ألف التوبيخ .

ونحوه قول « ابن الدُمَيْنَةِ » :

أَنَّ هَتَفَتْ وَرَقَاءَ فِي رَوْنَقِ الضُّحَى عَلَى غُصْنِ غَضِّ النَّبَاتِ مِنَ الرَّندِ <sup>(٥)</sup>  
 بكيتَ كما يبكي الوليدُ ، وَلَمْ تَكُنْ جَلِيدًا ، وَأَبْدَيْتَ الَّذِي لَمْ تَكُنْ تُبْدِي  
 فقال : « بكيت كما يبكي الوليد » يعنى الصَّبِيَّ .

ومثله قول « الأَحوص » :

أَنَّ نَادَى هَدِيلاً يَوْمَ فَلَجٍ مَعَ الْإِشْرَاقِ فِي فَنَنِ حَمَامُ  
 ظَلَلَتْ كَانَ دَمْعَكَ دُرٌّ سَلَكِ هَوَى نَسَقًا ، وَأَسْلَمَهُ النَّظَامُ

ونحوه قول « آخر » من بني قُشَيْر - وأنشده أبو حاتم :

أَتَجَزَّعُ أَنْ وَرُقُ الْحَمَامِ تَغَرَّدَا بَكَى شَجْوَهُ ، أَوْ جَاوَبَ الْيَوْمَ هُذْهَذَا <sup>(٦)</sup>

(١) الزيادة من ق

(٢) م « أى »

(٣) ق « حسن »

(٥) الأغاني ١٥ / ١٥٦ والحيوان ٣ / ٣٨٠ والزهرة ٢٤١ والأول في الكامل ٢ / ٥٠٦ وديوان

ابن الدمينه ٨٥

(٦) م « أو جادت »

ومثله في أشعارهم [كثير] <sup>(١)</sup> موجود .

وإلى هذا المعنى ذهب أبو تمام في قوله : « أتضعضعت عبرات عينك » كأنه يوبخ نفسه على البكاء من أجل بكاء حمامة . ولما قال : « فلنهن حمام » ، كانت هذه مناقضة ظاهرة .

وهذه <sup>(٢)</sup> - لعمري - معارضة . غير أن أبا تمام قد يجوز أن لا يكون اعتمد تهوين أمر الحمامة كما اعتمد هؤلاء الشعراء ، وأن يكون توبيخه <sup>(٣)</sup> لنفسه ليس على هذا الوجه ، بل إنما أراد : لا تبك لبكاء الحمام ، فإنك تسمعه دائماً يُغرّد ، فإن كنت كلماً سمعته بكيتَ وحزنت - طَالَ بكاؤكَ وحزنُك . وذلك كما قال الآخر <sup>(٤)</sup> :

أَنْ زُمْ أَجْمَالُ ، وفَارَقَ جِيرَةُ وصاحَ غرابُ البَيْنِ - أَنْتَ حَزِينُ؟

وقد عيبَ هذا الشاعر في هذا <sup>(٥)</sup> المعنى ، وقيل : إذا كان هذا لا يحزن فأي شيء يحزن ؟

ولا شك في أن ظاهر هذا القول قبيح ؛ لمخالفته ما في عادات الناس . إلا أني أظن هذا الشاعر ما ذهب في هذا القول إلى تهوين هذه الأشياء ، وتحقيرها ، وإنما أراد أن مثل هذا يقع دائماً ، فإن <sup>(٦)</sup> كان كلماً شاهدته ورأيتَه حزنت - طَالَ حزنُك .

(١) الزيادة من ق

(٢) م « وهذا »

(٣) م « يكون توبيخه »

(٤) م « لما قال » وفي ق « قال كثير » والبيت لكثير في الموشى ١٠٦

(٥) ق « هذا » وقد عابه بذلك : عقيلة بنت عقيل بن أبي طالب ، كما في الموشح ١٦٠ - ١٦١

(٦) ق « وإن كنت »



وقد قال «مُرَّةُ النَّهْدِيِّ» :

أَنْ سَجَعْتُ فِي بَطْنِ وَادٍ حَمَامَةً تُجَاوِبُ أُخْرَى مَاءَ عَيْنَيْكَ غَاسِقُ<sup>(١)</sup>  
كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ بُكَاءَ حَمَامَةٍ بَلِيلٍ ، وَلَمْ يَحْزَنْكَ إِلَّا مَفَارِقُ  
وَلَمْ تَرِ مَشْغُوفًا بِشَيْءٍ تَحِبُّهُ . سِوَاكَ وَلَمْ يَعْشَقْ كِعِشْقِكَ عَاشِقُ<sup>(٢)</sup>

فقال : «أَنْ سَجَعْتُ» يُوَبِّخُ نفسه على البكاء لبكاء حمامة . ولم يذهب في ذلك إلى تَخْصِيسِ أمرها ، بل إلى ما قد دل عليه [قوله] <sup>(٣)</sup> : «كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ بِكَاءِ حَمَامَةٍ» . أَيْ قد حَزَنْتَ لذلك<sup>(٤)</sup> كثيراً ، وبليت للحزن على مفارقة الإلف دائماً ، ورَأَيْتَ مَنْ حَالُهُ كحَالِكَ أَبَدًا ، فينبغي أَنْ تقصر .

فكذلك هؤلاء الشعراء في الأبيات المتقدمة جائز أَنْ لا يكونوا هَوَّنُوا أَمْرَ الحمامة ، إِنْ كانوا اعتمدوه ، على أَنَّهُ هين عندهم وعلى<sup>(٥)</sup> الحقيقة ، إنما ذهبوا في ذلك إلى أَنْ يَرُدُّعُوا نَفْسَهُمْ عَنِ الْبُكَاءِ ، فغير منكر ممن أَرَادَ أَنْ يردع نفسه عن شيء أَنْ يَهُونَ السبب الجالب لذلك<sup>(٦)</sup> الشيء وَيُحَقِّرُهُ ، وَإِنْ كَانَ عَظِيمًا .

غير أَنَّ أَبَا تمام أَوْقَعَ التوبيخ على نفسه كما فعلوا ، وذهبوا إلى تهوين أَمْرِ الحمامة ، وذهب هو إلى تعظيمه في قوله : «فإنهن حِمَامٌ» . فوافقهم في التوبيخ ، وخالفهم في المعنى ، كقائل قال لرجل : أمثلك يسامى عمرا ؟

(١) م «عاشق» وذكر القالي أَنَّهُ للموام بن عقبة ١ / ١٣١ وفي حماسة ابن الشجرى ١٧٢ للصمة ابن عبد الله القشيري ، ومن غير نسبة في أمالي اليزيدي ٥٠

(٢) م ، ق «لعشك»

(٣) الزيادة من ق

(٤) ق «أَيْ قد سمعت ذلك كثيراً»

(٥) ق «على»

(٦) م «إلى ذلك»

ويقول له قائل آخر كهذا القول سواء ، ويكون أحدهما مُصَغَّرًا [له] <sup>(١)</sup> عن مُسَامَاةٍ عمرو ، والآخر مُكَبَّرًا معظماً ، فيستويان في اللفظ ، ويختلفان في المعنى .

وقد تقدم الناس أبا تمام في مثل قوله : « فإِنَّهُمْ حِمَامٌ » ، وقد ذكروا أن تَغْرِيدَ الحمام يُبْلَى ، وَيُمَيَّت ، وَيَقْتَل . وهو المذهب الأعم الأكثر ، فمن ذلك قول « نُصَيْب » :

مُحَلَّاةٌ طَوْقٍ كَانَ مِنْ غَيْرِ شَرِيَةٍ      بِمَالٍ ، وَلَمْ تَغْرَمْ لَهُ جُعْلَ دِرْهَمٍ  
أَمُوتُ لِنَبِكَاهَا أَسَى إِنْ عَوَّلَتِي      وَوَجَدِي بِسُعْدَى شَجْوَهُ غَيْرُ مُنْجِمٍ <sup>(٢)</sup>

وقال [آخر] <sup>(٣)</sup> :

أَلَا يَا حَمَامَاتِ اللُّوَى عُنْدَ عَوْدَةٍ      فَإِنِّي إِلَى أَصَوَاتِكُنَّ حَزِينٌ <sup>(٤)</sup>  
فَعُنْدَ فَلَمَّا عُنْدَ كِدَنْ يُحِثَّنِي      وَكَدْتُ بِأَخْزَانِي لَهُنَّ أُبِينُ

[وقال آخر :

وهِيجَنِي - فَأَهْتَجْتُ لِلشُّوقِ وَالصَّبَا - مُطَوَّقَةٌ خَطْبَاءُ عَالٍ رَنِينَهَا  
تَمُوتُ لَهَا نَفْسُ الْحَزِينِ صَبَابَةً      إِذَا مَا دَعَتْ وَهْنًا وَغَنَتْ غُنُونَهَا] <sup>(٥)</sup>

(١) م « مصدأ عن » .

(٢) أمالي المرتضى ١ / ٣٣٠ « لميكاهها أسي » ونجم : مقلع .

(٣) الزيادة من ق .

(٤) الأمالي ١ / ١٣٢ والزهرة ٢٤٠ من غير نسبة ، وفي نهاية الأرب ٢ / ٢٦٣ لمجنون ليل .

وتنسب لعبد الله بن المدينة كما في ديوانه ٣٩ ، ٢٢٤

(٥) الزيادة من ق وفيها « غنونها » والغنون : الأصوات .

وقال [آخر] :

أَلَا يَا حَمَامَ الشَّعْبِ مِنْ غِيْظَةِ اللّٰوِي رِدِي الْمَاءَ لَا تُؤْخِذْ عَلَيْكَ الْكَظَائِمُ<sup>(١)</sup>  
حَمَائِمُ قَدْ أَبْلَيْتَنِي ، وَقَتَلْتَنِي كَأَنَّ لَمْ يَهْمُ قَبْلِي مِنَ النَّاسِ هَائِمُ  
وذكر هذا أنهن<sup>(٢)</sup> أَبْلَيْتَنِي ، وقتلته ، فما وجه الإنكار على أبي تمام قوله :

« فلئن حمام ؟ »

فإن قيل : إنما أراد هولاء الشعراء إماتة الحب ، وقتل الحب الذي هو  
التذليل والتّيسيم ، ولم يريدوا القتل الذي هو الإيتان على النفس ، ولا  
الموت الوجي [والحمام]<sup>(٣)</sup> ليس من هذا في شيء ؛ لأنه قَلَرُ الموت المَقْدُور ،  
وقضاؤه المَحْتَم . يقال : قد حُمَّ الأمرُ إذا قُضِيَ وقُتِر . قال « الراعي » :  
\* وما حُمَّ مِنْ قَدَرٍ يُقْدَرُ<sup>(٤)</sup> \*

قيل : إذا استعمل الموت على المجاز فقضاء الموت ، وقدره أيضاً يستعمل  
على المجاز ؛ لأنك إذا قلت على المجاز : في هذا الأمر إذا ارتكبه قتلى ،  
أو مَوْتِي - قلت أيضاً على المجاز : في هذا الأمر حِمَاي . وقد ذُكِرَ الحمام  
على الوجه كما ذُكِرَ الموت والقتل . فقال [الفزاري] .

\* وَأَوْرَدَنِي يَوْمَ الْعَذِيبِ حِمَاي \*

ولم يمت يوم العذيب . ومثله كثير موجود [١٥] .

وأما إنكارهم قوله<sup>(٦)</sup> : « فَإِنْ يَكَاةَهَا ضَحْكُ » . وقولهم : إن الحمامة

(١) الكظائم : في اللسان ١٥ / ٤٢٥ « وكل ما سد من مجرى ماء أو باب أو طريق : كظم »

(٢) م « أنه »

(٣) الزيادة من ق

(٤) صدره « تغير قوي ولا أخضر » كما في اللسان ١٧ / ٦

(٥) الزيادة من ق

(٦) م « قولهم »

تغرد لفقد إلفها وفرخها ، وتكثر النوح عليهما ، فكيف يكون ذلك ضحكاً ؟  
 فالجواب عن هذا : أن ذلك التفريد بعينه قد يُسمع منها وإلفها معها ،  
 وتفعله وهي في عُشها مع فرخها . والمشاهدة لهذا أكثر وأعم . ويسمى ذلك  
 التفريد نوحاً ؛ ألا ترى إلى قول الشاعر :

أَلَا يَا حَمَامَ الْأَيْلِكِ إلفُكَ حَاضِرٌ      وَغُصْنُكَ مَيَّادُ فَفِيمَ تَنُوحُ ؟<sup>(١)</sup>  
 وَنَاحَتْ وَفَرَخَاهَا بِحَيْثُ تَرَاهُمَا      وَمِنْ دُونِ أَفْرَاحِي مَهَامِهِ فَبِحُ  
 ولهذا قال وَرَدُ بْنُ الْجَعْدِ :

أَحْتَمًا يَا حَمَامَةَ بَطْنٍ وَادٍ      بِأَنَّكَ فِي بَكَائِكَ تَصْدُقِينَا<sup>(٢)</sup>  
 غَلَبْتُكَ فِي الْبُكَاءِ بِأَنَّ لَيْلِي      أَوَاصِلُهُ ، وَأَنَّكَ تَهْجَعِينَا<sup>(٣)</sup>  
 وَأَنِّي إِنْ بَكَيْتُ بِكَيْتٍ حَقًّا      وَأَنَّكَ فِي بَكَائِكَ تَكْذِبِينَا<sup>(٤)</sup>

فمن ههنا قال أبو تمام : « لَا تَنْشَجَنَّ لَهَا فَإِنَّ بَكَاءَهَا ضَحِكٌ » . أى  
 ليس هناك بكاء على الحقيقة ، ولا حزن على الصَّحَّةِ ، وإنما يشجوك تغريدها  
 لأن لها تَلْحِينًا وَتَرْجِيْعًا كأنه صوت نائح ؛ ومن أجل ذلك أدعت الأعراب  
 أن فرخ حمام كان على عهد نوح يقال له<sup>(٥)</sup> الهديل - صاده بعض جوارح  
 الطير . فيزعمون أنه ما من حمامة إلا وهي تبكى عليه . وهذا من خرافات  
 الأعراب . وإنما قالوا ذلك لما رأوا الحمام على كل حال يغرد هذا التفريد

(١) البيت الأول في الكامل ٣ / ٨٤٨ لعرف بن علف بن نهاية الأرب ٢ / ٢٦٤ ، والثاني له في  
 سمط اللؤلؤ ١ / ٣٧٢ وما في فوات الوفيات ٢ / ٢٣٤ ومعجم الأدباء ١٧ / ١٤٢ - ١٤٣ والأول غير  
 منسوب في الزهرة ٢٤١ .

(٢) الأبيات في الزهرة ٢٤٢ لنهان المبشئ ، وفيها : « بطن قو بهذا الوجد أنك تصدقينا » .

(٣) م « بالبكاء » .

(٤) م « وأنا وإن » وفي الزهرة :

وَأَنِّي أَشْتَكِي فَأَقُولُ حَقًّا      وَإِنَّكَ تَشْتَكِينُ فَتَكْذِبِينَا

(٥) م « لها » .

الشَّجِيَّ فسموه نوحاً وبكاء [واحتراقاً] <sup>(١)</sup> واخترعوا له هذا الحديث ،  
وذكروه في أشعارهم <sup>(٢)</sup> .

فمن ذلك قول الكُمَيْت :

وَمَا مِنْ تَهْتِفِينَ لَهُ يَنْصُرِ بِأَقْرَبِ جَابَةِ لَكَ مِنْ هَدِيلٍ <sup>(٣)</sup>

وقال نُصَيْب :

فَقُلْتُ: أَتَبْكِي ذَاتُ طَوْقٍ تَذَكَّرْتُ هَدِيلاً وَقَدْ أَوْدَى وَمَا كَانَ تُبَعُّ <sup>(٤)</sup>  
أَيُّ أَوْدَى قَبْلَ تُبَعِّ .

وقال نصيب أيضاً :

هَتُوفُ الضُّحَى وَرَقَاءُ يَذْكُرُكَ الْهَوَى بُكَاءَا هَدِيلاً شَجْوُهُ حِينَ تَهْتِفُ  
وقوله : شجوه أي بشجوه .

وقال آخر :

أَيْبُكِ هَدِيلاً بِالْعَيْشِيِّ وَبِالضُّحَى عَلَى الطَّلَحِ قُمْرِي الْحَمَامِ الْمَفْرَدِ

وقال آخر :

لَمْنِي تُذَكِّرُنِي سَلَمَى مُطَوَّقَةً تَدْعُو هَدِيلاً عَلَى أَفْنَانِ أَغْصَانِ

ومثل هذا كثير في أشعارهم جداً . ولا يكادون يخرجون في نوح الحمام  
عن أن يجعلوه على الفرخ القديم ، أو على إلفٍ مُفَارِقٍ ، وذلك لركة

(١) الزيادة من ق .

(٢) ق « في أسمائهم » .

(٣) البيت له في اللسان ٢١٦ / ١٤ « لنصر بأسرع » وفي م « من هذيل » .

(٤) ق « تنكرت هديلا » وقبل البيت في اللسان ٢١٥ / ١٤ « قال نصيب ، وقيل هو لأبي وجزة » .

تغريدها ، وشدة تشوق من يسمع ذلك إلى إلفه . قال رجل من بني نهشل :  
 أيبكى حمام الأيك من فقد إلفه [وأصبر عنها إننى لصبور<sup>(١)</sup>]  
 وقال جميل [٣] :

أيبكى حمام الأيك من أجل إلفه وأصبر ، مالى عن بُثينة من صبر  
 وقال آخر :

ألا يا حمام الأيك مالك باكياً أفارقتُ إلفاً ، أم جفاك حبيبٌ ؟<sup>(٢)</sup>  
 ومع هذا فقد جعلوا تغريدها أيضاً غناء ، لأن من الغناء ما يشجوك  
 فيحزنك ، ومنه ما يسرك فيطربك ؛ ولهذا ما جعلوا<sup>(٤)</sup> نوح الحمام تفجماً ،  
 وسموه غناءً ، وبكاءً في حال واحدة . ومنه قول الأخوص :

أهَّاجَ لَكَ الصَّبَابَةَ أَنْ تَغَنَّتْ مُطَوِّقَةٌ عَلَى فَنَنْ بَكُورُ  
 تَفْجَعُ فَوْقَ غُضَنِ مِنْ أَرَاكِ وَتَحْتَ لَبَانِهَا فَنَنْ نَضِيرُ  
 فجعل غناءها تفجماً .

وقال علي بن عُمَيْرَةَ الجَرْمِي :

لقد هَاجَ ذَكَرِي أُمَّ عَمْرٍو حَمَامَةً بِنَعْمَانَ غَنَّتْنَا غِنَاءَ مُرَجَعَا  
 بَكَتْ سَاقَ حُرٍّ بِالْمَرَاوِيحِ ، وَأَنْتَحَتْ بِهَا الرِّيحُ فِي وَادٍ أَرَاضَ وَأَمْرَعَا<sup>(٥)</sup>

فقال : غَنَّتْنَا ، ثم قال : بَكَتْ سَاقَ حُرٍّ . فجعل غناءها بكاءً .

(١) أمال القال ١ / ١٣١ والزهرة ٢٤١ .

(٢) الزيادة من ق .

(٣) الزهرة ٢٤١ .

(٤) ق « ويطربك والحكاء جعلوا » .

(٥) أراض : كثرت رياضه . وأمرع : أحصب وكثر عشب .

وقال آخر :

تَغْنَتْ بِرَأْدٍ مِنْ ضَحَاها فَاسْمَعَتْ      أَخَا طَرَبٍ قَدْ أَسْلَمَتْهُ عَوَازِلُهُ<sup>(١)</sup>  
إِذَا سَجَعَتْ كَرْتٌ بِجَرَسٍ كَأَنَّهُ      وَتَحَوُّبٌ ثَكَلَى زَايِلَتْ مِنْ تُزَايِلُهُ<sup>(٢)</sup>  
فجعل بكاءها كَتَحَوُّبٍ<sup>(٣)</sup> ثَكَلَى .

وقال النابغة :

بِكَاءِ حَمَامَةٍ تَدْعُو هَدِيلاً      مُفَجَّعَةٍ عَلَى فَنَنِ تُغْنِي<sup>(٤)</sup>  
فجعلها باكية ، مفجَّعة ، مُغْنِيَّة .

وقال نُصَيْب :

لَقَدْ كِدْتُ تَبْكِي أَنْ تَغْنَتْ حَمَامَةٌ      عَلَى رَأْدَةِ الْأَفْنَانِ نَاعِمَةِ الْأَصْلِ  
تَهْزُ بِهَا الرِّيحُ الضَّعِيفَةُ غُصْنَهَا      مِرَارًا فَتُدْنِي فَرْعَهُ ثُمَّ تَسْتَعْلِي  
بِهَاتِفَةٍ لَا تَبْرَحُ الدَّمْعُ وَالِهَا      عَلَى إِثْرِ الْفِ ، أَوْ تَنُوحُ عَلَى شَكْلِ  
فقال : تغنت ، ثم جعلها وَالِهَا ، ونائحة على شكل ، أى على شبه ومثل .

وقال نُصَيْب :

وَقَدْ هَاجَنِي لِلشُّوقِ نَوْحُ حَمَامَةٍ      هَتُوفِ الضُّحَى هَاجَتْ حَمَامًا فَعَرَّدَا  
طُرُوبٍ غَدَّتْ مِنْ حَيْثُ بَانَتُ فَبَاكَرَتْ      بِعَوَلَتِهَا غُصْنًا مِنْ الْأَثْلِ أَغْيَدَا  
تَغْنَتْ عَلَيْهِ ذَاتُ شَجْوٍ مُرْنَةً      بِصَوْتٍ يَشُوقُ الْمُسْتَهَامَ الْمُصِيدَا  
فقال : هاجني نَوْحُ حمامة ، ثم قال : تَغْنَتْ .

(١) الرأْد : روفق الضحى . وقيل رأد الضحى : ارتفاعه حين يعلو النهار .

(٢) الجرس : الصوت . والتحوب : البكاء في جزع وصياح . وفى م « تحرب » وزايلت :

فارقت .

(٣) م « كتحرب » .

(٤) ديوان النابغة ١٠٧ وأمالى المرتضى ١ / ٤٣ .

وقال نُصَيْبُ أَيْضاً :

لَعَلَّكَ بِأَكْ أَنْ تَغْنَتْ حَمَامَةٌ      يَمِيدُ بِهَا غُصْنٌ مِنَ الرِّيحِ مَائِلُ  
مِنَ الْوُزْقِ يَدْعُوهَا إِلَى شَجْوِهَا الضُّحَى      فَتَبْكِي ، وَتُبْكِي حِينَ تَذْنُو الْأَصَائِلُ  
فَجَعَلَهَا بِأَكِيَّةٍ مُغْنِيَةً .

ومثله قول ابن مَيَّادَةَ :

يُدْكَرْنِيهَا أَنْ تَغْنَتْ حَمَائِمُ      لَهْنٌ عَلَى خُضْرِ الْعِضَاهِ عَوِيلُ  
تَجَاوَبْنَ فِي حَدِّ النَّهَارِ بِعَوْلَةٍ      وَأُخْرَى تُوَاغِي الشَّمْسَ كُلَّ أَصِيلُ  
وقال عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ :

أَدُمُ الطُّبَاءُ بِهِ تَرَسَّمُ سُنْحَا      وَبِكَاءُ نَائِحَةٍ بِهِ تَتَرَنَّمُ<sup>(١)</sup>  
غَنَّتْ عَلَى فَنَنِ فَاسْعَدَ شَجْوَهَا      وَرُقْ أَجَبْنَ كَمَا أَسْتَجَابَ الْمَائِمُ<sup>(٢)</sup>

وقال رجل من بني نضر بن معاوية :

أَهَاجَ لَكَ الْأَحْزَانَ نَوْحُ حَمَامَةٍ      تَغْنَتْ بَلِيلٌ فِي ذَرَى نَاعِمٍ نَضِيرُ  
فَقَالَ : نَوْحُ حَمَامَةٍ ، ثُمَّ قَالَ : تَغْنَتْ .

وقال سعد بن الجراح بن سفيان بن صامت الحارثي :

وحمامة أَوْفَتْ بِأَخْضَرَ نَاعِمٍ      تَبْكِي عَلَى غُصْنٍ مِنَ الْأَغْصَانِ  
عَرَفَ الْحَمَامُ لَهَا الْغِنَاءَ فَرَنَّمَتْ      فَاعْتَادَنِي نُكْسٌ مِنَ الْأَحْزَانِ

(١) في ديوان عمر بن أبي ربيعة ٢١٧ :

أدم الطباء به تراعى خلفه  
وفنى صباية قلبه بعد البلى

(٢) في الديوان « غردت على » .

وسخاها في رسمه تبغيم  
ورقاء ظلت في الفصون ترنم



وقال حميد بن ثور :

فأَوْفَتْ عَلَى غُضَنِ ضُحَيَّا فَلَمْ تَدَعْ      لِبَاكِةٍ فِي شَجْوِهَا مُتَلَوِّمًا<sup>(١)</sup>  
تَغْنَى إِذَا غَنَّتْ بِأَجْزَاعِ بَيْشَةٍ      أَوِ الرَّخْمِ مِنْ تَثْلِيثٍ أَوْ يَنْبَمًا<sup>(٢)</sup>

وقال أبو شَيْبَةَ الْجَرْمِيُّ :

أَلَا قَاتِلَ اللَّهِ الْحَمَامَةَ غُدُوَّةً      عَلَى الْغُضَنِ مَاذَا هَيَّجَتْ حِينَ غَنَّتِ<sup>(٣)</sup>  
تَعَلَّتْ عَلَى الْأَفْنَانِ فِي تَلْعِ الضُّحَا      فَهَاجَتْ حَزِينًا بِالْبُكَاءِ وَوَلَّتْ

وقال يزيد بن عمار الهَلَالِي :

وَذَاتَ فَرْخَيْنِ غَنَّتْ فِي مُسَوِّقَةٍ      عَجَمَاءَ مُعْرِبَةٍ مَا ضَرَّهَا الْعَجَمُ  
بَكَتْ فَأَبْكَتْ مَرِيضَ الْقَلْبِ ذَا شَجَنِ      وَلَيْسَ يَجْرِي لَهَا دَمْعٌ فَيَنْسَجِمُ

وقال أبو مَخْلَدٍ الرَّاسِبِيُّ :

وَلَكِنِّهَا لَمْ تُذَرِ دَمْعًا وَقَدْ بَكَتْ      وَعَيْنُكَ تُذَرِي الدَّمْعَ سَحًّا شُتُونُهَا

وقال رجل من ولد سالم بن مالك الثَّقَفِيُّ :

وَيَوْمَ الدَّوَى أَجْرَى دُمُوعَكَ إِذْ دَعَتْ      حَمَائِمُ فِي فَيْءِ الْأَرَاكِ صَوَائِحُ<sup>(٤)</sup>  
حَوَائِمُ مَا تُذَرِي الدَّمُوعَ إِذَا بَكَتْ      وَهُنَّ بِأَسْرَارِ الدَّمُوعِ بَوَائِحُ

(١) ديوان حميد بن ثور ٢٦ والكامل ٣ / ٨٤٩ .

(٢) فيها : « إذا شت غتنى بأجزاء أو النخل » وبينم : واد ، كما في معجم البكري ٤ / ١٣٨٧ .

(٣) من غير نسبة في الزهرة ٢٤١ .

(٤) م « صوارع » .

وقال حَرْبُ بنِ الحَكَمِ بنِ المُنْذِرِ بنِ الجَارُودِ :

وَقَبْلِي أَبْيَكِي كُلِّ مَنْ كَانَ بَاكِياً هَتُوفُ الْبَوَاكِي وَالْدِّبَارُ الْبَلَاغُ<sup>(١)</sup>  
بَوَاكِ عَلَى الْأَطْلَالِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ نَوَاحٍ مَا تَخْضَلُ مِنْهَا الْمَدَامُ<sup>(٢)</sup>

وقال على بن عَمْرَةَ الجَرْمِيُّ :

هَتُوفُ الضُّحَى مَعْرُوفَةُ اللَّحْنِ لَمْ تَزَلْ تَقُودُ الْهَوَى مُهْدَى لَنَا وَتَقُودُهَا<sup>(٣)</sup>  
جَزُوعٌ ، جَمُودُ الْعَيْنِ ، دَائِمَةُ الْبُكََا وَكَيْفَ بَكََا ذِي مُقْلَةٍ وَجُمُودُهَا  
مَطْوَقَةٌ لَمْ يَضْرِبِ الْقَيْنُ فِضَّةً عَلَيْهَا ، وَلَمْ يَعْطَلِ مِنَ الْحَلَى حَيْدُهَا<sup>(٤)</sup>

فهذا ما عليه العرب وغيرهم في أن الحمام وغيره من الطير لا دموع لها .

وقال رباح العُقَيْلِي . فجعل لها دموعاً . وذلك سهو منه أو جهل ، وأنشده  
أبو حاتم :

وَمَا هَاجَ لِي إِلَّا عَشِيَّةً وَاسِطٍ حَمَائِمُ غَيْطَانِ الْأَرَاكِ وَقُوعُ  
تَجَاوَيْنَ فِي أَطْلَالِ أَفْنَانِ أَثْلَةٍ بِمَغْرُورِقَاتٍ فَيَضُفُّهُنَّ دُمُوعُ<sup>(٥)</sup>  
وَأِنِّي لِأَزْعَى السَّرِّ مِنْ أُمِّ عَاصِمٍ وَلَسْتُ لِعَهْدٍ صَالِحٍ بِمُضِيعٍ

فقال : « بمغرورقات تفيض<sup>(٦)</sup> منهن الدموع » .

( ١ ) في الزهرة من غير نسبة ٢٤٥ « كان ذا هوى » .

( ٢ ) في الزهرة « ومن على الأطلال » .

( ٣ ) لبعض الأعراب في الزهرة ٢٤٣ « صدوح الضحى هياجة اللحن . . قيود الهوى تهدي لها وتقودها » .

( ٤ ) في الزهرة « لم تطرب العين فضة » !

( ٥ ) م « فضين » .

( ٦ ) م « مفض »

وقال آخر :

فَعُذْنٌ بِقَرَقَارِ الْهَدِيرِ كَأَنَّمَا شَرِبْنَ حُمِيًّا ، أَوْ بِهِنَّ جُنُونُ<sup>(١)</sup>  
فَلَمْ تَرَ عَيْنِي قَبْلَهُنَّ حَمَائِمًا بَكَيْنَ فَلَمْ تَقْطُرْ لَهُنَّ جُفُونُ

وهذا قد أفصح - كما ترى - بأنَّ كُلَّ حمام رآه يبكي قبل هذه الحمام - رأى له دموعاً . هذا مَخْضُ الجهل ، وأظنه أراد أن يقول : فلم تر عيني ، قبلهن بواكياً . فقال حماماً كما قال جهنم بن خلف : فلم أَرِ بَاكِيةً مثلها [تُبْكِي] ودَمَعْتُهَا مَا تُرَى<sup>(٢)</sup>

لم يرد باكية من الحمام ، ولا من الطير ، وإنما أراد باكية من الإنس مفعلة مثل هذه الحمامة . والله أعلم .

وهذا الفصل ليس من الاحتجاج لأبي تمام في أبياته . وقد كان يجوز أن أتعداه ، وأقتصر<sup>(٣)</sup> أيضاً على بعض الشواهد التي تقدمته ، ولكن وجدت ذلك متمماً للباب فأوردته .

\*\*\*

وقال أبو تمام :

لَشِنْ أَرْقَاً النَّعَمَ الْعِيُونَ وَقَدْ جَرَى لَقَدْ رَوَيْتُ مِنْهُ خُلُودُ نَوَاعِمُ<sup>(٤)</sup>  
كَمَا كَادَ يَنْسَى عَهْدَ ظَمِيَاءَ بِاللُّوَى وَلَكِنْ أَمَلْتُهُ عَلَيْهِ الْحَمَائِمُ<sup>(٥)</sup>

(١) لابن الدمينه كما في ديوانه ٣٩ ، وهما من غير نسبة في أمالي القالي ١ / ١٣٢ .

(٢) البيت من قصيدة له في الحيوان ٣ / ١٩٩ والزيادة منه .

(٣) م « وأقتصر » .

(٤) ديوان أبي تمام ٢٨٥ وشرح التبريزي ٣ / ١٧٦ ويروى : « الدمع الغيور » و « أعطش

الدمع العيون » ومعنى أرقاً : سكنه ومنعه من السيلان .

(٥) ويروى « لقد كاد » .

بَعَثَنَ الْهَوَى فِي قَلْبِ مَنْ لَيْسَ هَائِمًا فَقُلْ فِي فؤَادِ رُغْنَهُ وَهُوَ هَائِمٌ  
لَهَا نَغَمٌ لَيْسَتْ دُمُوعاً فَإِنْ جَرَتْ مَضَتْ حَيْثُ لَا تَمُضِي الدُّمُوعُ السَّوَاجِمُ<sup>(١)</sup>

قوله : « لئن أرقاً الدمعَ العيونُ وقد جرى » . يريد لئن قطعت العيون  
التي ترقبني دمعى وقد جرى ، أى فى حال جريه - لقد رويت منه خدودُ  
أحبائي .

وهذه حال مفهومة معلومة قلماً يخلو منها [أحد] وهو أن يدور الدمعُ  
فى مآقه ، ويستحى أن يُرى باكياً ، فيكف العبرة ويردها .  
ولم يوضح المعنى ويلخصه .

والجيد النادر ، واللفظ الحسن ، والعبارة الصحيحة - قولُ البحتري :  
نَهْنَهُ رُقْبَةُ الْوَاشِينَ حَتَّى تَعْلُقَ : مَا يَغِيضُ ، وَمَا يَسِيلُ  
ومثل هذا لا يكون مسروقاً ؛ لأنه جارٍ فى عادات الناس ، مشاهدٌ معلوم ،  
وما علمت أحداً نظمه نظم البحتري .

والجيد الحسن أيضاً لفظاً ومعنى - قوله<sup>(٢)</sup> :  
مَا لِحُضْرٍ يَنْحَنَ فِي قُضْبِ الْخُضْ رِ عَلَى كُلِّ صَاحِبٍ مَفْقُودٍ<sup>(٣)</sup>  
عَاطِلَاتٍ ، بَلْ حَالِيَاتٍ يُرَدُّ نَ الشَّجَا فِي قَلَائِدٍ وَعُقُودِ  
زِدْنِي صَبُوءَ ، وَذَكَّرْنِي عَنْهُ لَدَا قَدِيمًا مِنْ نَاقِضٍ لِلْعُهُودِ  
مَا يُرِيدُ الْحَمَامُ فِي كُلِّ وَادٍ مِنْ عَمِيدٍ صَبٌّ بِغَيْرِ عَمِيدِ  
كُلَّمَا أُخْمِدَتْ لَهُ نَارُ شَوْقٍ هَجَنَهَا بِالْبُكَاءِ وَالتَّغْرِيدِ

(١) و يروى : « فإن علت » .

(٢) م « وقوله » .

(٣) ديوان البحتري ٦٩٢ ، « با لحضر ينحن فى القضب » .

قوله : « عاطلات بل حاليات » . يريد أطواق الحمام . هو لها [شبيهه] <sup>(١)</sup> بالحلى ، وهنّ منه عواطل .

وما قال أحد في هذا المعنى أحسن ، ولا أبرع ، ولا أحلى من قول أمية ابن أبي الصلت في حمامة نوح :

فلما فرشوا الآيات صاغوا لها طوقاً كما عُقِدَ السَّخَابُ <sup>(٢)</sup>  
تُورُّهُ إِذَا مَاتَتْ بَنِيهَا وَإِنْ تُقْتَلُ فَلَيْسَ لَهَا أَسْتِلَابُ

وقول البحتري : « يُرَدِّدُنَ الشُّجَا فِي قَلَانِدٍ وَعُقُودٍ » حسن ؛ لأنّ الباكية الحزينة ذات الشجوا لا تلبس الحلى ، وإن كان عليها تَسَلَّبَتْ منه .

وأحسن منه قول الآخر :

مُطَوَّقَةٌ تُبْكِي ، وَلَمْ أَرْ بَاكِياً      بَدَا مَا بَدَا مِنْ شَجْوِهَا لَمْ تَسَلِّبْ  
أَخَذَهُ ابْنُ الرُّومِي فَقَالَ :

لو تستطيع تَسَلَّبَتْ مِنْ طَوَّقِهَا      لو كان مُنْتَحَلّاً مِنْ الْأَطْوَاقِ

وقال البحتري :

وَوُزِقَ تَدَاعَى بِالْبَكَاءِ بَعَثْنَ لِي      كَمِينَ أَسَى بَيْنَ الْحَشَا وَالْحَيَازِمِ <sup>(٣)</sup>  
وَصَلْتُ بِدَمْعِي نَوْحَهُنَّ وَإِنَّمَا      بَكَيْتُ لَشَجْوِي ، لَا لِشَجْوِ الْحَمَائِمِ

وهذا أيضاً جيد حسن .

\*\*\*

ولست أعرف لهما في ذكر الحمام غير هذا <sup>(٤)</sup> .

( ١ ) زيادة لازمة .

( ٢ ) السخاب : القلادة .

( ٣ ) ديوان البحتري ٤٤٨ .

( ٤ ) م « هذه » .

## باب

في وصفهما للأيام التي خلت ، والأزمان  
التي حمداها ، والتذكر لها ، والأسى عليها  
ويتصل بذلك شيء من ذكر النساء وأوصافهن

وأذكر أولاً ابتداءتهما في هذا الباب .

قال أبو تمام :

أَيَّامَنَا مَا كُنْتُ إِلَّا مَوَاهِبَا      وَكُنْتُ بِإِسْعَافِ الْحَبِيبِ حَبَائِبَا<sup>(١)</sup>

وقال :

أَحْسِنَ بِأَيَّامِ الْعَقِيقِ ، وَأَطِيبِ      وَالْعَيْشِ فِي أَظْلَالِهِنَّ الْمُعْجِبِ<sup>(٢)</sup>

وقال البحتري :

لَيَالِينَا بَيْنَ اللَّوَى فَزَرُّودِ      مَضَيْتِ حَمِيدَاتِ الْفِعَالِ فَعُودِي<sup>(٣)</sup>

بيت أبي تمام الأول أجود من الأبيات الثلاثة .

ولفظ البحتري لا زيادة على حسنه وجودته .

(١) م « ويفضل » .

(٢) ديوان أبي تمام ١٦ وشرح التبريزي ١ / ١٤٥ .

(٣) ديوانه ١٢ وشرح التبريزي ١ / ٩٧ .

(٤) ديوان البحتري ١ / ١٨٠ طبع بيروت ، ٢ / ٧٧٧ دار المعارف .

## ما جاء عنهما في وسط كلامهما من هذا الباب

قال أبو تمام :

أَيَّامَنَا مَا كُنْتُ إِلَّا مَوَاهِبَا      وَكُنْتُ بِإِسْعَافِ الْحَبِيبِ حَبَائِبَا<sup>(١)</sup>  
 سَنُغْرِبُ تَجْدِيدًا لِعَهْدِكَ فِي الْبُكََا      فَمَا كُنْتُ فِي الْأَيَّامِ إِلَّا غَرَائِبَا  
 وَمُعْتَرَكٍ لِلشُّوقِ أَهْدَى بِهِ الْهَوَى      إِلَى ذِي الْهَوَى نُجْلَ الْعُيُونِ رَبَائِبَا  
 كَوَاعِبُ زَارَتْ فِي لَيَالٍ قَصِيرَةٍ      تُخِيلُنَ لِي مِنْ حُسْنِهِنَّ كَوَاعِبَا

قوله : « وَمُعْتَرَكٍ لِلشُّوقِ » يريد موضعاً زاره فيه الكواعب اللواتي ذكرهن ؛ فإن ذلك الموضع يسقط فيه الشوق فلأن يكون مُعْتَرَكاً للوصول أولى . والعُذْرُ له أن يقال : إنه إنما كان معتركا للشوق بعد تلك الحال التي تَقَصَّتْ فهو أبداً مشتاق إلى ذلك الموضع إذا ذكر له .

وقال :

أَحْسِنُ بِأَيَّامِ الْعَتِيقِ وَأَطِيبِ      وَالْعِيشِ فِي أَظْلَالِهِنَّ الْمُعْجِبِ  
 وَمَصِيفِهِنَّ الْمُسْتَظَلَّ بِظِلِّهِ      سِرْبُ الْمَهَا ، وَرَبِيعِهِنَّ الصَّبِيبِ  
 أَصْلُ كُبْرِدِ الْعَصْبِ نَيْطٌ إِلَى ضَحَى      عَبَقِ بَرِيحَانِ الرِّيَاضِ مُطِيبِ<sup>(٢)</sup>

( ١ ) ديوان أبي تمام ١٦ وشرح التبريزي ١٤٥/١ .

( ٢ ) نيط : علق . وقوله : كبرد المصب : أى هو حين فيه نقوش ، وأصل المصب : النزل ،

ثم قيل لضرب من البرد عصب : لأنها من النزل تكون كما في شرح التبريزي ٩٩/١ .

وِظْلَالِهِنَّ الْمُشْرِقَاتِ بِخُرْدٍ بَيْضٍ كَوَاعِبَ غَامِضَاتِ الْأَكْعَبِ<sup>(١)</sup>

وهذا - لعمري - حَسَنٌ مُعْجِبٌ .

وقال أيضاً أبو تمام .

وَلَقَدْ أَرَاكَ فَهَلْ أَرَاكَ بِغَيْطَةٍ وَالْعَيْشُ غَضٌّ ، وَالزَّمَانُ غُلَامٌ<sup>(٢)</sup>

أَعْوَامَ وَضَلِ كَانَ يُنْسِي طُولَهَا ذِكْرُ النَّوَى فَكَانَهَا أَيَّامٌ

ثُمَّ أَنْبَرَتْ أَيَّامٌ هَجَرَ أَعْقَبَتْ بِجَوَى أَسَى فَكَانَهَا أَعْوَامٌ<sup>(٣)</sup>

ثُمَّ أَنْقَضَتْ تِلْكَ السُّنُونُ وَأَهْلُهَا فَكَانَهَا وَكَانَهُمْ أَخْلَامٌ

فقوله : « كَانَ يُنْسِي طُولَهَا ذِكْرُ النَّوَى » ، أى إنا كنا نَذْكُرُ الفراقَ

فَنُبَادِرُ السرورَ واللذات فكان ذلك يقصر من طولها . وَأَيَّامُ السرور على

كل حال قِصار ، اعترض فيها خوف الزوال أو لم يعترض .

وهذا من مشهور إحصان أبي تمام لفظاً ومعنى .

\* \* \*

وقال البحتري :

عَيْشٌ لَنَا بِالْأَبْرَقَيْنِ تَأَيَّدَتْ [أَيَّامُهُ] وَتَجَدَّدَتْ ذِكْرَاهُ<sup>(٤)</sup>

وَالْعَيْشُ مَا فَارَقْتُهُ فَذَكَرْتُهُ لَهْفًا ، وَلَيْسَ الْعَيْشُ مَا تَنْسَاهُ

وهذا إحصان يزيد على كل إحصان .

(١) الظلال . جمع ظلة ، وهى البناء المشرف ، وقوله : غامضات الأكعب : يعنى أنهن منعمات

ليس لأكعب أرجلهن حجم .

(٢) ديوان أبي تمام ٢٧٩ وشرح التبريزي ٣ / ١٥١ .

(٣) فى الديوان وشرحه : « هجر أردفت » .

(٤) ديوان البحتري ٢٩٦ والزيادة منه .



وقال البحرى :

/ سَقَى اللَّهُ أَخْلَاقًا مِنَ الدَّهْرِ رَطْبَةً      سَقَتْنَا الْجَوَى إِذْ أَبْرَقَ الْحُزْنَ أَبْرَقُ<sup>(١)</sup>  
لَيَالٍ سَرَفْنَاهَا مِنَ الدَّهْرِ بَعْدَمَا      أَضَاءَ بِمُضْبَاحٍ مِنَ الشَّيْبِ مَفْرُقُ<sup>(٢)</sup>  
تَدَاوَيْتُ مِنْ لَيْلَى بِلَيْلَى فَمَا شَغَى      بِمَاءِ الرُّبَى مَنْ بَاتَ بِالمَاءِ يَشْرِقُ<sup>(٣)</sup>

وهذا من أحسن معنى وأحلاه . وقوله : « إِذْ أَبْرَقَ الْحُزْنَ أَبْرَقُ » . أى  
كما عهدناه ، لا كما هو فى الوقت من الخراب .

وقوله : « تَدَاوَيْتُ مِنْ لَيْلَى بِلَيْلَى » . أى فلم<sup>(٤)</sup> أبرأ من الداء كما أن  
من شرق بالماء لم يدفع شرقه الماء ولو تناهى فى الكثرة حتى يبلغ الرُّبَى وهو  
من قولهم : بَلَغَ المَاءُ الرُّبَى<sup>(٥)</sup> : جَمَعَ زُبَيْةً ، وهى حُفْرَةٌ تحفر للأسد  
فى أعلى ما يمكن من المواضع فلهذا ضرب [بها]<sup>(٦)</sup> المثل فى كثرة الماء  
فقليل : بَلَغَ المَاءُ الرُّبَى .

فالشَّرْقُ بالماء لا يُزِيلُهُ الماء كما قال عدى بن زيد :

لَوْ بَغِيرِ المَاءِ حَلَقِي شَرِقُ      كُنْتُ كَالْفَصَّانِ بِالمَاءِ اعْتَصَارِي<sup>(٧)</sup>

فقال البحرى ذلك ليؤكد بقاء حبه ، أى لا يكون بُرْنَى من حبها  
أن أَتَدَاوَى منها بها كما لا يَدْفَعُ المَاءُ شَرِقَ من شَرِقَ بالماء .

\*\*\*

(١) ديوان البحرى ٥١٨ ، ١٤٩٣ .

(٢) فى الديوان « بإصباح من » .

(٣) فى الديوان « فاشتنى الربى » .

(٤) م « أى فلما برأ » .

(٥) مجمع الأمثال ١ / ٩١ .

(٦) زيادة لازمة .

(٧) البيت له فى اللسان ١٢ / ٤٤ .

وقال البحتري :

فَسَقَى الغَضَا والنَّازِلِيهِ وَإِنْ هُمْ      شَبَّوهُ بَيْنَ جَوَانِحِ وَقُلُوبِ<sup>(١)</sup>  
 وَقَصَارِ أَيَّامٍ بِهِ سُرِقَتْ لَنَا      حَسَنَاتُهَا مِنْ كَاشِحٍ وَرَقِيبِ<sup>(٢)</sup>  
 خُضْرًا تَسَاقِطُهَا الصَّبَا فَكَأَنَّهَا      وَرَقٌ يُسَاقِطُهُ اهْتِرَازُ قَضِيبِ<sup>(٣)</sup>  
 كَانَتْ فُنُونٌ بَطَالَةٍ فَتَقَطَّعَتْ      عَنْ هَجْرِ غَانِيَةٍ ، وَوَحْطِ مَشِيبِ  
 فقوله : « خضر تساقطها الصبا » - معنى في غاية الحسن ، وتمثيل في  
 نهاية اللطف .

\*\*\*

ومن حلو معانية ، ومشهور إحسانه قوله :

بَعْضَ هَذَا الْعِتَابِ وَالتَّفْنِيدِ      لَيْسَ ذِمُّ الْوَفَاءِ بِالْمَحْمُودِ<sup>(٤)</sup>  
 مَا بَكَيْنَا عَلَى زُرُودٍ وَلَكِنْ      نَا بَكَيْنَا أَيَّامَنَا فِي زُرُودٍ  
 وقال أيضاً :

لِيَا لَيْنَا بَيْنَ اللَّوَى فَمُحَجَّرٍ      سَقَيْتِ الْحَيَا مِنْ صَيْبِ الْمُزْنِ مُمِطِرٍ<sup>(٥)</sup>  
 مَضَى بِكَ وَضَلُ الْغَانِيَاتِ وَنَشْوَةُ الشَّ      بَابِ ، وَمَعْرُوفُ الْهَوَى الْمُتَنَكِّرِ  
 فَإِنْ أَتَذَكَّرْ حُسْنَ مَا فَاتَ لَمْ أَجِدْ      رُجُوعًا لِمَا فَارَقْتُهُ بِالتَّذَكُّرِ  
 نَضَوْتُ الْأَسَى عَنِّي أَضْطِيبَارًا وَرُبَّمَا      أَسَيْتُ فَكُمْ أَصْبِرْ ، وَلَمْ أَتَصْبِرِ

(١) ديوان البحتري ١٧٦ ، ١ / ٢٤٦ دار المعارف .

(٢) في الديوان « شرقت لنا » !

(٣) لا يوجد هذا البيت في طبعي الديوان القديمتين .

(٤) ديوان ٦٩١ ، ١ / ٦٣٢ .

(٥) ديوانه ٢١٤ ، و ١٠٦١ / ٢ طبع المعارف .

وقال أيضاً :

عَهْدُ لِعَلْوَةٍ بِاللَّوَى قَدْ أَشْكَلَا مَا كَانَ أَحْسَنَ مُبْتَدَاهُ وَأَجْمَلَا<sup>(١)</sup>  
أَذْسَى لِيَالِينَا هُنَاكَ وَقَدْ حَلَا مِنْ لَهَوْنَا فِي ظِلِّهَا مَا قَدْ حَلَا<sup>(٢)</sup>  
عَيْشٌ غَرِيرٌ لَوْ مَلَكَتُ لِمَا مَضَى رَدًّا إِذَا لَرَدَدْتُهُ مُسْتَقْبَلَا

قوله : « عيش غرير » . أى رقيق ناعم . قال جرير :

بَيْضُ تَرْبَبَهَا النَّعِيمُ ، وَخَالَطَتْ عَيْشًا كَحَاشِيَةِ الْفِرْنَدِ غَرِيرًا<sup>(٣)</sup>  
الْفِرْنَدُ : الحرير . والفِرْنَدُ : ماء السيف . والحاشية : جانب الثوب .  
وإنما أراد الفِرْنَدُ نفسه .

\*\*\*

وقال أبو تمام :

لِيَالِينَا بِالرَّقَّتَيْنِ وَأَهْلَهَا سَقَى الْعَهْدَ مِنْكَ الْعَهْدُ وَالْعَهْدُ وَالْعَهْدُ<sup>(٤)</sup>  
مَسْحَابٌ مَتَى يَسْحَبُ عَلَى النَّبْتِ ذَيْلَهُ فَلَا رَجُلٌ يَنْبُو عَلَيْهِ ، وَلَا جَعْدُ<sup>(٥)</sup>  
ضَرَبْتُ لَهَا بَطْنَ الزَّمَانِ وَظَهْرَهُ فَلَمْ أَلْقَ مِنْ أَيَّامِهَا عَوْضًا بَعْدُ

قوله : « العهدُ والعهدُ والعهدُ » . فالعهدُ جمع عُهْدَةٍ ، وجمع عهدٍ : عِهَادٌ ،  
وهو المطر يأتى إثرَ مطر . فأراد سقى العهد الذى عهدناك هذا المطر<sup>(٦)</sup> بِأَسْرِهِ :  
أَوَّلُهُ ، ووسطه ، وآخره . وأراد سقتك العهد كلها . ومثله قوله :

(١) ديوان البحتري ١٤٢ ، ١٦٥١ .

(٢) م « وقد خلا . . ما قد خلا » .

(٣) ديوانه ٢٨٩ .

(٤) ديوان أبي تمام ١٢١ وشرح التبريزي ٨٥ / ٢ .

(٥) م « ولا رجل » وقال التبريزي ٨٧ « يقول : لا سهل يمتنع من إخراج النبات إذا سقاه هذا

السحاب ، ولا حزن » .

(٦) م « هذا الأمطر بأسره » .

\* سَقَى عَهْدَ الصَّبَا سَيْلَ الْعِهَادِ<sup>(١)</sup>

وهذا مستقيم . والأول ليس بالجيد .

وقد فسر هذا قوم بما يبعد عن المعنى ، ولا يليق به ، وخلطوا فيه<sup>(٢)</sup> .

قال أبو تمام :

سَلَامٌ تَرْجُفُ الْأَحْشَاءُ مِنْهُ عَلَى الْحَسَنِ بْنِ وَهْبٍ ، وَالْعِرَاقِ<sup>(٣)</sup>  
عَلَى الْبَلَدِ الْحَبِيبِ إِلَى غَوْرًا وَنَجْدًا ، وَالْأَخِ الْعَذْبِ الْمَذَاقِ<sup>(٤)</sup>  
/ لِيَالِي نَحْنُ فِي مَسْنَاتِ عَيْشٍ كَأَنَّ الدَّهْرَ عَنْهَا فِي وَثَاقِ  
وَأَيَّاماً لَنَا وَلَهُ لِدَانًا غَنِينَا فِي حَوَاشِيهَا الرِّقَاقِ<sup>(٥)</sup>  
كَأَنَّ الْعَهْدَ عَنْ عُفْرِ لَدِينَا وَإِنْ كَانَ التَّلَاقُ عَنْ تَلَاقِ<sup>(٦)</sup>  
وهذا كلام حلو عذب .

وقوله : « سَلَامٌ تَرْجُفُ الْأَحْشَاءُ مِنْهُ » . لأنه فارق العراق وهو كاره ،  
فسلّم سلام مودّع متأسف ، شديد النفس للشوق والأسف ؛ فلذلك قال :  
« ترجف الأحشاء منه » .

\* \* \*

(١) ديوان أبي تمام ٧٨ « عهد الحمى » وعجزه : « وروض حاضرمه وباد » .

(٢) راجع الأقوال التي نقلها التبريزي في شرحه ونقلها ناشره في الجزء الثاني ٨٤ - ٨٧ .

(٣) ديوانه ٢١٤ وشرح التبريزي ٢/٢٥٠ .

(٤) في الشرح « والفتى الحلو المذاق » .

(٥) م « وأيام لها ولنا لدان » .

(٦) في شرح التبريزي عن المعرى : « يقال : لقيته عن عفر ، فقيل هو مقدار شهر ، وقيل : لا حد له . يقول : نحن في أيام القرب لا يمل بعضنا بعضاً ، فإذا لقيته باكراً ثم رحت إلى لقائه ، فكان التلاق عن وقت بعيد ، وقد قرب المدة بقوله : وإن كان التلاق عن تلاق ؛ لأن ذلك يجوز أن يكون في أقصر حين » .

وبيت أبي تمام النادر في هذا الباب قوله :

ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكأنها ، وكأنهم أحلام<sup>(١)</sup>

وبيت البحتري قوله :

والعيش ما فارقت فذكرته لهفأ ، وليس العيش ما تنساه<sup>(٢)</sup>

وبيت أبي تمام أسيئر ، وبيت البحتري ألطف معنى .

\*\*\*

وهما في سائر ما مرَّ لهما في هذا الباب - متكافئان .

\*\*\*

ومن حلو كلام البحتري في معنى الأيام قوله :

ما أحسن الأيام إلا أنها يا صاحبي إذا مضت لم ترجع<sup>(٣)</sup>

وأحلى منه وأبدع - قول أبي حية النُميري :

إذ الأيام مُقبِلَةٌ إلَيْنَا وظِلُّ أَرَاكَةِ الدُّنْيَا ظَلِيلٌ<sup>(٤)</sup>

\*\*\*

وفي هذا الباب لأبي تمام إساعة في قصيدته التي أولها قوله :

\* أما إنه لولا اللوى ومعاهده \*

وذلك قوله :

فَيَا مَشْهَدًا يُسْتَهْزَمُ الْبَيْنُ بِأَسْمِهِ إِذَا عُدَّ أَيَّامُ الْهَوَى وَمَشَاهِدُهُ  
وَيَا لَيْلَةً لَوْ يَعْرِفُ الدَّهْرُ طِيبَهَا لَصَيَّرَهَا ثَغْرًا تَنَاعَى مَرَاصِدُهُ

(١) ديوان أبي تمام ٢٧٩ وسبق ص ١٦٠ .

(٢) ديوان البحتري ٢٩٦ و ١٢٨٦ / ٢ طبع المعارف .

(٣) ديوانه ٧٢٧ « لولا أنها » .

(٤) م « إذا » والبيت له في أمالي المرتضى ٤٤٥ / ١ « مقبلة علينا » .

وهذا من أقبح ما يكون من الكلام ، وأهجن<sup>(١)</sup> ما يكون من المعاني ،  
وأبعد ما تكلفه أهل الاستعارة من الأغراض .

يقول : ولو علم الدهر طيبَ هذه الليلة لَجَعَلَهَا ثَغْرًا له مَرَايِد .  
والمَرَايِدُ : مواضع الحرس .

وقوله : تناغى . يريد حراس المَرَايِدِ يخاطب بعضهم بعضاً ، ويُنذِرُ  
واحدُ آخرَ . وأصلُ المُنَاغَاةِ : الكلامُ الرَّخِيمُ الخَفِيُّ ، مثلُ مُنَاغَاةِ الصَّبِيِّ .  
وربما فعل ذلك أهل المَرَايِدِ المتقاربة : يُوحِي بعضهم إلى بعض ، وينبئُ  
بعضهم بعضاً على ما يَتَخَوَّفُونَهُ ويتوقعونه . يقول : فلو علم الدهر طيبَ هذه  
الليلة لجعلها ثغراً يحرسه من أن تلحقه آفة أو جائحة تُزيله وتُبْطِلُهُ .

وهذا مما ينبغي أن تَسْمَعَهُ وتضحك منه ، كما أن جِدِّه يُسْمَعُ ويُعْجَبُ  
منه . ومن أجل هذا التفاوت العظيم في شعره - تفاوت الناس في التعصب  
له ، والتعصب عليه . فما ينبغي أن يُقْبَحَ لإحسانه<sup>(٢)</sup> ، ولا [ أن ] تُحَسَّنَ  
لمساغته .

(١) م « وأهجنه وما يكون » .

(٢) م « يقبح لإحسانه ولا تحسن » .

## ما جاء عنهما في طروق الخيال

/ هذا باب الفضل فيه للبحر على أبي تمام . وما زلت أسمع الشيوخ من أهل العلم بالشعر يقولون ؛ هو أشعر الناس والحاس الحل والخيال<sup>(١)</sup>

ولم يأت عن أبي تمام فيه إلا أبيات يسيرة منها قوله في قصيدة :

زَارَ الْخَيَالُ لَهَا لَا بَلْ أَزَارَكُ فِكْرٌ إِذَا نَامَ فِكْرُ النَّاسِ لَمْ يَنَمْ<sup>(٢)</sup>  
ظَنِي تَفَنَّنَتْهُ لَمَّا نَصَبْتُ لَهُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ أَشْرَاكَأً مِنَ الْحُلْمِ<sup>(٣)</sup>  
ثُمَّ اغْتَدَى وَبِنَا مِنْ ذِكْرِهِ مَقَمٌ بَاقٍ ، وَإِنْ كَانَ مَعْسُولًا مِنَ السَّقَمِ

قوله : « زَارَ الْخَيَالُ لَهَا لَا بَلْ أَزَارَكُ » - ليس بالجيد ؛ لأنه إذا أزاره<sup>(٤)</sup> الفكر فقد زار . فما وجه الاستدراك ؟ فكأنه أراد أن الخيال لم يعتمد الزيارة ، وإنما أزاره<sup>(٥)</sup> الفكر . ومثله قام زيد ، لا بل أقمته . وكأن قائل هذا يريد ما اعتمد زيد القيام بل أقمته أنا<sup>(٦)</sup> ويروى : « إذا نام فكر الخلو » .

وقوله : « لَمْ يَنَمْ » . لم يرد حقيقة النوم ، وإنما أراد لم يسكن ، ولم يفتر ، كما يقال<sup>(٧)</sup> : فلان لا ينام عن هذا الأمر ، أى لا يفتر عنه ، ولا يُقَصِّر .

(١) كذا بالأصل .

(٢) ديوان أبي تمام ٢٦٨ وشرح التبريز ٣ / ١٨٥ وأمالى المرتضى ١ / ٥٤٢ . وأمالى القفال ١ / ٢٢٩ وحامسة ابن الشجرى ١٧٦ وطيف الخيال ١٧ وفى الديوان وشرحه « فكر الخلق » .

(٣) فى الديوان وشرحه « فى آخر » .

(٤ ، ٥) م « زاره » .

(٥) راجع نقد الشريف المرتضى لهذا الكلام فى كتاب طيف الخيال ١٧ - ٢٠ ، ٩ - ١٣ .

(٦) م « كما قال » .

وقوله : « من آخر الليل » . ولم يقل من أول الليل . يريد أنه لا ينام بالليل ، وأنه يسهره ، وأنه يهْوُمُ في آخره تَهْوِيماً فيطرقة الخيال في ذلك الوقت .

وقوله : « وإن كان مَغْسُولاً من السَّقَمِ » . [ أى ] وإن كان حُلُواً من الأسقام ، أى كأنه ممزوج بالعسل . ويرويه قوم : / « وإن كان مغسولاً من السقم » . وليس بشئ .  
وهذه أبيات حسان ، وغرض صحيح .

\* \* \*

وقال أبو تمام أيضاً :  
عَادَكَ الزَّوْرُ لَيْلَةَ الرَّغْلِ مِنْ رَمَ لَمَّةَ بَيْنَ الْجَمَى وَبَيْنَ الْمَطَالِي<sup>(١)</sup>  
نَمْ ، فَمَا زَارَكَ الْخِيَالُ وَلَكِنْكَ نَكَ بِالْفِكْرِ زُرْتَ طَيْفَ الْخِيَالِ  
وقد أكثر أصحاب أبي تمام الفخر بهذا البيت ، والتنويه بذكره ،  
وأفرطوا في استحسانه ، وقالوا<sup>(٢)</sup> : كشف عن العلة في طُرُوقِ الخيال ،  
وبَيَّنَّ عن المعنى .

والبيت حسن . وإنما أخذ معناه من قول جرَّان العود :  
أَهْلًا بِطَيْفِكَ مِنْ زَوْرِ أَتَاكَ بِهِ حَدِيثُ نَفْسِكَ عَنْهُ وَهُوَ مَشْغُولُ<sup>(٣)</sup>  
فقوله : وهو مشغول . أى . إنه لم يزرك على الحقيقة . فبنى من هذا  
قوله : « مازارك الخيال » وبنى من قوله : « أتاك به حديث نفسك » - ولكنك

( ١ ) ديوان أبي تمام ٤٥٩ وأمال المرتضى ١ / ٥٤٢ وطيف الخيال ٢٠ ، ١٣ والزهرة ٢٦٣ .

( ٢ ) م « وقال » .

( ٣ ) ديوان جرَّان العود ٥٥ « سقيالزورك » . . وحماسة ابن الشجرى ١٧٧ .



بالفكر زرت [طيف] الخيال . فالمعنى كله لجران ، وإنما غير أبو تمام اللفظ<sup>(١)</sup>  
وقد قال الكميت :

فَلَمَّا اُنْتَبَهْتُ وَجَدْتُ الْخَيَالَ اَمَانِي نَفْسِي وَاَفْكَارَهَا  
أى وجدت الخيال أنا الجالبُ له بَأْمَانِي . وهذا ذلك المعنى بعينه .

وقد أورد أبو تمام المعنى على حَذْوِ ما قاله جرّان سواء فقال :  
استزارته فكرتي في المنام فَاتَانِي فِي خَفِيَةٍ وَكُنْتَام<sup>(٢)</sup>  
/ قد ذكر أن فكرته أتنه بالطيف زائراً كما قال جرّان : « أتاك به حديث  
نفسك » .

ووصل أبو تمام بيته بأن قال :  
الليالي أَخْفَى بِقَلْبِي إِذَا مَا جَرَحَتْهُ النَّوَى مِنَ الْآيَامِ<sup>(٣)</sup>  
يا لها زَوْرَةٌ تَنْزَهَتْ الْأَرْوَاحُ فِيهَا سِرّاً مِنَ الْأَجْسَامِ<sup>(٤)</sup>  
مَجْلِسٌ لَمْ يَكُنْ لَنَا فِيهِ عَيْبٌ غَيْرَ أَنَّا فِي دَعْوَةِ الْأَخْلَامِ  
ليس لهذه الأبيات حلاوة ، ولا عليها طلاوة<sup>(٥)</sup> .

\*\*\*

وقال أبو تمام :  
حَمَمْنَا الطَّيْفَ مِنْ أُمِّ الْوَلِيدِ خُطُوبٌ شَيَّبَتْ رَأْسَ الْوَلِيدِ<sup>(٦)</sup>

(١) راجع نقد المرتضى لهذا في طيف الخيال ٢١ .

(٢) ديوان أبي تمام ٤٦٠ .

(٣) حماسة ابن الشجري ١٧٧ وأمال المرتضى ٥٤٢/١ وفي ديوانه « فالليالي أخفى بقلبي إذا

جرعته النوى » .

(٤) في الديوان « يا لها ليلة » .

(٥) راجع نقد المرتضى في طيف الخيال ٢١ ، ١٨ .

(٦) ديوان أبي تمام ١٠٤ وشرح التبريزي ٢ / ٣٣ .

رَأْنَا مُشْعَرَى أَرْقٍ وَحُزْنَ وَبُغْيَتُهُ لَدَى الرَّكْبِ الْهُجُودِ<sup>(١)</sup>  
سُهَادٌ يَرْجَحُنُ الطَّرْفُ مِنْهُ وَيُولِجُ كُلَّ طَيْفٍ بِالصُّلُودِ

يرجحن : أى يتناقل فى حركته كالمعنى فى سيره الثقيل إذا عدل يَمَنَّةً  
وشامةً مثل السحابة المُرْجَحِنَةُ لكثرة ماها . وإنما يريد ثِقَلُ أَجْفَانِهِ عند  
النظر من طول السهر .

ولا أعرف لأبى تمام فى طروق الخيال غير ما ذكرته .

\*\*\*

فأما البحرى فإنه أولع بذكر الخيال فقال فيه ، وأكثر ، وأجاد ،  
وأبدع ، وتصرف فى معان لم يأت أحد بمثلا ، وقد استفتح قصائد كثيرة  
بذكر الخيال ؛ لشدة شغفه به ، فأحسن فى ابتدائه كلها ، / وزاد على  
الإحسان . فمن ذلك قوله :

أَمِنْكَ تَأَوُّبُ الطَّيْفِ الطَّرُوبِ حَبِيبٌ جَاءَ يُهْدَى مِنْ حَبِيبِ<sup>(٢)</sup>

وقوله :

أَجْدَكَ مَا يَنْفَكُ يَسْرِى لِزَيْنَبَا خِيَالٌ إِذَا أَبَ الظَّلَامُ تَأَوَّبَا<sup>(٣)</sup>

وقوله :

قَدْ كَانَ طَيْفُكَ مَرَّةً يُغْرِى بِي يَعْتَادُ رَكْبِي طَارِقًا وَرِكَابِي<sup>(٤)</sup>

(١) فى شرح التبريزى « يقول : لم يبحثنا طيفها لأننا لم نَم وإنما يطلب من ينام » .

(٢) ديوان البحرى ٣٨٩ ، ١ / ٩٨ دار المعارف .

(٣) ديوانه ٨٢ ، ١٩٦ / ١ وحماسة ابن الشجرى ١٧٨ .

(٤) ديوانه ٢٢٠ ، ١ / ٨٨٩ وفى م « فإن كان » .

وقوله :

حَظِيفُ أَلَمٍ فَحَيًّا عِنْدَ مَشْهَدِهِ      قَدْ كَانَ يَشْفِي الْمَعْنَى مِنْ تَلَدُّدِهِ<sup>(١)</sup>

وقوله :

مِثَالُكَ مِنْ طَيْفِ الْخَيَالِ الْمُعَاوِدِ      أَلَمٌ بِنَا مِنْ أَفْقِهِ الْمُتَبَاعِدِ<sup>(٢)</sup>

وقوله :

عَجَبًا لِطَيْفِ خَيَالِكَ الْمُتَعَاهِدِ      وَلَوْ ضَلَّكَ الْمُتَقَارِبِ الْمُتَبَاعِدِ<sup>(٣)</sup>

وقوله :

قُلْ لِلْخَيَالِ إِذَا أَرَدْتَ فَعَاوِدِ      تُدْنِي الْمَسَافَةَ مِنْ هَوَى مُتَبَاعِدِ<sup>(٤)</sup>

وقوله :

هَجَرْتُ وَطَيْفُ خَيَالِهَا لَمْ يَهْجُرِ      وَنَأَتْ بِحَاجَةٍ مُغْرَمٍ لَمْ يُقْصِرِ<sup>(٥)</sup>

وقوله :

/ أَلَمْتُ ، وَهَلْ إِلْمَامُهَا لَكَ نَافِعُ      وَزَارَتْ خَيَالًا وَالْعُيُونُ هَوَاجِعُ<sup>(٦)</sup>

وقوله :

بَيْتٌ أَبَدِي وَجَدًا ، وَأَكْتُمُ وَجَدًا      مِنْ خَيَالٍ قَدْ بَاتَ لِي مِنْكَ يُهْدَى<sup>(٧)</sup>

وقوله :

بَرْحَ بِي الطَّيْفُ الَّذِي يُسْرِى      وَزَادَنِي سُكْرًا إِلَى سُكْرِ<sup>(٨)</sup>

(١) ديوان البحري ٥٨٠ .

(٢) ديوانه ٥٣ .

(٣) ديوانه ٤٦٤ .

(٤) ديوانه ٢٩٨ .

(٥) ديوانه ١١٩ ، ٢ / ٨٦٠ .

(٦) ديوانه ٧١ ، ٢ / ١٣٠٢ دار المعارف .

(٧) ديوانه ٧٣٧ « الخيال » .

(٨) ديوانه ٦٢٩ ، ٢ / ١٠١٠ دار المعارف .

وقوله :

سَرَى مِنْ خَيَالِ الْمَالِكِيَّةِ مَا سَرَى      فَتَيَّم ذَا الْقَلْبِ الْمُعْنَى وَأَسْهَرَا<sup>(١)</sup>

وقوله :

يَهْدِي الْخَيَالُ لَنَا ذِكْرَى إِذَا طَافَا      وَافَى يُخَادِعُنَا وَالصُّبْحُ قَدْ وَافَى<sup>(٢)</sup>

وقوله :

مَرْحَبًا بِالْخَيَالِ مِنْكَ الْمُطِيفِ      فِي شُمُوسٍ لَمْ تَتَّصِلْ بِكُشُوفِ<sup>(٣)</sup>

وقوله :

أَمَّا الْخَيَالُ فَإِنَّهُ لَمْ يَطْرُقِ      إِلَّا بِعُقْبِ تَشَوُّفٍ وَتَشَوُّقِ<sup>(٤)</sup>

وقوله :

هَذَا الْحَبِيبُ فَمَرْحَبًا بِخَيَالِهِ      أَنَّى أَهْتَدَى وَاللَّيْلُ فِي سِرْبَالِهِ<sup>(٥)</sup>

/ وقوله :

خَيَالٌ مُلَمٌّ ، أَوْحَيْبٌ مُسَلَّمٌ      وَبَرَقٌ مُجَلَّى ، أَوْ حَرِيقٌ مُضَرَّمٌ<sup>(٦)</sup>

وقوله :

أَأَرَاكَ الْحَبِيبُ خَاطِرَ وَهْمٍ      أَمْ أَزَارَتْكَ أَصَابِيلُ حُلْمٍ<sup>(٧)</sup>

(١) ديوان البحري ٧٦٢ ، ٢ / ٩٣١ دار المعارف .

(٣) ديوانه ٣٣٧ ، ١٣٨٠ .

(٣) ديوانه ٢٧١ ، ١٣٦٣ .

(٤) ديوانه ٦٢٣ ، ١٤٧٩ .

(٥) ديوانه ٤٢٦ .

(٦) ديوانه ٩٦ « ويرق تجلى » .

(٧) ديوانه ٣١٦ وفي « لا أراك » .

وقوله :

خَيْالٌ يَغْتَرِينِي فِي الْمَنَامِ لِسَكْرَى اللَّحْظِ ، فَاتِنَةُ الْكَلَامِ<sup>(١)</sup>

وقوله :

طَيْفٌ تَأَوَّبَ مِنْ سُعْدَى فَحَيَّانِي أَهْوَاهُ وَهُوَ بُعِيدَ النَّوْمِ يَهْوَانِي<sup>(٢)</sup>

وقوله :

طَيْفٌ لِعَلْوَةٍ مَا يَنْفَكُ يَأْتِينِي يَضُبُّوا إِلَيَّ عَلَى خُلْفٍ فَيُضِيبُنِي<sup>(٣)</sup>

وقوله :

طَيْفُ الْخَيَالِ أَلَمْ مِنْ عُذْوَانِهِ وَبَعِيدِ مَوْضِعِ أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ<sup>(٤)</sup>

وقوله :

أَحْبَبَ إِلَيَّ بِطَيْفِ سُعْدَى الْآتِي وَطُرُوقِهِ فِي أَكْثَرِ الْأَوْقَاتِ<sup>(٥)</sup>

وقوله :

/ خَيْالٌ مَآوِيَّةُ الْمُطِيفُ أَرْقَ عَيْنًا لَهَا وَكَيْفُ<sup>(٦)</sup>

وقوله :

أَرْجُ لِرِيًّا طَلَّةَ رِيَّاهُ لَا يَبْعُدُ الطَّيْفُ الَّذِي أَهْدَاهُ<sup>(٧)</sup>

(١) ديوان البحري ٦١٧ « فاتنة القوام » .

(٢) ديوانه ٥٠٠ .

(٣) ديوانه ٤١٧ « على بعد ويصيبني » .

(٤) ديوانه ٦٥٧ « طيف الحبيب . . وبعيد موقع » .

(٥) ديوانه ٤٥٤ ، ٣٦٣ / ١ دار المعارف « في أعجب » .

(٦) ديوانه ٤٧٢ .

(٧) ديوانه ٢٩٦ .

وما أَحْسَنَ ما قال مُسْلِمٌ بن الوليد :

طيف الخيال حَمِدْنَا مِنْكَ إِمَامًا دَاوَيْتَ سُقْمًا ، وَقَدْ هَيَّجْتَ أَسْقَامًا <sup>(١)</sup>

مضت الابتداآت

\*\*\*

وهذا ما جاء عن البحترى من وصف الخيال فى وسط الكلام . قال :

فلا وَضَلَ إِلَّا أَنْ يُطِيفَ خِيَالُهَا      بِنَا تَحْتَ جَوْشُوشٍ مِنَ اللَّيْلِ أَسْفَعَ <sup>(٢)</sup>  
 أَلَمْتُ بِنَا بَعْدَ الْهُدُوِّ فَسَامَحَتْ      بِوَضَلٍ مَتَى تَطْلُبُهُ فِى الْجَدِّ تَمْنَعِ <sup>(٣)</sup>  
 وَمَا بَرَحَتْ حَتَّى مَضَى اللَّيْلُ فَانْقَضَى      وَأَعْجَلَهَا دَاعِى الصَّبَاحِ الْمُلَمَعِ <sup>(٤)</sup>  
 فَوَلَّتْ كَأَنَّ الْبَيْنَ يَخْلُجُ شَخْصَهَا      أَوَّانَ تَوَلَّتْ مِنْ حَشَاىَ وَأَضْلَعِى <sup>(٥)</sup>  
 وَرُبَّ لِقَاءٍ لَمْ يُؤْمَلْ ، وَفُرْقَةٍ      لِأَسْمَاءٍ لَمْ تُحْزَرْ وَلَمْ ، تُتَوَقَّعِ <sup>(٦)</sup>  
 أَسْرَ بِقُرْبٍ مِنْ مُلِمٍّ مُسَلَّمٍ      وَأَشْجَى بَيْنِ مِنْ حَبِيبٍ مُودَّعٍ  
 وَكَائِنْ لَنَا بَعْدَ النَّوَى مِنْ تَفَرُّقٍ      تُزَجِّيه أَحْلَامُ الْكَرَى ، وَتَجْمَعِ <sup>(٧)</sup>  
 وَمِنْ لَوْعَةٍ تَعْتَادُ فِى إِثْرِ لَوْعَةٍ      وَمِنْ أَدْمَعٍ تَرْفُضُ فِى إِثْرِ أَدْمَعٍ

/ فانظر إلى هذه العبارة الحسنة ، وإخباره إياك بالشئ على ما كان .

(١) ديوان مسلم بن الوليد ٦١ .

(٢) ديوان البحترى ٨٩ و ١٢٣٨ / ٢ طبع المعارف .

(٣) حماسة ابن الشجرى ١٧٧ وأمالى القالى ١ / ٢٢٨ .

(٤) قال ابن الشجرى فى حماسه ١٧٨ « لم يورد لفظة " الملمع " على سبيل اضطراب القافية إليها ،

ولكن لها معنى صحيح لا يقوم غيرها فيه مقامها ؛ لأن أوائل الصباح وقيل ابيضاض الصبح وانتشاره - يكون البياض مزوجاً بالسواد ملمعاً به ، لأن بياض الصبح لم يظهر كل الظهور ، فكانه أراد أن الطيف فارقه فى أول الصبح وقبل انتشاره » .

(٥) م « تولت كأن » .

(٦) م « لم تحدد » وفى الديوان « لم تحذر » .

(٧) م « ترجمه » .

ونحو ذلك في الحسن والصحة قوله :

وإِنِّي وَإِنْ ضَنْتُ عَلَى بُودْهَاسَا لَا زَنَاحُ مِنْهَا لِلْخِيَالِ الْمُورِّقِ<sup>(١)</sup>  
يَعِزُّ عَلَى الْوَاشِينَ لَوْ يَعْلَمُونَهَا لَيَالٍ لَنَا نَزْدَارُ فِيهَا وَنَلْتَقِ  
فَكُمُ غُلَّةٌ لِلشُّوقِ أَطْفَاتُ حَرِّهَا بِطِيفٍ مَتَى يَطْرُقُ دُجَى اللَّيْلِ يَطْرُقُ  
أَضْمُ عَلَيْهِ جَفَنَ عَيْنِي تَعْلُقًا بِهِ عِنْدَ إِجْلَاءِ النَّعَاسِ الْمُرْتَقِ  
فقوله : « أضم عليه جفن عيني تعلقاً » - من أحسن كلام ، وأصح  
معنى وأصدقه وأكثره ، وكثيراً ما ينال أكثر الناس ذلك عند إجلاء النوم ،  
وابتداء اليقظة إذا كان في رؤيا يلدّها .

وقال أيضاً :

أَجِدْكَ مَا يَنْفَكُ يَسْرِي لِزَيْنَبَا خِيَالٌ إِذَا آبَ الظَّلَامُ تَأَوَّبَا<sup>(٢)</sup>  
سَرَى مِنْ أَعَالِي الشَّامِ يَجْلِبُهُ الْكَرَى هُبُوبَ نَسِيمِ الرُّوضِ تَجْلِبُهُ الصَّبَا  
وَمَا زَارَنِي إِلَّا وَلِهْتُ صَبَابَةً إِلَيْهِ ، وَإِلَّا قُلْتُ أَهْلًا وَمَرْحَبًا<sup>(٣)</sup>  
وَلَيْلَتَنَا بِالْجِزْعِ بَاتَ مُسَاعِفًا يُرِينِي أَنَاةَ الْخَطْوِ نَاعِمَةَ الصَّبَا  
أَصْرَتْ بِضَوْءِ الْبَدْرِ وَالْبَدْرُ طَالِعٌ وَقَامَتْ مَقَامَ الْبَدْرِ لَمَّا تَغَيَّبَا  
قوله : « إذا آب الظلام تأوَّبَا » . آبَ : أى رجع ، وتأوَّب<sup>(٤)</sup> : تراجع .  
يعنى [ أن ] الطيف إذا عاد ، الظلام عاد . وليس ذلك من التأوُّب الذى  
هو سَيْرُ النهار كله .

( ١ ) ديوان البحرى ٧٧ ، ١٥٠٨ وحاسة ابن الشجرى ١٧٨ .

( ٢ ) ديوانه ٨٢ و ٥١ / ١ طبع المعارف وحاسة ابن الشجرى ١٧٨ - ١٧٩ .

( ٣ ) م « زادنى . . إليك وإلا » .

( ٤ ) م « وتلوّب » .

وقوله : « سرى من أعلى الشام » - بَيَّنْتُ في غاية الحسن والحلاوة .

\*\*\*

وقال :

أَمَا رَاعَكَ الْحَيُّ الْحَلَالُ بِهَجْرِهِمْ      وَهُمْ لَكَ غَدَاً بِالتَّفَرُّقِ أَرْوَعُ<sup>(١)</sup>  
بَلَى ، وَخَيَالٍ مِنْ أَثِيلَةٍ كُلَّمَا      نَأَوَّهْتُ مِنْ وَجْدٍ تَعَرَّضَ يُطْمِعُ  
إِذَا زُورَةٌ مِنْهُ تَقَضَّتْ مَعَ الْكَرَى      تَنَبَّهْتُ مِنْ وَجْدٍ لَهُ أَتَفَزَّعُ<sup>(٢)</sup>  
تَرَى مُقْلَتِي مَالًا تَرَى فِي لِقَائِهِ      وَتَسْمَعُ أَذْنِي مِنْهُ مَا لَيْسَ تَسْمَعُ<sup>(٣)</sup>  
وَيَكْنُفِيكَ مِنْ حَقٍّ تَخْذِيلُ بَاطِلٍ      تُرَدُّ بِهِ نَفْسُ اللَّهْفِ فَتَرْجِعُ

ولست أقول في هذا إلا ما كان البحترى يقوله ، وحدثنا به أبو علي محمد بن العلاء السُّجِسْتَانِي : إنه كان إذا شرب وسكر أنشد مثل هذه الأبيات وأشباهاها من شعره ، وقال : ألا تسمعون ؟ ألا تعجبون ؟

\*\*\*

وقال :

أَخْيَالٌ عَزَّةٌ كَيْفَ زُرْتِ وَعِنْدَنَا      أَرْقُ يُشْرَدُ بِالْخَيَالِ الزَّائِرِ<sup>(٤)</sup>  
طَيْفُ أَلَمٍ بِنَا وَنَحْنُ بِمَهْمِهِ      قَفَرٍ يَشُقُّ عَلَى الْمِلْمِ الْخَاطِرِ<sup>(٥)</sup>  
حَتَّى إِذَا نَزَعُوا الدَّجَى وَتَسَرَّبَلُوا      مِنْ نَوْرِ هَلْهَلَةٍ الصَّبَاحِ النَّائِرِ<sup>(٦)</sup>

(١) ديوان البحترى ٣٠٤ ، ٢ / ١٢٦٨ دار المعارف وطيف الخيال ٢٧ ، ٢٨ .

(٢) م « زورة ينوى » وفي الديوان « من فقد له » .

(٣) في الديوان « أذنى رجع » .

(٤) ديوانه ٦٥١ ، ٢ / ١٠١٦ طبع المعارف وطيف الخيال ٢٨ ، ٢٩ « أخيال علوة » .

(٥) م « ألم لها » وفي الديوان : « بمهمه مرت » .

(٦) في الديوان « من فضل . . الغائر » والنائر : المنير .



وَرَنُوا إِلَى شُعْبِ الرِّحَالِ بِأَعْيُنٍ يَكْسِرُونَ مِنْ نَظَرِ النُّعَاسِ الْفَاتِرِ<sup>(١)</sup>  
أَهْوَى فَأَسْعَفَ بِالتَّحِيَّةِ خِلْسَةً وَالشَّمْسُ تَلْمَعُ فِي جَنَاحِ الطَّائِرِ  
/ سِرْنَا وَأَنْتِ مُقِيمَةٌ ، وَلَرُبَّمَا كَانَ الْمُقِيمُ عَلاَقَةً لِلْسَّائِرِ

وهذا - والله - الكلام العربي ، والمذهب الذى يبعد على غيره أن  
يأتى مثله .

وقال :

إِذَا مَا الْكَرَى أَهْدَى إِلَى خَيْالِهِ شَفَى قُرْبُهُ التَّبْرِيحَ ، أَوْ نَقَعَ الصَّدَى  
إِذَا أَنْتَزَعْتَهُ مِنْ يَدَى أَنْتِبَاهَةٍ عَدَدْتُ حَبِيبًا رَاحَ مِنِّي ، أَوْ غَدَا<sup>(٢)</sup>  
وَلَمْ أَرِ مِثْلَيْنَا ، وَلَا مِثْلَ شَانِنَا نُعَذَّبُ أَيْقَاطًا ، وَنَنْعَمُ هُجْدًا

وقال :

أَقَامَتْ عَلَى الْهَجْرَانِ مَا إِنْ تَجُوزُهُ وَخَالَفَهَا بِالْوَصْلِ طِيفٌ لَهَا يَسْرِى<sup>(٣)</sup>  
فَكَمْ فِي الدُّجَى مِنْ فَرَحَةٍ بِلِقَائِهَا وَكَمْ تَرَحُّ بِالْبَيْنِ مِنْهَا لَدَى الْفَجْرِ  
إِذَا اللَّيْلِ أَعْطَانَا مِنَ الْوَصْلِ بُلْغَةً ثُنْتْنَا تَبَاشِيرُ الصَّبَاحِ إِلَى الْهَجْرِ<sup>(٤)</sup>  
وَلَمْ أَنْسَ إِسْعَافَ الْكَرَى بِدُنُوتِهَا وَزَوَّرَتْهُمَا بَعْدَ الْهُدُوِّ وَمَا تَذْرِى

وقال :

إِنْ رِيًّا لَمْ تَسْقِ رِيًّا مِنَ الْوَضِّ لِي وَلَمْ تَذْرِ مَا جَوَى الْعُشَّاقِ<sup>(٥)</sup>

٠ (١) فى الديوان « ورموا » .

(٢) ديوان البحرى ١٣٣ ، ٦٧٠/٣ وطيف الخيال ٢٩ ، ٣٢ وأمالى المرتضى ١ / ٥٤٣ وفى م

« سقى قربه » .

(٣) ديوانه ٦٢١ ، ٢ / ١٠٠٤ وطيف الخيال ٣٠ ، ٣٣ وحجاسة ابن الشجرى ١٨٠ .

(٤) فى الديوان « تبشير النهار » .

(٥) ديوانه ٤٣٨ ، ١٤٦١ وحجاسة ابن الشجرى ١٨٠ وطيف الخيال ٢٣ ، ٢١ .

بَعَثَتْ طَيْفَهَا إِلَى وَدُونِي وَخَذْتُ شَهْرَيْنِ لِلْيَهَارَى الْعِتَاقِ  
 زَارَ وَهْنًا مِنَ الشَّامِ فَحَيًّا مُسْتَهَامًا صَبًّا بِأَعْلَى الْعِرَاقِ  
 فَقَضَى مَا قَضَى ، وَعَادَ إِلَيْهَا وَاللُّجَى فِي بُرُودِهَا الْأَخْلَاقِ  
 / قَدْ أَخَذْنَا مِنَ التَّلَاقِ بِحَظٍّ وَالتَّلَاقِ فِي النَّوْمِ عِدْلُ التَّلَاقِ  
 وهذا حسن جدًا .

والطف وأحسن وأحلى قوله :

وزائِرٍ زَارَ مِنْ أَعَقَّتِهِ يَجِيلُ وَزَنًا بِأَنْسِهِ دُعْرُهُ<sup>(١)</sup>  
 كَأَنَّهُ جَاءَ مُنْجِزًا عِدَّةً وَبِتُ فِي الرَّاقِبِينَ أَنْتَظِرُهُ  
 لَمْ أَنْسُهُ مُرَشِكًا عَلَى وَجَلٍ مُدَامَجًا لِلْحَدِيثِ يَخْتَصِرُهُ<sup>(٢)</sup>  
 كَأَنَّمَا الْكَاشِحُونَ قَدْ خَرَصُوا مَكَانَهُ ، أَوْ أَتَاهُمْ خَبْرُهُ<sup>(٣)</sup>

وقال :

تَذَرِينَ كَمْ مِنْ زَوْرَةٍ مَشْكُورَةٍ مِنْ زَائِرٍ وَهَبَ الْخَطِيرَ وَمَا دَرَى<sup>(٤)</sup>  
 غَابَ الْوُشَاةُ قَبَاتَ يَسْهَلُ مَطْلَبُ لَوْ يَشْهَدُونَ طَرِيقَهُ لَتَوَعَّرَا  
 كَانَ الْكَرَى حَظَّ الْعُيُونِ وَلَمْ أَخْلُ أَنْ الْقُلُوبَ لَهُنَّ حَظٌّ فِي الْكَرَى  
 دَمْعٌ تَعْلُقُ بِالشُّثُونِ فَلَمْ يَزَلْ بَرَقَ الْغَرَامُ يَسُوقُهُ حَتَّى جَرَى<sup>(٥)</sup>  
 قَامَتْ تُمْنِينِي الْوِصَالِ لِتَبْتَلِي جَلَلِي ، وَحَاجَةُ أَكْمَةٍ أَنْ يُبْصِرَا<sup>(٦)</sup>

(١) م « من أعتقه » والأبيات في ديوانه ٢ / ١٠٣٣ دار المعارف وطيف الخيال ٢٤ ، ٢٣ .

(٢) م « على وجل . . مختصره » .

(٣) راجع نقد المرتضى في طيف الخيال ٢٤ ، ٢٣ .

(٤) ديوان البحري ٣٧٦ ، ٢ / ٩٧٤ وطيف الخيال ٢٥ ، ٢٤ .

(٥) في الديوان « في الشُّثُونِ فلم يزل يرح » .

(٦) في الديوان « باتت » .

مَنْبِتِنَا عَلَّاءَ ، وَمَا أَنهَلْتِنَا  
تَاللَّهِ لَمْ أَرْ مُذْ رَأَيْتُ كَلْبِلَتْنِي فِي الْعَلْتِ إِلَّا لَيْلَتِي فِي عُكْبَرَا  
أَهْوَى الظَّلَامَ وَأَنْ أَمْلَأَهُ وَقَدْ حَذَرَ الصَّبَاحُ نِقَابَهُ أَوْ أَسْفَرَا  
وهذا - لعمري - هو القول الذي لو ورده الظمان لروى ؛ لكثرة مائه <sup>(١)</sup>.

وقال :

بَيْتُ أَيْدِي وَجْدًا ، وَأَكْتُمُ وَجْدًا لِحَيْبَالٍ قَدْ بَاتَ لِي مِنْكَ يُهْدَى <sup>(٢)</sup>  
أَقْسِمُ الظَّنَّ فِيهِ أَنِّي تَخَطَّى الرُّحْلَ رَمَلًا مِنْ عَالِجٍ ، وَأَنَّى تَهْدَى  
خَطَا مَا أَزَارَنَاهُ طُرُوقًا أَمْ تَوَخَّيَهُ لِلزِّيَارَةِ عَمْدًا <sup>(٣)</sup>  
لَا تَحِيبُ الْبِلَادُ تَخْطُرُ فِيهَا رُسُلُ الشُّوقِ مِنْ خِيَالَاتِ سُعْدَى  
وَعَدْتَنَا فَمَا وَقَتْ بِيَوْصَالٍ وَوَقَتْ حِينَ أَوْعَدْتَ أَنْ تَصُدَّ <sup>(٤)</sup>  
قَرَّبَ الطَّيْفُ مُنْتَوَاهَا فَأَصْبَحَ تُحْدِثُ حَدِيثًا بِنَاقِضِ الْعَهْدِ عَهْدًا <sup>(٥)</sup>  
قوله : « لَا تَحِيبُ الْبِلَادُ تَخْطُرُ فِيهَا » - بيت حسن جدًا ؛ جعل  
الخيالاتِ رُسُلًا للشوق .

وقال في قصيدته التي أولها :

\* بَانَ عَهْدُ الصَّبَا وَبَاقِي جَدِيدُهُ <sup>(٦)</sup> \*

(١) يحيل : أى يصير حولا ، وانظر تعقيب المرتضى في طيف الخيال ٢٥ .

(٢) ديوان البحترى ٧٣٧ ، ١ / ٥٦٩ دار المعارف .

(٣) بعده في الديوان :

جاء يسرى فأشرقت أرض نجد لسراه وواصل الغيث نجدا

(٤) في الديوان « أَنْ تَصُدَّى » .

(٥) في الديوان « الطيف منتهاها » .

(٦) ديوانه ٥٧٤ ، ١ / ٥٩٦ وعجزه « بين إعواز طالب ووجوده » وفي م « بان عهد » .

مِنْكَ طَيْفٌ أَلَمَ وَالْأَفْقُ مَلَأَ      نُ مِنَ الْفَجْرِ ، وَأَعْرَاضِ عَمُودِهِ<sup>(١)</sup>  
 زَائِرٌ أَشْرَقَتْ لِرُؤُوسِهِ أَغْ      وَارُ أَرْضِ الْعِرَاقِ بَعْدَ نُجُودِهِ<sup>(٢)</sup>  
 أَرَبُ النَّفْسِ كُلُّهُ وَمَتَاعُ الْ      مَيْنِ فِي خَدِّهِ ، وَفِي تَوْرِيدِهِ<sup>(٣)</sup>  
 مُعْطِيًا مِنْ وَصَالِهِ فِي كَرَى النَّوْ      مِ الَّذِي كَانَ مُعْطِيًا مِنْ صُدُودِهِ<sup>(٤)</sup>  
 يَقْطَاطُ الْمُحِبِّ سَاعَاتُ بَوْسَا      هُ ، وَنَعْمَاءُ عَيْشِهِ فِي هُجُودِهِ<sup>(٥)</sup>

/ وقال :

وَمَا أَذْنُكَ دَاعِيَ الْبَيْنِ حَتَّى تَزَايَلَتْ      قِيَابُ بَنَاهَا حَاضِرٌ وَخِيَامُ<sup>(٦)</sup>  
 عَشِيَّةَ مَا بِي عَنْ شُبَيْثٍ تَرَحُّلُ      [فَأَمْضَى] وَلَالِي فِي شُبَيْثَ مَقَامُ<sup>(٧)</sup>  
 فَمَا نَلْتَقَى إِلَّا عَلَى حُلْمٍ هَاجِدٍ      يُحِلُّ لَنَا جَدْوَالِكِ وَهُوَ حَرَامُ<sup>(٨)</sup>  
 إِذَا مَا تَبَاذَلْنَا النَّفَائِسَ خِلْتَنَا      مِنَ الْجِدِّ أَيْقَاطًا وَنَحْنُ نِيَامُ

وهذا قول ليس بينه وبين القلب حجاب .

وقال :

أَرْجُمُ فِي لَيْلَى الظُّنُونِ وَأَرْتَجِي      أَوَائِلَ حُبِّ أَخْلَفْتَنِي أَوَائِلُهُ<sup>(٩)</sup>  
 وَلَيْلَةَ هَوْمَنَا عَلَى الْعِيْسِ أَرْسَلَتْ      بِطَيْفِ خِيَالٍ يُشْبِهُ الْحَقَّ بَاطِلُهُ  
 فَلَوْلَا بَيَاضُ الصُّبْحِ طَالَ تَشَبُّي      بِعِظْفِي غَزَالٍ بَتَّ وَهْنَا أَغَازِلُهُ

(١) م « من الفخر » !

(٢) في الديوان « أشرق لزورته » .

(٣) في الديوان « كان مانعاً من » .

(٤) في الديوان : « بؤساء نعماء عيشه » .

(٥) ديوانه ٣٦٣ طيف الخيال ٣٢ ، ٣٧ وفي م « ميام بناها » .

(٦) الزيادة من الديوان .

(٧) في الديوان « وهى حرام » .

(٨) ديوانه ١٥ وطيف الخيال ٣٣ ، ٣٨ وحاسة ابن الشجرى ١٨٠ .

وَكَمْ مِنْ يَدٍ لِلَّيْلِ عِنْدِي حَمِيدَةٍ      وَلِلصُّبْحِ مِنْ خَطْبٍ تُذَمُّ غَوَائِلُهُ  
وهذا كله إنما حسنَ هذا الحسن ، وقبلته النفوسُ لأنه اعتمد أن يخبر  
بالأمر على ما هو ، مع حسن عبارته ، وبراعة نسجه ، وجودة تلخيصه ،  
ومتخير ألفاظه .

وقد ذهب البحتري مذهباً آخر ، وأحسن فيه كل الإحسان . وهو أن  
شبه الزائر الذي زار بالخيال ؛ لشدة فرحه ، وخوفه أن لا يكون له حقيقة .  
وقال في قصيدته التي أولها :

\* بُودَى لَوْ يَهْوَى الْعُلُولُ وَيَعْشَقُ<sup>(١)</sup> \*

وزورٍ أتاني طارقاً فحسبته      خيلاً من آخر الليل يطرق<sup>(٢)</sup>  
أقسمُ فيه الظنُّ : طوراً مكذباً      به أنه حقٌ ، وطوراً أصدقُ  
أخافُ وأرجو بطلَ ظنِّي وصدقهُ      فللهِ شكى حينَ أَرَجُو وَأَفْرَقُ  
وقد ضَمْنَا وَشكُ التَّلَاقِ وَلَقْنَا      عناقٌ على أعناقنا ثم ضيقُ  
فلم نَرَ إِلَّا مُخْبِراً عَن صَبَابَةٍ      بِشكوى ، وإلا عبرةً تتدفقُ<sup>(٣)</sup>  
فأحسِنَ بِنَا وَالدمْعُ بِالدمْعِ وَاشْجُ      تمازجُهُ ، والخدُّ بالخدِّ مُلصَقُ<sup>(٤)</sup>  
ومن قبْلِ قَبْلِ التَّشَاكِي وَبَعْدُهُ      نكادُ بها من شِدَّةِ اللِّثَمِ نَشْرَقُ<sup>(٥)</sup>  
فلو فهمَ النَّاسُ التَّلَاقِ وَحُسْنُهُ      لحبَّبَ مِنْ أَجْلِ التَّلَاقِ التَّفَرُّقُ

(١) ديوان البحتري ١٤٨ ، ١٥٣٤ وعجزه « فيعلم أسباب الهوى كيف تعلق » .

(٢) طيف الخيال ٦٠ ، ٨٨ .

(٣) في الديوان « عبرة تفرق » .

(٤) م « يمازجه » .

(٥) م « يكاد بها . . . يشرق » .

وقال في نحو هذا :

حَبِيبٌ سَرَى فِي خُفْيَةٍ وَعَلَى دُعْرِ  
تَشَكُّتٍ فِيهِ مِنْ سُرُورٍ وَخِلْتُهُ  
وَأَفْرَطْتُ مِنْ وَجْدٍ بِهِ فَدَرَى بِنَا  
يَجُوبُ الدُّجَى حَتَّى أَلْتَقَيْنَا عَلَى قَدْرِ<sup>(١)</sup>  
خَيْالاً أَتَى فِي النَّوْمِ مِنْ طَيْفِهِ يَسْرَى  
عَلَى سَاعَةِ الْهَجْرَانِ مَنْ لَمْ يَكُنْ يَدْرَى<sup>(٢)</sup>

وقال :

أَمَّا مُعِينٌ عَلَى الشَّوْقِ الَّذِي غَرِيَتْ  
/ كَيْفَ اللَّقَاءِ وَقَدْ أَضْحَتْ مُخِيمَةً  
تَهَاجَرُ أَمَّمٌ لَا وَضَلَ يَخْلِطُهُ  
وَقَدْ يُزِيرُ الْكَرَى مَنْ لَا زِيَارَتُهُ  
بِتَنَا عَلَى رِقَبَةِ الْوَاشِينَ مُكْتَنِفِي  
إِمَّا سَأَلْتُ بِشَخْصَيْنَا هُنَاكَ فَقَدْ  
وَلَمْ يَعُدْنِي لَهَا طَيْفٌ فَيَفْجَوْنِي  
بِهِ الْجَوَانِحُ ، وَالْبَيِّنُ الَّذِي أَفِدَا<sup>(٣)</sup>  
بِالشَّامِ لَا كُتْبَاءَ مِنْهَا ، وَلَا صَدَدَا<sup>(٤)</sup>  
إِلَّا تَزَاوُرُ طَيْفَيْنَا إِذَا هَجَدَا  
قَصْدٌ ، وَيُدْنِي الْهَوَى مِنْ بُعْدٍ مِنْ بَعْدَا<sup>(٥)</sup>  
صَبَابَةٍ نَتَعَاطَى الْبَثَّ وَالْكَمْدَا  
غَابَا ، وَأَمَّا خَيْالَانَا فَقَدْ ، شَهِدَا  
إِلَّا عَلَى أَبْرَحِ الْوَجْدِ الَّذِي عُهِدَا

لو كان قال : «إِلَّا تَزَاوُرُ طَيْفَيْنَا إِذَا هَجَدْنَا» - كان عندي أجود .  
فكأن المعنى [إذا] هجدت رأيتهما في النوم فكأن نفسي ونفسها اجتمعتا ،  
وكذلك إذا هجدت ترى مثل ما رأيت ، ويكون «طيفينا» محمولا على  
معنى نَفْسَيْنَا ؛ لأنَّ<sup>(٦)</sup> النفس هي التي ترى ما ترى في النوم ، وهي التي  
تمثل أيضاً ما تتمثله في اليقظة .

(١) ديوان البحرى ١٥١ ، ١٠٥٢/٣ وطيف الخيال ٦٠ ، ٨٨ .

(٢) في الديوان «ساعة اللقيان» .

(٣) ديوانه ٤٦ ، ١٧٧/٣ وطيف الخيال ٣٧ ، ٤٧ .

(٤) في الديوان «لا كتباً منا» .

(٥) في الديوان «من بعد ما بعدا» .

(٦) م «أن» .

وقد يسوغ مع هذا أيضاً قوله : « إذا هجدا » - أن يريد النفسين ؛  
لأن نفس الإنسان هي التي تنام كما قال الله - عز وجل - : « وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ  
فِي مَنَامِهَا » <sup>(١)</sup> فهذا سائغ <sup>(٢)</sup> ولكن الغلط وقع عليه في قوله :  
هَجَرْتَنَا يَقْطَى ، وكادتْ عَلَى عَا دَتِهَا فِي الصُّدُودِ تَهْجُرُ وَسَنَى <sup>(٣)</sup>

لأنما أراد طيفها ، وهو يرى طيفها في نومه يقظى كانت أو نائمة .

وقال :

/ طَيْفٌ تَأَوَّبَ مِنْ سُعْدَى فَحَيَّانِي / أَهْوَاهُ ، وَهُوَ بُعِيدَ النَّوْمِ يَهْوَانِي <sup>(٤)</sup>  
فِيَا لَهَا زَوْرَةٌ يُشْفَى الْغَلِيلُ بِهَا / لَوْ أَنَّهَا جَلَبَتْ يَقْطَى لِيَقْطَانِ  
مَهْزُوزَةٌ إِنْ مَشَتْ لَمْ تُلَفْ هَزَّتُهَا / فِي الْخَيْرَانِ ، وَلَمْ تُوجَدْ مَعَ أَلْبَانِ  
يُلْذِنِي الْكَرَى شَخْصَهَا مِنِّي ، وَيُوقِظُنِي / وَجْدٌ فَيُبْعِدُ عَنِّي شَخْصَهَا الدَّانِي <sup>(٥)</sup>

وقال :

أَمَّا الْخِيَالُ فَإِنَّهُ لَمْ يَطْرُقِ / إِلَّا بِعُقْبٍ تَشَوُّفٍ وَتَشَوِّقٍ <sup>(٦)</sup>  
قَدْ زَارَ مِنْ بُعْدٍ فَتَهَنَّهُ مِنْ جَوَى / ضَرِمَ ، وَسَكَنَ مِنْ فُؤَادٍ مُقْلَقٍ <sup>(٧)</sup>  
وَلَرُبَّمَا كَانَ الْكَرَى سَكَنًا لَهَا / بَعْدَ الْفِرَاقِ إِلَى اللَّقَاءِ فَتَلْتَقِي <sup>(٨)</sup>

(١) سورة الزمر : ٤٢ .

(٢) راجع تعقيب المرتضى في طيف الخيال ٣٨ .

(٣) ديوان البحترى ٣٥٧ وطيف الخيال ٣٤ وفي م « هجرتني » .

(٤) ديوانه ٥٠٠ وطيف الخيال ٥٣ .

(٥) في الديوان « منى ويعلمنى هجر فيبعد » .

(٦) ديوانه ٦٢٣ ، ١٤٧٩ وطيف الخيال ٤٢ ، ٥٨ .

(٧) في الديوان « من بعد فسكن من حشا ضرم » .

(٨) في الديوان وطيف الخيال « سبباً لنا » .

وقال :

مِثَالُكَ مِنْ طَيْفِ الْخَيَالِ الْمُعَاوِدِ      أَلَمْ بَنَّا مِنْ أَفْقِهِ الْمُتَبَاعِدِ<sup>(١)</sup>  
يُحْيِي هُجُودًا مُنْتَشِِينَ مِنَ الْكَرَى      وَمَا نَفَعُ إِهْدَاءَ السَّلَامِ لِهَاجِدِ  
إِذَا هِيَ مَالَتْ لِلْعِنَاقِ تَقَطَّعَتْ      تَعَطَّفَ أُمْلُودُ مِنَ الْبَيَانِ مَائِدِ  
إِذَا وَصَلْتَنَا لَمْ تَصِلْ عَنْ تَعَمُّدِ      وَإِنْ هَجَرَتْ أَبَدَتْ لَنَا هَجَرَ عَامِدِ

وقال [من قصيدته التي أولها]

\* قَالَتْ : الشَّيْبُ أَتَى قُلْتُ : أَجَلٌ<sup>(٢)</sup> \*

خَطَرْتُ فِي النَّوْمِ مِنْهَا خَطَرَةً      خَطَرَةَ الْبَرْقِ بَدَا ثُمَّ أَضْمَحَلِ<sup>(٣)</sup>  
أَيُّ زَوْرٍ لَكَ لَوْ قَضَا سَرَى      وَمُلْمٌ مِنْكَ لَوْ حَقًّا فَعَلْ  
يَتَوَاعَى وَالْكَرَى فِي مُقْلَتِي      فَإِذَا فَارَقَهَا النَّوْمُ بَطْلُ

وقال [من قصيدته التي أولها]

\* شَدَمًا أَغْرَيْتَ ظُلُومٌ بِهِجْرِي<sup>(٤)</sup> \*

طَرَقْتَنَا فِي الْخَيَالَاتِ سُقْمٌ      أَمْ بَكْرٍ فَاسْعَفَتْ أَمْ بَكْرٍ<sup>(٥)</sup>  
فِي بُدُوٍّ مِنَ الشَّبَابِ عَلَيْهَا      وَرَقٌ مِنْ جَدِيدِهَا الْمُسْبِكِ<sup>(٦)</sup>  
كَمَلْتُ أَرْبَعٌ لَهَا بَعْدَ عَشْرِ      وَمَدَى الْبَدْرِ أَرْبَعٌ بَعْدَ عَشْرِ

(١) ديوان البحري ٥٣ ، ١ / ٥٠٧ دار المعارف وطيف الخيال ٤٢ ، ٥٩ .

(٢) ديوانه ٣٣١ وعجزه « سبق الوقت ضرراً وعجل » .

(٣) طيف الخيال ٤٣ .

(٤) ديوانه ٣٦٩ ، ٢ / ٩٧٠ « ما أغريت » وعجزه « بعد وجدى بها وغلة صدرى » .

(٥) في الديوان « وفي الخيالات نعى » .

(٦) في الديوان « جديده » والمُسْبِكُ : التام .



خَلَّفَتْ جَارَهَا بِحُزْوَى وَبَاتَتْ  
لَوْ دَرَتْ مَا أَتَتْ لَمَنْتَ بِنُجْعٍ  
بَيْنَ سَحْرَى شَرْوَى الضَّجِيعِ وَنَحْرَى  
لَمْ يُكْذِبْ ، وَنَائِلِي غَيْرِ نَزَرٍ<sup>(١)</sup>

وقال :

قُلْ لِلْخِيَالِ إِذَا أَرَدْتَ فَعَاوِدِ  
فَلَأَنْتَ فِي نَفْسِي وَإِنْ عَنَيْتَنِي  
بَاتَتْ بِأَخْلَامِ النِّبَامِ تُغْرِنِي  
ضَاهَتْ بِحُلَّتِهَا تَلْهُبُ خَدَّهَا  
بَذَنِي الْمَسَافَةَ مِنْ هَوَى مُتَبَاعِدِ<sup>(٢)</sup>  
وَبَعْنَتْ لِي الْأَشْجَانَ أَخْلَى وَافِدِ  
رُودُ التَّشْنَى كَالْقَضِيبِ الْمَائِدِ  
حَتَّى غَدَتْ فِي أَرْجُونَ جَاسِدِ

وقال :

بِعَيْنَيْكَ إِعْوَالِي وَطُولُ شَهْقِي  
عَلَى أَنْ تَهْوِيَا إِذَا عَارَضَ أَطْبَى  
سَرَى جَانِبًا لِلْخَرْقِ يَخْشَى وَلَمْ يَكُنْ  
فَبَاتَ يُعَاطِيَنِي عَلَى رِقْبَةِ الْعَدَا  
وَبِتُّ أَهَابُ الْمِسْكَ مِنْهُ وَأَتَقَى  
أَرَى كَذِبَ الْأَخْلَامِ صِدْقًا وَكَمْ صَغَتْ  
وَمَا كَانَ مِنْ حَقٍّ وَبُطْلٍ فَتَمَذَّ شَفَى  
وَإِخْفَاقُ عَيْنِي مِنْ كَرَى وَخُفُوقِ<sup>(٣)</sup>  
سُرَى طَارِقٍ فِي غَيْرِ وَقْتِ طُرُوقِ<sup>(٤)</sup>  
مَلِيًّا بِإِسْرَاءِ وَجُوبِ خُرُوقِ  
وَيَتَمَزُّجُ رِيْقًا مِنْ جَنَاهُ بِرِيقِي  
رُدَاعَ عَيْبٍ صَابِكٍ وَخُلُوقِ<sup>(٥)</sup>  
إِلَى خَبَرِ أَذْنَائِي غَيْرِ صَدُوقِ  
حَرَارَةِ مَتَبُولٍ وَخَبَلٍ وَمَشُوقِ

وحسبك بهذا حُسْنًا وحلاوة .

(١) في الديوان « بنج لم يكدر » .

(٢) ديوانه ٢٩٨ ، ١ / ٥٥٠ وطيف الخيال ٤٤ .

(٣) ديوانه ٥٢٢ ، ١٥٢٩ وطيف الخيال ٤٥ .

(٤) اطبي : دعا .

(٥) رداع العير : أثره في الجسد ، وصائك : لاصق .

وقال :

أَحْبَبَ إِلَى بَطِينِ سَعْدَى الْآتِي وَطُرُقَهُ فِي أَعْجَبِ الْأَوْقَاتِ<sup>(١)</sup>  
 أَنِّي أَهْتَدَيْتَ لِمُحْرَمِينَ تَصَوَّبُوا لِسُفُوحِ مَكَّةَ مِنْ رَبِي عَرَقاتِ  
 ذَكَرْتَنَا عَهْدَ الشَّامِ وَعَيْشَنَا بَيْنَ الْقَنَانِ السُّودِ وَالْهَضَبَاتِ<sup>(٢)</sup>  
 إِذْ أَنْتَ شَكَلَ مُخَالِفٍ وَمُوَافِقٍ وَالْدَّهْرُ فِيكَ مُمَانِعٌ وَمَوَاتِ  
 لَوْلَا مُكَاثَرَةُ الْخُطُوبِ وَنَحْتُهَا مِنْ جَانِبِي لَكُنْتَ مِنْ حَاجَاتِي<sup>(٣)</sup>

\* \* \*

وما علمت أحداً من القدماء قال في طُرُقِ الخيال أحسن من قولِ قيس  
 ابنِ الخطيم . قال :

أَنِّي سَرَبْتُ وَكُنْتُ غَيْرَ سُرُوبٍ وَتُقَرَّبُ الْأَحْلَامُ غَيْرُ قَرِيبِ<sup>(٤)</sup>  
 مَا تَمْنَعِي يَفْقَى فَقَدْ تَوَيْتَنِي فِي النَّوْمِ غَيْرَ مُصَرِّدٍ مَحْسُوبِ  
 / ثم جاء البحرى فآبرَّ على قيس وكلَّ أحدٍ . ولم أستقص ههنا كل  
 ما قاله فيه لكثرة .

وما أحسن ما قال عدي بن الرِّقَاع :

يَضْطَاذُ يَقْمِظَانِ الرَّجَالَ حَدِيثُهَا وَتَطِيرُ بِهِجَتُهَا بِرُوحِ الْحَالِمِ

\* \* \*

(١) ديوان البحرى ٤٥٤ ، ٣٦٣/١ وطيف الخيال ٤٥ .

(٢) في الديوان « بين القباب البيض » .

(٣) م « لولا مكاثرة » .

(٤) ديوان قيس بن الخطيم ٥ وديوان المعاني ١ / ٢٧٦ وأمالى اليزيدى ٧٩ والتشبيهات ٧٥  
 وحسانة ابن الشجرى ١٨٩ ومجموعة المعاني ١٤٥ وأمالى المرتضى ٣٩٣/١ ، ٥٤١ ، ٥٤٥ وأمالى القالى  
 ٢ / ٢٧٣ والأول فى اللسان ٤٤٥ .

وقال البحتري :

إِذَا نَسِيتُ هَوَى لَيْلٍ أَشَادَ بِهِ طَيْفٌ سَرَى فِي سَوَادِ اللَّيْلِ إِذْ جَنَحَا<sup>(١)</sup>  
 دَنَا إِلَى عَلَى بُعْدٍ فَأَرَقَنِي حَتَّى تَبْلُجَ ضَوْءُ الصُّبْحِ فَاتَّضَحَا  
 عَجِبْتُ مِنْهُ تَخَطَّى الْقَاعَ مِنْ إِضْمٍ وَجَاوَزَ الرَّمْلَ مِنْ خَبْتٍ وَمَا بَرَحَا  
 قال : « تَخَطَّى الْقَاعَ مِنْ إِضْمٍ ، وَجَاوَزَ الرَّمْلَ مِنْ خَبْتٍ » . فكيف  
 يقول : وما بَرَحَا ؟

أراد ما برح على الحقيقة .

فإن قيل : هي لم تبرح على الحقيقة فأما خيالها إذا طَرَقَ وهي بعيدة  
 نائية فقد برح .

قيل : خيالها إنما هو صورتها التي تتصور في النفس . والصورة أيضاً  
 غير نازحة على الحقيقة . فقولهم : طرق الخيال ، وزار الخيال - مَجَازٌ .

ويجوز أن يكون قوله : « وما برحا » أي ما برحت هي ، وجعل خيالها  
 بدلاً منها ، ووضعها في موضعها ؛ لأنه هي . ألا ترى إلى قول جرير :

طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ الْقُلُوبِ وَلَيْسَ ذَا وَقْتُ الزِّيَارَةِ فَارْجِعِي بِسَلَامٍ<sup>(٢)</sup>

قيل : إنه أراد خيالها فوضعها في موضعها ؛ لأن خيالها ليس هو شيئاً  
 غير صورتها .

/ وقد استجنى الناس قوله : « فارجي بسلام » . وإنما قال هذا لأنه  
 عَاتِبٌ عليها ، ألا ترى إلى قوله بعد هذا :

(١) ديوان البحتري ٥٦ ، ١ / ٤٤٠ دار المعارف وطيف الخيال ٤٦ .

(٢) ديوانه ٥٥١ .

لَوْ كَانَ عَهْدُكَ كَالَّذِي عَاهَدْتِنَا لَوَصَلْتَ ذَاكَ فَكَانَ غَيْرَ رِمَامٍ<sup>(١)</sup>

أو لم يمنعه طرده الخيال أن قال بعد هذا :

تُجْرِي السُّوَاكَ عَلَى أَغْرٍ كَأَنَّهُ بَرَدٌ تَحْدَرُ مِنْ مُتُونٍ غَمَامٍ

وهذا وإن كان الناس قد تقدموه بتشبيهه الشجر [بالبَرَد] فإن هذا لفظ وسبك في غاية الجودة والحلاوة والبراعة .

\*\*\*

وأول من طرد الخيال طَرْفَةً فقال :

فَقُلْ لِيَخِيَالِ الْحَنْظَلِيَّةِ يَنْقَلِبُ إِلَيْهَا فَإِنِّي وَاصِلٌ جَبَلٍ مَنْ وَصَلَ<sup>(٢)</sup>

وهذا أعذر من جرير ؛ لأنه قال : « فَإِنِّي وَاصِلٌ جَبَلٍ مَنْ وَصَلَ » ، فدل على أن الحَنْظَلِيَّةَ هجرته وواصله غيرها فطرد خيالها .

\*\*\*

وقد دعا الأعشى على الخيال فقال :

هَذَا النَّهَارُ بَدَا لَهَا مِنْ أَمْرِهَا مَا بَالَهَا بِاللَّيْلِ زَالَ زَوَالُهَا<sup>(٣)</sup>

أَي أَزَالَهُ كَزَوَالِهِ .

وما أظن جريراً ، ولا الأعشى قبله كَرِهَا الخيال على الحقيقة ، وإنما

أرادا أن زيارته في غير وقتها شاغلة لنا عن حالنا التي نحن عليها .

\*\*\*

(١) في الديوان « كالذي حدثتنا » .

(٢) ديوان طرفة ٢٠ .

(٣) ديوان الأعشى ٢٢ « من ههنا » وفي اللسان ٣٣٣/١٣ - ٣٣٤ « قيل معناه : زال الخيال زوالها . قال ابن الأعرابي : وإنما كره الخيال لأنه يهيج شوقه . وقد يكون بالرفع « زال زوالها » على الإقواء . قال أبو عمرو ؛ وهذا مثل للعرب قديم تستعمله العرب بالرفع ، فسمعه الأعشى ، فجاء به على استعماله ، والأمثال تؤدي على ما فرط به أول أحوال وقوعها . والمعنى على النصب : زال عنا طيفها بالليل كزوالها هي بالنهار » .

وقال البحتري :

/ أَمِنْكَ تَأَوُّبُ الطَّيْفِ الطَّرُوبِ حَبِيبُ جَاءَ يُهْدِي مِنْ جَبِيبِ<sup>(١)</sup>  
 تَخَطَّى رَقَبَةَ الْوَاشِينَ وَهَنَا وَبُعْدَ مَسَافَةِ الْخَرَقِ الْمَجُوبِ<sup>(٢)</sup>  
 يُكَادِ بُنْيَ وَأَصْدُقُهُ وَدَادَا وَمِنْ كَلَفِ مُصَادَقَةِ الْكَذُوبِ

(١) ديوان البحتري ٣٨٩ ، ١ / ٩٨ دار المعارف وطيف الخيال ٤٩ .

(٢) م « الوشين حتى وهنا » .

## ما قالاه في الشَّيب والشَّبَاب ووصف الكبر والعزوف عن الصبا ، ونحو ذلك

\*\*\*

وأفتتح هذا الباب بما لهما من ابتدآت القصائد في نحو معانيه .

قال أبو تمام :

نَسَجَ الْمَشِيبُ لَهُ لِفَاعاً مُغْدِفاً يَقَقاً فَقَنَعَ مِذْرَوِيَهُ وَنَصَّفاً<sup>(١)</sup>

قوله : « لِفَاعاً » يريد لباساً . يقال : لَفَعَ المشيبُ رأسه : إذا شمله وعلاه .  
والمُغْدِفُ : المسبل . يقال : أَغْدَفْتُ السُّتْرَ إذا أسبلته . ومِذْرَوَاهُ  
ها هنا : فَوْداً . ومِذْرَوَا كُلِّ شَيْءٍ : ناحيته . وقد استعملا كثيراً في أطراف  
الْأَلْيَتَيْنِ حتى صارا كالاسم لهما .

وقوله : « نَصَّفاً » أى قَنَعَ جانبي رأسه حتى بلغ النِّصْفَ منه .

وقد قيل : إنما أراد بقوله : « نَصَّفاً » - النِّصِيفُ ، وهو قناع لطيف ،  
يكون مثل نِصْفِ القِنَاعِ الكبير . وقد ذكره النَّابِغَةُ فقال :  
\* سَقَطَ النِّصِيفُ ، وَلَمْ تُرَدْ إِسْقَاطُهُ<sup>(٢)</sup> \*

فإن ذلك لا وجه له<sup>(٣)</sup> بعد ذكر القناع . وإنما أراد أبو تمام ما أرادهم

الآخر بقوله :

/أَصْبَحَ الشَّيْبُ فِي الْمَفَارِقِ شَاعاً وَانْكَسَى الرَّأْسُ مِنْ مَشِيبِ قِنَاعَا  
فالغنى مُكْتَفٍ بقوله « قَنَعَ مِذْرَوِيَهُ » . وقوله « نَصَّفاً » أى بلغ نصف رأسه .

( ١ ) ديوان أبي تمام ٤٠١ « له قناعا » .

( ٢ ) ديوان النابغة ٣٦ وعجزه « فتناولته واتقنتا باليد » .

( ٣ ) م « ذلك لا وجعله بعد » .

وقال أبو تمام :

يَضْحَكُنْ مِنْ أَسْفِ الشَّبَابِ الْمُدْبِرِ      يَبْكِينَ مِنْ ضَحِكَاتِ شَيْبِ مُقْمِرٍ<sup>(١)</sup>

وهذا بيت ردىء . وما سمعت بضحك من الأسف إلا فى هذا البيت ،  
وكانه أراد قول الآخر :

• وَشَرُّ الشَّدَائِدِ مَا يُضْحِكُ •

فلم يهتد لمثل هذا الصواب .

وقوله : « مِنْ ضَحِكَاتِ شَيْبِ مُقْمِرٍ » - ليس بالجيد أيضاً ، ولو  
كان ذكر الليل على الاستعارة لحسن أن يقول مقمر ؛ لأنه كان يجعل سواد  
الشعر لَيْلًا ، وبياضه بالمشيب إقماره ؛ لأن قائلًا لو قال : أقمر ليل  
رأسك ، كان من أصح الكلام وأحسنه . وإن لم يذكر الليل أيضاً حتى  
يقول : قد أقمر عارضاك ، أو فوداك - لكان حسناً مستقيماً ، وهو دون  
الأول فى الحسن ؛ وذلك أنه قد علم أنهما كانا مظلّمين فاستنارا<sup>(٢)</sup>

وسقى الله البحترى الغيث إذ يقول :

لِيَالٍ سَرَقْنَاهَا مِنَ الدَّهْرِ بَعْدَ مَا      أَضَاءَ بِإِضْبَاحٍ مِنَ الشَّيْبِ مَفْرِقٍ<sup>(٣)</sup>

ولمّا أراد أبو تمام قول دعبل :

• ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى<sup>(٤)</sup> •

فأفسد المعنى .

( ١ ) ديوان أبى تمام ٣٩٨ « فبكين » .

( ٢ ) راجع نقد المرتضى لهذا فى الشهاب ص ٦ .

( ٣ ) ديوان البحترى ٥١٨ .

( ٤ ) صدره : « لا تعجى يا سلم من رجل » وانظر ديوان دعبل ١٧٨ •

وقال :

أَبَدَتْ أَسَى أَنْ رَأَتْنِي مُخْلِيسَ الْقُصْبِ      وَآلَ مَا كَانَ مِنْ عُجْبٍ إِلَى عَجَبٍ<sup>(١)</sup>  
/ يقال : رَأْسُ مُخْلِيسٍ ، وَخَلِيسٌ : إذا اختلط به الشيب . والقُصْبُ :  
هي خُضْلَةُ الشَّعْرِ .

« وآل ما كان من عجب إلى عجب » ، أى عُجْبٌ وَمَحَبَّةٌ . « إلى عَجَبٍ »  
أى عَجَبٌ من شَيْءٍ .

وقال في العُزُوفِ عن الصَّبَا :

أَبَى : فَلَا شَنْبًا يَهْوَى ، وَلَا فَلَجًا      وَلَا أَخَوْرَارًا يُرَاعِيهِ ، وَلَا دَعَجًا<sup>(٢)</sup>  
وهذان ابتدآن صالحان .

\*\*\*

وللبحتري في هذا الباب ابتدآت كثيرة تصرّف فيها أحسن تصرف ،  
وَأَفْتَنَ فِيهَا أَحْلَى افْتِنَانٍ . وذلك قوله :

أَبْعَدُ الْمَشِيبِ الْمُتَنَضَّى فِي الدَّوَائِبِ      أَحَاوِلُ لُطْفَ الْوُدِّ عِنْدَ الْكَوَاعِبِ<sup>(٣)</sup>  
وقال :

رَأَتْ وَخُطَّ شَيْبٌ فِي عِذَارِي فَصَدَّتْ      وَلَمْ تُنْظِرْنِي مِنْ جَوَى قَدْ أَجَدَّتْ<sup>(٤)</sup>  
وقوله :

غَلَسَ الشَّيْبُ ، أَوْ تَعَجَّلَ وَرْدُهُ      وَأَسْتَعَارَ الشَّبَابَ مَنْ لَا يَرُدُّهُ<sup>(٥)</sup>

( ١ ) ديوان أبي تمام ١٥ وشرح التبريزي ١١٥/١ والشهاب ١٠ .

( ٢ ) ديوانه ٦٨ وشرح التبريزي ١ / ٣٣٣ .

( ٣ ) ديوان البحتري ١٥٢ ، ١ / ١٠٨ دار المعارف وفي م « المتنقى » .

( ٤ ) ديوانه ٧٥٢ « شيب من قريب . . ولم ينتظره بي نوى قد » ، ١ / ٣٦٩ دار المعارف .

( ٥ ) ديوانه ٤٧٣ ، ١ / ٥٠٩ .



وقوله :

أَمَّا الشَّبَابُ فَقَدْ سُبِقَتْ بِغَضِّهِ ۖ وَحَطَّطْتَ رَحْلَكَ مُسْرِعاً مِنْ نَقْضِهِ<sup>(١)</sup>

وقوله :

تَرَكَ الشَّبَابَ لِلْإِبْسِهِ وَبَيْضًا وَنَضًا مِنَ السَّيِّئِ عَنْهُ مَا نَضًا<sup>(٢)</sup>

/ وقوله :

لَا يَسُ مِنْ شَبِيبَةٍ أَمْ نَاضٍ وَمُلِيحٌ مِنْ شَبِيبَةٍ أَمْ رَاضٍ<sup>(٣)</sup>

وقوله :

شَرَحَ الشَّبَابُ أَخُو الصَّبَا وَالْيَفُهِ وَالشَّيْبُ تَزْجِيَةُ الْهَوَى وَخُفُفُهُ<sup>(٤)</sup>

وقوله :

هَا هُوَ الشَّيْبُ لَا تَمَّا فَأَفِيقِي وَأَتْرُكِهِ إِنْ كَانَ غَيْرَ مُفِيقٍ<sup>(٥)</sup>

وقوله :

قَالَتْ : الشَّيْبُ أَتَى قُلْتُ : أَجَلٌ سَبَقَ الْوَقْتَ ضِرَارًا وَعَجَلٌ<sup>(٦)</sup>

وقوله :

تَقْضَى الصَّبَا إِلَّا تَلَوُّمُ رَاحِلٍ وَأَغْنَى الْمَشِيبُ عَنْ مَلَامِ الْعَوَازِلِ<sup>(٧)</sup>

(١) ديوان البحرى ٢٨٨ ، ٢ / ١١٩٥ دار المعارف « عن نقضه » .

(٢) ديوانه ٢٩٠ ، ٢ / ١١٩٨ دار المعارف ، « ترك السواد » وأمالى المرتضى ١ / ٦٦٢ ،

١٣٥ / ٢ .

(٣) ديوانه ٣٩٢ ، ٢ / ١٢٠٧ وأمالى المرتضى ١ / ٦١٩ .

(٤) ديوانه ٦٤ .

(٥) ديوانه ٤٣٥ « إذ كان » وأمالى المرتضى ١ / ٦٠ .

(٦) ديوانه ٣٣١ « الشيب بدا » .

(٧) ديوانه ٦٣٨ .

وقوله :

أَكَانَ الصَّبَا إِلَّا خَبَالًا مُسَلَّمًا أَقَامَ كَرَجْعِ الطَّرْفِ ثُمَّ نَصَرَّمَا<sup>(١)</sup>

وقوله :

لَا جَدِيدُ الصَّبَا وَلَا رَيْعَانُهُ رَاجِعٌ بَعْدَمَا تَقْضَى زَمَانُهُ<sup>(٢)</sup>

وقوله :

/ بَانَ عَهْدُ الصَّبَا وَبَاقِي جَدِيدِهِ بَيْنَ أَعْوَانِ طَالِبٍ وَوُجُودِهِ<sup>(٣)</sup>

وقوله :

خَطَّتُهُ فَلَمْ تَخْضِلْ بِهِ الْأَعْيُنُ الْوُطْفُ وَكَانَ الصَّبَا إِلْفًا فَوَدَّعَهُ الْإِلْفُ

وقال في العُزُوفِ عن الصَّبَا :

إِلَيْكَ مَا أَنَا عَنْ لَهْوٍ وَلَا طَرْبٍ مُنِيتٍ مَنِيَّ بِقَلْبٍ غَيْرِ مُنْقَلَبٍ<sup>(٤)</sup>

وقال :

أَطَاعَ عَادِلَهُ فِي الْحَبِّ إِذْ نَصَحَا وَكَانَ نَشْوَانٍ مِنْ سُكْرِ الصَّبَا فَصَحَا<sup>(٥)</sup>

وقال :

فِي الشَّيْبِ زَجْرٌ لَهُ لَوْ كَانَ يَنْزَجِرُ وَوَاعِظٌ مِنْهُ لَوْلَا أَنَّهُ حَجَرٌ<sup>(٦)</sup>

(١) ديوان البحترى ١٢٦ .

(٢) ديوانه ٣١٩ « تقضى أونه » .

(٣) ديوانه ٥٧٤ « بات » .

(٤) ديوانه ٤٩٩ ، ١ / ١١٩ دار المعارف « من لهو » .

(٥) ديوانه ٥٦ ، ٦ / ٤٤٠ « سكر الهوى » .

(٦) ديوانه ٦٧٣ ، ٢ / ٩٥٣ « وبالغ منه » .

وقال :

أَنْزَاعاً فِي الْحَبِّ بَعْدَ نُزُوعٍ      وَذَهَاباً فِي الْغَىِّ بَعْدَ رُجُوعٍ<sup>(١)</sup>

وقال :

لَايَةً حَالٍ أَعْلَنَ الْوَجْدَ كَانِمَةً      وَأَقْصَرَ عَنِ دَاعِي الصَّبَابَةِ لَايِمَةً<sup>(٢)</sup>

وقال :

إِنِّي تَرَكْتُ الصَّبَا عَمْدًا فَلَمْ أَكْدِ      مِنْ غَيْرِ شَيْبٍ وَلَا عَذْلٍ وَلَا فَنَدٍ<sup>(٣)</sup>

\* \* \*

/ وهذا باب أبرّ فيه البحترى على أبي تمام .

قوله : « أَبْعَدَ الْمَشِيبِ الْمُنْتَضَى »<sup>(٤)</sup> . ويقال : نَضَا الْحَنَاءَ عَنِ الْيَدِ  
يَنْضُو ، وَنَضَا ثَوْبَهُ عَنْهُ يَنْضُوهُ ، أَيْ نَزَعَهُ ، وَأَنْتَضَى السَّيْفُ : انْتَزَعَهُ مِنْ  
غِمْدِهِ . فجعل الشيب منتضى في الذوائب أى مشهوراً فيها على الاستعارة ،  
كَأَنَّهُ جَعَلَهُ سَيْفًا سُلَّ فِي رَأْسِهِ .

وأجود من هذا قوله :

وَدِدْتُ بَيَاضَ السَّيْفِ يَوْمَ لَقِينِنِي      مَكَانَ بَيَاضِ الشَّيْبِ كَانَ لِمَفْرِقِي<sup>(٥)</sup>

(١) ديوان البحترى ٤٢٠ « أنزاعاً » ! وفسرها ناشره بالمرح والنشاط ! ، ٢ / ١٢٧٩ .

(٢) ديوانه ٤٧٨ وفي م « عن راغى » .

(٣) ديوانه ٤٢٤ ، ١ / ٥٧٣ دار المعارف « ولم » .

(٤) سبق ص ١٩٢ .

(٥) ديوانه ٧٧ « الشيب لاح بمفرق » .

## ما جاء عنهما في وسط كلامهما من ذكر الشيب والشباب ووصف الشيب وذمه

قال أبو تمام :

غَدَاَ الهمُّ مُخْتَطَاً بِفَوْدَى خُطَّةٍ      طَرِيقُ الرَّدَى مِنْهَا إِلَى المَوْتِ مَهْيَعٌ<sup>(١)</sup>  
هُوَ الزَّوْرُ يُجْفَى ، وَالْمَعَاشِرُ يُجْتَوَى      وَذُو الْإِلْفِ يُقْلَى ، وَالْجَدِيدُ يُرْقَعُ  
لَهُ مَنْظَرٌ فِي الْعَيْنِ أَبْيَضُ نَاصِعٌ      وَلَكِنَّهُ فِي الْقَلْبِ أَسْوَدُ أَسْفَعُ  
وَنَحْنُ نُرَجِّيه عَلَى الْكُرْهِ وَالرَّضَا      وَأَنْفُ الْفَتَى مِنْ وَجْهِهِ وَهُوَ أَجْدَعُ<sup>(٢)</sup>

وهذه كلها معانٍ جيدةٌ صحيحةٌ مستقيمة .

\*\*\*

وقال :

شُعْلَةٌ فِي الْمَفَارِقِ اسْتَوْدَعَتْنِي فِي صَمِيمِ الْأَخْشَاءِ حُرْنًا صَمِيمًا<sup>(٣)</sup>  
يَسْتَشِيرُ الهمُّومَ مَا أَكْتَنَ مِنْهَا صُعْدًا ، وَهِيَ تَسْتَشِيرُ الهمُّومًا<sup>(٤)</sup>  
/ غُرَّةٌ مُرَّةٌ . أَلَا إِنَّمَا كُنْتُ أَغْرًا أَيَّامَ كُنْتُ بِهِمَا<sup>(٥)</sup>

(١) ديوان أبي تمام ١٩٠ وشرح التبريزي ٢ / ٣٢٤ وأمالى المرتضى ١ / ٦٠٩ والشهاب في الشيب والشباب للمرتضى ٦ ومجموعة المعاني ١٢٥ .

(٢) في شرح التبريزي : « ونحن نرجيه » ونقل شرحها عن أبي العلاء المعري : « نرجيه : نحمله ونسوقه على أن يسير . يقول : نحن على سخطه راضون به ؛ لأنه لا بد منه وإن كنا نبغضه ، فقله مثل الأنف الأجدع يعلم الفتى أنه قبيح وقد ثبت أنه من وجهه » .

(٣) ديوان أبي تمام ٢٩١ وشرح التبريزي ٣ / ٢٢٣ « الفؤاد ثكلا صميما » وأمالى المرتضى ١ / ٦٠٩ والشهاب ٧ وحامسة ابن الشجري ٢٤١ .

(٤) م « تستنير . . . وهي تستنير » .

(٥) « غرة همة » وفي شرح التبريزي « ويروى » : وقالوا : غرة همة على معنى التضاد ، أى =

رَقَّةٌ فِي الْحَيَاةِ تُدْعَى جَلَالًا مِثْلَمَا سُمِّي اللَّدِيغُ سَلِيمًا<sup>(١)</sup>  
حَلَمْتَنِي - زَعَمْتُمْ - وَأَرَانِي قَبْلَ هَذَا التَّحْلِيمِ كُنْتُ حَلِيمًا<sup>(٢)</sup>

وهذه كلها أيضاً [أبيات] جيدة ، والأغراض فيها<sup>(٣)</sup> حسنة مستقيمة .

وقوله : « تستشير الهموم ما اكنن منها » - يريد أنها لما بدت حَزِنْتُ ،  
واهتممت ، فصار اهتمامي يزيد فيها ، لأن الهم - على كل حال - يشيب .  
وقوله : « وهى تستشير الهموما » - قول صحيح أيضاً ، لأنه كلما بدا  
منها شئ زاد همه ، فالهم يجلبها ، وهى تجلب الهم .

وأخذ البحتري قوله :

عُرَّةٌ مُرَّةٌ . أَلَا إِنَّمَا كُنْتُ أَعْرًا أَيَّامَ كُنْتُ بِهِيْمًا !

فقال :

عَجِبْتُ لِتَفْوِيفِ الْقَدَالِ ، وَإِنَّمَا تَفْوِيفُهُ لَوْ كَانَ غَيْرَ مُفَوِّفٍ<sup>(٤)</sup>

\* \* \*

وقال البحتري :

وَكُنْتُ أَرْجَى فِي الشَّبَابِ شَفَاعَةً وَكَيْفَ لِبَاغِي حَاجَةٍ بِشَفِيعِهِ<sup>(٥)</sup>

= اسمها غرة ، وهى ضد ذلك فى الحقيقة . والبهمة من قولك : فرس بهيم ، وهو الذى لا يخالط لونه غيره ،  
كأنه أبهم عن الشيات ، أى أغلق دونها . وجائز أن يجعل نفسه بهيماً لأنه أراد الشعر ، وأنه أيام كان  
أسود لم تكن له غرة ، أى شيب .

( ١ ) فى الديوان وشرحه « دقة » .

( ٢ ) فى شرح التبريزى « أى زعم أن شعلة الشيب قد صيرتنى حليماً وتم بها عقل ، وأنا أرى أنى  
قبل هذا كنت حليماً كاملاً » .

( ٣ ) م « فيه » .

( ٤ ) ديوان البحتري ٦٧٦ وقد نقله الشريف المرتضى فى الشباب ٧ ثم فازعه فى دعوى الأخذ ،  
وفى م « عجب » .

( ٥ ) ديوان البحتري ٣٧٢ ، ٢ / ١٢٧٦ دار المعارف . والأبيات فى أسالى المرتضى ١ / ٦١٨ .

مَشِيبٌ كَبَتْ السَّرَّ عَى بِحَمَلِهِ مُحَدَّثُهُ ، أَوْضَاقَ صَدْرُ مُذِيعِهِ<sup>(١)</sup>  
تَلَاخَقَ حَتَّى كَادَ يَأْتِي بِطَيْئُهُ لِحَثِّ اللَّيَالِي قَبْلَ أَتَى سَرِيعِهِ  
وهذا أيضاً في وصف الشيب حسن جداً .

وقال البحترى :

/ رُدِّي عَلَى الصَّبَا إِنْ كُنْتُ فَاعِلَةً إِنْ الصَّبَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِي وَلَا أَرِي<sup>(٢)</sup>  
جَاوَزْتُ حَدَّ الشَّبَابِ النَّضْرُ مُلْتَفِتًا إِلَى بَنَاتِ الرَّدَى تَرَكُضْنَ فِي طَلْبِي<sup>(٣)</sup>  
وَالشَّيْبُ مَهْرَبٌ مَنْ جَارَى مَنِئَتُهُ وَلَا نَجَاءَ لَهُ فِي ذَلِكَ الْهَرَبِ  
وَالْمَرْءُ لَوْ كَانَتْ الشُّعْرَى لَهُ وَطْنًا صُبَّتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ كَثَبِ<sup>(٤)</sup>

وقال :

لَا يَسُ مِنْ شَيْبَةٍ أَمْ نَاضٍ وَمُليحٌ مِنْ شَيْبَةٍ أَمْ رَاضٍ<sup>(٥)</sup>  
وَإِذَا مَا أَمْتَعَضْتَ مِنْ وَلَعِ الشَّيْبِ بِبِرَاسِي لَمْ يَثْنِ ذَاكَ أَمْتَعَاضِي<sup>(٦)</sup>  
لَيْسَ يَرْضَى عَنِ الزَّمَانِ مُرَوٍّ فِيهِ إِلَّا عَنْ غَفْلَةٍ أَوْ تَغَاوِضِ  
بَاكَرَتْ لِمَتَى ، وَنَاكَرَتْ مِنْهَا سُوءَ هَذِي الْأَبْدَالِ وَالْأَعْوَاضِ<sup>(٧)</sup>  
شَعْرَاتُ أَقْصَهُنَّ وَيَرْجِعُ نَ رُجُوعَ السَّهَامِ فِي الْأَغْرَاضِ  
وَأَبَتْ تَرْكِى الْغُدِّيَاتِ وَالْآ صَالِ حَتَّى خَضِبْتُ بِالْمِقْرَاضِ<sup>(٨)</sup>

(١) ديوانه « كنه السر » ومعناها واحد .

(٢) ديوان البحترى ٤٩٩ ، ١ / ١١٩ « أين الهوى » وأمالى المرتضى ١ / ٦١٩ والشباب ١٤ .

(٣) فى الديوان : « بنات الصبي » .

(٤) فى الديوان « حطت عليه . . من صيب » .

(٥) ديوانه ٣٩٢ وأمالى المرتضى ١ / ٦١٩ والشباب ١٤ .

(٦) فى الديوان « لم يعد ذاك » .

(٧) م « باكرت . . وناكرت » وفى الديوان « ليس سوء الأخلاق » .

(٨) راجع ما قاله المرتضى عن هذا البيت فى الشباب ١٤ .

غَيْرَ نَفْعٍ إِلَّا التَّعَلُّلَ مِنْ شَحْصٍ عَدُوٍّ لَمْ يَغْدُهُ إِبْغَاضِي  
 وَرَوَاءَ الْمَشِيبِ كَالْبَخْصِ فِي عَيْنِ نَبِيٍّ فَقُلْتُ فِيهِ فِي الْعُيُونِ الْمِرَاضِ<sup>(١)</sup>  
 طَبِئْتُ نَفْسًا عَنِ الشَّبَابِ وَمَاسَوٍّ وَدَ مِنْ صِبْغٍ بُرِّدِهِ الْفَضْفَاضِ  
 فَهَلِ الْجَادِثَاتُ يَأْبَنَ عُوَيْفٍ تَارِكَاتِي وَلُبَسَ هَذَا الْبَيَاضِ

/ وهذا هو الذي يأخذ بمجامع القلب ، ويستولى على النفس . ومن حذق الشاعر أن يُصوِّر لك الأشياء بصورها . ويعبر عنها بالفاظها المستعملة فيها ، واللائقة بها . وذلك مذهب البحترى وصناعته ؛ ولهذا ما كثر الماء والروْنَقُ في شعره . وقالوا : لِشِعْرِهِ دِيْبَاجُهُ . وما قيل ذلك في شعر أحد من المتأخرين غيره .

\*\*\*

وقال :

وَمَا أَنَسَ لَا أَنَسَ عَهْدَ الشَّبَابِ بِرِ وَعَلَوَةٍ إِذْ عَيَّرْتَنِي الْكِبَرُ<sup>(٢)</sup>  
 وقوله « ما أنس لا أنس » جُزِمَ : لِأَنَّهُ شَرَطُ وَجْزَاء .  
 كَوَاكِبُ شَوْقٍ عَلِقْنَ الصَّبَا فَقَلَّلْنَ مِنْ حُسْنِهِ مَا كَثُرَ<sup>(٣)</sup>  
 وَإِنِّي وَجَدْتُ - فَلَا تَكْذِبَنَّ - سَوَادَ الْهَوَى فِي بَيَاضِ الشَّعْرِ  
 وَلَا بُدَّ مِنْ تَرْكِ إِحْدَى أَثْنَتَيْ نِ : إِمَّا الشَّبَابُ ، وَإِمَّا الْعُمُرُ

(١) في اللسان ٨ : ٢٦٩ « البخص : لحم ناق فوق العينين أو تحتهما كهيئة النخعة » .

(٢) ديوان البحترى ٩٩ ، ٨٤٨ / ٢ دار المعارف ، وأمالى المرتضى ١ : ٦٢٥ والشهاب ١٥ .

(٣) في الديوان « كواكب شيب » .

قوله :

وَلَا بُدَّ مِنْ تَرْكِ إِحْدَى اثْنَتَيْنِ : إِمَّا الشَّبَابَ ، وَإِمَّا الْعُمُرَ

عليه في هذا البيت مُعَارَضَةٌ . وهو أن يقال : إِنَّ مَنْ مَاتَ شَابًّا فَقَدْ فَارَقَ الشَّبَابَ ، وهو مفارق للعمر لا محالة ، فهو أيضاً تارك لهما جميعاً ، وقوله : إِمَّا الشَّبَابَ وَإِمَّا الْعُمُرَ - لا يوجب إلا أحدهما .

وَالْعُدْرُ لِلْبَحْتَرَى أَنْ يُقَالَ : إِنَّ مَنْ مَاتَ شَابًّا فَإِنَّمَا فَارَقَ الشَّبَابَ وَحْدَهُ ، لِأَنَّهُ لَمْ يُعَمَّرْ فَيَكُونُ مَفَارِقًا لِلْعُمُرِ . أَلَا تَرَاهُمْ يَقُولُونَ : فَلَانْ عُمُرٌ : إِذَا أَسَنَّ . وفلان لم يُعَمَّرْ : إِذَا مَاتَ شَابًّا أَوْ وَهُوَ فِي حُدُودِ الشَّبَابِ . وَمَنْ شَابَ وَعَمَّرَ ثُمَّ مَاتَ لَمْ يَكُنْ مَفَارِقًا لِلشَّبَابِ فِي حَالِ مَوْتِهِ [ لِأَنَّهُ قَدْ قَطَعَ أَيَّامَ الشَّبَابِ وَتَقَدَّمَ مَفَارِقَتَهُ لَهُ ، وَإِنَّمَا يَكُونُ فِي حَالِ مَوْتِهِ ] <sup>(١)</sup> مَفَارِقًا لِلْعُمُرِ وَحْدَهُ . فإِلى هَذَا ذَهَبَ الْبَحْتَرَى ، وَهُوَ صَحِيحٌ . وَلَمْ يَرِدْ بِالْعُمُرِ هَهُنَا : الْكَبِيرُ ، كَمَا قَالَ زُهَيْرٌ :

رَأَيْتُ الْمَنَايَا حَبَطَ عَشَوَاءَ مَنْ تُصِيبُ تَمِيتُهُ ، وَمَنْ تُخْطِئُ يُعَمَّرُ فَيَهْرَمُ <sup>(٢)</sup>

ومثله قول آخر :

مَنْ لَمْ يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا لِلْمَوْتِ كَأْسُ وَالْمَرْءُ ذَائِقُهَا <sup>(٣)</sup>

(١) الزيادة من الشباب ١٥ وأما المرتضى ١ : ٦٢٦ .

(٢) ديوان زهير ٢٩ وشرح القصائد العشر ١٢٢ وقد قال المرتضى عقب نقله لهذا في الأمل ١ : ٦٢٦ « وما رأيت أشد تهافتاً في الخطأ منه فيما يفسره ويتكلم عليه من شعر هذين الرجلين . ومعنى البيت غير ما توهمه ، وهو أظهر من أن يخفى حتى يحتاج فيه إلى هذا التفلغل والتعسف . . » ثم عاد فنقل كلامه الطويل في الشباب ١٥ - ١٦ .

(٣) لامية بن أبي الصلت ، كما في اللسان ٩ : ٢٢١ وعبطة : شاباً .



وهذا أجود من بيت زهير ومن بيت البحتري ؛ لأنه جمع المعنيين في  
المصراع الأول ، وهو مستغنٍ عن المصراع الثاني .

\* \* \*

ولولا قوله :

«مَشِيبٌ كَبَثُ السر» .

و «فَهَلْ الْحَادِثَاتُ يَا أَبْنِ عُوَيْفٍ» - لفضلت أبا تمام عليه ، ولكنى  
أجعلهما متكافئين .

## كره النساء للمشيب،

قال أبو تمام :

أَلَمْ تَرَ آرَامَ الطُّبَّاءِ كَأَنَّمَا      رَأَتْ بِي سَيِّدَ الرَّمْلِ وَالصُّبْحُ أَذْرَعُ  
لَشِنْ جَزَعِ الْوَحْشِيِّ مِنْهَا لِرُؤْيَيْ      لِإِنْسِيئِهَا مِنْ شَيْبِ رَأْيِي أَجَزَعُ<sup>(١)</sup>

وهذا غاية في حسنه وصحة معناه .

قوله : « سَيِّدُ الرَّمْلِ » يريد الذئب . وقوله : « وَالصُّبْحُ أَذْرَعُ » أى  
أوله مختلط بسواد الليل ، يريد وقت طلوع ، الفجر . وكل ما اسودَّ أوله ،  
وابيضَّ آخره فهو أَذْرَعُ ، وشاةٌ دَرَعَاءٌ للتي اسودَّ رأسُها وعنقُها ، وسائرُها أبيض .  
ولمَّا قال ذلك لِأَنَّ الطُّبَّاءَ تخاف الذئب في ذلك الوقت ، لِأَنَّ لونه  
يخفى فيه لُغُبَتِهِ ، فلا تكاد تراه حتى يخالطها . وهو الوقت الذى تَنْتَشِرُ<sup>(٢)</sup>  
فيه الطُّبَّاءُ ، وتخرج من كنسها لطلب المرعى<sup>(٣)</sup> . والغنم يخرجها أهلها  
بعد هذا الوقت .

\*\*\*

وقال أبو تمام :

لِعَبِّ الْبَيْنِ بِالْمَفَارِقِ ، بَلْ جَدُّ      دَ ، فَابْكِي تُمَاضِرًا وَلَعُوبًا<sup>(٤)</sup>

(١) ديوان أبي تمام ١٩٠ وشرح التبريزي ٢ : ٣٢٢ والشهاب ٨ .

(٢) م « الذى تعثر » والتصويب من الشهاب .

(٣) نقل المرتضى هذا التأويل ثم أجازاه وقال إن البيت يحتمل سواه ، راجع تفصيل ذلك في الشهاب

٨ - ٩ .

(٤) ديوانه ٢٥ وشرح التبريزي ١ : ١٦٦ - ١٦٧ وأمالى المرتضى ١ : ٦١٠ والشهاب ٩ وفي

جميعها « لعب الشيب » .

خَضَبَتْ خَدَّهَا إِلَى لَوْلُو الْعَقْدِ دِمَاً أَنْ رَأَتْ شَوَاتِي خَضِيًّا  
 كُلُّ دَاءٍ يُرْجَى الدَّوَاءُ لَهُ إِلَّا الْفَطْيَعَيْنِ : مَيْتَةً ، وَمَشِيًّا  
 يَا نَسِيبَ الثَّغَامِ ذَنْبُكَ أَبْقَى حَسَنَاتِي عِنْدَ الْحَسَنِ ذُنُوبًا<sup>(١)</sup>  
 وَلَيْثُنْ عَيْنَ مَا رَأَيْنَ لَقَدْ أَذْ كَرَنْ مُسْتَنْكَرًا وَعَيْنَ مَعِيَّا  
 أَوْ تَصَدَّعْنَ عَنْ قَلِيٍّ لَكَفَى بِالْشَيْبِ جَاوَرَتُهُ الْأَبْرَارُ فِي الْخُلْدِ شَيْبًا

وهذا البيت الأخير من شعره الجيد المشهور .

ومن يتعصب عليه يقول : إنه ناقض في هذه الأبيات ؛ لقوله : « فَأَبْكَى  
 تُمَاضِرًا وَلَعُوبًا » وقوله : « خَضَبَتْ خَدَّهَا إِلَى لَوْلُو الْعَقْدِ دِمَاً » . ثم قال :  
 يَا نَسِيبَ الثَّغَامِ ذَنْبُكَ أَبْقَى حَسَنَاتِي ، عِنْدَ الْحَسَنِ ذُنُوبًا  
 وقوله : « وَلَيْثُنْ عَيْنَ مَا رَأَيْنَ » .

وقالوا كيف يَبْكِيْنَ دِمَاً على مَشِييه ثم يَعْبَنَهُ ؟

وليس ها هنا تناقض ؛ لأن الشيب إنما أبكى تُمَاضِرًا ولَعُوبًا أَسْفًا  
 على شبابه ، والحسان اللواتي عَيْنَهُ غَيْرُ هَاتَيْنِ الْمَرَاتَيْنِ ، فيكون من أَشْفَقَ  
 عليه من الشَّيْبِ منهن وَأَسْفَ على شبابه - بَكَى ، كما قال الْأَخْطَلُ :  
 لَمَّا رَأَتْ بَدَلَ الشَّبَابِ بَكَتْ لَهُ إِنَّ الْمَشِيْبَ لَأَرْذَلُ الْأَبْدَالِ<sup>(٢)</sup>

ولم تك هذه حال من عابه<sup>(٣)</sup> . وهو مستقيم صحيح<sup>(٤)</sup> .

( ١ ) ويرى : « عند الغواني » .

( ٢ ) ديوانه ١٥٨ .

( ٣ ) م « ومن لم تك هذه حاله عابه » .

( ٤ ) راجع نقد المرتضى في أماليه ١ : ٦١١ وفي الشهاب ٩ .

وقول الأخطل : بَكَتْ لَهُ . أى الشباب . ولكن أبا تمام لم يرض أن يقول : بكت فيكون أمراً قريباً مشبهاً . حتى قال : « بكت الدم » على مذهبه في الخروج عن الحد في كل شئ .

\*\*\*

وقال :

رَاحَتْ غَوَانِي الْحَيِّ عَنْكَ غَوَانِيَا      يَلْبَسْنَ نَائِيَا تَارَةً وَصُدُودَا<sup>(١)</sup>  
مِنْ كُلِّ سَابِغَةِ الشَّبَابِ إِذَا بَدَتْ      تَرَكَتْ عَمِيدَ الْقَرِيَتَيْنِ عَمِيدَا<sup>(٢)</sup>  
أَرْبَبْنَ بِالْمُرْدِ الْعَطَارِفِ بُدْنًا      غِيدًا أَلِفْنَهُمْ لِدَانًا غِيدَا  
أَحْلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ مَوَاقِعًا      مَنْ كَانَ أَشْبَهُهُمْ بِهِنَّ خُدُودَا  
قوله : « أَرْبَبْنَ بِالْمُرْدِ » . هو من أَرَبَّ بالشئ إذا لَزِمَهُ وأقام عليه ، يقال : أَرَبَ به ، وَأَلَبَّ إذا لَزِمَهُ . يريد أنهم أَرْبَبْنَ<sup>(٣)</sup> هَوَى المُرْدِ ، وأَقَمْنَ عليه .

ورواه قوم « أَرْبَبْنَ بالمرء » . من الرَّبَا الذى معناه الزِّيَادَةُ يقال<sup>(٤)</sup> : قد أَرَبَى الرجل إذا زاد . فيقول : « أَرْبَبْنَ بِالْمُرْدِ أى زِدْنَ علينا بهم ، أى جعلن المُرْدَ زيادة اخترننا علينا<sup>(٥)</sup> » فما يقبل الرجل الزيادة فى الشئ

(١) ديوان أبى تمام ٨٧ وشرح التبريزى ١ : ٤١٣ وأمالى المرتضى ١ : ٦١١ والشهاب ١٠ .  
(٢) فى شرح التبريزى عن أبى العلاء الممرى : « سابغه الشباب : أى قد جرى شبابها فى جميع جسدها .. استعار السبوغ للشباب . وعميد القريتين : رئيسهما ، والقريتان : مكة والطائف . وعميدا : من قولك عمده الحب : إذا ذهب بقاءه . وإنما بنى الطائى هذا الكلام على قوله عز وجل : ( وقالوا : لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ) وقد استعملوا فى صدر الإسلام نحواً من ذلك فقالوا : ليس فلان بعظيم القريتين ، أى ليس هو برئيس » .

(٣) « أربين » .

(٤) م « فقال » .

(٥) نقل المرتضى شرح الأمدى هذا من غير أية إشارة إليه فى أماليه ١ / ٦١١ .

الذى يُعْطَاهُ فَاضِلًا مِنْ حَقِّهِ ، ويرغب فيه يقال : قد أَرَبَيْتُ . فإلى هذا ذهب من قال : أَرَبَيْنَ ، لا إلى قولهم : أنا أَرَبٌ بك عن كذا ، لأن هذا مَهْمُوزٌ مَعْنَاهُ : أنا أَرْتَفَعُ بك ، أو أَرْفَعُكَ عن كذا ، من الرَبِيَّةِ والأَرَبِيَاءِ وهو الذى يصعد لأصحابه إلى شَرْفٍ عَالٍ فيرصد أعداءهم<sup>(١)</sup> إذا قصدوهم فيراهم من بعد فَيُنْذِرُ بهم . فكأن قوله : «أَرَبَيْنَ بِالْمُرْدِ» أى أَخَذَنَ الْمُرْدَ رَبًّا عَلَيْنَا لِمَا فِيهِمْ من الزيادة التى اخترن<sup>(٢)</sup> علينا وتركنا .

والمعنى الأول أقرب لفظًا .

وعلى أى الوجهين كانت اللفظة فهى غير حسنة ، ولا لائقة . ولا هذا الموضع موضعها بالباء كانت [ أم ] بالياء .

وقيل : أخذ قوله<sup>(٣)</sup> «أَحْلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ مَوَاقِعًا» من قول الأعشى :  
وَأَرَى الْعَوَانِي لَا يُوَاصِلُنَّ أَمْرًا فَقَدَّ الشَّبَابَ ، وَقَدْ يَصِلُنَّ الْأَمْرَدَا<sup>(٤)</sup>  
وقال مَنْصُور النَّمَرِي :

كَرِهْنَ مِنَ الشَّيْبِ الذِّى لَوْ رَأَيْتَسَهُ بِهِنَّ رَأَيْتَ الطَّرْفَ عَنْهُنَّ أَرْوَرَا<sup>(٥)</sup>  
ونحو هذا قول آخر :

أَرَى شَيْبَ الرَّجَالِ مِنَ الْعَوَانِي بِمَوْقِعٍ شَبِيهِنَّ مِنَ الرَّجَالِ<sup>(٦)</sup>

\*\*\*

(١) م «أعدادهم» .

(٢) م «اخترنا» .

(٣) فى أمالى المرتضى ١ : ٦١٢ «ويقال : إنه أخذ قوله أجل إلخ» .

(٤) ديوان الأعشى ١٥١ والشهاب ١٠ .

(٥) فى أمالى المرتضى «رأينه بهن رأين» .

(٦) فى أمالى المرتضى ١ : ٦١٢ «كقبح شبيهن» .

وقال البحرى :

تَعِيبُ الْغَائِيَّاتُ عَلَى شَيْئِي وَمَنْ لِي أَنْ أُمْتَعَ بِالْمُعِيبِ<sup>(١)</sup>  
وَوَجَدِي بِالشَّابَابِ وَإِنْ تَقَضَى حَمِيدًا - دُونَ وَجَدِي بِالْمَشِيبِ  
وهذا من فاخر هذا الباب وعجيب مذاقه ، ومن إحسان أبي عبادة  
المشهور .

\*\*\*

وقال البحرى أيضاً :

أَعْدَاوَةٌ كَانَتْ فَمِنْ عَجَبِ الْهَوَى أَنْ يَصْطَفِي فِيهِ الْعَدُوَّ حَبِيبًا<sup>(٢)</sup>  
أَمْ وَضَلَةٌ صُرِفَتْ فَعَادَتْ هَجْرَةً أَنْ عَادَ رَيْعَانُ الشَّابَابِ مَشِيبًا  
أَرَأَيْتَهُ مِنْ بَعْدِ جَثَلٍ فَاحِمٍ جَوْنَ الْمَفَارِقِ بِالنَّهَارِ خَضِيبًا<sup>(٣)</sup>  
فَعَجِبْتُ مِنْ خَالَتَيْنِ خَالَفَ مِنْهُمَا رَيْبُ الزَّمَانِ وَمَا رَأَيْتُ عَجِيبًا  
إِنَّ الزَّمَانَ إِذَا تَتَابَعَ خَطْوُهُ سَبَقَ الطَّلُوبَ وَأَدْرَكَ الْمَطْلُوبَا  
قوله : « جَوْنَ الْمَفَارِقِ » . والجَوْنُ هاهنا : الأبيض ؛ فلذلك قال :  
« بِالنَّهَارِ خَضِيبًا » وخَضِيبُ البياض غير معروف ولا جرت بمثله عادة .  
وإنما الخضاب بالسواد والصفرة . وذلك أن الخضاب إنما هو صِبْغٌ ، والبياض  
ليس بصبغ ولكن هو المصبوغ . والبحرى إنما جعله خضاباً لأنه لون حدث  
بعد لون قَبْلَهُ فلماذا مَا جَعَلَهُ كَالْخَضَابِ .

(١) ديوان البحرى ٣٨٩ ، ١ / ٩٩ والشهاب ١٦ « يعيب » وأما المرتضى ١ : ٦٢٠ وفي م

« أمتع بالمشيب » .

(٢) ديبانه ٢٥٢ ، ١ / ١٨٤ والشهاب ١٧ .

(٣) هذا البيت والآيات بعده نقلها المرتضى في أماليه ١ : ٦٢٠ .

(٤) حتى هذا الشرح نقله من غير عزو .

وقال :

رَأَتْ فَلَتَاتِ الشَّيْبِ فَأَبْتَسَمَتْ لَهَا      وَقَالَتْ : نُجُومٌ لَوْ طَلَعْنَ بِأَسْعَدِ<sup>(١)</sup>  
أَعَاتِكَ مَا كَانَ الشَّبَابُ مُقَرَّبِي      إِلَيْكَ فَالْحَى الشَّيْبَ إِذْ كَانَ مَبْعَدِي  
تَزِيدِينَ هَجْرًا كُلَّمَا أَرْدَدْتُ لَوْعَةً      طَلَابًا لِأَنَّ أَرْدَى فِيهَا أَنَا ذَا رَدَى<sup>(٢)</sup>  
مَتَى أَذْرِكُ الْعَيْشَ الَّذِي فَاتَ آتِفًا      إِذَا كَانَ يَوْمِي فِيكَ أَحْسَنَ مِنْ غَدَى<sup>(٣)</sup>

وهذا معنى فى غاية الحسن والحلاوة .

وقوله : « فابتسمت لها » . يريد استهزأت . وهذا [ جرت عادة النساء أن يضحكن من الشيب ويستهزئن لا أن ] يبكين كما قال أبو تمام ولم يقنع إلا ببكاء الدم<sup>(٤)</sup> .

وقال البحتري :

عَنْتُ كَيْدِي قَسْوَةً مِنْكَ مَا إِنْ      تَزَالَ تُجَدِّدُ فِيهَا نُدُوبًا<sup>(٥)</sup>  
وَحُمَلْتُ عِنْدَكَ ذَنْبَ الْمَشِيءِ      بِرٍ حَتَّى كَأَنِّي أَبْتَدَعْتُ الْمَشِيئَا  
وَمَنْ يَطْلُعُ شَرَفَ الْأَرْبَعِينَ      يُلَاقِي مِنَ الشَّيْبِ زَوْراً غَرِيبًا<sup>(٦)</sup>

عهدى بالشيوخ من أهل العلم بالشعر إذا تذكروا ما قيل فى الشيب لا يقدمون على قوله :

• وَحُمَلْتُ عِنْدَكَ ذَنْبَ الْمَشِيءِ •

(١) ديوان البحتري ٢٣١ ، ٢ / ٧٧١ دار المعارف وأمالى المرتضى ١ : ٦٢١ والشهاب ١٧ .

(٢) م « تردى هجرا » .

(٣) فى الديوان « متى ألحق » .

(٤) الزيادة من الشهاب ١٧ .

(٥) راجع ص ٢٠٤ وانظر نقد المرتضى لذلك ١٧ - ١٨ .

(٦) ديوانه ٩٢ ، ١ / ١٥٠ دار المعارف وأمالى المرتضى ١ : ٦٢١ والشهاب ١٨ .

(٧) فى الديوان « يحى من الشيب » .

وقال :

وَقَدْ دَعَانَا نَاهِيًا فَاسْمَعْنِي      وَخَطُّ عَلَى الرَّأْسِ مُخْلَسٌ شَعْرَةٌ<sup>(١)</sup>  
صَغَرَ قَدْرِي فِي الْغَانِيَاتِ وَمَا      صَغَرَ صَبًا تَصْغِيرُهُ كَبِيرَةٌ

وقال :

أَيْثَنِي الشَّبَابَ أَمْ مَا تَوَلَّى      مِنْهُ فِي الدَّهْرِ دَوْلَةٌ مَا تَعُودُ<sup>(٢)</sup>  
لَا أَرَى الْعَيْشَ وَالْمَفَارِقُ بِيضُ      أَسْوَةَ الْعَيْنِ وَالْمَفَارِقُ سُودُ<sup>(٣)</sup>  
وَأَعْدُّ الشَّقِيَّ جِدًّا وَلَوْ أَع      طَى غُنْمًا حَتَّى يُقَالَ سَعِيدُ  
مَنْ عَدَّتْهُ الْعَيُونُ وَأَنْصَرَفَتْ عَنِّي      أَلْتِفَاتًا إِلَى سِوَاهُ الْخُدُودِ

وقال :

رَاعَنِي مَا يَرُوعُ مِنْ وَافِدِ الشَّيْ      بِ طُرُوقًا ، وَرَابَنِي مَا يَرِيبُ<sup>(٤)</sup>  
شَعْرَاتُ سُودٍ إِذَا حُلْنَ بِيضًا      حَالَ عَنْ وَضَلَةِ الْمَحَبِّ الْحَبِيبُ<sup>(٥)</sup>  
مَرَّ بَعْدَ السَّوَادِ مَا كَانَ يَحْلُو      مُجْتَنَاهُ مِنْ عَيْشِنَا وَيَطِيبُ<sup>(٦)</sup>

وقال :

أَجَدَّكَ مَا . وصل الغواني بمطمع      وَلَا الْقَلْبَ مِنْ رِقِّ الْغَوَانِي بِمَعْتَقِ<sup>(٧)</sup>  
وَدِدْتُ بَيَاضَ السَّيْفِ يَوْمَ لَقِينَنِي      مَكَانَ بَيَاضِ الشَّيْبِ كَانَ بِمَفْرِقِي<sup>(٨)</sup>

(١) ديوان البحترى ٢ / ١٠٣٤ دار المعارف الشهاب ١٨ .

(٢) ديوانه ٧٦٧ ، ١ / ٥٠٢ « يعود . أم يتول » وأمالى المرتضى ١ : ٦٢٣ والشهاب ١٨ .

(٣) في الديوان « إنما العيش » .

(٤) ديوانه ١١٢ / ١٨ والشهاب ١٨ وديوانه ١ : ٩٢ .

(٥) في الديوان : « وصله الحبيب الحبيب » .

(٦) في الشهاب « بعد الشباب » .

(٧) ديوانه ٧٧ والشهاب ١٩ .

(٨) في م « بياض الشيب » .



وقال :

عَمُرُ الْغَوَانِي لَقَدْ بَيَّنَّ مِنْ كُتُبِ      هَضِيمَةٍ فِي مُجِبٍّ غَيْرِ مَحْبُوبٍ<sup>(١)</sup>  
إِذَا مَدَدَنَ إِلَى أَغْرَاضِهِ سَبَبًا      وَقَيْنَ مِنْ كُرْهِهِ الشُّبَّانَ بِالشَّيْبِ

وقال :

خَلِّيَاهُ وَجَدَّةَ اللَّهِوِ مَاذَا      مَ رِدَاءِ الشُّبَّابِ غَضًّا جَدِيدًا<sup>(٢)</sup>  
إِنَّ أَيَّامَهُ مِنْ الْبَيْضِ بَيْضٌ      مَا رَأَيْنَ الْمَفَارِقَ السُّودَ سُودًا

وقال :

قَدْ كُفِّ مَنِيَّ فَمَا جَوَى السُّقْمِ إِلَّا      فِي ضُلُوعٍ عَلَى جَوَى الْحُبِّ تُحْنِي<sup>(٣)</sup>  
لَوْ رَأَتْ حَادِثَ الْخِضَابِ لَأَنْتَ      وَأَرَنْتَ مِنْ أَحْمِرَارِ الْيَرْنَا<sup>(٤)</sup>  
كَلَفُ الْبَيْضِ بِالْمُعْمَرِ قَدْرًا      حِينَ يَكْلَفُنَ ، وَالْمُصْغَرِ سِنًا<sup>(٥)</sup>  
يَتَشَاغَفُنَ بِالْفَرِيرِ الْمُسَمَّى      مِنْ تَهَابِ دُرِّ الْجَلِيلِ الْمَكْنَى

وقال :

تَرَكَ السَّوَادَ لِلْإِسِيهِ وَبَيَّضَا      وَنَضَا مِنَ السُّتَيْنِ عَنْهُ مَا نَضَا<sup>(٦)</sup>  
وَشَاهُ أَغِيدَ فِي تَصَرُّفٍ لَحْظِهِ      مَرَضٌ أَعْلَى بِهِ الْقُلُوبَ وَأَمْرَضَا  
وَكَاثُهُ وَجَدَ الصَّبَا وَجَدِيدُهُ      دَيْنَا دَنَا مِيقَاتُهُ أَنْ يُقْتَضَى<sup>(٧)</sup>

(١) ديوان البحري ٣٢٦ ، ١ / ٩٣ دار المعارف والشهاب ١٩ .

(٢) ديوانه ١ : ١٨٣ ، ١ / ٥٩٠ دار المعارف وأمالى المرتضى ١ : ٦٢١ والشهاب ١٩ .

(٣) ديوانه ٣٥٨ والشهاب ١٩ وفي أمالي المرتضى « فأنجى » .

(٤) البرنا : الخضاب .

(٥) في الديوان « بالمعمر » .

(٦) ديوانه ٢٩٠ ، ١ / ١١٩٨ وأمالى المرتضى ١ : ٦٢٢ ، ٢ : ١٣٥ والشهاب ١٩ .

(٧) في الديوان « وكأته ألى » .

أَسْيَانُ أَثَرَى مِنْ جَوَى وَصَبَابَةٍ وَأَسَافٍ مِنْ وَصْفِ الْحِسَانِ وَأَنْفَضَا<sup>(١)</sup>

شَاه : سَبَقَهُ أَغْيَدُ الشَّبَابِ النَّاعِمِ ، وَغَلِبَهُ عَلَى وَدِّ الْحِسَانِ .

وَأَسَافُ الرَّجُلِ إِذَا ذَهَبَ مَا فِي يَدِهِ فَافْتَقَرَ ، وَكَذَلِكَ أَنْفَضَ<sup>(٢)</sup> .

وقال :

أُخِيَ : إِنَّ الصَّبَا أَسْتَمَرَ بِهِ سَيْرُ اللَّيَالِي فَأَنْهَجَتْ بُرُودَهُ<sup>(٣)</sup>

تَصُدُّ عَنِّي الْحِسَانُ مُبْعِدَةً إِذْ أَنَا لَا قُرْبُهُ وَلَا صَدْدُهُ<sup>(٤)</sup>

شَيْبٌ عَلَى الْمَقْرِقَيْنِ بَارِضُهُ يَكْثُرُنِي أَنْ أُبَيِّنُهُ عَدْدُهُ

تَطْلُبُ عِنْدِي الشَّبَابَ ظَالِمَةً بُعِيدَ خَمْسِينَ حِينَ لَا تَجِدُهُ<sup>(٥)</sup>

لَا عَجَبٌ إِنْ مَلِئْتُ خُلَّتْنَا فَافْتَقَدَ الْوَصْلَ مِنْكَ مُفْتَقِدَةً

مَنْ يَتَطَاوَلُ عَلَى مَطَاوَلَةِ الْعِي شُ تُفَقِّعُ مِنْ مَلَّةٍ عَمْدُهُ<sup>(٦)</sup>

أَنْهَجَتْ بُرُودَهُ : يَرِيدُ بُرُودَهُ . وَ فُعْلٌ لَا يَجْمَعُ عَلَى فُعْلٍ .

وَالْبَارِضُ : أَوَّلُ مَا يَطْلُعُ مِنَ النَّبَاتِ وَهُوَ غَضٌّ . يَرِيدُ أَنْ أَوَائِلَ الشَّيْبِ

قَدْ زَادَتْ عَلَيْهِ فِي الْكَثْرَةِ حَتَّى لَا يَقْدِرُ عَلَى عَدْدِهَا بَعْدَ أَنْ كَانَ يَعْدُ الشَّعْرَاتِ

الْبَيْضِ فِي أَوَّلِ طُلُوعِ الشَّيْبِ .

( ١ ) فِي الدِّيَّانِ وَأَمَالِي الْمُرْتَضَى « مِنْ وَصَل » .

( ٢ ) فِي الشَّهَابِ « الْأَسْيَانُ وَالْأَسْوَانُ » : الْحَزِينُ . وَمَعْنَى أَسَافٍ : ذَهَبَ مَالُهُ ، وَكَذَلِكَ أَنْفَضَ ،

وَجَعَلَهُمَا الْبَحْتَرَى هَهُنَا فِي مَنْ ذَهَبَ مِنْ يَدِهِ وَصَلَ الْحِسَانُ وَمِيلَهُنَ إِلَيْهِ .

( ٣ ) دِيَّانُ الْبَحْتَرَى ١٥٦ ، ٢ / ٧٣٥ وَأَمَالِي الْمُرْتَضَى ١ : ٦٢٤ وَالشَّهَابُ ٢٠ .

( ٤ ) فِي الدِّيَّانِ « عَنِ الْحُسْنَاءِ » وَفِي « إِذَا » .

( ٥ ) فِي الدِّيَّانِ « خَمْسِينَ حَيْثُ » .

( ٦ ) فِي الدِّيَّانِ « مَنْ يَتَجَاوَزُ » .

وقوله : « تَقَعَّقَ مِنْ مَلَّةٍ عَمَدُهُ » أى عظامه يجيء لها صوت إذا قام أو قعد من الكبر والضعف<sup>(١)</sup>.

وقوله : « مِنْ مَلَّةٍ » : أى من تملّى العيش . يريد طوله ودوامه . ومنه تمليت حبّيك<sup>(٢)</sup>.

وأخذ قوله<sup>(٣)</sup> :

تَطْلُبُ عِنْدِي الشَّبَابَ      ظَالِمَةً      بُعِيدَ خَمْسِينَ حِينَ لَا تَجِدُهُ<sup>(٤)</sup>

[من] قول بشار :

يَا مَنْظَرًا حَسَنًا      رَأَيْتُهُ      مِنْ وَجْهِ جَارِيَةٍ فَدَيْتُهُ  
لَمَعَتْ إِلَى      تَسْوَمُنِي      شَرَحَ الشَّبَابِ وَقَدْ طَوَيْتُهُ<sup>(٥)</sup>

(١) قال المرتضى : « ورأيت الأمدى قد أخطأ فى معنى البيت الأخير .. والأمر بخلاف ما توهمه . ومعنى « تقمقع من ملّة عمده » أن من تطاول عمره تمجلّ ترحله وانتقاله عن الدنيا ، وكفى عن ذلك بتقمقع العمدة ، وهذا مثل معروف للعرب ، يقولون : من يتجمع يتقمقع عمدة ؛ يريدون أن التجمع داعى التفرق وأن الاجتماع يعقب ويورث ما يدعو إلى الانتقال الذى يتقمقع منه العمدة . والآمدى على كثرة ما يدعيه من التنقيب والتنقيب على علوم العرب ، إن كان لم يعرف هذا المثل ومعناه فهو طريف ، وإن كان قد سمعه ، وجهل أن معنى بيت البحرى يطابقه فهو أطرف » . ثم نقل كلامه هذا فى الشهاب .

(٢) قال المرتضى : « فأما قوله ”من ملّة“ فإنما أراد به : من ملل ، وملّة – فعله – من الملل ، وكيف يكون من تملّى العيش ، ولم يسمع فى تمليت ”ملّة“ وهذا خطأ على خطأ » . ثم كرر هذا الكلام وبسطه فى الشهاب كذلك .

(٣) م « دمنه قوله » .

(٤) م « ثم لا تجده » .

(٥) ديوان بشار ٢ : ٢٤ وزهر الآداب ١ : ٤١٩ وفى الأغاني « بعثت إلى » .

## نزول الشيب قبل حينه

قال أبو تمام :

أَبَدْتُ أَسَى أَنْ رَأَيْتُنِي مُخْلَسَ الْقُصْبِ      وَآلَ مَا كَانَ مِنْ عُجْبٍ إِلَى عَجَبٍ<sup>(١)</sup>  
سِتٌّ وَعِشْرُونَ تَدْعُونِي فَاتَّبَعُهَا      إِلَى الْمَشِيبِ فَلَمْ تَنْظِلْ وَلَمْ تَحُبِّ<sup>(٢)</sup>  
فَلَا يُورِّقُكَ إِيْمَاضُ الْقَتِيرِ بِهِ      فَإِنَّ ذَاكَ أَبْتِسَامُ الرَّأْيِ وَالْأَدَبِ<sup>(٣)</sup>

يقال : رأس مُخْلَسٌ وَخَلِيسٌ : إذا اختلط به الشيب .

وَالْقُصْبُ جمع قُصْبَةٍ وهي خصلة الشعر . « وآل ما كان من عجب »

بي ومحببة « إلى عجب » أى تعجب من شبي .

وقال :

شَابَ رَأْسِي . وَمَا رَأَيْتُ مَشِيبَ أَلٍ      رَأْسٍ إِلَّا مِنْ فَضْلِ شَيْبِ الْعَوَادِ<sup>(٤)</sup>  
وَكَذَلِكَ الْقُلُوبُ فِي كُلِّ بُؤْسٍ      وَنَعِيمٍ - طَلَانِجُ الْأَجْسَادِ  
طَالَ إِنكَارِي الْبَيَاضَ وَإِنْ عَمَّ      مِرْتُ شَيْئاً أَنْكَرْتُ لَوْنَ السَّوَادِ  
زَارَنِي شَخْصُهُ بِطُلْعَةِ ضَمِيمٍ      عَمَّرْتُ مَجْلِسِي مِنَ الْعَوَادِ  
نَالَ رَأْسِي مِنْ ثُغْرَةِ الْهَمِّ لَمَّا      لَمْ يَنْلُهُ مِنْ ثُغْرَةِ الْمِيلَادِ

(١) ديوان أبي تمام ١٥ وشرح التبريزي ١ : ١١٥ وأمال المرتضى ١ : ٥٩٩ والشهاب ١٠

وسبق ص ١٩٢ .

(٢) م « ولم تجب » وفي شرح التبريزي « يقول : تدعوني إلى المشيب ست وعشرون سنة فأجيبها ، ولم تدعني إلى الشيب في غير وقته فتكون ظالمة لي جائزة على ، فإنني قاسيت من الدهر ما لو شئت معه في المهد لم ينكر » . « الحوب : الإثم » .

(٣) البيت في مجموعة المغانى ١٢٥ وفي م « فلا يروقك » .

(٤) ديوان أبي تمام ٧٥ وشرح التبريزي ١ : ٣٦٠ وأمال المرتضى ١ : ٦١٢ والشهاب ١١

ومجموعة المغانى ١٢٥ .

فالأبيات الثلاثة الأولى من فلسفته الحسنة الصحيحة المستقيمة ، ومن مشهور إحسانه . وقد عابه قوم بقوله : « شيب الفؤاد » . وليس عندى بعيد ؛ لأنه لما كان العجالب للشيب القلبُ المَهمومُ نسب الشيبَ إليه على الاستعارة . وقد أحسن عندى ، ولم يسيء<sup>(١)</sup> .

وقوله : « عَمَرَتْ مَجْلِسِي مِنَ الْعُودِ » - معنى لا حقيقة له ؛ لأننا رأينا ، ولا سمعنا أحداً جاءه عُودٌ يَعُودُونَهُ من الشيب ، ولا أن أحداً أَمْرَضَهُ الشيب ، ولا عزَّاه المعزَّون عن الشيب<sup>(٢)</sup> .

وقال ابن حازم الباهلي :

أَلَيْسَ عَجِيْباً بِأَنَّ الْفَتَى      يُصَابُ بِبَعْضِ الَّذِي فِي يَدَيْهِ<sup>(٣)</sup>  
فَمِنْ بَيْنِ بَاكَ لَهُ مُوجِعٌ      وَبَيْنَ مُعْزٍ مُعْذٌ إِلَيْهِ  
وَيَسْتَلْبُهُ الشَّيْبُ شَرَحَ الشَّبَابِ      فَلَيْسَ يُعْزِيهِ خَلْقٌ عَلَيْهِ

(١) راجع تعليق المرتضى في الشهاب ١١ .

(٢) قال المرتضى في أماليه ١ : ٦١٣ : « وهذا من الآمدى قلة نقد للشعر ، وضعف بصيرة بدقيق معانيه التي يغوص عليها حذاق الشعراء ، ولم يرد أبو تمام العيادة الحقيقية التي ينفث فيها العواد مجالس المرضى ذوى الأوجاع ، إنما هذه استعارة وتشبيه وإشارة إلى الغرض خفية ؛ فكأنه أراد أن شخص الشيب لما زارني كثر المتوجعون لي والمتأسفون على شبابي والمتفجعون من مفارقتي ، فكأنهم في مجلسي عواد لي لأن من شأن العائد للمريض أن يتوجع ويتفجع . وكفى بقوله : « عمرت مجلسي من العواد » عن كثرة من تفجع له وتوجع من مشيبه . وهذا من أبي تمام في نهاية البلاغة والحسن ، وما المعيب إلا من عابه وطعن عليه . » وكلام المرتضى هذا في نهاية التفاهة والقبح ، وكأنه أحس بسقوط فأعاده في الشهاب ١٢ ، وزعم أنه كاف شاف ولكن « يمكن فيه وجه آخر ، وهو أن يريد بقوله : « عمرت مجلسي من العواد » الإخبار عن وجوب عيادته واستحقاقه لذلك بما نزل به ، فجعل ما يجب أن يكون كائناً - واقعاً . وهذا له نظائر كثيرة في القرآن وفي كلام العرب وأشعارهم ، قال الله عز وجل : « ومن دخله كان آمناً » وإنما المعنى : أنه يجب أن يأمن ، فجعل قوة الوجوب وال لزوم كأنه حصول وقوع !! ! وهذا الوجه أشد تفاهة من سابقه وأشنع قبحاً .

ولقد أثبت المرتضى بنقده هذا على أنه أجدر بالوصف الذي وصف به الآمدى : من قلة النقد للشعر وضعف البصيرة بدقائق معاني الشعراء .

(٣) أمال القالي ١ : ١٠٩ و أمال المرتضى ١ : ٦٠٨ والشهاب ١١ .

فَأَحَبُّ أَبَوْتَامَ أَنْ يَخْرُجَ عَنْ عَادَاتِ بَنِي آدَمَ ، وَيَكُونَ أُمَّةً وَخْده .  
 وقوله : « نَالَ رَأْسِي مِنْ ثُغْرَةِ الْهَمِّ .. » بيت رَدِيٌّ ، بعيد المعنى .  
 ولكنّه يقرب ويتخلص إذا وقع التَّائِي للعبارة عنه ، فأقول : إِنَّ الثُّغْرَةَ هِيَ :  
 الفرجة والثلمة تكون في الشيء ؛ ولذلك سُمِّي كُلُّ بَلَدٍ جَاوَرَ عَلَوًّا - ثُغْرًا  
 كَأَنَّ معناه أَنَّهُ مكشوف للعدو فلذلك قيل : قد سَدَّ الثغر بالرجال . وأصله  
 - والله أعلم - من ثَغَرَ الإنسان ؛ لَأَنَّهُ أَوَّلُ مَا يَقَابِلُكَ مِنْ أَسْنَانِهِ ، وَأَوَّلُ  
 مَا يَظْهَرُ عِنْدَ الْكَلَامِ ، وَأَوَّلُ مَا يَسْقُطُ . فيرى موضعه مثْلُومًا ، فَشَبَّهَ الثُّغْرَ  
 الَّذِي هُوَ الْبَلَدُ بِهِ . وقالوا : قد أَثْغَرَ الصَّبِي وَأَثْغَرَ . وسميت تلك الثُّغْرَةُ  
 فُرْجَةً فِي مَوْضِعِ السِّنِّ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ مُنْفَرَجٍ ، ومنه ثُغْرَةُ النَّخْرِ .  
 فَأَرَادَ بِقَوْلِهِ : « نَالَ رَأْسِي مِنْ ثُغْرَةِ الْهَمِّ » . أَي وَجَدَ الشَّيْبُ مِنَ الْهَمِّ فَرْجَةً  
 دَخَلَ عَلَى رَأْسِي مِنْهَا . جَاءَ بِهِ عَلَى مَذْهَبِهِ فِي الْاسْتِعَارَةِ ، وَالْهَمُّ يَشِيبُ لَا مُحَالَةً .  
 وقوله : « لَمَّا لَمْ يَنْلَهُ مِنْ ثُغْرَةِ الْمِيلَادِ » . يَذْهَبُ فِي ثُغْرَةِ الْمِيلَادِ إِلَى  
 الْوَقْتِ ، الَّذِي يَهْجُمُ عَلَيْهِ <sup>(١)</sup> فِيهِ الشَّيْبُ مِنْ عَمَرِهِ ؛ لَأَنَّهُ يَجِدُ السَّبِيلَ فِي  
 ذَلِكَ الْوَقْتِ إِلَى الْحُلُولِ بِرَأْسِهِ ، فَجَعَلَهُ ثُغْرَةً حِينْتُدَّ ، فيقول : إِنَّ الْمَشِيبَ  
 حَلَّ بِرَأْسِهِ مِنْ جِهَةٍ هُمُومِهِ وَأَحْزَانِهِ لَمَّا لَمْ يَبْلُغِ السَّنَ الَّذِي يُوجِبُ حُلُولَهُ  
 بِهِ مِنْ جِهَةٍ كَبِيرَةٍ <sup>(٢)</sup> .  
 وَكَانَ وَجْهَ الْكَلَامِ أَنْ يَقُولَ : مِنْ ثُغْرَةِ الْكِبَرِ ، أَوْ مِنْ ثُغْرَةِ السِّنِّ ،  
 لَا مِنْ ثُغْرَةِ الْمِيلَادِ <sup>(٣)</sup> .

(١) م « يهجم على » .

(٢) من أول شرح الآمدي إلى هنا نقله المرتضى في أماليه ١ : ٦١٢-٦١٣ من غير إشارة إلى مصدره !

(٣) أما هذه الجملة فقد نقلها المرتضى في الشهاب ١٢ منسوبة للآمدي لأنه أراد نقدها بقوله :  
 « وهذا منه ليس بصحيح ؛ لأن العبارات الثلاث بمعنى واحد ، ويقوم بعضها مقام بعض ؛ لأن الميلاد  
 عبارة عن السن ، فن تقدمت به تقدم ميلاده ، ومن قربت سنه قصرت قصر وقرب زين ميلاده » !

وكان يجب أيضاً أن يقول : حَلَّ برأى ، أو نَزَلَ<sup>(١)</sup> ؛ فإن هذه اللفظة هي المستعملة في مثل هذا دون قوله : « نال » . كأنه يجعل الشيبَ لم يَزَلْ يَتَرَصَّدُهُ ، وَيَتَطَلَّبُ فُرْصَةً منه ينتهزها في الدخول عليه وذلك لبعده - كان - عن الأفراح والمَسَارِّ<sup>(٢)</sup> ، وكثرة أحزانه وهمومه . وليس لِشُغْرَةِ الصَّبِيِّ - وهو لِشُغْرِهِ إِذَا - سقط. سنه - هاهنا وجه ؛ لأنَّ الإنسان قد يشيب وهو حديث السن فأما في ذلك الوقت فلا .

\*\*\*

وقال :

نَسَجَ الْمَشِيبُ لَهُ قِنَاعًا مُغْدِفًا      يَقَقَّا فَقَنَعَ مِذْرَوِيَهُ وَنَصَفَا<sup>(٣)</sup>  
نَظَرُ الزَّمَانِ إِلَيْهِ قَطَعَ دُونَهُ      نَظَرَ الشَّفِيقِ تَحَسَّرًا وَتَلَهَّفًا  
مَا أَسْوَدَ حَتَّى أَبْيَضَ كَالكَرَمِ الَّذِي      لَمْ يَأْنِ حَتَّى جِئَ كَيْمَا يُقْطَفَا  
لَمَّا تَفَوَّتَ الْخُطُوبُ سَوَادُهَا      بِيَاضِهَا عَبَثَتْ بِهِ فَتَفَوَّتَا  
مَا كَانَ يَخْطُرُ قَبْلَ ذَا فِي فِكْرَةٍ      فِي الْبَدْرِ قَبْلَ تَمَامِهِ أَنْ يُكْسَفَا

قوله : نَظَرُ الزَّمَانِ إِلَيْهِ . أى نَظَرُهُ بِالشَّيْبِ قَطَعَ دُونَهُ نَظَرَ الشَّفِيقِ عَنْ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ فَيَتَحَسَّرَ عَلَيْهِ وَيَتَلَهَّفُ . وإنما أراد « قَطَعَ دُونَهُ » خفيفة فثقلها ليستوى له الوزن . وقد يجوز أن يكون أراد التثقيب ، أى أن الشَّفِيقَ الَّذِي كَانَ يُدِيمُ النَّظَرَ إِلَيْهِ وَيُوَاصِلُهُ إِعْجَابًا بِهِ - صَارَ لَا يَمْلَأُ طَرَفَهُ لَمَّا شَابَ

(١) ونقل المرتضى هذه الجملة وعقب عليها بقوله : « والأمر بخلاف ما ظنه ؛ لأن الجميع واحد ، وما نال رأسه فقد حل به ونزل » !

(٢) م « والمسان » .

(٣) ديوان أبي تمام ٤٠١ والشهاب ٤ وسبق الأول ص ١٩٠ .

تَحَسَّرًا وَتَأَسُّفًا ، كُلَّمَا نَظَرَ إِلَيْهِ أَعْرَضَ عَنْهُ إِعْرَاضَ آسَفٍ عَلَيْهِ ، لَا إِعْرَاضَ  
بِغَضَةٍ وَشَنَاءَةٍ ، فَجَعَلَ ذَلِكَ الْإِعْرَاضَ عَنْهُ فِي أَوْقَاتِهِ تَقْطِيعًا لِلنَّظَرِ إِلَيْهِ .

وقوله : « ما اسودَّ حتى ابيضَّ » . يريد سرعة متشابهة .

وقوله : « كَالْكَرَمِ الَّذِي لَمْ يَأْنِ حَتَّى جِيءَ كَيْمًا يُقْطَعَا » <sup>(١)</sup> - كلام في  
غاية القُبْحِ والغَثَاثَةِ والبرد <sup>(٢)</sup> . كَأَنَّهُ جَعَلَ مَجِيءَ الْقَاطِفِ إِلَى الْكَرَمِ الَّذِي لَمْ  
يُذْرِكْ لِيَقْطَعْهُ كَحُلُولِ الشَّيْبِ بِرَأْسِهِ قَبْلَ أَوَانِهِ لِيَفْنِيَ عَمْرَهُ .

وقوله : « لَمَّا تَفَوَّتِ الْخُطُوبُ سَوَادُهَا بِيَاضِهَا » . أَذَى لَمَّا اخْتَلَفَتْ  
عَلَيْهِ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَوَقَّتْ رَأْسَهُ أَى خَلَطَتْ سَوَادَهُ بِبَيَاضِ الشَّيْبِ .

وقوله : « ما كان <sup>(٣)</sup> يَخْطُرُ قَبْلَ ذَا فِي فِكْرَةٍ ... » بَيْتٌ لَفْظُهُ وَمَعْنَاهُ فِي  
غَايَةِ الْاضْطِرَابِ وَالسَّخَافَةِ <sup>(٤)</sup> .

\*\*\*

وقال البحتري :

أَقُولُ لِلْيَمْتِي إِذْ أَسْرَعَتْ بِي إِلَى الشَّيْبِ أَخْسَرِي فِيهِ وَخِيْبِي <sup>(٥)</sup>  
مُخَالَفَةً بِضَرْبٍ بَعْدَ ضَرْبٍ وَمَا أَنَا وَأَخْتِلَافَاتِ الضُّرُوبِ <sup>(٦)</sup>  
وَكَانَ جَدِيدُهَا فِيهَا غَرِيبًا فَصَارَ قَدِيمُهَا حَقًّا الْغَرِيبِ <sup>(٧)</sup>

( ١ ) م « يقطعا » .

( ٢ ) قال المرتضى في الشهاب ، « ولعمري إنه لفظ غير مطبوع ، وفيه أدنى ثقل ، ومثل ذلك يففر لما لا يزال يتوالى من إحسانه ويترادف من تجويده » !

( ٣ ) م « ما كاد » .

( ٤ ) قال المرتضى « وليس الأمر على ما ظنه ؛ إذ البيت جيد ، وإنما ليس رونق الطبع فيه ظاهراً .

وليس ذلك مبين » !

( ٥ ) ديوان البحتري ٣٨٩ ، ١ / ٩٩ دار المعارف والشهاب ٢٠ .

( ٦ ) م « واحتلاف » .

( ٧ ) في الديوان « وكان حديثها » .



قوله : وكان جليدها فيها غريباً - من قول أبي تمام :  
 طَالَ إنْكَارِي الْبَيَاضَ وَإِنْ عُمُ مِرْتُ شَيْئًا أَنْكَوْتُ لَوْنَهُ السَّوَادَ<sup>(١)</sup>  
 وببيت أبي تمام أجود .

وقول البحتري : «مُخَالَفَةٌ بِضَرْبٍ بَعْدَ ضَرْبٍ» - في غاية الحسن والصحة  
 والبراعة .

\*\*\*

وقال البحتري :

هَلْ أَنْتَ صَارِفُ شَيْبَةٍ إِنْ غَلَسَتْ      فِي الْوَقْتِ ، أَوْ عَجَلَتْ عَنِ الْوَيْعَادِ<sup>(٢)</sup>  
 جَاءَتْ مُقَدَّمَةً أَمَامَ طَوَالِيعِ      هَذِي تُرَاوِحُنِي ، وَتِلْكَ تُغَادِي  
 وَأَخُو الْغَيْبَةِ تَاجِرٌ فِي لِمَةٍ      يُشْرَى جَدِيدَ بَيَاضِهَا بِسَوَادِ  
 لَا تَكْذِبَنَّ فَمَا الصَّبَا بِمُخْلَفٍ      لَهُوَ ، وَلَا زَمَنُ الصَّبَا بِمُعَادِ<sup>(٣)</sup>  
 وَأَرَى الشَّبَابَ عَلَى غَضَارَةِ حُسْنِهِ      وَجَمَالِهِ عَدَدًا مِنْ الْأَعْدَادِ

قوله : «يشرى» أى يبيع «جديد بياضها بسواد» يريد الخضاب ؛  
 لأنه قال : «لا تكذبَنَّ فما الصَّبَا بِمُخْلَفٍ»<sup>(٤)</sup>.

(١) ديوان أبي تمام ٧٥ وسبق ص ٢١٢ .

(٢) ديوان البحتري ١٦٣ ، ٢ / ٧٣١ دار المعارف وآمال المرتضى ١ : ٦٢٢ والشهاب ٢٠ .

(٣) م « بمخلف بهوى » وفي الديوان « بمخلف فينا » .

(٤) أسقط المرتضى قول الآمدي : «لأنه قال . . .» ثم نقده بقوله : في الشهاب ٢١ «وجدت الآمدي قد نزل في معنى قوله : «يشرى» لأنه قال : معنى يشرى : يبيع ، وأراد أن الغيب من باع جديد بياضه بالسواد ، وأراد بالسواد الخضاب ، فكانه ذم الخضاب . والأمر بخلاف ما ذكره ، وما جرى للخضاب ذكر ، ولا ههنا موضع للكناية عنه . ومعنى يشرى ههنا : يبتاع ، لأن قولهم : شريت ، يستعمل في البائع والمبتاع جميعاً . وهذا من الأضداد ، نص أهل اللغة على هذا في كتبهم . فكانه شهد بالغيب لمن يبتاع الشيب بالشباب ويتموض عنه . وإنما ذهب على الآمدي لفظة «يشرى» تقع على الأمرين المضادين فتشمل ذكر الخضاب الذى لا معنى له ههنا !

وقوله : «عَدَدًا مِنَ الْأَعْدَادِ» ، أى عَدَدًا قليلا يسيرًا<sup>(١)</sup>.

وقال :

مَا كَانَ شَوْقِي بِيَدْعِ يَوْمَ ذَلِكَ وَلَا دَمْعِي بِأَوَّلِ دَمْعٍ فِي الْهَوَى سَفِيحًا<sup>(٢)</sup>  
وَلَمَّةٌ كُنْتُ مَشْغُوفًا بِجِدَّتِهَا فَمَا عَفَا الشَّيْبُ لِي عَنْهَا ، وَلَا صَفَحَا

وهذا من إحسانه المشهور :

ووجدت في ديوان أبي تمام في الخضاب ، وهو يشبه كلامه ، وأظنه

منحولا<sup>(٣)</sup> :

فَإِنْ يَكُن الْمَشْيَبُ طَرَا عَلَيْنَا وَأَوْدَى بِالْبَشَاشَةِ وَالشَّبَابِ  
فَإِنِّي لَسْتُ أَذْفَعُهُ بِشَيْءٍ يَكُونُ عَلَيْهِ أَثْقَلُ مِنْ خِضَابِ  
أَرَادَ بَأَنَّ ذَلِكَ وَذَا عَذَابٍ فَيَنْتَقِمُ الْعَذَابُ مِنَ الْعَذَابِ<sup>(٤)</sup>

\*\*\*

وقال البحتري :

لَوْ رَأَتْ حَادِثَ الْخِضَابِ لَأَنْتَ وَأَرَنْتَ مِنْ أَحْمِرَارِ الْبِرْنَاءِ<sup>(٥)</sup>

وقال :

قَالَتِ الشَّيْبُ أَتَى قُلْتُ : أَجَلٌ سَبَقَ الْوَقْتَ ضِرَارًا وَعَجَلٌ<sup>(٦)</sup>

(١) نقلها المرتضى وعقب عليها بقوله : « وقد أصاب في ذلك إلا أنه ما ذكر شاهده ووجهه »

ثم ذهب ليسرد شواهدة !

(٢) ديوان البحتري ٥٦ و ١ / ٤٤٠ دار المعارف وآمال المرتضى ١ : ٦٢٥ والشهاب ٢١ .

(٣) في الشهاب ١٣ « وله ، وقيل : إنه منحول في ذكر الخضاب » .

(٤) في الشهاب « أردت بأن » .

(٥) ديوانه ٣٥٨ وسبق ص ٢٠٩ .

(٦) ديوانه ٣٣١ والشهاب ٢١ ومضى الأول ص ١٩٣ .

وَمَعَ الشَّيْبِ عَلَى عِلَاتِهِ مُهَلَّةٌ لِلْمَرْءِ حِينًا وَالْغَزْلُ<sup>(١)</sup>  
خِيلَتْ أَنَّ التَّصَابِي خَرَقُ بَعْدَ خَمْسِينَ ، وَمَنْ يَسْمَعُ يَحُلْ

وقال :

تزيدنى الأيام مَغْبُوطَ عَيْشَةٍ فَيَنْقُصَنِ اللَّيَالِي مُرُورُهَا<sup>(٢)</sup>  
وَأَلْحَقَنِ بِالشَّيْبِ فِي عُقْرِ دَارِهِ مَنَاقِلُ فِي عَرْضِ الشُّبَابِ أَسِيرُهَا  
مَضَتْ لِي سَوَادَ اللَّيْلِ أُولَى بَطَالَتِي فَدَغْنِي يُصَاحِبُ وَخَطَ شَيْبِي أَخِيرُهَا<sup>(٣)</sup>

يقول : إذا زادتني الأيام شيئاً من غِبْطَةِ الْعَيْشِ اجتمعت مع الليالي  
على انتقاصه ، أي ارتجاعه . والمَنَاقِلُ : جمع مَنَقَلَةٍ ، وهي المَرَحَلَةُ من  
مَرَاحِلِ السَّفَرِ<sup>(٤)</sup>.

وعُقْرُ الدَّارِ ، وعُقْرُهَا - بِالْفَتْحِ وَالضَّم - أَصْلُهَا .

وهذا من بارع لفظه وفصيحته وبليغه .

\*\*\*

ومن هذا الباب ، ويصلح أن يُثَبَّتَ فِي الْبَابِ الَّذِي بَعْدَهُ - قَوْلُ آخِرِ :  
نَزَلَ الْمَشِيبُ بِعَارِضِهِ يَ ، وَضِيقُ ذَرْعًا بِالْمَشِيبِ  
وَبَكَيْتُ إِذْ رَحَلَ الشُّبَابُ بُ بَكَا الْمُحِبُّ عَلَى الْحَبِيبِ

( ١ ) فِي الدِّيَوَانِ الشَّهَابِ « مُهَلَّةٌ لِلْهُو » .

( ٢ ) دِيَوَانُ الْبَحْرِيِّ ٦٠٤ ، ٢ / ٩٩٨ وَالشَّهَابُ ٢٢ .

( ٣ ) فِي الدِّيَوَانِ « مَضَتْ فِي سَوَادِ الرَّأْسِ » وَفِي الشَّهَابِ « فِي سَوَادِ الشَّعْرِ » .

( ٤ ) عَقِبَ الْمُرْتَضَى عَلَى هَذَا بِقَوْلِهِ : « وَغَيْرَ هَذَا التَّأْوِيلِ الَّذِي ذَكَرَهُ أَوَّلِي مِنْهُ ، وَهُوَ أَنَّ يَكُونُ الْمُرَادُ أَنَّ الْأَيَّامَ إِذَا زَادَتْ غِبْطَةَ فِي الْعَيْشِ نَقَصَتْ ذَلِكَ مُرُورُهَا . وَيريد بقوله : « نَقَصَ اللَّيَالِي » كَمَا تَنْقُصُ الْأَيَّامُ مِنَ اللَّيَالِي ؛ لِأَنَّ الْأَيَّامَ تَأْخُذُ مِنَ اللَّيَالِي وَتَنْقُصُهَا . وَهَذَا التَّأْوِيلُ أَشْبَهَ بِالصَّوَابِ مِنْ تَأْوِيلِهِ » وَالْحَقُّ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمُرْتَضَى .

دَا عِبَاءَ لَيْسَ مِنْهُ مَا أَشْكِيهِ إِلَى الطَّبِيبِ  
مَا لِلْمَشِيبِ بَكَيْتُ لَ كِنْ خَشِيَةَ الْأَجْلِ الْقَرِيبِ

• • •

وما أحسن ما قال عمرو بن المَبَارَكِ الخُزَاعِيُّ في هذا :

مَنْ لِأُذُنِي بِمَلَامٍ وَلِكَفِّي بِمُدَامٍ  
رَقَّ عَظْمُ الْجَهْلِ مِنْهُ وَأَنْحَنَى مَتْنُ عُرَامِي  
وَتَمَشَّى السِّيفُ مِنْ شَيْءٍ بِي إِلَى شَيْبِي التَّوَامِ  
نَظَمَكَ الدُّرُّ إِلَى الدُّرِّ رَةِ فِي سِلَكِ النَّظَامِ

ومما لا شيء أجود منه في معناه قول الآخر . ولا تَشْبِيهُهُ شُهُرَتُهُ :

أَلْقَى عَصَاهُ ، وَأَرْخَى مِنْ عِمَامَتِهِ وَقَالَ ، ضَيْفٌ ، فَقُلْتُ : الشَّيْبُ قَالَ : أَجَلٌ (١)  
فَقُلْتُ : أَخْطَأْتُ دَارَ الْحَيِّ . قَالَ لَقَدْ تَمَّتْ لَكَ الْأَرْبَعُونَ الْوَفْرَ ثُمَّ نَزَلَ (٢)  
فَمَا شَجِبْتُ بِشَيْءٍ مَا شَجِبْتُ بِهِ كَانَمَا أَعْتَمَّ مِنْهُ مَفْرَقِي بِجَبَلٍ

• • •

وقد تصروف البحترى في هذا الباب تصرفاً حسناً .

ولولا قول أبي تمام : « فَلَ يُورِّقُكَ لِمَا ضُ الْقَتِيرِ بِهِ » .

وقوله : « شَابَ رَأْسِي » . والبيتان بعده - لفضلت البحترى عليه في

افتنانه ، وبراعة لفظه ، وسلامة معناه . لكنني أجعلهما متكافئين .

(١) لعل بن جبلة ، وربما رويت للعليل ، كما في الشهاب ٣٢ .

(٢) في الشهاب « قال ولم مضت لك » .

## البكاء على الشباب والتعزى عنه والعزوف عن الصبا

قال أبو تمام :

أَصْبَحَتْ رَوْضَةُ الشَّبَابِ هَشِيمًا      وَغَدَتْ رِيحُهُ الْبَلِيلُ سَمُومًا<sup>(١)</sup>

وقال البحتري :

خَلَقُ الْعَيْشِ فِي الْمَشِيبِ وَإِنْ كَا      نَ نَضِيرًا ، وَفِي الشَّبَابِ جَدِيدُهُ<sup>(٢)</sup>  
لَيْتَ أَنَّ الْأَيَّامَ قَامَ عَلَيْهَا      مَنْ إِذَا مَا أَنْقَضَى زَمَانٌ يُعِيدُهُ  
لَوْ أَنَّ الْبَقَاءَ يَخْتَارُ فِينَا      كَانَ مَا تَهْدِمُ اللَّيَالِي تَشِيدُهُ  
شَيْبَتْنِي الْخُطُوبُ إِلَّا بِقَايَا      مِنْ شَبَابٍ لَمْ يَبْقَ إِلَّا شَرِيدُهُ<sup>(٣)</sup>  
لَا تَنْقُبْ عَنِ الصَّبَا فَخَلِيقُ      إِنْ طَلَبْنَاهُ أَنْ يَعِزَّ وَجُودُهُ<sup>(٤)</sup>

وهذا من الحلاوة والحسن على ما تراه .

وقال ، وقد مضت في باب آخر<sup>(٥)</sup> :

أَيْدُنِي الشَّبَابُ أَمْ مَا نَوَّلَى      مِنْهُ فِي الدَّهْرِ دَوْلَةٌ مَا تَعُودُ  
لَا أَرَى الْعَيْشَ وَالْمَفَارِقُ بِيضُ      أَسْوَةَ الْعَيْشِ وَالْمَفَارِقُ سُودُ

ومن جيد هذا الباب قول كثير :

وَكَانَ الصَّبَا حِزْنَ الشَّبَابِ فَاصْبَحَا      وَقَدْ تَرَكَانِي فِي مَعَانِيهِمَا وَحْدَى

( ١ ) ديوان أبي تمام ٢٩١ وشرح التبريزي ٣ : ٢٢٣ .

( ٢ ) ديوان البحتري ١٨٨ ، ٨٥٢ « ولو كان » والشهاب ٢٣ .

( ٣ ) م « شيبني المشيب » وفي الديوان « سيخني الخطوب » .

( ٤ ) م « إن بليتاه » .

( ٥ ) باب كره النساء للمشيب ص ٢٠٨ .

فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَطَائِفُ جَنَّةٍ تَأْوِينِي أَمْ لَمْ يَجِدْ أَحَدٌ وَجْدِي

• • •

وقال البحتري :

أَوَاخِرُ الْعَيْشِ أَنْبَارٌ مُكَرَّرَةٌ      وَأَقْرَبُ الْعَيْشِ مِنْ لَهْوٍ أَوَائِلُهُ<sup>(١)</sup>  
يَجْرِي الشَّبَابُ إِذَا مَا تَمَّ تَكْمِلَةُ      وَالشَّيْءُ يُنْفِذُهُ نَقْصًا تَكَامُلُهُ<sup>(٢)</sup>  
وَيُعْتَبُ الْمَرْءُ بُرْءًا مِنْ صَبَابَتِهِ      تَجَرُّمُ الْعَامِ يَمْضِي ثُمَّ قَابِلُهُ<sup>(٣)</sup>  
إِنْ فَرَّ مِنْ عَنَتِ الْأَيَّامِ حَازِمُهَا      فَالْحَزْمُ فَرَكٌ مِمَّنْ لَا تُقَاتِلُهُ<sup>(٤)</sup>  
وَإِنْ أَرَابَ صَدِيقِي فِي الْوَدَادِ فَكَمْ      أَمْسَيْتُ أَخْذَرُ مَا أَصْبَحْتُ أَمْلُهُ

وقال :

أَمَّا الشَّبَابُ فَقَدْ فَانَيْتَ بَغْضِهِ      وَحَطَطْتَ رَحْلَكَ مُسْرِعًا عَنْ نُقْضِهِ<sup>(٥)</sup>  
وَأَقَامَ مُشْتَاقًا ، وَأَقْصَرَ عَاذِلُ      أَرْضَاهُ فِيكَ الشَّيْبُ إِذْ لَمْ تُرْضِهِ<sup>(٦)</sup>  
شَعْرٌ صَحِبْتُ الدَّهْرَ حَتَّى جَازَنِي      مُسَوِّدُهُ الْآقْصَى إِلَى مُبْيَضِّهِ<sup>(٧)</sup>  
فَعَلَى الصَّبَا الْآنَ السَّلَامُ وَلَوْعَةٌ      تَشْنِي عَلَيْهِ الدَّمْعَ فِي مُرْقَضِهِ<sup>(٨)</sup>  
وَلَيْقَنْ تَفَاحُ الْخُلُودِ فَلَنْتُ مِنْ      تَقْبِيلِهِ غَزْلًا وَلَا مِنْ غَضِّهِ<sup>(٩)</sup>  
أَيُّ فَعْلِيهِ السَّلَامُ وَعَلَيْهِ لَوْعَةٌ .

(١) ديوان البحتري ٧٨٩ والشهاب ٢٣ .

(٢) في الديوان « ينفذ نقصاناً » .

(٣) في الديوان « يأتي ثم » .

(٤) في الديوان « أفرك » .

(٥) ديوانه ٢٨٨ ، ١٩٥/٢ دار المعارف والشهاب ٢٣ وفيها « فقد سبقت » .

(٦) فيهما « وأفاق مشتاق » وفي م « أن لم » .

(٧) في الديوان « جازي » .

(٨) م « من مرقضه » .

(٩) وليقن : أي وليحفظ .

وقال :

وَصَالُ سَقَانِي الْخَيْلِ صِرْفًا وَلَمْ يَكُنْ      لِيَبْلُغْ مَا أَدَّتْ عَقَابِيلُهُ الْهَجْرُ<sup>(١)</sup>  
 وباقى شبابٍ فى مشيبٍ مُغْلَبٌ      عليه أَخْتِنَاءُ الْيَوْمِ يَكْثُرُهُ الشَّهْرُ<sup>(٢)</sup>  
 وَلَيْسَ طَلِيقًا مَنْ يُرَوِّحُ أَوْغَدًا      يَسُومُ التَّصَابِي ، وَالْمَشِيبُ لَهُ أَسْرُ  
 تَطَاوَحْنِي الْعَصْرَانِ فِي رَحَوَيْهِمَا      يُسَيِّبُنِي عَصْرٌ ، وَيَقْلَعُنِي عَصْرُ<sup>(٣)</sup>  
 مَتَاعٌ مِنَ الدُّنْيَا أَسْتَبَدَّ بِجِدَّتِي      وَأَعْظَمُ جُرْمِ الدَّهْرِ أَنْ يُمْتَنِعَ الدَّهْرُ<sup>(٤)</sup>

قوله : « وَصَالُ سَقَانِي الْخَيْلِ صِرْفًا » . يريد أنه لما جاده المشيبُ حزن على الوصل ، وأسف أسفاً شديداً ؛ لأنه ليس يجدُ له مثل ما كان ، ولأنَّ محبوبه إن واصلَ [وَأَصَلَ] تَكَلَّفَا ، وإن<sup>(٥)</sup> ذلك لا بقاء له ، وإنه ذاهب حتى إن عقابيله - وهى أواخره وبقاياها - لو كان مكانها الهجر لما بلغ من خبيله ما بَلَغَتْ .

وقوله : « مُغْلَبٌ عَلَيْهِ أَخْتِنَاءُ الْيَوْمِ » . فالأختِنَاءُ : الانْخِرَالُ والتَّهْيَبُ من الشيء ، والخشوع له . يريد كَأَخْتِنَاءِ الْيَوْمِ إذا كآثره الشَّهْرُ فَكَثَرَهُ ؛ لِأَنَّ يَوْمًا لَا يَكُونُ كَشَهْرٍ فِي الْمَكَاتِرَةِ وَالْمُفَاحَرَةِ<sup>(٦)</sup> .

وقال :

تَقَضَّى الصَّبَا إِلَّا تَلَوَّمْ رَاحِلِ      وَأَغْنَى الْمَشِيبُ عَنْ مَلَامِ الْعَوْدِلِ<sup>(٧)</sup>  
 وَتَابَى صُرُوفُ الدَّهْرِ سُودًا سُخُوصَهَا      عَلَى الْبَيْضِ أَنْ يَحْظُنَّ مِنْهُ بِطَائِلِ

(١) ديوان البحرى ٢٤٢ ، ٢ / ٨٧٠ دار المعارف والشهاب ٢٣ وفى م « عقابيله الدهر » .

(٢) عبث الوليد ١١٣ .

(٣) فى الديوان والشهاب « ويملقنى عصر » وفى م « تشقى عصر » .

(٤) فى الديوان « متاع من الدهر » وفيه وفى الشهاب « أى يمنع » .

(٥) م « ولو » .

(٦) راجع الشهاب ٢٤ .

(٧) ديوانه ٦٣٨ والشهاب ٢٤ .

يُحَاوِلْنَ عِنْدِي صَبُوءَ وَإِخَالِنِي عَلَى شُغْلٍ مِمَّا يُحَاوِلْنَ شَاغِلٍ  
رَمَى رَزَايَا صَائِبَاتٍ كَأَنَّنِي لِمَا أَشْتَكِي مِنْهَا رَمَى جَنَادِلٍ

وقال :

فِي الشَّيْبِ زَجْرٌ لَهُ كَانَ يَنْزَجِرُ وَوَاعِظٌ مِنْهُ لَوْلَا أَنَّهُ حَجَرٌ<sup>(١)</sup>  
أَبْيَضٌ مَا أَسْوَدَّ مِنْ قَوْدِيهِ وَارْتَجَعَتْ جَلِيَّةُ الصُّبْحِ مَا قَدْ أَغْفَلَ السَّحَرُ  
وَلِلْفَتَى مُهْلَةٌ فِي الْعَيْشِ وَاسِعَةٌ مَا لَمْ يَمُتْ فِي نَوَاحِي رَأْسِهِ الشَّعْرُ<sup>(٢)</sup>

قوله : « ارتجعت جليئة الصبح ما قد أغفل السحر » - قريب من قوله :

تَزِيدُنِي الْأَيَّامُ مَغْبُوطَ عَيْشَةٍ فَتَنْقُصُنِي نَقْصَ اللَّيَالِي مُرُورُهَا<sup>(٣)</sup>

وقال :

أَيَا صَاحِبِي إِمَّا أَرَدْتَ صَحَابَتِي فَكُنْ مُقْصِرًا ، أَوْ مُغْرَمًا مِثْلَ مُقْصِرٍ<sup>(٤)</sup>  
فَإِنِّي إِنْ أَزْمِغْ غُدُوءًا لَطِيبَتِي أَغْلَسْ ، وَإِنْ أَجْمِغْ رَوَاحًا أَهْجِرْ  
وَمَا يَقْرُبُ الطَّيْفُ الدَّلِيمُ رَكَائِبِي وَلَا يَغْتَرِبُنِي الشُّوقُ مِنْ حَيْثُ يَغْتَرِي  
سُقْمِنَا جَنَى السُّلُوفَانِ أَمْ شُغْلُ الْهَوَى عَلَيْنَا بَنُو الْعَشِيرِينَ مِنْ كُلِّ مَعْشَرٍ

وما قيل في هذا الباب كقول ابن حازم<sup>(٥)</sup> الباهلي ، ومنصور النعمري .

(١) ديوان البحري ٦٧٣ ، ٢ / ٩٥٣ دار المعارف والشهاب ٢٤ وفيهما « وبالغ منه » .

وسبق ص ١٩٤ .

(٢) في الديوان « مهلة في الحب » .

(٣) سبق ص ٢١٩ وقد قال المرتضى بعد ذلك « إن الأمر بخلاف ما ظنه ، ولا نسبة بين الموضعين لأن أحد البيتين تضمن أن الذي يزيده هو الذي ينقصه . والبيت الآخر تضمن أن الصبح ارتجع بوضوحه وجليته ما أغفله السحر وتركه من السواد الرقيق اليسير . فالمرتجع غير المعطى ههنا » .

(٤) ديوانه ٢١٥ ، ٢ / ١٠٦١ .

(٥) م « ابن الحازم » .



قال ابن حازم :

عَهْدَ الشَّبَابِ لَقَدْ أَبْقَيْتَ لِي حَرَنًا  
لَا تَكْذِبَنَّ فَمَا الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا  
يَكْفِيكَ بِالشَّيْبِ ذَنْبًا عِنْدَ غَايَةِ  
وَبالشَّبَابِ شَفِيعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ<sup>(١)</sup>  
مِنَ الشَّبَابِ يَوْمَ وَاحِدٍ بَدَلُ<sup>(٢)</sup>  
وَالشَّبَابِ شَفِيعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ<sup>(٣)</sup>

وقال منصور :

مَا تَنْقُضِي حَسْرَةً مِنِّي وَلَا جَزَعُ  
بَانَ الشَّبَابُ وَفَاتَنِي بِشِرَّتِهِ  
مَا كِدْتُ أَوْفَى شَبَابِي كُنْهُ غُرَّتِهِ  
إِذَا ذَكَرْتُ شَبَابًا لَيْسَ يُرْتَجَعُ<sup>(٤)</sup>  
صُرُوفُ دَهْرٍ وَأَيَّامُ لَهَا خُدَعُ  
حَتَّى أَنْقَضَى فَلِذَا الدُّنْيَا لَهُ تَبَعُ

وأنشد إسحق الموصلي :

لَعَمْرِي لئنْ حُلْتُ عَنْ مَنْهَلِ الصَّبَا  
لِيَالِي أَمْشِي بَيْنَ بُرْدَى لَاهِيَا  
سَلَامٌ عَلَى سَيْرِ الْقِلَاصِ مَعَ الرَّكْبِ  
سَلَامٌ أَمْرِي لَمْ تَبْقَ مِنْهُ بَقِيَّةُ  
لَقَدْ كُنْتُ وَرَادًا لِمَشْرِبِهِ الْعَذْبِ<sup>(٥)</sup>  
أَمِيسُ كَغَضَنِ الْبَانَةِ النَّاعِمِ الرُّطْبِ  
وَوَضِلَ الْغَوَانِي وَالْمُدَامَةُ وَالشَّرْبِ<sup>(٦)</sup>  
سِوَى نَظَرِ الْعَيْنَيْنِ أَوْ شَهْوَةِ الْقَلْبِ

(١) الأغاني ١٢ : ١٩ وأمالى المرتضى ١ : ٦٠٦ .

(٢) حماسة ابن الشجري ٢٣٩ .

(٣) في الزهرة ٣٣٨ « كفاك بالشيب » .

(٤) الأغاني ١٢ : ١٥٩ وأمالى المرتضى ١ : ٦٠٦ والزهرة ٣٤٣ وفي م ٥ إذا رأيت شباباً .

(٥) الشعر لإسحاق في الكامل ٢ : ٦٦٥ ومعجم الأدباء ٦ : ٦٢ وأمالى ابن الشجري ١٨٤ وهو

غير منسوب في البيان والتبيين ٣ : ٢٤٣ والأزمنة والأمكنة ٢ : ٢٤٨ وأمالى المرتضى ١ : ٦٠٦ ومعنى

حللت : تمت .

(٦) الشرب : جمع شارب .

## الاعتذار من الشيب

قال البحرى :

رُبَّ عَيْشٍ لَنَا بِرَامَةٍ رَطْبٍ وَلَيَالٍ فِيهَا طَوَالٍ قِصَارٍ<sup>(١)</sup>  
 قَبْلَ أَنْ يُقْبَلَ الْمَشِيبُ وَتَبْدُو هَفَوَاتُ الشَّبَابِ فِي إِذْبَارٍ<sup>(٢)</sup>  
 كُلُّ عُذْرٍ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَلَكِنْ أَعُوزَ الْعُذْرُ مِنْ بَيَاضِ الْعِدَارِ  
 كَانَ حُلُومًا هَذَا الْهَوَى وَأَرَاهُ صَارَ مُرًّا . وَالسُّكْرُ قَبْلَ الْخُمَارِ<sup>(٣)</sup>

قوله : « كُلُّ عُذْرٍ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ » مقبول ونافع ناجع سوى العذر من الشيب . أو كل عُذْرٍ من كُلِّ ذَنْبٍ موجودٌ ممكن ، غير العذر من الشيب ، فإنه غير موجود<sup>(٤)</sup> . وهذا أليق وأشبهه .

وقال :

وَحُمِلْتُ عِنْدَكَ ذَنْبَ الْمَشِيبِ بِِحَتَّى كَأَنِّي أَبْتَدَعْتُ الْمَشِيبَا<sup>(٥)</sup>

(١) ديوان البحرى ٤٤٥ ، ٢ / ٩٨٦ دار المعارف والشهاب ٢٥ والزهرة ٢٣٨ - ٢٣٩ .

(٢) فى الديوان « المشيب وتنفو » .

(٣) فى الديوان « عاد مرا » .

(٤) الشهاب ٢٥ .

(٥) ديوانه ٩٢ ، ١ / ١٥٠ دار المعارف .

## مدح الشيب والتعزى عنه

قال البحتري :

عَيَّرْتَنِي الْمَشِيبَ وَهِيَ بَدَنَتُهُ فِي عِذَارِي بِالصَّدِّ وَالْإِجْتِنَابِ<sup>(١)</sup>  
 لَا تَرِيهِ عَارًا فَمَا هُوَ بِالشَّيْءِ بِلَئِنْ وَلَكِنَّهُ جِلَاءُ الشَّبَابِ  
 وَبَيَاضُ الْبَازِي أَصْدَقُ حُسْنًا لَوْ تَأَمَّلْتَ مِنْ سَوَادِ الْغُرَابِ<sup>(٢)</sup>  
 قوله «بَدَنَتُهُ» . أراد بدأته فترك الهمز . يقال : بدأت بالأمر ،  
 وأبدأته .

وقوله : «ولَكِنَّهُ جِلَاءُ الشَّبَابِ» - من معانيه التي تستحسن .

\* \* \*

وقال أبو تمام :

أَبَدَتْ أَسَى إِذْ رَأَتْنِي مُخْلَسَ الْقُصْبِ وَعَادَ مَا كَانَ مِنْ عَجَبٍ إِلَى عَجَبٍ<sup>(٣)</sup>  
 سِتٌّ وَعَشْرُونَ تَدْعُونِي وَأَتَّبِعُهَا إِلَى الْمَشِيبِ وَلَمْ تَظْلِمِ وَلَمْ تَحُبْ<sup>(٤)</sup>  
 فَلَا يُورِّقُكَ إِيْمَاضُ الْقَتِيرِ بِهِ فَإِنَّ ذَاكَ أَبْتِسَامُ الرَّأْيِ وَالْأَدَبِ  
 وقد مرت في باب «[نزل] الشيب قبل حينه»<sup>(٥)</sup> .

(١) ديوان البحتري ٥٦٣ ، ١٤ / ٨٤ دار المعارف وأمالى المرتضى ١ / ٦٠٠ والشهاب ٢٥ وفي

م «وهي جنته» .

(٢) في الديوان وأمالى المرتضى «إن تأملت»

(٣) ديوان أبي تمام ١٥ وشرح التبريزي ١ / ١١٥ وأمالى المرتضى ١ / ٥٩٩ والشهاب ١ / ٠

وعيون الأخبار ٤ / ٥٣ .

(٤) م «فلا يروقك» .

(٥) راجع ص ٢١٢ .

وقوله : « فَإِنَّ ذَاكَ أَبْتَسَامُ الرَّأْيِ وَالْأَدَبِ » - أحسن من قول البحرى :  
« جِلَاءُ الشَّبَابِ » ، وأجود وأبرع وأصح معنى .

\*\*\*

وقال البحرى :

هَـا هُوَ الشَّيْبُ لَاثِمًا فَافِيقِي وَأَتْرُكِيهِ إِنْ كَانَ غَيْرَ مُفِيقٍ<sup>(١)</sup>  
فَلَقَدْ كَفَّ مِنْ عَنَاءِ الْمَعْنَى وَتَلَاىَ مِنْ أَشْتِيَاقِ الْمَشُوقِ  
عَذَلْتَنَا فِي عِشْقِهَا أَمْ عَمِرُوا هَلْ سَمِعْتُمْ بِالْعَاذِلِ الْمَغْشُوقِ  
وَرَأَتْ لِمَةً أَلَمَ بِهَا الشَّيْبُ بُ فَرِيعَتِ مِنْ ظُلْمَةٍ فِي شُرُوقِ  
وَلَعَمْرِي لَوْلَا الْأَقَاصَى لِأَبْصَرِ تِ أَنْيَقَ الرِّيَاضِ غَيْرَ أَنْيَقٍ<sup>(٢)</sup>  
وَسَوَادُ الْعُيُونِ لَوْلَمْ يُكْمَلْ بِبَيَاضِ مَا كَانَ بِالْمَرْمُوقِ<sup>(٣)</sup>  
وَمِزَاجُ الصُّهْبَاءِ بِالماءِ أَمَلَى بِصَبُوحِ مُسْتَحْسَنِ وَغُبُوقِ  
أَيُّ لَيْلٍ يَنْهَى بِغَيْرِ نُجُومٍ أَوْ سَحَابٍ يَنْدَى بِغَيْرِ بُرُوقِ

هذا إنما يُخْرِجُهُ الشاعرُ وأشباهه مخرج النادرة فيُسْتَحْسَنُ .

وأخذ قوله : « أَيُّ لَيْلٍ يَنْهَى بِغَيْرِ نُجُومٍ » من قول الآخر :

أَشِيبُ وَلَمْ أَقْضِ الشَّبَابَ حَقُّوقَهُ وَلَمْ يَمْضِ مِنْ عَهْدِ الشَّبَابِ قَدِيمُ<sup>(٤)</sup>

(١) ديوان البحرى ٤٣٥ ، ١٤٨٥ وأمالى المرتضى ١ : ٦٠٠ والشهاب ٢٥ وحاسة ابن  
الشجرى ٢٤٣ .

(٢) م « غير الأنيق » .

(٣) فى الديوان « لو لم يحسن » .

(٤) البيتان من غير نسبة فى حاسة ابن الشجرى ٢٤٤ ومجموعة المعاني ٢٥ وللفرزى ، كما فى  
عيون الأخبار ٤ : ٥٢ ونقله المرتضى فى أماليه ١ : ٦٠٦ هذا وقد قال المرتضى عقب نقله لكلام الأملى  
فى الشهاب ٢٦ : « وقد قلنا إنه لا ينبغي أن يقال أخذ فلان كذا من فلان ، وإنما يقال فى البيتين :  
نهما يتشاهان ويتشاكلان وإن هذا نظير ذاك ولا يزداد على هذا » .

تَفَارِيقُ شَيْبٍ فِي السَّوَادِ لَوَامِعٌ وَمَا خَيْرَ لَيْلٍ لَيْسَ فِيهِ نَجُومٌ<sup>(١)</sup>

وقال آخر في مدح الشيب :

لَا يَرْعُكَ الْمَشِيبُ يَا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ فَالشَّيْبُ حَلِيبَةٌ وَوَقَارُ<sup>(٢)</sup> .  
إِنَّمَا تَحْسُنُ الرِّيَاضُ إِذَا مَا ضَحِكْتَ فِي خِلَالِهَا الْأَنْوَارُ

\*\*\*

وما أحسن ما قال امرؤ القيس ، وأجوده وأصحّه في التعزّي عن المشيب :

أَلَا إِنَّ بَعْدَ الْعُذْمِ لِلْمَرْءِ قِنْوَةٌ وَبَعْدَ الْمَشِيبِ طَوْلٌ عُمَرٍ وَمَلْبَسَا<sup>(٣)</sup>

وقال آخر . ومن هذا أَخَذَ هُوَ وَغَيْرُهُ :

وَالشَّيْبُ إِنْ يَخْطُلُ فَإِنْ وَرَاءَهُ عُمَرًا يَكُونُ خِلَالَهُ مُتَنَفِّسٌ<sup>(٤)</sup>

(١) قال المرتضى بعد كلامه السابق . ويشبه قول البحري : « ولعمري . . قول الشاعر :

لا يرعك . . » دون أن يشير إلى نقله من الأمدى .

(٢) البيهقي لعل بن الجهم ، كما في حسانة ابن الشجري ٢٤٤ وما من غير نسبة في أمالي القالي

١ : ١١٢ « جلة ووقار » ونقلهما المرتضى في أماليه ١ : ٦٠٢ والشهاب ٢٦ وأحسن ما سمعت ١٢٤ .

(٣) ديوان امرؤ القيس ١٠٨ .

(٤) البيت لفيلان بن سلمة ، كما في عيون الأخبار ٤ : ٥٢ ولشاعر ثقيف في الجاهلية ، كما

قال عبد الملك بن مروان ، كما في خبر رواه أبو الفرج الأصفهاني ١١ : ١٠٢ وغير منسوب في أمالي

القالي ١ : ١١٢ وأمالي المرتضى ١ : ٥٩٦ والشهاب ٨٥ .

## ذكر الكبر وشكوى الدهر وتغير الحال

قال أبو تمام <sup>(١)</sup> :

.....  
.....

وقال البحتري :

فَإِنْ سَتُّ وَسِتُّونَ اسْتَقَلَّتْ	فَلَا كَرَّتْ بَطْلَعَتِهَا الْخُطُوبُ <sup>(٢)</sup>
لَقَدْ سَرَّ الْأَعَادِي فِيَّ أَنِّي	بِرَأْسِ الْعَيْنِ مَحْزُونٌ كُتِيبُ
وَأَنِّي الْيَوْمَ عَنْ وَطْنِي شَرِيدُ	وُثِبْتُ دُونَ بُغْيَتِي الْحُرُوبُ <sup>(٣)</sup>
عَلَى حِينٍ اسْتَتَمَّ الْوَهْنُ عَظُمِي	وَأَعْطَى فِيَّ مَا أَحْكَمَ الْمَشِيبُ
وَقَدْ يَرُدُّ الْمَنَاهِلَ مِنْ يُحَلَّا	عَلَى ظَمًا ، وَيَغْنَمُ مَنْ يَخِيبُ
وَأَيْسَرُ فَائِتٍ خَلْفًا سَرِيعًا	رَقَابُ الْمَالِ يُرْزَوُّهَا الْكَسُوبُ
فَمَنْ ذَا يَسْأَلُ الْبَجْلِيَّ عَمَّا	يَذُمُّ مِنْ اخْتِيَارِي أَوْ يُعِيبُ
يُعْنَفُنِي عَلَى بَغَتَاتِ عَزْمِي	وَكُنْتُ وَلَا يُعْنَفُنِي الْأَرِيبُ
وَقَدْ أَكْدَى الصَّوَابُ عَلَى حَتَّى	وَدِدْتُ بَانَ شَانِيئِي الْمُصِيبُ
لَعَلَّ [أَخَاكَ] يَرْقُبُ أَنْ تُطَاطِي	لَهُ مِنِّي النَّوَائِبُ إِذْ تَنْوُبُ <sup>(٤)</sup>
فَأَيْنَ النَّفْسُ ذَاتُ الْعَزْمِ عَمَّا	تَسْكَعُ فِيهِ وَالصَّدْرُ الرَّحِيبُ <sup>(٥)</sup>

(١) بياض بالأصل .

(٢) ديوان البحتري ٤٨٤ ، ١ ، ٢٥٨ دار المعارف والأريفة الأول في الشهاب ٢٦ .

(٣) هذا البيت ملفق ، فمعجز صدره : « بلا جرم ومن مالى حريب » وصدر عجزه « تعاظمت

الحوادث حول حظي » .

(٤) الزيادة من الديوان .

(٥) في الديوان « ذات الفضل » .

وقال :

سَيْثِلِجُ صَدْرِي الْيَأْسُ ، وَالْيَأْسُ مِنْهُلُ  
قَنِعْتُ عَلَى كُرْهِ ، وَطَاطَأْتُ نَاطِرِي  
وَلَجَلَجْتُ فِي قَوْلِي وَكُنْتُ مَتَى أَقْلُ  
يَظُنُّ الْعِدَى أَنِّي فَنَيْتُ وَإِنَّمَا  
نَضَوْتُ الصَّبَا نَضَوَ الرَّدَاءَ وَسَاءَ نِي  
مَضَى جَعْفَرُ وَالْفَتْحُ بَيْنَ مَرْمَلِ  
أَأْطَلَبُ أَنْصَارًا عَلَى الدَّهْرِ بَعْدَمَا  
أُولَئِكَ سَادَاتِي الَّذِينَ بَرَأِيَهُمْ  
مَضَوْا أَمَّا قَصْدًا وَخُلِفْتُ بَعْدَهُمْ  
وهذا من إحسانه المشهور .

وقال :

وَمُعِيرِي بِالْدهْرِ يَعْلَمُ فِي غَدِ  
أُبْنَى إِنِّي قَدْ نَضَوْتُ بَطَالَتِي  
نَظَرْتُ إِلَى الْأَرْبَعُونَ فَأَصْرَخْتُ  
وَأَرَى لِدَاتِ أَبِي تَتَابَعَ كُثْرُهُمْ  
وَمِنَ الْأَقَارِبِ مَنْ يُسَرُّ بِمِيتَتِي  
أَنَّ الْحَصَادَ وَرَاءَ كُلِّ نَبَاتٍ<sup>(١)</sup>  
فَتَحَسَّرْتُ ، وَصَحَوْتُ مِنْ سَكَرَاتِي  
شَيْبِي ، وَهَزْتُ لِلْحَنُوءِ قَنَاتِي  
فَمَضَوْا ، وَكَرَّ الدَّهْرُ نَحْوَ لِدَاتِي  
سَفَهَا وَعِزُّ حَيَاتِهِمْ بِحَيَاتِي

(١) ديوان البحري ٦٤٥ ، ٤١٧/١ دار المعارف . والأبيات الأربعة التي تليه في الشهاب ٢٦ .

(٢) ديوانه ٤٥٥ ، ٣٦٤/١ ، والشهاب ٢٦ .

وقال :

عَقَلْتُ فَوَدَّعْتُ النَّصَائِيَّ وَإِنَّمَا تَصَرُّمُ لَهُوَ الْمَرْءُ أَنْ يَكْمُلَ الْعَقْلُ<sup>(١)</sup>  
أَرَى الْحِلْمَ بُؤْسَى فِي الْمَعِيشَةِ لِلْفَتَى وَلَا عَيْشَ إِلَّا مَا جَبَّكَ بِهِ الْجَهْلُ  
وهذا إحسان البحترى الذى لا يفى ببراعة معناه شىء .



## باب

فى ذكر الزمان ، وذكر ظلمه واعوجاجه ، وتعذر الرزق  
على ذوى الحزم والفهم ، وتيسره لذوى الجهل والعجز ،  
وفى التعزى والصبر والقناعة ، وما قالاه فى ضد ذلك  
من بعد الهمة ، والنهوض فى طلب الرزق ، والسير  
على الإبل ، وقطع الفيافى ، وفى مواعظ وآداب .

وأفتح هذا الباب بأبيات الابتداآت فى نحو هذه المعانى .

ولا أعرف لأبى تمام فى شىء من هذا [شعراً] .

ووجدت للبحترى فى ذم الزمان هذه الأبيات :

لَا الدَّهْرُ مُسْتَنْفَدٌ وَلَا عَجَبُهُ تَسْوِمُنَا الْخَسْفَ كُلَّهُ ذُوْبُهُ<sup>(١)</sup>

\*\*\*

[وقال]<sup>(٢)</sup> :

مَنْ قَائِلٌ لِلزَّمانِ مَا أَرَبُهُ فى خُلُقِي مِنْهُ قَدْ خَلَا عَجَبُهُ<sup>(٣)</sup>

وقال :

مَعَ الدَّهْرِ ظُلْمٌ لَيْسَ يُقْطَعُ دَائِبُهُ وَحُكْمٌ أَبَتْ إِلَّا أَعْوَجَا جَا جَوَائِبُهُ<sup>(٤)</sup>

\*\*\*

(١) ديوان البحترى ٢٠٥ ، ١ / ٢٠٧ دار المعارف .

(٢) زيادة لازمة .

(٣) ديوانه ١٩٧ ، ١ / ٢٧٧ .

(٤) ديوانه ١٥٨٨ / ٢١٩ « يقلع راتبه » .

[وقال] <sup>(١)</sup> :

إِسَاءَةُ دَهْرٍ بَرَّحَتْ بِي نَوَائِبُهُ      وَخَطْبُ زَمَانٍ بِالْكَلامِ أَخَاطِبُهُ <sup>(٢)</sup>  
وقال :

تَخَلَّ مِنْ الْأَطْمَاعِ إِمَّا تَخَلَّتْ      وَوَلَّ صُرُوفَ الدَّهْرِ مَا قَدْ تَوَلَّتْ <sup>(٣)</sup>  
وقال :

اعْجَبْ لِظُلْمِ زَمَانِنَا الْمُتَوَاتِرِ      وَلَأَوَّلِ مِمَّا يُرِيكَ وَآخِرِ <sup>(٤)</sup>  
وقال :

نَوَازِلُ دَهْرٍ أَيُّهِنَّ أَنْزِلُ      بِعَزْمِي أَمْ مِنْ أَيُّهِنَّ أَوَائِلُ <sup>(٥)</sup>  
وقال :

لَيْسَ الزَّمَانُ بِمُعْتَبٍ فَزَرِينِي      أَلْقَى تَجَهُمَ خَطْبِهِ بِجَبِينِي <sup>(٦)</sup>  
وقال :

نَسَعَى وَأَيْسَرَ هَذَا السَّعَى يَكْفِينَا      لَوْلَا تَكَلُّفُنَا مَا لَيْسَ يَغْنِينَا  
وقال :

صُنْتُ نَفْسِي عَمَّا يُدْنِسُ نَفْسِي      وَتَرَقَّعْتُ عَنْ جَدَا كُلِّ جَبِيسٍ <sup>(٧)</sup>  
وقال في النهوض لطلب الرزق :

أَشْرُقُ أَمْ أَغْرُبُ يَا سَعِيدُ      وَأَنْقُصُ مِنْ زَمَاعِي أَمْ أَزِيدُ <sup>(٨)</sup>

(١) زيادة لازمة كذلك .

(٢) ديوانه ٦٦٠ ، ١ / ٢٨٥ .

(٣) ديوان البحرى ١٧٨٣ / ٣٦٧ .

(٤) ديوانه ٦٦١ « نوائب دهر . . أو من » .

(٥) ديوانه ٢١١ « الزمان بمعنى . . أرى » .

(٦) ديوانه ١٦٧ ، ٢ / ١١٥٢ .

(٧) ديوانه ٤١٤ ، ١ / ٥٨٠ .

(٨) ديوانه ٩٤٥ / ٢ دار المعارف .

ماقالاه من هذه المعاني في وسط الكلام  
في ذم الزمان ومجاهدته والصبر على نُوبِهِ

قال أبو تمام :

أُيِسُّ عَلَى ذَهْرِي الثَّنَاءُ فَقَدْ قَضَى      عَلَى بَحْوَِرِ صَرْفُهُ الْمُتَّبَعُ<sup>(١)</sup>  
أَبْرَضَحُنَا رَضِخَ النَّوَى وَهُوَ مُضْمَتٌ      وَيَأْكُلُنَا أَكَلَ الدَّبَا وَهُوَ جَائِعٌ<sup>(٢)</sup>  
وَإِنِّي إِذَا أَلْقَى بَرْنَعِي رَحْلَهُ      لِأَزْعَرُهُ فِي سِرْبِهِ وَهُوَ رَاتِعٌ<sup>(٣)</sup>  
أَخُو مَنْزِلِ الْهَمِّ الَّذِي لَوْ بَغَى الْقِرَى      لَدَى حَاتِمٍ لَمْ يَقْرِهِ وَهُوَ طَائِعٌ<sup>(٤)</sup>  
إِذَا شَرَعَتْ فِيهِ اللَّيَالِي بِنَكْبَةٍ      تَمَزَّقْنَ عَنْهُ وَهُوَ فِي الصَّبْرِ دَارِعٌ<sup>(٥)</sup>  
[لَهُ هِمَمٌ مَا إِنْ تَزَالُ سُيُوفُهَا      قَوَاطِعَ لَوْ كَانَتْ لَهُنَّ مَقَاطِعُ ]

قد روى : « وَيَأْكُلُنَا أَكَلَ الدَّبَا وَهُوَ جَائِعٌ » وهو عندي أشبه وأصح إن شاء الله ؛ و « يَأْكُلُنَا أَكَلَ الرِّبَا » لِأَنَّ الرِّبَا يَأْكُلُ النَّعْمَ ، وَيَمْنَحُ الْمَالَ .

وقوله : « لَوْ كَانَتْ لَهُنَّ مَقَاطِعُ » : أى شئٌ يقطعه .

( ١ ) ديوان أبي تمام ٤٧٨ « الدهر » .

( ٢ ) الدبا : أصغر ما يكون من الجراد والفيل ، كما في اللسان ١٨ : ٢٧٢ .

( ٣ ) في الديوان « عن سربه » .

( ٤ ) في الديوان « أخو منزل » .

( ٥ ) في الديوان « وهو بالصبر شارع » .

وقال :

لَقَدْ سَاسَنَا هَذَا الزَّمَانُ سِيَاسَةً      سُدَى لَمْ يَسْسُهَا قَطُّ عَبْدٌ مُجَدِّعٌ<sup>(١)</sup>  
تَرَوْحُ عَلَيْنَا كُلَّ يَوْمٍ وَتَغْتَدِي      خُطُوبٌ كَأَنَّ الدَّهْرَ مِنْهُمْ يُضْرَعُ  
حَلَّتْ نُطْفٌ مِنْهَا لِنِكَيْسٍ، وَذُو الْحِجَا      يُدَافُ لَهُ سَمٌّ مِنَ الْعَيْشِ مَنَقَعُ

قد عاب الناس عليه قوله : « كَأَنَّ الدَّهْرَ مِنْهُمْ يُضْرَعُ » وهو - لعمرى - قبيح .

وقال :

كَمْ فَتَى ذَلَّ لِلزَّمَانِ وَقَدْ      أَلْقَى مَقَالِيدَهُ إِلَيْهِ الْقَبِيضُ<sup>(٢)</sup>  
لَوَذَعِي يُهْلَلُ الْمَشْرِفِيُّ<sup>(٣)</sup>      مَعْصَبُ عَنْهُ وَالزَّاعِيُّ الذَّحِيضُ<sup>(٤)</sup>  
أَتَارَتْنِي الْأَيَّامُ بِالنَّظَرِ الشَّنْ      وَكَانَتْ وَطَرُفُهَا لِي غَضِيضُ  
كَيْفَ يُمْنِي بِرَأْسِ عَلِيَاءٍ مُمَسِّ      وَجَنَاحُ السُّمُو مِنْهُ مَهِيضُ<sup>(٥)</sup>  
هِمَّةٌ تَنْطَحُ النُّجُومَ ، وَجَدُّ      آلِفٌ لِلْحَضِيضِ فَهُوَ حَضِيضُ

قوله : « أَتَارَتْنِي الْأَيَّامُ » . أى أدامت نظرها لى ، يقال : أَتَارَتْ لى إليه النظر : إذا أهدته .

والقبيض : اسم لِجِلَّةٍ<sup>(٥)</sup> الخلق . واللوذعيّ الحديدُ الفؤاد .

( ١ ) ديوان أبى تمام ١٩٠ وشرح التبريزى ٢ : ٣٢٤ وفى م « لوساسنا » سدى : مرسله مهملة ؛ لأنه حرم المستحق وأعطى غير المستحق ، إلى غير ذلك مما تقتضى السياسة غيره . ومجدع : جدع أنفه وأذناه . كما فى شرح التبريزى .

( ٢ ) ديوانه ١٧١ وشرح التبريزى ٢ : ٢٨٩ .

( ٣ ) م « والزاعبى » .

( ٤ ) فى الديوان « علياء مضح » .

( ٥ ) م « الملهة » .

والمَشْرِفَى : السيف منسوب إلى المشارف ، قرى تعمل فيها السيوف .  
والتَّحِيضُ : الذى قد ذهب نَحْضُهُ أى<sup>(١)</sup> لحمه ، وإنما يعنى سنان الرمح  
أنه قد دُقَّ وحُدَّد .

والزَّاعِبُ : الرمح . قيل : هو منسوب إلى رجل كان يُقَوِّمُ الرماح يقال  
له زَاعِب ، وقال قوم زاعب : موضع لا تعرف حقيقته . ويقال : التَّزَعُّبُ :  
السرعة والنشاط . فيجوز أن يكون قيل زاعب لحركته وتثنيه .

\* \* \*

وقال البحترى :

وَمَا جَزَعُ الْجَزُوعِ مِنَ اللَّيَالِي بِمُخْرِزِهِ وَلَا جَلْدُ الْجَلِيدِ<sup>(٢)</sup>  
جَحَدْنَا سُهْمَةَ الْحَدَثَانِ فِينَا لَوْ أَنَّ الْحَقَّ يَبْطُلُ بِالْجُمُودِ<sup>(٣)</sup>  
فِيَا وَبِحَاحِ الْحَوَاثِ كَيْفَ تُعْطَى شَقَى الْقَوْمِ مِنْ حَظِّ السَّعِيدِ<sup>(٤)</sup>  
وَكَيْفَ تَجُورُ إِنْ حَكَمْتَ بِحُكْمِ فَتَحْمِلُ لِلْعَوِيِّ عَلَى الرَّشِيدِ<sup>(٥)</sup>  
وَمَا بَرَّاحَتِ صُرُوفُ الدَّهْرِ حَتَّى أَرْتَنَا الْأُسْدَ قَتْلًا لِلْقُرُودِ  
وهذا مما لا مزيد على حسنه وجودته لفظاً ومعنى .

وقال :

يَعْتَرِّ بِاللَّهْرِ ذُو الْإِضَاعَةِ وَاللَّهْرُ عَدُوٌّ مَطْلُوبَةٌ إِحْنَهُ<sup>(٦)</sup>

(١) م « إلى لحمه » .

(٢) ديوان البحترى ٧٩٤ ، ١ / ٥١٨ دار المعارف .

(٣) وبعبده :

ونسُكر أن تطرقنا المنايا كأننا قد خلقنا للخلود

(٤) م « فياربج » .

(٥) فى الديوان « إن همت بحكم » .

(٦) ديوانه ٣٣٤ .

فِي زَمَنِ رَنَقَتْ حَوَادِثُهُ أَشْبَهُ شَيْءٍ بِحَادِثِ زَمَنِهِ  
رَضِيَتْ مِنْ سَيِّئِ الزَّمَانِ بَأَنَّ يَعْشُرُهُ غَيْرُ زَائِدٍ حَسَنُهُ  
رَنَقَتْ حَوَادِثُهُ : دَنَتْ وَرَفَرَفَتْ كَمَا يُرْنَقُ النَّسْرُ .  
وهذا أيضاً حسن .

وقال :

أَرَانَا عُنَاةً فِي يَدِ الدَّهْرِ نَشْتَكِي  
وَلَيْسَ طَلِيقُ الْيَوْمِ إِنْ رَجَعْتُ لَهُ  
تَفَاوَزَتِ الْآيَامُ فِينَا فَافْرَطَتْ  
وَكُنْتُ إِذَا مَا الْحَادِثَاتُ أَصْبَنَنِي  
شَمَخْتُ فَلَمْ أَبْدِ اخْتِشَاعًا لِشَامِتٍ  
أَرَى كُلَّ مُؤَذِّ عَاجِزًا عَنِ أَذِيَّتِي  
تَأَكَّدَ عَقْدٍ مِنْ عُرَاهُ وَثِيقٍ<sup>(١)</sup>  
صُرُوفُ اللَّيَالِي فِي غَدٍ بِطَلِيقٍ<sup>(٢)</sup>  
بِظَمَانٍ بَادَ لَوْحُهُ وَغَرِيقٍ  
بِهَافِضَةٍ صُمَّ الْعِظَامُ دَفُوقٍ -  
وَلَمْ أَبْتَعْثْ شَكْوَى لِغَيْرِ شَقِيقٍ<sup>(٣)</sup>  
إِذَا هُوَ لَمْ يُنْصَرْ عَلَى بِمُوقٍ  
فقد ترى هذه الفصاحة والبلاغة ، والألفاظ الحلوة المتمكنة ، والمعاني  
القريبة العجيبة .

وأجود من قوله : « وَكُنْتُ إِذَا مَا الْحَادِثَاتُ أَصْبَنَنِي ... » والبيت بعده  
قَوْلُ الْعُكَّوكِ<sup>(٤)</sup> :

أَلَا رَبَّ هُمْ يُمْنَعُ النَّوْمُ دُونَهُ  
أَقَامَ كَقَبْضِ الرَّاحَتَيْنِ عَلَى الْجَمْرِ<sup>(٥)</sup>

( ١ ) ديوان البحرى ٥٢٣ ، ١٥٣٠ .

( ٢ ) فى الديوان « طليق القوم من رجعت » .

( ٣ ) م فى الديوان « فلم أبد اختناء » .

( ٤ ) م « عكوك » .

( ٥ ) م « كفيض » .

بَسَطْتُ لَهُ وَجْهِي لِأَنْحِيَتْ حَاسِدًا      وَأَبْدَيْتُ عَنْ نَابِ ضُحُوكٍ وَعَنْ ثَغْرِ  
وَشَوْقٍ كَأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ فِي الْحَشَا      مَلَكَتُ عَلَيْهِ طَاعَةَ الدَّمْعِ أَنْ يَجْرَى

\* \* \*

وقال البحتري :

أَطْلُ جَفْوَةَ الدُّنْيَا وَتَهْوِينَ شَانِهَا      فَمَا الْعَاقِلُ الْمَغْرُورُ فِيهَا بِعَاقِلٍ<sup>(١)</sup>  
يُرْجَى الْخُلُودَ مَعْشَرُ ضَلَّ رَأْيُهُمْ      وَدُونَ الذِي يَرْجُونَ غَوْلُ الْغَوَائِلِ  
وَلَيْسَ الْأَمَانِي فِي الْبَقَاءِ وَإِنْ مَضَتْ      بِهَا عَادَةٌ إِلَّا أَحَادِيثُ بَاطِلِ  
إِذَا مَا حَرِيْزُ الْقَوْمِ بَاتَ وَمَالُهُ      مِنْ اللَّهِ وَاقٍ فَهُوَ بَادِي الْمُقَاتِلِ  
وَمَا الْمُفْلِتُونَ أَجْمَلَ الدَّهْرِ فِيهِمْ      بِأَكْثَرِ مِنْ أَعْدَادٍ مَنْ فِي الْحَبَائِلِ  
يُسَارُ بِنَا قَصْدَ الْمُنُونِ وَإِنَّا      لَنَشَعْفُ أَحْيَانًا بَطِيَّ الْمَرَاكِـلِ  
عِجَالًا عَنِ الدُّنْيَا بِأَسْرَعَ سَعِينَا      إِلَى آجِلٍ مِنْهَا شَبِيهِ بِعَاجِلٍ<sup>(٢)</sup>  
أَوَاخِرُ مِنْ عَيْشٍ إِذَا مَا أَمْتَحَنْتَهَا      تَأَمَّلْتَ أَمْثَالًا لَهَا فِي الْأَوَائِلِ  
وَمَا عَامِلُ الْمَاضِي وَإِنْ أَفْرَطَتْ بِهِ      عَجَائِبُهُ إِلَّا أَخُو عَامٍ قَابِلِ  
غَفَلْنَا عَنِ الْأَيَّامِ أَطْوَلَ غَفْلَةٍ      وَمَا خَوْفُهَا الْمَخْشَى عَنَّا بِغَافِلٍ<sup>(٣)</sup>  
تُغْلَغَلُ رَوَادُ الْفَنَاءِ وَتَقْبَبُ      دَوَاعِي الْمُنُونِ عَنْ جَوَادٍ وَبَاخِلِ

وقال :

إِذَا عَاجِلُ الدُّنْيَا أَلَمَ بِمُفْرِحٍ      فَمَنْ خَلْفَهُ فَجَعُ سَيِّئُلُهُ آجِلٍ<sup>(٤)</sup>  
وَكَانَتْ حَيَاةُ الْحَيِّ سَوْقًا إِلَى الرَّدَى      وَأَيَّامُهُ دُونَ الْمَمَاتِ مَرَاكِـلٍ<sup>(٥)</sup>

(١) ديوان البحتري ٦٣٨ « منها بعاقل » .

(٢) في الديوان : « من الدنيا » .

(٣) في الديوان « وما خونها » .

(٤) ديوانه ٤٩٠ ، ١٧٣١ .

(٥) م « الحى شوقا » .

وَمَا لُبْتُ مَنْ يَخْدُو فِي كُلِّ لَحْظَةٍ لَهُ أَجَلٌ فِي مُدَّةِ الْعُمَرِ قَابِلُ  
وَالْمَرَّةِ يَوْمٌ لَا مَحَالَةَ مَالُهُ غَدٌ وَسَطَ عَامٍ مَالُهُ الدَّهْرُ قَابِلُ  
كَفَانَا اعْتِرَافًا بِالْفَنَاءِ وَرَقَبَةً لِمَكْرُوهِهِ أَنْ لَيْسَ لِلْخُلْدِ آمِلُ

\* \* \*

وقال :

أَنَاةٌ أَيُّهَا الْفَلَكَ الْمُدَارُ أَنْهَبُ مَا تُطَوِّفُ أَمْ خِيَارُ<sup>(١)</sup>  
سَتَفَنِي ، مِثْلُ مَا تُفْنِي وَتَبْلِي كَمَا تَبْلِي فَيَذَرُكَ مِنْكَ نَارُ  
تُنَابُ النَّائِبَاتُ إِذَا تَنَاهَتْ وَيَذْمُرُ فِي تَصَرُّفِهِ الدَّمَارُ  
وَمَا أَهْلُ الْمَنَازِلِ غَيْرُ رَكْبٍ مَنَائِيَهُمْ رَوَّاحُ وَأَبْتِكَارُ  
لَنَا فِي الدَّهْرِ آمَالُ طَوَالُ تُرْجِيهَا ، وَأَعْمَارُ قِصَارُ<sup>(٢)</sup>

وقال :

أُخِي : مَتَى خَاصَمْتَ نَفْسَكَ فَاخْشِدْ لَهَا ، وَمَتَى حَدَّثْتَ نَفْسَكَ فَاصْذِقْ  
أَرَى عِلَلَ الْأَشْيَاءِ شَتَّى ، وَلَا أَرَى الدَّ تَجْمَعُ إِلَّا عِلَّةً لِلتَّفَرُّقِ  
أَرَى الْعَيْشَ ظِلًّا تَوَشَّكُ الشَّمْسُ نَقْلَهُ فَكَيْسُ فِي ابْتِغَاءِ الْعَيْشِ كَيْسَكَ أَوْمِقُ<sup>(٣)</sup>  
أَرَى الدَّهْرَ غَوْلًا لِلنُّفُوسِ وَإِنَّمَا يُقَى اللَّهُ فِي بَغْضِ الْمَوَاطِنِ مَنْ يُقَى  
وَلَمْ أَرَ كَالدُّنْيَا حَلِيلَةً وَآمِقٍ مُجِبُّ مَتَى تَحْسُنُ بَعَيْنَيْهِ تَطْلُقُ  
تَرَاهَا عَيْنَانَا وَهِيَ صَنْعَةٌ وَاحِدٍ فَتَحَسَّبُهَا صُنْعِي لَطِيفٍ وَأَخْرَقُ<sup>(٤)</sup>

(١) ديوان البحترى ٦٩٤ ، ٢ / ٩٥٩ .

(٢) نقلها المرتضى في أماليه ١ : ٢٧٩ والثاني ، والثالث وما بعده في مجموعة المعاني ٦ .

(٣) ديوانه ١٥٥٢ م « فكش . . كلسك أومق »

(٤) في أمالي المرتضى ٢ : ٢٢٩ « وقد قيل : إن السبب في خروج البحترى عن بغداد في آخر

أيامه . كان هذه الأبيات : لأن بعض أعدائه شنع عليه بأنه ثنوى من حيث قال : « فتحسبها صنعي لطيف وأخرق » وكانت العامة حينئذ غالبية على البلد ، فخاف على نفسه فقال لابنه أبو الفوت : قم يا بني حتى نطلق عنا هذه الثائرة بخرجة نلم فيها ببلدنا ، فخرج ولم يعد .



فانظر أشعار أهل الزهد وتأملها ، هل ترى فيها من هذا النحو شيئاً ؟  
هيهات ؛ هذا مذهب يتقدم كل مذهب .

وقال :

أَرَى غَمْلَةَ الْإِيَّامِ إِعْطَاءَ مَانِعٍ      نَصِيبَكَ أَحْيَانًا وَحِلْمَ سَفِيهِ<sup>(١)</sup>  
إِذَا مَا نَسَبْتَ الْحَادِثَاتِ وَجَدْتَهَا      بَدَأَتْ الزَّمَانِ أَرْضَعَتْ لِبْنِيهِ<sup>(٢)</sup>  
مَتَى أَرَتِ الدُّنْيَا نَبَاهَةَ خَامِلٍ      فَلَا تَنْتَظِرْ إِلَّا خُمُولَ نَبِيهِ

وقال :

أَغْشَى الْخُطُوبَ فِيمَا جِئْتُ مَارَبَّتِي      فِيمَا أُسِيرُ أَوْ أَخْكَمَنْ تَأْدِيبِي<sup>(٣)</sup>  
إِنْ تَلْتَمِشْ نَمِرَ أَخْلَافِ الْخُطُوبِ وَإِنْ      تَلْبِثْ مَعَ الدَّهْرِ تَسْمَعُ بِالْأَعَاجِيبِ<sup>(٤)</sup>

\* \* \*

وما أحسن ما قال ابن عيينة :

مَا رَاحَ يَوْمٌ عَلَى حَيٍّ وَلَا أَبْتَكَّرَا      إِلَّا رَأَى عِبْرَةً فِيهِ إِنْ أَعْتَبَرَا  
وَلَا أَتَتْ سَاعَةٌ فِي الدَّهْرِ فَانْصَرَمَتْ      حَتَّى تُؤَثِّرَ فِي قَوْمٍ لَهَا أَثَرَا  
إِنَّ اللَّيَالِي وَالْإِيَّامَ أَنْفُسَهَا      عَنْ عَيْبِ أَنْفُسِهَا لَمْ تَكْتُمِ الْخَبَرَا

أنشد المبرد هذه الأبيات<sup>(٥)</sup> . وذكر أن الطائي أخذ هذا المعنى وجمعه في

ألفاظ يسيرة فقال :

عَمْرِي لَقَدْ نَصَحَ الزَّمَانُ وَإِنَّهُ      لَمِنْ الْعَجَائِبِ نَاصِحٌ لَا يُشْفِقُ

( ١ ) ديوان البحري ٢٣٥ « يصيبك أحياناً » .

( ٢ ) في الديوان « أَرْضَعَتْ لِبْنِيهِ » .

( ٣ ) ديوانه ٣٢٧ .

( ٤ ) في الديوان « أَخْلَافَ الْأُمُور » .

( ٥ ) في الكامل ١ : ٣٥٩ .

أراد أن قوله : «عَمْرِي لَقَدْ نَصَحَ الزَّمَانُ» - من قوله : «إِلَّا رَأَى عِبْرَةً فِيهِ إِنْ أَعْتَبَرَا» . كأنه أراد أن ما يُلْقَى فيه من العبر كأنه نُصِحُ<sup>(١)</sup> مِنْهُ وتنبيهه .

وكذلك قوله : «وَلَا أَتَتْ سَاعَةٌ» وقوله : «إِنَّ اللَّيَالِيَ وَالْأَيَّامَ» . فجعل هذا كله كنصح<sup>(٢)</sup> من الزمان لما يُرِينَاهُ من العبر .

قال أبو العباس : وزاد عليه بقوله : «نَاصِحٌ لَا يُشْفِقُ»<sup>(٣)</sup> .

وما قاله الناس في هذا المعنى أكثر من أن يحتاج الطَّائِي إلى أن يأخذه من وهذه الأبيات .

---

( ١ ) م « فيه » .

( ٢ ) م « لنصح » .

( ٣ ) نص كلام المبرد : « فزاد بقوله : ناصح لا يشفق على قول ابن عيينة - شيئاً طريفاً ، وهكذا يفعل الحاذق بالكلام » .

## في المواعظ والآداب

وقال [البحتري] :

مَتَى تَسْتَزِدَ فَضْلاً مِنَ الْعُمَرِ تَغْتَرِفَ      بِسَجْلِيكَ مِنْ شَهْدِ الْخُطُوبِ وَصَابِيهَا<sup>(١)</sup>  
تُشَدُّبُنَا الدُّنْيَا بِأَخْفَضِ سَعِيهَا      وَغُولُ الْأَفَاعِي بَلَّةٌ مِنْ لُعَابِهَا  
يُسَرُّ بِعُمَرَانَ الدِّيَارِ مُضَلَّلٌ      وَعُمَرَانُهَا مُسْتَأْنَفٌ مِنْ خَرَابِهَا  
وَلَمْ أَرْتَضِ الدُّنْيَا أَوْ أَنَّ مَجِيئَهَا      فَكَيْفَ أَرْتَضَائِهَا أَوْ أَنَّ ذَهَابِهَا  
أَقُولُ لِمَكْنُوبٍ عَنِ الدَّهْرِ رَاغٍ عَنْ      تَخْيِيرِ آرَاءِ الْحِجَا وَأَنْتِخَابِهَا<sup>(٢)</sup>  
سِيرْدِيكَ أَوْ يُتَوِيكَ أَنَّكَ مُحَبَسٌ      إِلَى شُقَّةٍ يُبْلِيكَ بُعْدُ مَا بِهَا<sup>(٣)</sup>

فهذا ، والله ، الوعظ الذي لو سمعه أبو العتاهية لَصَلَّتْ مقاليدَه .

وقوله : « مُحَبَسٌ » أى موقوف إلى أن تصير إلى هذه الشقة ، من قولك :  
أَحْبَبْتُ<sup>(٤)</sup> فرساً في سبيل الله ، وَأَحْبَبْتُ داراً ، أى وَقَفْتُ داراً . فإِذَا  
حَبَسْتُ ، فَإِنَّ ذَاكَ مِنْ حَبَسْتُ الرَّجُلَ فِي الْحَبْسِ ، وَحَبَسْتَهُ عَنْ طَرِيقِهِ ،  
ونحو هذا .

( ١ ) ديوان البحتري ٣١٢ ، ٢٣١ دار المعارف .

( ٢ ) في الديوان « زاغ » .

( ٣ ) في الديوان : « أنك غلس » .

( ٤ ) م « احتسبت » .

## فى الصبر والقناعة

قال أبو تمام :

عِنْدِي مِنَ الْأَيَّامِ مَا لَوْ أَنَّهُ أَضْحَى بِشَارِبٍ مُرْقِدٍ مَا غَمَضَا<sup>(١)</sup>  
لَا تَطْلُبَنَّ الرِّزْقَ بَعْدَ شِمَاسِهِ فَتَرُومُهُ سَبْعًا إِذَا مَا غِيضَا  
مَا عُوِّضَ الصَّبْرَ أَمْرُوهُ إِلَّا رَأَى مَا فَاتَهُ دُونَ الَّذِي قَدْ عُوِّضَا  
« شارب مُرْقِد » مثل غير جيد ولا حسن ، ولا زال الناس يعيبونه .

وقال :

لَا تَأْخُذْنِي بِالزَّمَانِ فَلَيْسَ لِي تَبَعًا ، وَلَسْتُ عَلَى الزَّمَانِ كَفِيلًا<sup>(٢)</sup>  
مَنْ زَاخَفَ الْأَيَّامَ ثُمَّ عَبَا لَهَا غَيْرَ الْقَنَاعَةِ لَمْ يَزَلْ مَفْلُولا  
مَنْ كَانَ مَرَعَى عَزْمِهِ وَهُمُومِهِ رَوْضُ الْأَمَانِي لَمْ يَزَلْ مَهْزُولا  
لَوْ جَازَ سُلْطَانُ الْقُنُوعِ وَحُكْمُهُ فِي الْخَلْقِ مَا كَانَ الْقَلِيلُ قَلِيلًا<sup>(٣)</sup>  
الرِّزْقُ لَا تَكْمَدُ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يَأْتِي وَلَمْ تَبْعَثْ إِلَيْهِ رَسُولًا<sup>(٤)</sup>  
يريد من لم يقنع وكان أبداً يتمنى - لَمْ يَزَلْ مَهْزُولا .

---

(١) ديون أبى تمام ١٨٥ وشرح التبريزى ٢ : ٣٠٣ « لى عندى من جهة الأيام من المحن ما لو تصور بشارب دواء منى لم يغمض غما وتفكرأ » .  
(٢) ديونه ٢٤٣ وشرح التبريزى ٣ : ٦٧ .  
(٣) فى الديوان « فى الأرض » .  
(٤) وفيه « لا تحرص » .

وقوله : « لو جَازَ سُلْطَانُ الْقُنُوعِ » ، وهو يريد القناعة ؛ لأن المتأخرين في هذا الموضع يستعملون القنوع .

« مَا كَانَ الْقَلِيلُ قَلِيلًا » أى لو كان حكم القناعة جائزًا نَافِذًا في الخلق .  
 أى لو قنع الخلق ما كان القليل قليلًا ، أى ما كان أحد يَسْتَقِلُّ القليل ، بل كان عنده بالقناعة كثيرًا . أفصح بمدح القناعة فقال :

الرُّزْقَ لَا تَكْمَدُ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يَأْتِي وَلَمْ تَبْعَثْ إِلَيْهِ رَسُولًا

وإنما أخذ هذا من قول [عُرْوَةَ بن] أَدْنَةَ :

أَسْعَى إِلَيْهِ فَيُعِينِنِي تَطْلُبُهُ وَلَوْ قَعَدْتُ أَنَانِي لَا يُعِينِنِي<sup>(١)</sup>

ثم نقض أبو تمام هذا كله بأن قال في إثرِ هذا البيت - بغير فاصلةٍ تفصل بينهما - يَصِفُ النَّاقَةَ وَقَطَعَهُ عَلَيْهَا الْفَلَاةُ إِلَى الْمَدْحِ ، فقال :

لِلَّهِ دَرَكٌ أَيْ مَعْبَرٌ قَفْرَةٌ لَا تُوحِشُ ابْنَ الْبَيْضَةِ الْإِجْفِيلًا  
 بِنْتُ الْقَضَاءِ مَتَى تَخِذْ بِكَ لَا تَدْغُ فِي الصَّدْرِ مِنْكَ عَلَى الْفَلَاةِ غَلِيلًا<sup>(٢)</sup>  
 أَوْ مَا تَرَاهَا لَا تَرَاهَا هِزَّةٌ تَشَايُ الْعُيُونَ ذَوَالِقًا وَذَمِيلًا<sup>(٣)</sup>  
 لَوْ كَانَ كَلْفَهَا عُيَيْدٌ حَاجَةً يَوْمًا لَزَنَى شَدَقَمًا وَجَدِيلًا<sup>(٤)</sup>

« ابن البَيْضَةِ » : الظليم . وَالْإِجْفِيلُ : السَّرِيعُ الْأَنْجِفَالُ يعنى الذهب .

يقول : لا توحشه هذه الناقة لكثرة قطعها الفَيَافِي وإلف الظُّلَمَانِ<sup>(٥)</sup> لها .

(١) الأغاني ٢١ : ١٦٢ والشعر والشعراء ٢ : ٥٦٠ . وأمالى المرتضى ١ : ٤٠٨ ، ٤١٥ .

(٢) في الديوان « بنت القفار » .

(٣) راجع رواياته المختلفة في شرح التبريزي وهامشه ٣ : ٦٩ .

(٤) إعجاز القرآن ١٦٦ والموشح ٣١١ .

(٥) م « وإلف الظان » .

ودل على أنه الظليم بقوله : « ابن البيضة » ولو كان جرى له ذكر لما كان لذكر البيضة معنى ، إذ كل ظليم وكل طائر فهو ابن البيضة .  
 وقوله : « أَوْ مَا تَرَاهَا هِزَّةً » أى من سرعة مرّها وأهتزازها فى سيرها لا تكاد ترى صورتها .

تَشَأَى الْعُيُونُ : تسبقها . ذَوَالِقًا : جمع ذليقة ، والذَّلَاقَةُ : السرعة والمضاء .

ويروى « ذَوَالِقًا » بالذال غير معجمة ، جمع ذَالِقَةٍ ، والذالِقُ : الخارج ، يقال : سيفٌ ذَالِقٌ إذا كان خارجاً مِنْ غَمْلِهِ .

وكان ينبغى أن يقول : تَشَأَى العيون اندلاقاً وذميلاً ، أو ذلاقة - معجمة الذال - وذميلاً ؛ لأن قوله : « وَذَمِيلاً » لا يكون مَنْسُوقًا على ذَوَالِقٍ . وأظنه جعل الذَّمِيلَ ، مَنْسُوقًا على هِزَّةٍ .

والذَّمِيلُ هاهنا رَدِىءٌ ؛ لأنه ضَرْبٌ من سير الإبل لَيِّنٌ ، وهو يَصِفُ السرعة .

وعُبِيدٌ : يعنى البَيْطَارَ الذى ذكره الأَعَشَى فى شعره ، فقال يصف ناقَةً<sup>(١)</sup> :  
 لَمْ تَعْطَفْ عَلَى حُورٍ وَلَمْ يَفْ طَعَّ عُبِيدٌ عُروَقَهَا مِنْ خُمَالٍ<sup>(٢)</sup>  
 وكان يعالج الإبل . أى لو كلفها عبید حاجة ، أى سيراً عليها لحاجة « لَرَنَّا شَدَقَمًا وَجَدِيلاً » وهما فحلان من فحول العرب النَّجِيبَةِ المذكورة - لا يرى من سرعتها ونجابتها .

(١) م « نصف » .

(٢) ديوانه ٦ وفى اللسان ١٣ : ٢٣٥ « والخمائل : داء يأخذ فى مفاصل الإنسان وقوائم الخيل والشاة والإبل ، تطلع منه ، ويدأوى بقطع العرق ، ولا يبرح حتى يقطع منه عرق أو يهلك - ثم أنشد بيت الأعشى هذا ، وقال : أى لم يكن لها لبن فتعطف على حوار لترضعه » .

وهذا غاية ما يكون من سُخْفِ المعنى وركاكته ؛ لَأَنَّ زَنًّا من ألفاظ الجاهل والصبيان . وإنما أراد لوسار عليها عبيد ، هذا العالم بأمر الإبل ، فى بعض حاجة - لصغر عنده ، أَوْ لَهَا نَ عَلَيْهِ أَمْرٌ شَدَقَمَ وَجَدِيل . فلم يهتد بلفظ من هذا التحوفقال : «لَزَنَّا شَدَقَمًا وَجَلِيلًا» . أترأه كان يقول لهما : يا زانيين ، أو يا بنى الزانيين . إن هذا من حماقات الطائى الْمُحَكَّمَة ، وسخفه العجيب مع ما فى أبياته هذه من نقض المعنى الذى ذكره فى الأبيات قبلها من الحث على القناعة ، والقعود عن الحركة والاضطراب .

\*\*\*

وقال البحرى :

لَعَمْرُكَ كَيْفَ تَرْصِفُ مَا عَدَانَا      مِنْ الدُّنْيَا ، وَنَسْخَطُ مَا يَجِينَا<sup>(١)</sup>  
عَنَّا مَا عَسَاهُ يَزُولُ عَنَّا      وَأَنْصَبَنَا تَكْلُفُ مَا كُفِينَا<sup>(٢)</sup>  
يُقَبِّضُ لِلْحَرَبِصِ الْغَيْظُ بَحْنًا      [ وَتَنْجُهُ الْحُطُوطُ ] لِمَنْ قُضِينَا  
وَمَا هُوَ كَائِنٌ وَإِنْ أَسْتَطَلَّنَا      إِلَيْهِ النَّهَجُ يُوشِكُ أَنْ يَكُونَا  
فَلَا تُغَرِّزُ مِنَ الْآيَامِ وَأَنْظُرْ      إِلَى أَقْسَامِهَا عَمَّنْ زُوِينَا<sup>(٣)</sup>

وقال :

نَسْعَى وَأَيْسَرُ هَذَا السَّعَى يَكْفِينَا      لَوْلَا تَكْلُفُنَا مَا لَيْسَ يَغْنِينَا  
نَرُوضُ أَنْفُسَنَا أَقْصَى رِيَاضَتِهَا      عَلَى مُوَاتَاةِ دَهْرٍ لَا يُؤَاتِينَا  
فَلَيْتَ مُسْلِفَنَا الْأَعْمَارَ أَنْظَرْنَا      مُجَامِلًا فَتَأْتَى فِي تَقَاضِينَا

وهذا كله ما لا مزيد على حسنه وصحته وحلاوته .

(١) ديوان البحرى ٥٥٣ « بعمرك . . ما أتانا . . ما يجينا » .

(٢) فى الديوان « ما عناه يزال عنا » .

(٣) فى الديوان « أقسامنا » .

وقال :

ضَبِقَ الْعُذْرَ فِي الضَّرَاعَةِ أَنَا      لَوْ قَنَعْنَا بِقُسُونَا لَكَفَلْنَا<sup>(١)</sup>  
مَا لَنَا نَعْبُدُ الْعِبَادَ إِذَا كَا      نَ إِلَى اللَّهِ فَقَرُّنَا وَغِنَانَا

وقال :

لَوْ أَنَّنِي أَوْفَى التَّجَارِبَ حَقَّهَا      فِيمَا أَرَتْ لَرَجَوْتُ مَا أَخْشَاهُ<sup>(٢)</sup>  
وَالشَّيْءُ تُمْنَعُهُ تَكُونُ بِفَوْتِهِ      أَجْدَى مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي تُغْطَاهُ  
خُفْضُ أَسَى عَمَّا شَاكَ طِلَابُهُ      مَا كُلُّ شَائِمٍ بَارِقٍ يُسْقَاهُ

وقال :

وَكَيْفَ تُعَاطِي الرَّاحِ وَالرَّأْسَ مُخْلَسٌ      مَشِيبًا، وَشُرْبُ الرَّاحِ مِنْ بَعْدِ جَعْفَرٍ<sup>(٣)</sup>  
قَنِعْتُ ، وَجَانِبْتُ الْمَطَامِعَ لَابِسًا      لِبَاسٍ مُجِبٌّ لِلنَّزَاهَةِ مُؤَثِّرِ  
وَأَيَّاسِنِي عَلِمِي بِأَلَا تَقْدُمِي      مُفِيدِي ، وَلَا مَزِرٍ بِحَقِّي تَأْخِرِي<sup>(٤)</sup>  
وَلَوْ فَاتَنِي الْمَقْدُورُ مِمَّا أَرُومُهُ      بِسَعْيٍ لَا ذَرَكْتُ الَّذِي لَمْ يُقَدِّرِ

وقال :

أَجِدْكَ مَا تَنَفَّكَ تَشْكُو قَضِيَّةً      تُرَدُّ إِلَى حُكْمٍ مِنَ الدَّهْرِ جَائِرٍ<sup>(٥)</sup>  
يَنَالُ الْفَتَى مَا لَمْ يُؤْمَلْ وَرُبَّمَا      أَتَاخَتْ لَهُ الْأَقْدَارُ مَا لَمْ يُحَازِرِ<sup>(٦)</sup>

وهذا في غاية الحسن والصحة والبراعة : وإنما أخذه والله أعلم - من قول

أَبِي الْعَتَاهِيَةِ :

(١) ديوان البحرى ٤٢٤ وفى م « سيق العذر » .

(٢) ديوانه ٢٩٦ .

(٣) ديوانه ٢١٥ « تعاطى اللهو » .

(٤) فى الديوان « وآنسنى علمى » .

(٥) ديوانه ٣٥٠ ، ٩٦ / ٢ .

(٦) م « تحاذر » .



قَدْ يَسْلَمُ الْمَرْءُ مِمَّا قَدْ يَحَازِرُهُ وَقَدْ يَصْبِرُ إِلَى الْمَكْرُوهِ بِالْحَذَرِ<sup>(١)</sup>  
وَأَخَذَهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ مِنْ قَوْلِ الْآخَرِ :

وَحَذَرْتُ مِنْ أَمْرِ فَهَرٍّ بِجَانِبِي مُتَنَكِّبًا ، وَلَقِيتُ مَا لَمْ أَحْذَرِ

\*\*\*

وقال البحتري :

إِنْ تُجَرَّبَ بَنَى الزَّمَانِ تُجِدُهُمْ إِخْوَةً فِيهِ لِلشُّفَارِ الْكَالِيلَةِ<sup>(٢)</sup>  
وَالْفَتَى كَادِحٌ لِفَعْلَةٍ دَهْرٍ يَرْتَضِيهَا ، أَوْ عَيْشَةٍ مَمْلُوءَةٍ<sup>(٣)</sup>  
خَائِفٌ آمِلٌ لِيَصْرِفَ اللَّيَالِي وَاللَّيَالِي مَخُوفَةٌ مَأْمُورَةٌ  
رَاحَ أَهْلُ الْآدَابِ فِيهَا قَلِيلًا وَحُظُوظُ الْأَقْسَامِ فِيهَا قَلِيلَةٌ<sup>(٤)</sup>  
فَعَلَيْكَ الرِّضَا بِمَا رَضِيتَهُ لَكَ هَذِي الْمَطَالِبُ الْمَجْفُولَةُ<sup>(٥)</sup>  
لَنْ تَنَالَ الْمُزَوَّرَ عَنْكَ بِتَدْبِيرٍ رِ ، وَلَنْ تَضَعَدَ السَّمَاءُ بِحِيلَةٍ<sup>(٦)</sup>  
وَإِذَا مَا أَعْتَبَرْتَ ظَاهِرَ حَالِي كَانَ أَمْرًا مِنَ الْأُمُورِ الْجَلِيلَةِ<sup>(٧)</sup>  
كَمْ تَكَرَّهْتُ غِبَّ أَمْرِ فَكَانَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ فِيهِ عِنْدِي جَمِيلَةً<sup>(٨)</sup>  
لَيْسَ إِلَّا فَضْلُ الْعَزِيمَةِ تُمْضِي هَا ، وَإِلَّا الْمَطِيَّةُ الْمَرْحُورَةُ

وهذا كلام يجري من رفته وحسنه .

(١) ديوان أبي العتاهية ١١٥ .

(٢) ديوان البحتري ٤٧٥ .

(٣) م « لفلة » .

(٤) م « فيها قايلًا » .

(٥) في الديوان : « المطالب المجهولة » .

(٦) م « ينال » والديوان « المزوى » .

(٧) في الديوان « كان خطباً من الخطوب » .

(٨) م « جليله » .

قوله : «فَعَلَيْكَ الرِّضَا» مدح للقناعة ، ولم يحث على القعود عن المطالب ، وإنما أراد عليك الرضا بما رَضِيَتْهُ لك مَطَالِبُكَ ، هذه المطالب التي أنت بسبيلها ، ولن تقدر على نيل ما أزوّر عنك ولذلك قال :

ليس إلا فضل العزيمة تمضيها ، وإلا المطية المرحولة

وعلى أنه قال :

كَمْ تَكَرَّهْتُ غِيبَ أَمْرٍ فَكَانَتْ نِعْمَةً اللهُ فِيهِ عِنْدِي جَمِيلَةً  
يجوز أن يكون أراد غيب أمرٍ مِنْ تَجَشُّمِ الْأَسْفَارِ ، وبُعْدِ الْمَطَالِبِ ،  
فأحمدت عاقبته فحسن أن يقول : «ليس إلا فَضْلُ الْعَزِيمَةِ» .

وأبو تمام صرح بذكر القُعود عن الطلب بقوله :

الرِّزْقَ لَا تَكْمَدُ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يَأْتِي وَلَمْ تَبْعَثْ إِلَيْهِ رُسُلًا  
فكان ذكره للناقة والرحيل عليها مُنَاقِضَةً ظَاهِرَةً قَبِيحَةً فِي أَبْيَاتٍ مُتَّصِلَةٍ  
ببعضها ببعض .

\*\*\*

وقال البحتري :

تَطْلُبُ الْأَكْثَرَ فِي الدُّنْيَا وَقَدْ تَبْلُغُ الْحَاجَةَ فِيهَا بِالْأَقْلِ<sup>(١)</sup>

وقال :

أَسِيفٌ إِذَا أَسْفَفْتُ أَدْنَا لِمَطْمَعٍ خَفٍ ، وَأَرَانِي مُشْرِياً يَوْمَ أَقْنَعُ<sup>(٢)</sup>  
إِذَا شِئْتَ حَازَ الْحِظَّ دُونَكَ وَاهِنٌ وَنَازَعَكَ الْأَقْسَامَ عَبْدٌ مُجْدَعٌ

(١) ديوان البحتري ٣٣٢ « نطلب . . . نبلغ » .

(٢) ديوانه ٣٠٥ ، ١٢٦٨/٢ دار المعارف « أسف إذا . . حين أقنع » .

أَجَلُّكَ مَا الْمَكْرُوهُ إِلَّا أَرْتَقَابُهُ وَأَبْرَحُ مِمَّا حَلَّ مَا يُتَوَقَّعُ  
وَقَدْ تَنَنَاهَى الْأَسَدُ مِنْ دُونِ صَيْدِهَا شِبَاعًا، وَغَشَى صَيْدَهَا وَهِيَ جُوعٌ<sup>(١)</sup>  
قوله : «أَسِيفَ إِذَا أَسْفَقْتُ» . يقال : أَسَافَ الرَّجُلُ يُسِيفُ : إِذَا  
ذَهَبَ مَالُهُ .

يقول : إنه<sup>(٢)</sup> يفتقر إِذَا دَنَا لِمَطْمَعٍ ، وَيَسْتَغْنَى إِذَا قَنَعَ .  
وقوله : «وَقَدْ تَنَنَاهَى الْأَسَدُ مِنْ دُونِ صَيْدِهَا شِبَاعًا» . يمدح القناعة ، وَأَنَّ  
مِنْ سَبِيلِ الْإِنْسَانِ إِذَا وَجَدَ الْبَلْعَةَ اكْتَفَى إِلَى أَنْ يَحْتَاجَ .  
وقال :

حَلَى سَعَادُ غُرُوصِ الْعَيْسِ أَوْ سِيرِي وَأَنْجِدِي فِي التَّمَاسِ الْحَطَّ أَوْ غُورِي<sup>(٣)</sup>  
كُلُّ الَّذِي تَنْجَاهُ وَتَأْمَلُهُ مُضْمَنٌ فِي ضَرُورَاتِ الْمَقَادِيرِ  
فَمَا يُقَرِّبُ تَقْلِيمِي شَوَاسِعَهَا وَلَا يُبَاعِدُ مَا أَدْنَيْنَ تَأْخِيرِي  
تَغْدُو الْكِلَابُ وَلَا فَضْلُ يُعَدُّ لَهَا سِوَى الَّذِي بَانَ مِنْ نَقِصِ الْخَنَازِيرِ

\*\*\*

وقال أبو تمام :

مَا يَحْسِمُ الْعَقْلُ وَاللَّنْيَا تَسَامُ بِهِ مَا يَحْسِمُ الصَّبْرُ فِي الْأَخْدَاطِ وَالنُّوبِ<sup>(٤)</sup>  
الصَّبْرُ كَالسَّارِ وَبَطْنُ الْكَفِّ عَارِيَةٌ وَالْعَقْلُ عَارٍ إِذَا لَمْ يُكْسَ بِالنَّشْبِ  
كَمْ ذُقْتُ فِي الدَّهْرِ مِنْ عُسْرٍ وَمِنْ يُسْرٍ وَفِي بَنَى الدَّهْرِ مِنْ رَأْسٍ وَمِنْ ذَنْبٍ

(١) م «ويشقى» .

(٢) م «إنه لم يفتقر» .

(٣) ديوان البحري ١٠٢٦/٢ .

(٤) ديوان أبي تمام ٤٧٠ وفي م «يساس لها» .

بَيَّأُ وَخَدَّ قِلَاصٍ وَأَجْتَنَابِ فَلَا إِذْرَاكَ رِزْقٍ إِذَا مَالَجَ فِي الْهَرَبِ<sup>(١)</sup>  
 ذكر أنه لا يَحْسِمُ العقلُ ما يَحْسِمُ الصَّبْرُ . والصبر على شدة الزمان وأحداثه  
 لا يكاد يقع إلا بالعقل ، وكل الأخلاق الشريفة فبالعقل تكون .  
 وقوله : « الصَّبْرُ كَاسٍ وَبَطْنُ الْكَفِّ عَارِيَةٌ » - من حماقاته في الطباق  
 يريد أن الصبر مجانبٌ لخلو اليد ، وأنا ضد الفقر والعُدْمِ ؛ لأن الفقر  
 والعُدْم لا يكون معهما صبر ،<sup>(٢)</sup> فجعل كاسياً من أجل ذكر بطن الكف  
 بالعرى ، ثم جعل العقل أيضاً عارياً إذا لم يكن مَكْسُوراً بالنَّشَبِ ، وكسوة  
 الصبر والعقل استعارة تتجاوز كُلَّ فحش .

وأعجب من هذا ذوقه الرأس والذنب في بنى الدهر . وما علمنا أحداً ذاق  
 ذنب غيره ولا رأسه<sup>(٣)</sup> .

وأراد بالنُّوقِ الْاِخْتِيَارَ ، واستعمله في أقبح موضع وأشنع .

ولا خفاء بفضل البحتري في هذا الباب على أبي تمام .

( ١ ) في الديوان « إذا ما كان في الهرب » .

( ٢ ) لقد ضل الأمدى عن الصواب في تأويل البيت ، ولم يرد أبو تمام أن الصبر مجانب لخلو اليد  
 وأنه ضد الفقر والعُدْم فلا يكون معهما ؛ بل أراد أن الصبر نافع في حالة الفقر وسائر لصاحبه . وآية ذلك  
 أنه قال في البيت السابق : إن الصبر يحسم في أحداث الزمان ونوبه ما لا يحسم العقل الذي تساس به الدنيا .

( ٣ ) لم يذهب أبو تمام إلى هذا المعنى السخيف الذي ذهب إليه الأمدى ؛ وإنما ذهب إلى ما تنطق  
 به ألفاظ بيته : من أنه ذاق من حلو العيش ومره ما ذاق ؛ واختبر بنى الزمان طرا ، الرؤساء منهم وغير  
 الرؤساء ، وهم الذين عبر عنهم بالأذنان . ولم يخرج أبو تمام في تعبيره هذا عن سنن العرب في كلامها ، فهم  
 يضمنون عبارات طرق العلم في موضع العلم . ويقولون : ذقت الشيء بمعنى علمته وغيرته . وشملت رائحة  
 الفضل من فلان : أى علمته ، ووزنت بنى فلان فأحليت ما ذقت من نجاتهم . أى ما بلوته واختبرته .  
 ويقول : ذقت القوس أى زعت فيها لأختبر لينها من شدتها ، كما قال الشايع .

فذاق فاعطته من اللين جانباً كنى ولها أن يفرق النبل حاجز

وقال ابن مقبل :

يهززن للشئ أوصالا منمة هز الشال ضحى عيدان يبرينا  
 أو كاهتزاز ردينى تذاوقه أيدى التجار فزادوا متته لينا

ويقول بشار :

\* إذا كان ذواقا أخوك من الهوى \*

ذم ذوى الغنى على البخل ، وذكر مساعدة الدهر  
لذوى الجهل وتحامله على أهل الفضل والعقل

قال أبو تمام :

مَضَى الْأَمْلَاقُ وَأَنْقَرَضُوا ، وَأَمْسَى سُرَاةَ مُلُوكِنَا وَهُمْ تِجَارُ<sup>(١)</sup>  
وَقُوفًا فِي ظِلَالِ الذَّمِّ تُخْمِي دَرَاهِمُهُمْ وَلَا يُخْمِي الذَّمَّارُ<sup>(٢)</sup>  
فَلَوْ ذَهَبَتْ سِنَاتُ الدَّهْرِ عَنْهُ وَأَلْقَى عَنْ مَنَاكِيبِ الدُّثَارِ  
لَعَدَلَ قِسْمَةَ الْأَرْزَاقِ فِينَا وَلَكِنْ دَهْرُنَا هَذَا حِمَارُ

قوله : « وَأَلْقَى عَنْ مَنَاكِيبِ الدُّثَارِ » - لفظ ردىء ، وليس من المعنى الذى قصده فى شيء . وصدر البيت لائق بالمعنى فلو كان أتبعه بما يكون فى معناه بأن يقول : فلو ذهبت سنات الدهر عنه ، واستيقظ من رقدته ، أو انتبه من نومته ، أو انكشف الغطاء عن وجهه - لكان المعنى يمضى مستقيماً . وقد ذكرته فيما مضى من أغاليطه مشروحاً<sup>(٣)</sup> .

وقال : - وهو من إحسانه المشهور - :

سَأَوِطُّ أَهْلَ الْعَسْكَرِ الْيَوْمَ عَسْكَرًا مِنْ الذَّنْبِ مَحَا لِيَتَاكَ الْعَالِمُ<sup>(٤)</sup>  
وَمَالِي مِنْ ذَنْبٍ إِلَى الدَّهْرِ خِلْتُهُ سِوَى أَمَلِي لِإِيَّاكُمْ لِلْعِظَائِمِ<sup>(٥)</sup>  
وَلِإِنِّي مَا حُورِفْتُ فِي طَلَبِ الْغِنَى وَلَكِنَّكُمْ حُورِفْتُمْ فِي الْعَكَارِمِ

( ١ ) ديوان البحرى ١٤١ وشرح التبريزى ١٥٤/٢ « وأست » .

( ٢ ) فيها « وقوف . . . . دراهمها » .

( ٣ ) راجع الجزء الأول ص ٢٢٣ .

( ٤ ) ديوان أبى تمام ٢٩٠ وشرح التبريزى ٣ / ٢١٩ و يروى : « من الذل » و « من الذم » .

( ٥ ) فى الديوان وشرحه « إلى الرزق » .

ومن جيد معانيه في هذا النحو قوله :

إِنْ شِئْتَ أَنْ يَسْوَدَّ ظَنُّكَ كُلَّهُ      فَأَجِلْهُ فِي هَذَا السَّوَادِ الْأَعْظَمِ<sup>(١)</sup>

وقال :

يَنَالُ الْفَتَى مِنْ عَيْشِهِ وَهُوَ جَاهِلٌ      وَيُكْدِي الْفَتَى فِي دَهْرِهِ وَهُوَ عَالِمٌ<sup>(٢)</sup>  
وَلَوْ كَانَتْ الْأَقْسَامُ تَجْرِي عَلَى الْحِجَا      هَلَكْنَ إِذَنْ مِنْ جَهْلِهِنَّ الْبَهَائِمُ<sup>(٣)</sup>

وهذا معنى ما على صحته وحسنه مِنْ مَزِيد .

وقال :

وَمَا الْقَفْرُ بِالْبَيْدِ الْقَوَاءِ بَلِ الْتَى      نَبَتْ بِي وَفِيهَا سَاكِنُوهَا هِيَ الْقَفْرُ<sup>(٤)</sup>  
وَمَنْ قَامَرَ الْأَيَّامَ عَنْ ثَمَرَاتِهَا      فَأَخْجَ بِهَا أَنْ تَنْجِلِي وَلَهَا الْقَفْرُ<sup>(٥)</sup>

وهذا أيضاً جيد بالغ ، ومن إحسانه المشهور . ثم وصله بأن قال :

فإِنْ كَانَ ذَنْبِي أَنْ أَحْسَنَ مَطْلَبِي      أَسَاءَ فَفِي سُوءِ الْقَضَاءِ لِي الْعُدْرُ  
قَضَاءُ الَّذِي مَا زَالَ فِي يَدِهِ الْغِنَى      ثَنَى غَرَبَ آمَالِي وَفِي يَدِي الْفَقْرُ  
رَضِيتُ وَهَلْ أَرْضَى إِذَا كَانَ مُسْخِطِي      مِنْ الْأَمْرِ مَا فِيهِ رِضًا مَنْ لَهُ الْأَمْرُ  
وَأَشْجَيْتُ آمَالِي بِصَبْرٍ حَلَوْنَ لِي      عَوَاقِبُهُ ، وَالصَّبْرُ مِثْلُ أَسْبِهِ صَبْرُ<sup>(٦)</sup>

(١) ديوان أبي تمام ٣١٢ وشرح التبريزي ٢ / ٢٤٩ .

(٢) ديوانه ٢٨٦ وشرح التبريزي ٣ / ١٧٨ .

(٣) ويرى « ولو كانت الأرزاق » .

(٤) ديوانه ٤٧٥ « باليد القفار » .

(٥) م « به أن » .

(٦) في الديوان « فأشجيت أيامي » .

قوله : « فَإِنْ كَانَ ذَنْبِي أَنْ أَحْسَنَ مَطْلَبِي أَسَاءَ » . يريد شخصه إلى مصر ؛ لأنها كانت عنده أحسن مطالبه فأخفق فيها ، فذمها بأن قال : وما القفرُ بالبيدِ القواءِ بَلِ التي نَبَتْ بِي وفيها ساكنوها هي القفرُ وقوله : « رَضِيتُ وَهَلْ أَرْضَى » - من أغاليطه وإحالاته في المعاني . وإنما كان ينبغي أن يقول : « رَضِيتُ وكيف لا أَرْضَى » . وقوم يحتجون بأنه<sup>(١)</sup> قال : رَضِيتُ وقد أَرْضَى . على ما فسر به قول الله عز وجل : « هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ » بأن قالوا معناه : قد أتى على الإنسان .

وقد ذهب إلى هذا قوم في « قَدَ » إذا وليت الفعل الماضي ، أما إذا وليت المستقبل فإنها تكون بمعنى « ربما » وتخرج عن هذا التأويل . وأكثر أهل العربية ، وجميع أهل اللغة يقولون : المعنى : أَلَمْ يَأْتِ عَلَى الْإِنْسَانِ . بمعنى التقرير والتوبيخ . ويدفعون أن تكون « هل » بمعنى « قد » ؛ لأن ذلك لم يَأْتِ في كلام العرب .

وقد بينت هذا في « الجزء » الذي جمعت فيه أغاليط أبي تمام من هذا الكتاب<sup>(٢)</sup> .

وقال :

وَحَادِثَاتٌ أَعَاجِبُ خَسَا وَزَكَا مَا الدَّهْرُ فِي فِعْلِهَا إِلَّا أَبُو الْعَجَبِ<sup>(٣)</sup>  
يَمْلِكُنَ قَوْدَ الْكَمَاةِ الْمُعْلِمِينَ لَهَا وَيَسْتَقِدْنَ لِفُرْسَانٍ عَلَى الْقَصَبِ<sup>(٤)</sup>  
الْخَسَا : الْفَرْدُ ، وَالزَّكََا : الزَّوْجُ . وَفُرْسَانُ الْقَصَبِ : يَعْنِي الصَّبِيَّانِ .

(١) م « بأن قال » .

(٢) راجع الجزء الأول ص ٢٠١ . ٢٠٥ .

(٣) ديوان أبي تمام ٤٧٠ « في فعله » .

(٤) في الديوان « يغلبن قوم . . بها » .

وهذه ألفاظ في غاية الخُلُوقَة والسَّخَافَة . ولو قال : ويستقدن لأهل الجبن  
والرعب ، أو الرهب - كان أحسن وتعمّل<sup>(١)</sup> :

وقال فيها :

فِي كُلِّ يَوْمٍ صَوَاقِيرِي مُفْلَلَةٌ      تَسْتَنْبِطُ الصُّفْرَ لِي مِنْ مَعْدِنِ الذَّهَبِ<sup>(٢)</sup>  
مَا كُنْتُ كَالسَّائِلِ الْأَيَّامَ مُجْتَهِدًا      عَنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ فِي شَعْبَانَ أَوْ رَجَبٍ  
أَي مَا التَّمَسْتُ إِلَّا مِنْ حَيْثُ يَجِبُ الْإِلْتِمَاسُ ، وَلَكِنِّي خَبِثُ .

بَلْ سَافِعُ بِنَوَاصِي الْأَمْرِ مُشْتَمِلٌ      عَلَى قَوَاصِيهِ فِي بَدْنِي وَفِي عَقْبِي<sup>(٣)</sup>  
بِغُرْبَةٍ كَأَغْتِرَابِ الْجُودِ إِنْ بَرَقَتْ      بِأَوْبَةٍ وَدَقَّتْ بِالْخُلْفِ وَالْكَذِبِ  
إِذَا عَمَدْتُ لِشَأْوٍ خِلْتُ أَنِّي قَدْ      أَذْرَكْتُهُ - أَذْرَكْتُ حِرْفَةَ الْعَرَبِ<sup>(٤)</sup>  
قوله : « سَافِعُ بِنَوَاصِي الْأَمْرِ » - من قوله : جَلَّ اسْمُهُ : « لَنَسْفَعًا  
بِالنَّاصِيَةِ » وَالسَّفْعُ بِالشَّيْءِ هُوَ أَنْ يُوْخَذَ وَيُجَذَّبَ جَذْبًا فِيهِ عَنَفٌ .  
وكان ينبغي أن يقول : بنواصي الحزم أو العزم . فإما الأمر فإنه<sup>(٥)</sup> . . .

وقوله :

بِغُرْبَةٍ كَأَغْتِرَابِ الْجُودِ إِنْ بَرَقَتْ      بِأَوْبَةٍ وَدَقَّتْ بِالْخُلْفِ وَالْكَذِبِ  
فشبه غيابه بغيبة<sup>(٦)</sup> الجود الذي يقال يقدم ولا يقدم ، يؤكد بهذا  
عدم الجود ، وأنه كلما طمع فيه من أحد كان بعيداً كالغائب الذي يقال :  
يقدم ثم لا يقدم .

(١) م « ويعمل » .

(٢) ديوان أبي تمام ٤٧١ « يوم أظافيري . . تستنبط الصبر » والصواقير: الماويل . والصقر :

النحاس ،

(٣) م « شافع » والديوان « في بدء وفي عقب » .

(٤) في الديوان : « إذا عنيت لشأو قلت . . حرفة الأدب » .

(٥) كذا بالأصل .

(٦) م « عيائه بعبية » .



وَدَقَّتْ : من الودَقِ ، وهو قَطْرُ المطر .

يقول هذا وهو قد قدم<sup>(١)</sup> من غيباته إلا أنه جعل نفسه كمن لم يقدم ؛  
لأنه قدم بالخيبة ؛ فلذلك قال بعد هذا :  
ما آبَ مَنْ آبَ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ وَلَمْ يَغْبُ طَالِبُ لِلنَّجْحِ لَمْ يَخْبِرْ  
وهذا تعسف ، والخرُّسُ أحسنُ منه .

وقوله : « إِنْ بَرَقَتْ بِأَوْبَةٍ » يعنى الغيبة . واستعارة البرق لا تحسن إلا  
باستعارة<sup>(٢)</sup> السحاب معه . وكان الجيد أن يقول : بَرَقَتْ سَحَابُهَا بِأَوْبَةٍ ،  
لو استقام له .

وقوله : « أَذَرَكْتَنِي حِرْفَةَ الْعَرَبِ » - معنى ما قاله غيره ، ولا جعل أحدُ  
الْعَرَبِ مُحَارَفِينَ سِوَاهُ . ودليل [عدم] حِرْفَتِهِمْ ما هو إلا أَنَّهُمْ قَهَرُوا الْأُمَمَ حَتَّى  
صَارَ الْمُلْكُ فِيهِمْ ، وهم على تلك العِزَّةِ الجاهلية إلى هذا الوقت .

وما زال الناس ينكرون هذا المعنى عليه ويعيبونه . ولو كان قال : « حِرْفَةُ  
الْأَدَبِ » كان أولى بالصواب ، وبما يستعمله الناس ، ولأنه أديب غير  
مدفوع ، وليس في القصيدة أيضًا [ذكر] للأدب .

وقد رواه قوم « الأدب » إنكاراً لذكر العرب هاهنا . وَغَيْرُهُ فِي عِدَّةٍ مِنْ  
النسخِ القديمة . والذي في نسخة « أبي سعيد السكري » ، و « أبي العلاء » ، محمد  
ابن العلاء وغيرهما : « العرب » .

ولمَّا ذَاكَ لَشِدَّةِ عَشْقِهِ بِالْعَرَبِيَّةِ ، وَأَنْ يُقَالَ طَائِي .

( ١ ) م « قد تقدم » .

( ٢ ) م « بالاستعارة » .

وقد أنكره عليه ابنُ عَمَّار وغيره . وهذا دليل على أنه ما قال إلا « حرفة العرب » .

\*\*\*

وقال البحرى :

أَوْجَلَّتْنِي بَعْدَ أَمْنٍ غِرَّتِي      وَأَغْتَرَارُ الْأَمْنِ يَسْتَدْعِي الْوَجَلَ<sup>(١)</sup>  
لَمْ أَوْهَمْ نِعْمَتِي تَغْدِرُ بِي      عَدْرَةَ الظِّلِّ سَجَا ثُمَّ أَنْتَقَلَ  
زَمَنٌ تَلْعَبُ بِي أَحْدَاثُهُ      لَعِبَ النَّكْبَاءُ بِالرُّمَحِ الْخَطِلِ<sup>(٢)</sup>  
وَأَرَى الْعُدَمَ - فَلَا تَحْفَلُ بِهِ      - عُقْبَةً تُقْضَى ، وَكَلَّمَا يَنْدِمِلُ  
أَكْبَرْتُ نَفْسِي - وَقَدْ مَا أَكْبَرْتُ      أَنْ تُلْقَى النَّيْلَ مِنْ كَفِّ الْأَشْلِ<sup>(٣)</sup>  
وَمِنَ الْمَعْرُوفِ مُرٌّ مَقَرٌّ      يَلْفِظُ الطَّاعِمُ مِنْهُ مَا أَكَلَ<sup>(٤)</sup>  
نَطْلُبُ الْأَكْثَرَ فِي الدُّنْيَا وَقَدْ      نَبْلُغُ الْحَاجَةَ فِيهَا بِالْأَقْلِ<sup>(٥)</sup>

وهذا من إحسان أبي عباد المتداول .

وقال :

تَغَاضَى رِجَالٌ عَنِ الْمَكْرُمَاتِ      وَقَدْ مَثَلَتْ نُصْبَ أَعْيَانِهَا<sup>(٦)</sup>  
وَلَمْ تَلْتَفِتْ لِيُوجِبِ الْحُقُوقِ      وَوَاجِبُهَا خَلْفَ آذَانِهَا  
فَتَحَتُ يَدَيَّ ثَانِي الْعُطْفِ عَنْ      كَذُوبِ الْمَوَدَّةِ خَوَانِهَا  
وَقَدْ عَلِمْتُ خَلْقِي أَنَّنِي      أَفَارِقُهَا عِنْدَ هِجْرَانِهَا

(١) ديوان البحرى ٣٣٢ ، ١٧١٦ .

(٢) الخطل : السريع . وانظر اللسان ١٣ / ٢٢١ - ٢٢٢ .

(٣) فى الديوان : « وكرها أكبرت » .

(٤) م « منه وأكل » !

(٥) سبق فى ص ٢٥٠ .

(٦) ديوان البحرى ٥٩٩ « تعالى رجال » .

وقال :

وَعَيَّرْتَنِي سِجَالَ الْعُذْمِ جَاهِلَةً      وَالنَّبْعُ عُرْيَانٌ مَا فِي فَرْعِهِ ثَمَرٌ<sup>(١)</sup>  
وَمَا الْفَقِيرُ الَّذِي عَيَّرْتَ آوَنَةً      بَلِ الزَّمَانُ إِلَى الْأَحْرَارِ يَفْتَقِرُ<sup>(٢)</sup>  
عَزَى عَنِ الْحِطِّ أَنَّ الْعَجَزَ يُدْرِكُهُ      وَهَوْنُ الْعُسْرِ عَلِمِي فِي مَنْ الْيُسْرِ  
لَمْ تَبْقَ مِنْ جُلِّ هَذَا النَّاسِ بَاقِيَةٌ      يَنَالُهَا الْوَهْمُ إِلَّا هَذِهِ الصُّورُ<sup>(٣)</sup>  
جَهْلٌ ، وَبِخْلٌ وَحَسَبُ الْمَجْدِ وَاحِدَةٌ      مِنْ تَيْنٍ حَتَّى يُعْفَى خَلْفُهُ الْأَثَرُ<sup>(٤)</sup>  
إِذَا مُحَاسِنِي اللَّاتِي أَدِلُّ بِهَا      كَانَتْ ذُنُوبِي فَقُلْ لِي كَيْفَ أَعْتَذِرُ  
عَلَى نَحْتِ الْقَوَافِي مِنْ مَعَادِنِهَا      وَمَا عَلَيَّ إِذَا لَمْ تَفْهَمْ الْبَقَرُ<sup>(٥)</sup>

ذكر « علي بن يحيى المُنْجَم » عن شيوخه أن هذا البيت للمخيم<sup>(٦)</sup> الرَّاسِبِي ،  
أحد الشعراء في تولة الرشيد ، وكان صاحب محمد منصور بن زياد فكسب معه  
مالاً عظيماً ، ثم صاحب محمد بن يحيى بن خالد البرمكي بعد موت ابن  
منصور<sup>(٧)</sup> فلم يحمدته فهجاه .

وأخذ بيت بأسره قبيح لأبي عبادة ، ومثله لا يضطر إلى هذا .

وقد كان « علي بن يحيى » انحرف عن<sup>(٨)</sup> البحرى لأن البحرى هجاه  
بأمر المتوكل بأبيات ليس مثلها يضر ، ولكنه ذكر صورته فقال :

- 
- ( ١ ) ديوان البحرى ٦٧٣ ، ٢ / ٩٥٤ دار المعارف .  
( ٢ ) في الديوان « مفتقر » .  
( ٣ ) في الديوان : « ينالها الفهم » .  
( ٤ ) وفيه « وحسب المرء » .  
( ٥ ) وفيه : « من مقاطعها وما على لم أن تفهم » والبيت مع سابقه في أخبار أبي تمام ٥٠ - ٥١ .  
( ٦ ) م « للمخيم » .  
( ٧ ) م « ابن مشور » !  
( ٨ ) م « أعرف من البحرى » !

كُلُّ ، أَخْلَاقٍ عَلَى تَرْتِيبِهَا وَتُدْمُهُ<sup>(١)</sup>  
هُوَ قِرْدٌ حِينَ يَبْدُو غَيْرَ أَنَا لَا نَكْمُهُ  
مُقْلَتَاهُ وَحِجَا جَا هُ وَشَدَقَاهُ وَخَطْمُهُ

فضحك المتوكل حتى استلقى . وبلغ على بن يحيى فعاب<sup>(٢)</sup> هذا على  
البحترى لما حدث بينهما من التباعد .

إلا أنى لم أرىهم ينكرون استعارة البيت الذى يجرى مجرى المثل إذا  
جاء موضعه . إلا أن ذلك يكون فى شوارد الأمثال التى لا يكاد يعرف  
قائلوها .

وقال :

أَضِيعُ فِي مَعْشَرٍ ، وَكَمْ بَلَدٍ يُعَدُّ عُوْدُ الْكِبَاءِ مِنْ حَطْبَةٍ<sup>(٣)</sup>  
لَنْ يَنْصُرَ الْمَجْدَ حَقُّ نُصْرَتِهِ إِلَّا الْمَكِينُ الْمَكَانِ مِنْ رُبَّةٍ<sup>(٤)</sup>  
يُخْدَعُ عَنْ عَرْضِهِ الْبَخِيلُ وَلَا يُخْدَعُ وَهُوَ الْغَنِيُّ عَنْ نَشْبَةٍ<sup>(٥)</sup>  
أَوْثَقُ مَنْ يُضْطَفَى عَرَاهُ وَإِنْ حَلَّ بَعِيدًا مَنْ حَلَّ فِي حَسْبَةٍ<sup>(٦)</sup>  
لَا يَصْبِرُ الْمُحَدَّثُ الْكَهَامُ وَلَوْ أَخْلَصَهُ الْهَالِكِيُّ مِنْ جَرِيَةٍ<sup>(٧)</sup>  
نَنْسَى أَيَادِيَ الزَّمَانِ فِينَا فَمَا نَذْكُرُ مِنْ دَهْرِنَا سِوَى نُوبَةٍ

(١) ديوان البحترى ٤ / ٢١٠٦ : « نحتويها ونذمه » .

(٢) م « يحيى دمعاً هذا » .

(٣) ديوانه ٣٠٢ ، ١ / ٢٤٢ دار المعارف .

(٤) م « لم ينصر المجد حين » .

(٥) م « الغنى » .

(٦) فى الديوان « بعيداً وأراك فى حسبه » ، « بعيداً شرواك فى حسبه » .

(٧) « من حربه » .

وفى اللسان ١٢ / ٣٩٨ « والهالكى : الحداد ، وقيل . الصيقل . قال ابن الكلبي : أول من عمل  
الحديد من العرب الهالك بن عمرو بن أسد بن خزيمه ، وكان حداداً نسب إليه الحداد ، فقيل : الهالكى » .

وقال :

أَيَذْهَبُ هَذَا الدَّهْرُ لَمْ يَرَ مَوْضِعِي      وَلَمْ يَذَرِ مَا مِقْدَارُ حَلِّي وَلَا عَقْدِي<sup>(١)</sup>  
 وَيَكْسُدُ مِثْلِي وَهُوَ تَاجِرُ سُودَدِ      يَبِيعُ ثَمِينَاتِ الْمَكَارِمِ وَالْحَمْدِ<sup>(٢)</sup>  
 سَوَائِرِ شِعْرِ جَامِعِ بَدَدِ الْعُلَى      تَعَلَّقْنَ مَنْ قَبْلِي ، وَأَتَعَبْنَ مَنْ بَعْدِي  
 يُقَدِّرُ فِيهَا صَانِعٌ مُتَعَمِّلٌ      لِأَحْكَامِهَا تَقْدِيرِ دَاوُدَ فِي السَّرْدِ<sup>(٣)</sup>  
 خَيْلِي لَوْ فِي الْمَرْخِ أَفْدَحُ إِذْ أَبَى      رِجَالُ مُوَاتَاتِي ، إِذَنْ لَحَبَا زَنْدِي<sup>(٤)</sup>  
 وَمَا عَارَضْتَنِي كُدَيْتُهُ دُونَ مَدْحِهِمْ      فَكَيْفَ أَرْنِي دُونَ مَعْرُوفِهِمْ أَكْدِي  
 أَضْرِبُ أَكْبَادَ الْمَطَايَا إِلَيْهِمْ      مُطَالِبَةً مِنِّي وَحَاجَاتُهُمْ عِنْدِي ؟

وهذا صِدْقُ أَبِي عِبَادَةَ عَنْ نَفْسِهِ ، وما كان له بد من أَنْ يَنْفِثَ ،  
 وما قال قولاً هو أَصْدَقُ من هذا .

وقال :

وَمَا جَهِلْتُ فَلَا تَجْهَلْ مُحَاجَزَتِي      لِصَاحِبِ الْبَابِ يَرْمِي عَنْهُ صَاحِبُهُ<sup>(٥)</sup>  
 الْأَرْضُ أَوْسَعُ مِنْ دَارِ الْظُّبَا      وَالنَّاسُ أَكْثَرُ مِنْ خِلِّ أَحَارِبِهِ<sup>(٦)</sup>  
 أَعَاتِبُ الْمَرْءَ فِيمَا جَاءَ وَاحِدَةً      ثُمَّ السَّلَامُ عَلَيْهِ لَا أَعَاتِبُهُ

(١) ديوان البحتری ١٨٢ ، ٢ / ٧٤٧ دار المعارف .

(٢) في الديوان « والمجد » .

(٣) سقط هذا البيت من طبعة بيروت .

(٤) المرخ : شجر كثير الوری سريعه ، كما في اللسان ٢٢/٣ وفي م « ذا الوری » .

(٥) ديوانه ٧٨٧ ، ١ / ٢٢٦ .

(٦) في الديوان « دار أظ بها . . . أكثر . . . أجاذبه » . وأظ بها : أقيم ، كما في اللسان

وَلَوْ أَخَفْتُ لَيْتِمَ الْقَوْمِ جَنْبِنِي      أَذَاتُهُ ، وَصَدِيقُ الْكَلْبِ ضَارِبُهُ  
وَلَنْ تُعِينَ أَمْرًا يَوْمًا وَمَسَائِلُهُ      مَا لَمْ تُعِنَهُ عَلَى حُرِّ ضَرَائِبِهِ<sup>(١)</sup>

وقال :

لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ أَصْدِقَاءُ      تَعُودُ عِدَا ، وَحَالَاتُ تَحُولُ<sup>(٢)</sup>  
وَقَدْ تَغْفُو الظُّنُونُ بِمَنْ يُرْجَى      فَتُخْلِفُ مِثْلَ مَا تَغْفُو الطُّلُولُ  
وَمَا فَقِدَ الْجَمِيلُ لِقُرْبِ عَهْدٍ      فَتَسْأَلُ عَنْهُ ، بَلْ نَسِيَ الْجَمِيلُ  
وَيَلُومُ سَائِلُ الْبُخْلَاءِ حِرْصًا      وَإِسْفَاقًا كَمَا لَوْمُ الْبَخِيلِ<sup>(٣)</sup>

وقال :

لَمْ أَلْقَ مَقْدُورًا عَلَى اسْتِحْقَاقِهِ      فِي الْحِظِّ إِمَّا نَاقِصًا أَوْ زَائِدًا<sup>(٤)</sup>  
وَعَجِبْتُ لِلْمَخْدُودِ يُحْرَمُ نَاصِبًا      كَلِفًا ، وَلِلْمَجْدُودِ يَغْنَمُ قَاعِدًا  
وَتَفَاوَتْ الْأَرْزَاقُ فِيمَا بَيْنَهُمْ      لَا يَأْتِلِينَ نَوَازِلًا وَصَوَاعِدًا  
مَا خَطَبُ مَنْ حُرِمَ الْإِرَادَةَ وَادْعَا      خَطَبُ الَّذِي حُرِمَ الْإِرَادَةَ جَاهِدًا<sup>(٥)</sup>

وهذا كله في غاية الجودة والحسن والصحة والبراعة والحلاوة .

\*\*\*

فأقول في الموازنة بينهما : إنها<sup>(٦)</sup> أحسنا جميعاً في هذا الباب وأجادا ،  
وأجعلهما متكافئين مع ما فيه لأني تمام من الإساءة .

(١) في الديوان « إن لم تعنه » هنا وقد سها الناسخ فأعاد هنا كتابة تعليق الآمدي على الأبيات السابقة .

(٢) ديوانه ٣٠١ « في كل دهر » .

(٣) م « وإسفاقاً » .

(٤) ديوانه ٦٤٦ ، ٢ / ٨٢١ دار المعارف .

(٥) م « خطت الذي » !

(٦) م « أيهما » .

## ما قالاه في طلب الرزق والنهوض إليه

قال أبو تمام :

سَبَبْتُ الرُّكَّابَ وَرَاكِبِيهَا فَتَى كَالسَّيْفِ هَجَعْتُهُ غَرَارُ<sup>(١)</sup>  
أَطْلُ عَلَى كُلِّ الْآفَاقِ حَتَّى كَأَنَّ الْأَرْضَ فِي عَيْنَيْهِ دَارُ<sup>(٢)</sup>

غَرَار : قليل . وهذا البيت حسن جدًا ، ولو كان في مدح خليفة ضبط الدنيا ، وأحسن سياستها ، ومراعاة كل ناحية منها - كان أحسن وأليق .

وإنما سرق المعنى من قول منصور النمرى بمدح الرشيد :

وَعَيْنٌ مُحِيطٌ بِالْبَرِّيَّةِ طَرَفُهَا سَوَاءٌ عَلَيْهِ قَرَبُهَا وَبَعِيدُهَا

وقال :

سَلِيَ هَلْ عَمَرْتُ الْقَفْرَ وَهُوَ سَبَّاسِبُ<sup>(٣)</sup> وَغَادَرْتُ رَبْعِي مِنْ رِكَابِي سَبَّاسِبًا<sup>(٤)</sup>  
تَغَرَّبْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ ذِكْرَ مَشْرِيقٍ وَشَرَقْتُ حَتَّى قَدْ نَسِيتُ الْمَغَارِبَا<sup>(٤)</sup>

(١) ديوان أبي تمام ١٤١ وفي شرح التبريزي ١٥٥ / ٢ عن المعري « هذا معنى لطيف ، وهو نحو من التورية ، لأنه ذكر السيف ، ثم ذكر الغرار ، وهو يريد به النوم القليل ، والسيف له غرار . فهذا المعنى الذي قصده الطائي » .

(٢) م « على طلي » وقال المعري - فيما نقل التبريزي - : « كل : جمع كلية ، واستعارها للآفاق ؛ لأن من اطلع على كلية الشيء فقد خبره ، إذ كانت الكلية لا تكون إلا في الباطن » .

(٣) ديوانه ١٧ وشرح التبريزي ١٤٧/١ « والركاب : الإبل المركوبة . والسبابسب : القفر من الأرض . يقول : غمرت القفر بسفري ، وصار منزلي كالقفر لتركى له » . وفي م « وهى » .

(٤) في التبريزي « وغربت » .

خُطُوبٌ إِذَا لَا قَيْتُهُنَّ رَدَدَنِي جَرِيحًا كَأَنِّي قَدْ لَقِيتُ الْكَتَائِبَا<sup>(١)</sup>  
وَمَنْ لَمْ يُسَلِّمْ لِلنَّوَائِبِ أَصْبَحَتْ خَلَائِقُهُ طُرًّا عَلَيْهِ نَوَائِبَا  
وَقَدْ يَكْهَمُ السَّيْفُ الْمُسَمَّى مَنِيَّةً وَقَدْ يَرْجِعُ الْمَرْءُ الْمُظْفَرُ خَائِبَا  
فَاقَةُ ذَا أَنْ لَا يُصَادِفَ صَارِمًا وَاقَةُ ذَا أَنْ لَا يُصَادِفَ ضَارِبًا<sup>(٢)</sup>  
قوله : « فاقَةُ ذَا أَنْ لَا يُصَادِفَ صَارِمًا » - ليس بالجيد ؛ لأن الشجاع

المظفر قد يقطع السيف الكَهَامُ في يده ، ألا ترى إلى قول البحترى :  
وَمَا السَّيْفُ إِلَّا بَزْ غَادٍ لِرِزْنَةٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ أَمْقَى مِنَ السَّيْفِ حَامِلُهُ<sup>(٣)</sup>  
وكان الأجود له أن يقول : فاقَةُ ذَا أَنْ لَا يُصَادِفَ مَغْنَمًا ، أو مَضْرِبًا .  
يعنى المرء المظفر . وفاقَةُ ذَا أَنْ لَا يُصَادِفَ ضَارِبًا . يعنى السيف ؛ لأنه قد  
جعل آفته في أن صارَ كَهَامًا (أى) أنه لم يجد ضاربًا يضرب به . ولم يذهب  
إلى نحو قول الفرزدق :

كَذَلِكَ سَيْفُ الْهِنْدِ تَنْبُو ظُبَاتُهَا وَتَقْطَعُ أَحْيَانًا مَنَاطَ الْقَلَائِدِ<sup>(٤)</sup>  
لأن هذا معنى آخر .

\*\*\*

وقال أبو تمام :

وَأُخْرَى لَحَنَتْنِي حِينَ لَمْ أَتَّبِعِ الْهُوَى قِيَادِي ، وَلَمْ يَنْقُضْ زَمَاعِي نَاقِضُ<sup>(٥)</sup>  
أَرَادَاتِ بَلَّانٍ يَحْوِي الرِّغِيَّاتِ وَادِعُ وَهَلْ يَفْرُسُ اللَّيْثُ الطَّلِي وَهُوَ رَابِضُ  
وهذا بيت الباب كله . فإنه لا يمر فيه أجود منه ، ولا أليق ، ولا أحسن .

(١) ويرى : « لقيت كتائبًا » .

(٢) راجع روايات البيت في شرح التبريزي وهامشه ١ / ١٤٨ .

(٣) ديوانه ٥٢ وفي م « إلا ابن غاد » .

(٤) ديوانه ١٨٦ « ويقطن أحياناً نياط » .

(٥) ديوانه ١٨٣ وشرح التبريزي ٢٩٦/٢ « لم أسع الهوى » .



وعلى أنه معنى مأخوذ من مَثَلٍ لِلْأَسَدِ : قيل له : لم أنت غليظ. الرقبة ؟  
فقال : لا أَلْزَمُ خِذْرِي وَأَتَكَلُّ فِي فَرِيَسَتِي عَلَى غَيْرِي .  
وقد سمعت فيه شعراً أيضاً منظوماً ، ولكن أبا تمام أحسن العبارة عن المعنى جداً .

\*\*\*

وقال :

إِنَّ خَيْرًا [مِمَّا] رَأَيْتُ مِنَ الصَّفِّ حِجْرٍ عَنِ النَّائِبَاتِ وَالْإِغْمَاضِ :<sup>(١)</sup>  
غُرْبَةً تَقْتَدِي بِغُرْبَةِ قَبِيْسٍ بِنْ زُهَيْرٍ وَالْحَارِثِ بْنِ مُضَاضِ  
غَرَضِي نَكْبَتَيْنِ مَافَتَلَا رَأْيَا فَخَافَا عَلَيْهِ نَكْتُ أَنْتِقَاضِ<sup>(٢)</sup>  
مَنْ أَبْنَى الْبُيُوتَ أَصْبَحَ فِي ثَوْبِ بِنْ الْعَبِيشِ لَيْسَ بِالْفَضْفَاضِ  
وَأَلْفَتَنِي مَنْ تَعَرَّفَتْهُ اللَّيَالِي وَالْفَيَافِي كَالْحَبَّةِ النَّضْنَاضِ<sup>(٣)</sup>  
صَلَتَانِ أَعْدَاؤُهُ حَيْثُ حَلُّوا فِي حَدِيثٍ مِنْ ذِكْرِهِ مُسْتَفَاضِ<sup>(٤)</sup>  
كُلُّ يَوْمٍ لَهُ بِصَرْفِ اللَّيَالِي فَتَكَّةٌ مِثْلُ فَتَكَةِ الْبَرَّاضِ  
أَبْنَى الْبُيُوتَ : أقام بها وَلَزِمَهَا . وَالْفَضْفَاضُ : الواسع . وَالْحَبَّةُ النَّضْنَاضُ :  
هو الخفيف الكثير الحركة .

وقد عيب عليه قوله : « مُسْتَفَاض » ، وقالوا : إنما هو مستفيض ، وقيل :  
إنه أراد مستفاض فيه ، وليس ذلك بشيء<sup>(٥)</sup> .

(١) ديوان أبي تمام ١٨٧ وشرح التبريزي ٣٠٩ / ٢ .

(٢) ويرى « غرضاً » .

(٣) تعرفته الليالي : أخذت ما عليه من اللحم ، وهم يثنون على الهزال إذا كان في طلب المجد والسمو ويذمون السنن . كما في شرح التبريزي ٣١١ / ٢ .

(٤) في التبريزي « من عزمه » وصلتان : ماض في أمره .

(٥) نقل التبريزي عن المعري : « وأهل اللغة يزعمون أن الصواب أن يقال : حديث مستفيض ، والقياس لا يمنع أن يقال : مستفاض ، وهو من فيض الماء ، فإذا قيل : مستفيض فعناه منتشر ، وإذا قيل مستفاض فعناه منشور » .

وقد قاله البحرى أيضًا في قصيدته التى على هذا الوزن :  
 أَفَرَطْتُ لَوْنَهُ ابْنِ أَيُّوبَ وَالشَّاءِ نِعْمُ مِنْ ذِكْرِ أَفْنِهِ الْمُسْتَفَاضِ<sup>(١)</sup>  
 وقد نطق بها غير واحد من المتأخرين . وهى رديئة .

وذكرها «الطُّرْمَاحُ» على غير هذا الوجه ، فقال يصف حمار وحش :  
 وَيُظَلُّ الْمَلِيءُ يُوفِي عَلَى الْقَرِّ نِ عَدْوًا كَالْحُرْصَةِ الْمُسْتَفَاضِ<sup>(٢)</sup>  
 القرن : الجيل . عَدْوًا : رافعًا رأسه لا يذوق شيئًا .

شبهه بالحُرْصَةِ ، وهو رجلٌ يجيئ به أصحابُ الميسر ، رَذُلٌ من الرجال  
 ساقط . ، ويشدون عينه ، ويدفعون إليه القِدَاحَ فيفيض بها لهم ، فقيل  
 له : الْمُسْتَفَاضُ ؛ لأنه جعله مفيضًا . والإفاضة بالقдах هى أن يدفعها دفعة  
 واحدة من الرِّبَابَةِ إلى قُدَّام ، فيخرج من مَخْرَجِهَا الضيق قَدَحٌ واحد ، ويقوم  
 الرقيب فيأخذه ، وينظر : فإن كان لاحظ له رَدَهُ إلى الرِّبَابَةِ ، و [قال]   
 للحُرْصَةِ : أَعَدَّ الْجَلْجَلَةَ وَالْإِفَاضَةَ ، وإن كان السهم من ذوات الحظوظ دفعه  
 إلى صاحبه وقال له : اعتزل . فإن كان القَدْحُ أَخَذَ نصيبًا واحدًا وهو عُشْرُ  
 الجزور ، وإن كان غيره أَخَذَ على قدر أنصبائه .

ولقيس بن زهير ، والحرث بن مُضَاض [فى] اغترابهما حديث ،  
 وكذلك لِلْبِرَّاضِ فى فَتَكَتِهِ . وَأَنَا أَذْكَرُ جَمِيعِ ذَلِكَ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْ [هذا]<sup>(٣)</sup>  
 الباب بإذن الله .

\*\*\*

( ١ ) ديوان البحرى ٣٩٢ « من أفن رأيه » .  
 ( ٢ ) اللسان ٤٠٤ / ٨ والمعاني الكبير ١١٤٩ / ٣ والميسر والقдах ١٢٩ وجمهرة أشعار العرب  
 ١٩١ « الملىء : للقادر » وفى م « طوقًا » .  
 ( ٣ ) م « الفراغ بابا من الباب » .

وقال أبو تمام :

أَعَاذِلْتَا : مَا أَحْشَنَ اللَّيْلَ مَرْكَبًا وَأَخْشَنُ مِنْهُ فِي اللَّيْلِمَاتِ رَاكِبُهُ<sup>(١)</sup>  
دَعَيْنِي وَأَهْوَالَ الزَّمَانِ أَعَانِيهَا فَأَهْوَالُهُ الْعُظْمَى تَلِيهَا رَغَائِبُهُ<sup>(٢)</sup>  
أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّ الزَّمَاعَ عَلَى السَّرَى أَخْوَالُ النَّجَحِ عِنْدَ النَّائِبَاتِ وَصَاحِبُهُ؟<sup>(٣)</sup>  
دَعَيْنِي عَلَى أَخْلَاقِي الصَّمُّ لِلَّتِي هِيَ الْوَقْرُ ، أَوْ سِرْبُ تُرْنٍ نَوَادِبُهُ<sup>(٤)</sup>  
فَإِنَّ الْحُسَامَ الْهَنْدَوَانِيَّ إِنَّمَا خُشُونَتُهُ مَا لَمْ تُقْلَلْ مَضَارِبُهُ  
وَقُلُقَلْ نَائِيٍّ مِنْ خُرَّاسَانَ جَاشَهَا فَقُلْتُ أَطْمَئِنِّي أَنْضِرُ الرُّوضُ عَازِبُهُ<sup>(٥)</sup>  
وَرَكِبِ كَأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ عَرَّسُوا عَلَى مِثْلِهَا ، وَاللَّيْلُ تَسْطُو غِيَابُهُ  
لَأَمْرِ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ صُدُورُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهُ

وَحَسْبُكَ بِهَذَا كُلُّهُ جُودَةٌ وَحَسَنًا .

وهذا البيت الأخير إنما أخذ معناه من قول الشاعر ، وأنشده في  
الحماسة :

فَكَانَ عَلَى الْفَتَى الْإِقْدَامُ فِيهَا وَلَيْسَ عَلَيْهِ مَا جَنَّتِ الْمُنُونُ<sup>(٦)</sup>

(١) ديوان أبي تمام ٤٣ وشرح التبريزي ١ / ٢٢٤ .

(٢) أعانها : أقامها .

(٣) في شرح التبريزي : « الزماع : المضاء على الأمر . يقول : ألم تعلمي أن من باشر الأسفار وترك الخفض وابتذل نفسه - أبحج ونال الطلبة ؟ »

(٤) م « اخلاقي الضمر التي » ويروي « الصمل » أي الشديدة : والوفر : المال . يقول : دعيني أرتحل . فإما أن أتمول وإما أن يقوم على سرب نساء يتدبن .

(٥) يقول : « أحزنها بعدى إلى خراسان ، فقلت اسكني فإن الروض أنضره ما بعد ولم يكن قريبا

فيقال » .

(٦) سبق تخريجه في الجزء الأول ص ٢١ .

وقال [أبو تمام] وسبيله أن يقدم في أول الباب ؛ لأنه من إحسانه

المشهور :

وَلَكِنِّي لَمْ أَخَوِ وَفَرًّا مُجْمَعًا فَفُزْتُ بِهِ إِلَّا بِشَمْلٍ مُبَدَّدٍ<sup>(١)</sup>  
وَلَمْ تُعْطِنِي الْأَيَّامُ نَوْمًا مُسَكَّنًا أَلَدُّ بِهِ إِلَّا بِنَوْمٍ مُشَرَّدٍ  
وَطُولُ مَقَامِ الْمَرْءِ فِي الْحَيِّ مُخْلِقٌ لِدِيَابِجَتَيْهِ فَاغْتَرِبَ تَتَجَدَّدُ  
فَإِنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ زِيدَتْ مَلَاَحَةً إِلَى النَّاسِ أَنْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدٍ  
قوله : « لَمْ أَخَوِ وَفَرًّا مُجْمَعًا ... إِلَّا بِشَمْلٍ مُبَدَّدٍ » يريد أنه لم  
يَخَوِ ذلك إِلَّا فِي الْغُرْبَةِ مَعَ مَفَارِقَةِ وَطْنِهِ وَأَحْبَابِهِ ، وأنه لم يَنَمْ نَوْمًا مُسَكَّنًا  
إِلَّا بَعْدَ نَوْمٍ مُشَرَّدٍ فِي الْأَسْفَارِ . وهذا مبني على قول عُرْوَةَ بْنِ الْوَرْدِ :

\* وَلَمْ تَدْرِ أَتَى لِلْمَقَامِ أَطْوَفُ \*<sup>(٢)</sup>

وقوله : « فَإِنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ » ... مَسْرُوقٌ مِنْ قَوْلِ الْكَمِينِ :

\* وَلَوْ لَمْ تَغِبْ شَمْسُ النَّهَارِ لَمَلَّتِ \*

وقال أبو تمام :

هَنَّ الْبَجَارِيُّ [ أ ] يَا بُجَيْرُ أَهْدَى لَهَا الْأَبْوَسُ الْغَوِيرُ<sup>(٣)</sup>  
يَوْمَ مَقَامٍ عَلَى وَفَارٍ وَسَائِرَ الدَّهْرِ فِيهِ سَيْرُ  
فِي ثُبَّةٍ إِنْ سِرْنَ جُنَّ أَوْ يَمَمُوا شُقَّةً فَطِيرُ  
قَدْ ضَجَّ مِنْ فَعْلِهِمْ جَدِيلُ بِنَسْلِهِ وَأَشْتَكِي غُرِيرُ  
هَذَا عُبَيْدٌ ، وَذَا زِيَادُ وَذَا لَبِيدٌ ، وَذَا زُهَيْرُ  
يَا لَكَ مِنْ هِمَّةٍ وَعَزَمٍ لَوْ أَنَّهُ فِي عَصَاكَ سَيْرُ

(١) ديوان أبي تمام ١٠٠ وشرح التبريزي ٢ / ٢٣ .

(٢) الكامل ١ / ١٧٣ وعيون الأخبار ١ / ٢٣٤ والصناعتين ٢٢٠ وصدرة : « تقول سليبي :

لو أفتت بأرضنا » .

(٣) سبق في الجزء الأول ص ٢٥ .

رُبَّ قَلِيلٍ جَدًّا كَثِيرٌ كَمْ مَطَرٍ بَدُوهُ مُطِيرٌ  
صَبْرًا عَلَى النَّائِبَاتِ صَبْرًا مَا صَنَعَ اللَّهُ فَهُوَ خَيْرٌ

فهذه معان مستقيمة صحيحة ، ونسج جيد ، ولفظ حسن إلا قوله :  
« هُنَّ الْبَجَارِيُّ يَا بُجَيْرٌ » ، فإنه لفظ متعسف مستكره . والبجاري : جمع  
بُجْرِيَّة وهو ما يمر بالإنسان<sup>(١)</sup> من البُجْرِ والمَصَائِب . من قوله عليه السلام :  
« أَشْكُو إِلَى اللَّهِ عُجْرِي وَبُجْرِي » فالبُجْرُ : جمع بُجْرَة .

ثم قال : « أَهْدَى لَهَا الْأَبْوُسَ الْغَوِيرُ » . وهذا هو المثل : « عَسَى  
الْغَوِيرُ أَبْوُسًا »<sup>(٢)</sup> .

يقول : جاءها البؤس من حيث لم تعلم أن هناك بؤسًا .<sup>(٣)</sup> والْبَجَارِيُّ  
هى البؤس أنفسها . فكان ينبغى أن يقول : أَهْدَى لى الْأَبْوُسَ الْغَوِيرَ ،  
لا أَهْدَى لَهَا .

وإن كان أراد أَهْدَى لَهَا يعنى نفسه ، ولم يجر لها ذكر فهو ردىء .

\*\*\*

وقال البحتري :

وَأَحَبُّ آفَاقِ الْبِلَادِ إِلَى الْفَتَى أَرْضُ [يِنَال] بِهَا كَرِيمَ الْمَطْلَبِ<sup>(٤)</sup>  
كَمْ مَشْرِقٍ قَدْ نَقَلْتُ نَوَالَهُ فَجَعَلْتُهُ لِي عُدَّةً فِي الْمَغْرِبِ

(١) م « ما يمر الإنسان من البحرى » .

(٢) مجمع الأمثال ١٧ / ٣ وجمهرة الأمثال ١٤٣ .

(٣) م « بؤس » .

(٤) ديوان البحتري ١٢٣ ، ١ / ٢٨٣ وفى م « وأحق » .

وقال :

أُمْسِي زَمِيلًا لِلظَّلَامِ وَأَعْتَدِي رَدْفًا عَلَى كَفَلِ الصَّبَاحِ الْأَشْهَبِ<sup>(١)</sup>  
فَأَكُونُ طَوْرًا مَشْرِقًا لِلْمَشْرِقِ الذِّ أَقْصَى ، وَطَوْرًا مَغْرِبًا لِلْمَغْرِبِ<sup>(٢)</sup>  
وَلِذَا الزَّمَانُ كَسَاكَ حُلَّةَ مُعْدِمٍ فَالْبَسَ لَهَا حُلَّ النَّوَى وَتَغَرَّبَ  
وَلَقَدْ أَبَيْتُ مَعَ الْكَوَكِبِ رَاكِبًا أَعْجَازَهَا بِعَزِيمَةٍ كَالْكَوْكَبِ  
وَاللَّيْلُ فِي لَوْنِ الْغُرَابِ كَأَنَّهُ هُوَ فِي حُلُوكِهِ وَإِنْ لَمْ يَنْعَبِ  
حَتَّى تَبْدَى الصُّبْحُ مِنْ جَنَابَتِهِ كَالْمَاءِ يَلْمَعُ فِي خِلَالِ الطُّحْلِبِ<sup>(٣)</sup>  
وَالْعِشَّ تَنْصَلُّ مِنْ دُجَاهٍ كَمَا أَنْجَلَى صَبَغُ الشَّبَابِ عَنِ الْقَذَالِ الْأَشْيَبِ<sup>(٤)</sup>

وهذا من إحسان أبي عبادة الذي يتقدم على [كل] إحسان في

معناه .

وما قيل في وضوح الصبح أجود ولا أَلطف معنى ، ولا أبرع من قوله :  
« كالماء يلمع في خِلَالِ الطحلب » .

وقوله : « فَأَكُونُ طَوْرًا مَشْرِقًا لِلْمَشْرِقِ الْأَقْصَى » - أجود من قول  
أبي تمام :

« تَغَرَّبْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ ذَكَرَ مَشْرِقٍ » ؛ لَأَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ لَا يَكُونَ سَمْعٌ<sup>(٥)</sup>  
أَهْلَ بِلَدٍ يَذْكُرُونَ الْمَشْرِقَ ، وَلَيْسُوا جُهَاًلًا بِهِ .

(١) ديوان البحري ٦٠١ ، ١ / ٧٩ دار المعارف .

(٢) سبق ص ٢٦٣ .

(٣) في الديوان « حتى تجل الصبح في جنباته . . من وراه الطحلب » وفي م « في ظلال الطحلب » .

(٤) في الديوان « والعين تنصل » .

(٥) م « يسمع » .

وقوله : « حتى قد نسيتُ المَغَارِبَا » . يجوز أن ينساها فلا يذكرها ، وأن ينسى أباه فلا يذكره ، وليس ماله بـ « بـروى »<sup>(١)</sup> ، لأن غرضه فيه معروف ، ولكن قول البحترى أجود .

وقال البحترى :

أَشْرُقُ أَمْ أَغْرَبُ يَا سَعِيدُ      وَأَنْقُصُ مِنْ زَمَاعِي أَمْ أَزِيدُ<sup>(٢)</sup>  
عَدَنِي عَنْ نَصِيبَيْنِ الْعَوَادِي      فَحَطَّيْتُ أَبْلَهُ فِيهَا بَلِيدُ<sup>(٣)</sup>  
أَرَى الْحِرْمَانَ أَبْعَدُهُ قَرِيبُ      بِهَا ، وَالنُّجَحَ أَقْرَبُهُ بَعِيدُ  
تَقَادَفُ بِي بِلَادٌ عَنْ بِلَادٍ      كَأَنِّي بَيْنَهَا خَيْرٌ شُرُودُ<sup>(٤)</sup>

قوله : « خيرٌ شُرُود » - معنى غريب طريف .

وقال :

وإِنَّ أَغْتَرَابَ الْمَرْءِ فِي غَيْرِ بُغْيَةٍ      يُطَالِبُهَا مِنْ حَيْفِ دَهْرٍ يُطَالِبُهُ<sup>(٥)</sup>  
فَلَيْسَ بِمَعْدُورٍ إِذَا رُدَّ سِرُّهُ      عَلَيْهِ بِأَنْ تَغْيَا عَلَيْهِ مَذَاهِبُهُ  
وَيُعْطِيهِ مُرْجُوُّ الْعَوَاقِبِ مُسْرِعًا      إِلَيْهِ رَكُوبُ الْأَمْرِ تُخْشَى عَوَاقِبُهُ  
أَرْجَى وَمَا نَقَعَ الرَّجَاءُ إِذَا أَلْتَقَتْ      مَنَاحِسُ أَمْرِ مُجْهِفٍ وَمَعَاطِبُهُ  
وَمِمَّا يُعْنَى النَّفْسُ كُلُّ عَنَائِهَا      تَوْقُعُهَا الصُّنْعَ الْبَعِيدَ تَقَارِبُهُ<sup>(٦)</sup>

وهذا البيت يصلح أن يكون في باب الصبر والقناعة ، ومعناه من أتقن المعاني وأحسنها .

(١) كذا بالأصل ولعلها « وليس ما قاله بردى » .

(٢) ديوان البحترى ٤١٤ ، ١ / ٥٨٠ وسبق الأول ص ٢٣٤ .

(٣) في الديوان « فقلبي أبله » ، « فنجى أبله » .

(٤) وفيه « جمل شرود » .

(٥) ديوانه ٥٨٨ ، ١ / ٢١٩ .

(٦) في الديوان « الصنع البطى » .

وقال :

عَسَتْ الإِضَافَةُ أَنْ تَنَالَ بِهَا سَعَةً وَنَكَلَ ضَارِبًا شِبَعُهُ<sup>(١)</sup>  
وَالْفَسْلُ تَسْلُبُهُ عَزِيمَتُهُ أَذْنَى وَجُودٍ كِفَايَةٍ تَسْعُهُ<sup>(٢)</sup>  
لَا يَلْبَثُ الْمَمْنُوعُ تَطْلُبُهُ حَتَّى يَثُوبَ إِلَيْكَ مُمْتَنِعُهُ<sup>(٣)</sup>  
وَالنَّيْلُ دَيْنٌ تَسْتَرْقُ بِهِ فَارْتَدَّ لِرِقِّكَ عِنْدَ مَنْ تَصْعُهُ<sup>(٤)</sup>  
قوله : « نَكَلَ ضَارِبًا شِبَعُهُ » . أى أَقْعَدَهُ حَتَّى نَكَلَ عَنِ الْمَطْلَبِ .

\*\*\*

وقال :

أَسِيرٌ إِذْ كُنْتُ فِي طَوْلِ الْمَقَامِ بِهَا أَكْدَى لَعَلِّي أَجْدَى عِنْدَ مُرْتَحِلِي<sup>(٥)</sup>  
وَرُبَّمَا حُرِمَ الْغَازُونَ غُنْمَهُمْ فِي الْغَزْوِ ، ثُمَّ أَصَابُوا الْغَنَمَ فِي قَفْلٍ<sup>(٦)</sup>  
شَرْقٍ وَغَرْبٍ فَعَهْدُ الْعَاهِدِينَ لِمَا . طَالَبْتَ فِي ذِمْلَانِ الْإِيْنَتِ الدُّمْلِ<sup>(٧)</sup>  
وَلَا تَقُلْ أُمَمٌ شَتَّى وَلَا نَسَقٌ فَالْأَرْضُ مِنْ تَرْبَةٍ ، وَالنَّاسُ مِنْ رَجُلٍ<sup>(٨)</sup>  
قوله : « وَلَا تَقُلْ أُمَمٌ شَتَّى وَلَا نَسَقٌ » . أى لَا يَصُدُّكَ عَنِ السَّفَرِ أَنْ  
تَقُولَ : كَيْفَ أَلَاقَى أُمَمًا مُتَفَرِّقِينَ مُتَبَاعِدِينَ ، غَيْرَ مُقْتَرِنِينَ ، وَلَا مُتَسِقِينَ ،  
وَأَتَرَكَ أَهْلِي وَبَلَدِي ؛ فَإِنْ تَرْبَةُ الْأَرْضِ وَاحِدَةٌ ، وَالنَّاسُ أَبْنَاءُ رَجُلٍ وَاحِدٍ .

وصدر هذا البيت ردىء ، وعجزه فى غاية الحسن والبراعة .

\*\*\*

( ١ ) سقط هذا البيت من الديوان ص ٢٣٧ . وهو فى طبعة مصر ٢ / ٨٣ .

( ٢ ) فى طبعتى الديوان « فاطلب لرقك » .

( ٣ ) ديوان البحرى ٢٢٧ .

( ٤ ) فى الديوان « فى القفل » .

( ٥ ) فى الديوان « بما طاليت » .

( ٦ ) م « شتى ولا فرق » .



ولولا أن محاسن أبي تمام في هذا الباب هي أبياته الأربعة والجميع من معانيها مَسْرُوقَةٌ - لفضّلته على البحترى إلا في بيت الطحلب فإنّه معنى ما علمتُ أحداً سَبَقَ إليه ، ولا قيل في وضوح الصبح أبرع منه . فأجعلهما متكافئين .

## ومما \* ذكر فيه سرى الإبل

قال أبو تمام :

لَا تُذِيلُنْ صَغِيرَ هَمِّكَ وَانْظُرْ      كَمْ بَدَى الْأَثَلِ دَوْحَةً مِنْ قَضِيبِ<sup>(١)</sup>  
رُبَّ خَفْضٍ تَحْتَ السَّرَى وَغَنَاءٍ      مِنْ عَنَاءٍ ، وَنَضْرَةٍ مِنْ شُحُوبِ  
فَانْسَأِلِ الْعَيْسَ مَا لَتَيْنِهَا وَأَلْفَ      بَيْنَ أَشْبَاحِهَا وَبَيْنَ الشُّهُوبِ<sup>(٢)</sup>

وقال :

فَتَى النَّكَبَاتِ مَنْ يَأْوِي إِذَا مَا      قَطَفَنَ بِهِ إِلَى خُلُقٍ وَسَاعِ<sup>(٣)</sup>  
يُثِيرُ عَجَاجَةً فِي كُلِّ ثَغْرِ      يَهِيمُ بِهَا عَدِيُّ بْنُ الرَّقَاعِ  
أَبْنٌ مَعَ السَّبَاعِ الْمَاءِ [حَتَّى]      لَخَالَتَهُ السَّبَاعُ مِنَ السَّبَاعِ  
فَلَبَّ الْحَزْمَ إِنْ حَاوَلْتَ يَوْمًا      بَأَنَّ تَسْطِيعَ غَيْرِ الْمُسْتَطَاعِ<sup>(٤)</sup>  
فَلَمْ تَرْحَلْ كَنَاجِيَةِ الْمَهَارَى      وَلَمْ تُرَكِّبْ هُمُومَكَ كَالزَّرْمَاعِ

قوله : « قَطَفَنَ » أى أبطأ فى الانصراف والانكشاف عنه ، وتشافقن فى المضى ، مأخوذ من قولهم : دابة قُطُوفٌ ، وهو الذى يقصر خطوه فيبطل ذهابه .

\* م « وما » .

( ١ ) ديوان أبى تمام ٣٦ وشرح التبريزى ١ / ١٢٦ - ١٢٧ .

( ٢ ) ويروى : « بين أشخاصها » .

( ٣ ) ديوانه ١٩٣ وشرح التبريزى ٢ / ٣٣٦ ويروى « أطقن » يقول : « هو صاحب النكبات والشدائد يرتكبها ويأوى إلى خلق واسع إذا ضيق من مذاهبه وأطعن به » .

( ٤ ) م « فليت الحزم » وفى شرح التبريزى « ويروى : قلب الحزم ، يقول : إنه أردت أن تقدر على مالا يقدر عليه ، فأوجب عزمك واتمه ولا تخالفه ، فإن الحزم يؤدبك إلى النجاح . . . وقال المرزوق .. معنى البيت : أجب الحزم وعليك به فيما تطلبه من المهمات . فإن الحزم يمين على كل شيء حتى على مالا يتأتى ولا يسهل » .

يقول : فإنه مع هذه الحال يأوى إلى خلق واسع ، وصبر على المِحَن حتى تنكشف .

وقوله : « يُثِيرُ عَجَاجَةً فِي كُلِّ ثَغْرِ » . أى يبطأ كل بلدة مَخُوفَةً ، وتثير مطيئته غبار كل بقعة . ونسب العجاجة إلى عَدِيَّ بن الرَّقَاع لِأَن عَدِيًّا وصف العَيْرَ وَالْأَتَانَ وما يُثِيرَانِهِ مِنَ الْغَبَارِ فِي السَّهْلِ مِنَ الْأَرْضِ ، فَإِذَا صَارَا إِلَى الْحَزَنِ لَمْ يَوْجَدْ لَهَا فِيهِ نَقْعٌ ، فَشَبَّهَ بِمَلَأَةٍ يَنْشُرَانِهَا مَرَّةً ، وَيَطْوِيَانِهَا أُخْرَى فقال :

يَتَعَاوَرَانِ مِنَ الْغُبَارِ مُلَاعَةً سَوْدَاءَ دَاجِيَةٍ هُمَا نَسَجَاهَا<sup>(١)</sup>  
تَطْوِي إِذَا عَلَوَا مَكَانًا نَاشِرًا وَإِذَا السَّنَابِكُ أَسهَلَتْ نَشْرَاهَا  
وهذا من تشبيهات العرب الموصوفة . فجعل أبو تمام عَدِيًّا مِمَّنْ هَامَ بِهِذِهِ الْعَجَاجَةُ ، أَيْ بَوَصَفَهَا إِعْجَابًا بِهَا ، وَأَن نَاقَتَهُ أَيْضًا تُثِيرُ عَجَاجَةً فِي كُلِّ نَاحِيَةِ كَهَذِهِ الْعَجَاجَةِ .

وهذا تمحل منه لمعنى غير لائق بما هو بسبيله من ذِكْرِ سَيْرِهِ ؛ لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ أَرَادَ أَنَّهُ أَيْضًا يثير النَّقْعَ فِي السَّهْلِ ، وَلَا يثيره فِي الْحَزَنِ فَكُلُّ سَائِرٍ فِيهِمَا هَذِهِ حَالُهُ ، فَمَا وَجَّهَ ذِكْرَهُ عَجَاجَةً عَدِيٍّ ، وَإِنَّمَا حَسَنَ مِنْ عَدِيٍّ ، وَصَحَّ التَّشْبِيهُ لِأَنَّ الْجِمَارَ إِذَا طَلَبَ الْأَتَانَ فَلَيْسَ يَجْرِيَانِ عَلَى اسْتِقَامَةٍ بَلْ تَرَاهُمَا بَيْنَاهُمَا فِي الْحَزَنِ صَارَا إِلَى السَّهْلِ ، ثُمَّ يَعُودَانِ إِلَى الْحَزَنِ ، فَتَرَاهُمَا مُسْهَلَيْنِ وَمُحْزَنَيْنِ لِحَوْلَانِيهِمَا ، فَتَرَى عَجَاجَتَهُمَا تَثُورُ حِينًا ، وَتَلْبَدُ حِينًا ، فَصَحَّ التَّشْبِيهُ وَحَسَنَ . وَالْمَسَافِرُ إِنَّمَا يَمُرُّ عَلَى سَنَنِ وَاحِدٍ فَلَيْسَ يَكَادُ يَخْرُجُ مِنْ سَهْلٍ إِلَى حَزَنٍ ؛ وَمَنْ حَزَنَ إِلَى سَهْلٍ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ تَدْرِكُهُ

(١) الطرائف ٩٦ وأمالى المرتضى ١٠٣/١ ونقد الشعر ٤٢ ومعجم الشعراء ٢٥٣ وفى م ونشرهما .

منه العيون فيكون الغبار مشبهًا للملأعة تنشر وتطوى . وإنما يقع ذلك في أوقات متراخية يسقط . معها هذا المعنى .

\*\*\*

وقال أبو تمام :

وَرَكِبَ يُسَاقُونَ الرُّكَّابَ زُجَاجَةً مِنْ السَّيْرِ لَمْ تَقْصِدْ لَهَا كَفَّ قَاطِبٍ<sup>(١)</sup>  
فَقَدْ أَكَلَتْ مِنْهَا الْغَوَارِبُ بِالسُّرَى وَصَارَتْ لَهَا أَشْبَاهُهُمْ كَالْغَوَارِبِ<sup>(٢)</sup>  
يَرَى بِالْكَعَابِ الرُّودَ طُلُوعَ ثَائِرٍ وَبِالْعَرْمِيسِ الْوَجْنَاءَ غُرَّةَ آيِبٍ<sup>(٣)</sup>  
كَأَنَّ بِهِ ضِغْنًا عَلَى كُلِّ جَانِبٍ مِنْ الْأَرْضِ ، أَوْ شَوْقًا إِلَى كُلِّ جَانِبٍ  
قوله : « لم تقصد لها كف قاطب » . أى سَيْرًا لا يلين ولا يفتر ،  
كما تُقَطَّبُ الرَّاحُ أَنْ تُعْزَجَ وَتُكْسَرَ بِالماء وتلين .

وقال :

فَاطْلُبْ هُدُوءًا بِالتَّقَلُّقِ وَأَسْتَشِرْ بِالْعَيْسِ مِنْ تَحْتِ السَّهَادِ هُجُودًا<sup>(٤)</sup>  
مِنْ كُلِّ مُعْطِيَةٍ عَلَى عِلَلِ السُّرَى وَخُذْ يَبِيتُ النُّومُ مِنْهُ شَرِيدًا<sup>(٥)</sup>

( ١ ) ديوان أبي تمام ٤١ وفى شرح التبريزى ١ / ٢٠٩ عن الصولى : « أى يسكرون المطى بالنعب فكأنهم سقوها زجاجة ، أى شراباً فى زجاجة ، وقاطب : أى لىست هى على الحقيقة زجاجة فيها شراب يناولها الساقى صاحبه بقصد » .  
( ٢ ) فى الديوان وشرحه « فقد أكلوا ، يقول : أتمبوها حتى ذابت أسنمتها ، وصاروا لها كالأسنة فوقها » .

( ٣ ) نقل التبريزى عن الصولى قوله : « هذا الرجل من حبه للسفر فى طلب العلى . إذا رأى الكعاب الحسناء فكأنما يرى طلعة ثائر قد جاء ليثار منه ، لبغضه للكعاب وحبه للسفر ، إلى أن يبلغ مراده وينال حاجته . ويرى بالعريس . وهى الناقة الصلبة - من حبه لها طلعة قادم عليه ، حتى يبلغ إلى أبى دلف هذا الممدوح . . . » .

( ٤ ) ديوانه ٨٨ وشرح التبريزى ١ / ٤١٦ « بالعيس : أى بركوب العيس . ومن تحت السهاد : أى من تحت الصبر على السهاد . أى اطلب بالحركة فى الأسفار سكناً ودعة فيما بعد ، وبالأرق نوماً » .  
( ٥ ) فى شرح التبريزى : « علل السرى : يعنى إسرائه بعد إسرائه ، أخذه من علل الشرب . ومن روى على علل السرى - بكسر العين - أى ما يحدثه السرى من هزالها وغير ذلك » .

يَخْدِي بِمُنْصَلِتٍ يَظَلُّ إِذَا وَنَى ضَرْبَاؤُهُ حَلَسًا لَهَا وَتُتَوَدَا<sup>(١)</sup>  
جَعَلَ الدُّجَى جَمَلًا وَودَّعَ رَاضِيًا بِالْهُونِ يَتَّخِذُ الْقُعُودَ قَعُودًا<sup>(٢)</sup>

وقال :

وَرَأَيْتَ ضَيْفَ الْهَمِّ لَا يَرْضَى قِرَى إِلَّا مُدَاخَلَةَ الْقِفَارِ دِلَآثًا<sup>(٣)</sup>  
شَجْعَاءَ جَرَّتْهَا الذَّمِيلُ تَلُوكُهُ أَصْلًا إِذَا رَاحَ الْمَطْيُ غِرَآثًا<sup>(٤)</sup>  
أُجْدًا إِذَا دَنَتْ الْمَهَارِي أَرْقَلَتْ رَقْلًا كَتَخْرِيقِ الْغُضَا حَشْحَاثًا<sup>(٥)</sup>  
مُدَاخَلَةُ الْقِفَارِ : مُوثَقَةُ الْخَلْقِ .

وَالدِّلَآثُ : السَّرِيعَةُ ، وَالْمُنْدَلِثُ : الْمُسْرَعُ ، يُقَالُ : أَنْدَلِثَ أَنْدِلَآثًا .

و « شَجْعَاءُ جَرَّتْهَا الذَّمِيلُ »<sup>(٦)</sup> ، مِثْلُ ، أَيْ إِذَا اجْتَرَّتْ الْإِبِلُ الْعَلْفَ مِنْ  
بَطُونِهَا وَلَا كَتَّهُ فَلَيْسَ لِهَذِهِ النَّاقَةِ جَرَّةٌ [ إِلَّا الذَّمِيلُ ] وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ

(١) المنصلت : الماضي في الأمر . وضرباؤه : نظراؤه يقول : هذا الرجل قد ألف ظهور العيس  
فكأنه تتود لها وهذا مثل قولهم : بنو فلان أحلاس الخيل . وفي م « لمنصلت » .

(٢) نقل التبريزي عن المرزوقي قوله : « والمعنى أنه امتطى الليل وخلف من كان يرضى بالهوان  
ويلزم بيته ، ولا يسمى في كسب المال وتحصيله ، بل اتخذ جلوسه قعوداً له ، أي اقتنمه ورضى به مركبا »  
ومن أمثال العرب : اتخذ الليل جملا : أي سرى الليل كله وركبه في حاجته . راجع اللسان ١٣ / ١٣١  
ومجمع الأمثال ١ / ١٣٥ .

(٣) ديوانه ٦٤ وشرح التبريزي ١ / ٣١٧ والفقار : خرز الظهر . والدلائث : الناقة الجرينة  
على السير .

(٤) قال المرزوقي : « الشجعاء : الطويلة ، وقيل : هي التي بها جنون من نشاطها ، والجرّة :  
ما تخرجه الناقة من جوفها إلى فها وتجتر به . والذميل : السير السريع . وتلوكه : تمضمغه . والأصل :  
المشية . والفراث : الجلياع . يصف ناقة فيقول : هي نشيطة تجتر بالذميل إذا جاء الوقت الذي تكل فيه  
الإبل ، وهو المشية متى سارت النهار كله ، أي تسير سيرا سريعا . وجعل الاجترار مثلا للحق الكلال  
وانقطاع القوى والأثر ، يقول : هي تصل السير بالسرى باقيا نشاطها إذا حسرت الإبل وكلت قواها .  
ويفسره البيت الذي بعده » .

(٥) الأجد : القوة الموثقة الخلق . والإرقال : الإسراع . والغضا : شجر يوقد به ، وهو من  
أجود الوقود عند العرب . وحشاثا : سريعا . وفي م « حشاثا » وهو تحريف .

(٦) م « والشجعاء وجرتها الذميل » .

كما قال في وصف الخيل :

\* تَعْلِيْقُهَا الْإِسْرَاجُ وَالْإِلْجَامُ \* (١)

جعل ذلك مكان الشعر في المَخَالِي إذا عُلِّقَتْ عليها .

يقول : إذا وَنَّتِ الرُّكَّابُ وَغَرِثَتْ ، أى احتاجت إلى العَلَفِ ، فإنَّ هذه الناقة لاقتدارها على السير ، وَصَبْرُهَا عَلَى (٢) الرَّمْلِ - تَلُوكُ الذَّمِيلِ كَأَنَّهُ طَعَامُهَا .

وهذه القطع كلها جياذ صحيحة المعاني والألفاظ .

\*\*\*

وقال :

سَأَخْرِقُ الْخَرْقُ يَا بَنِي خَرْقَاءَ كَأَنَّ  
مُقَابِلِي فِي الْجَدِيلِ صُلْبِ الْقَرَا لُوحِكَ مِنْ عَجَبِي إِلَى كَنَدَةِ  
تَامِكِهِ نَهْدِهِ مُدَاخِلِهِ مَلْمُومِهِ مُخَزِنِلِهِ أَجْلِدِهِ  
« ابن خَرْقَاءَ » : يريد بغيراً .

وَالْهَيْقُ . الظِّلْمُ . شُبَّهَ [بِهِ] لِنَشَاطِهِ وَسُرْعَتِهِ .

وَالنَّجْدُ : الْعَرَقُ . أى هو كَالْهَيْقِ فِي هَذِهِ الْحَالِ الَّتِي يُقَدَّرُ فِيهَا  
فُتُورُهُ .

مُقَابِلُ : كَرِيمُ الْآبَاءِ وَالْأُمَهَاتِ . فِي الْجَدِيلِ : وَهُوَ فَحْلٌ كَرِيمٌ .

لُوحِكَ : شَدُّ وَوُثْقَ . وَالْكَتْدُ : مَا يَتَصَلُّ بِالْحَارِكِ مِنَ الْعُنُقِ .

( ١ ) ديوان أبي تمام ٢٨١ وصدرة « بسوام لحق الأياطل شرب » .

( ٢ ) م « عن » .

( ٣ ) ديوانه ٩١ وشرح التبريزي ١ / ٤٣٤ .

والتَّامِكُ : المرتفع ، وكذلك التَّهْدُ<sup>(١)</sup> .

والمَلْمُومُ : الذى قد استوى لحمه وشحمه من سنمه ، ولم يبق له عظم شاخص .

والمُخَزَلُّ : المرتفع ، يقال : أَخْزَأَ أى ارتفع فى السير .

وهذه معانٍ صحيحة . ولكن النُّسْجَ لا حلاوة له ، ولا طلاوة عليه .

\*\*\*

وقال :

وَأَلَى جَنَابِ أَبِي الْحُسَيْنِ تَشَنَعَتْ      بِزِمَامِهَا كَالْمُضْعَبِ الْمَخْطُومِ<sup>(٢)</sup>  
جَاءَتْكَ مِنْ مُعْجِرِ خَوَانِفِ الْبُرَى      وَعَوَارِفِ بِالْمَعْلَمِ الْمَأْمُومِ  
مِنْ كُلِّ نَاجِيَةٍ كَأَنَّ أَدِيمَهَا      حِيصَتْ ظَهَارَتُهُ بِجِلْدِ أَطُومِ  
تُثْنِي مِلَاطِيهَا إِذَا مَا اسْتُكْرِهَتْ      سَعْدَانَةً كإِدَارَةِ الْقُرْزُومِ  
طَلَبْتِكَ مِنْ نَسْلِ الْجَدِيلِ وَشَدَقِمِ      كُومٌ عَقَائِلُ مِنْ عَقَائِلِ كُومِ  
يَنْسِينَ أَصْوَاتَ الْحُدَاةِ وَنَبْرَهَا      طَرَبًا لِأَصْوَاتِ الصَّدَى وَالْبُومِ  
فَأَصْبَنَ بَحْرَ نَدَاكَ غَيْرُ مُصْرَدٍ      وَرَدًا ، وَأُمَّ نَدَاكَ غَيْرَ عَقِيمِ  
لَمَّا وَرَدَنَ حِيَاضَ سَيْبِكَ طُلْحًا      خَيْمَنَ ، ثُمَّ شَرِبْنَ شُرْبَ الْهِيمِ

قوله : « تَشَنَعَتْ » : أى أخذت أهبتها للسير ، وشمرت ، من قولهم : تَشَنَعَ الفارس ، إذا لبس سلاحه .

(١) م « النهو » وهو تحريف .

(٢) ديوان أبى تمام ٣٠٦ وفى شرح التبريزى ٣ / ٢٦٢ « ويرى : كالبالز المخطوم » يقال تشنعت الناقة . إذا ترفعت فى سيرها . وإذا شبهوا الإناث بالفعول فذلك مبالغة عندهم .

وَمُعْجٌ : جمع مُعْجَةٍ . وَالْمُعْجُ : التَّغْلُبُ فِي الْجَرْيِ ، يُقَالُ : مَرَّ الْحِمَارُ بِمُعْجٍ مُعْجًا ، إِذَا جَرَى فِي كُلِّ وَجْهِ بِسُرْعَةٍ ، وَحِمَارٌ مُعْجٌ .

وَالْخَوَانِفُ : جمع خُنُوفٌ ، وَهِيَ النَّاقَةُ الَّتِي تَضْرِبُ بِبَيْدِهَا فِي السَّيْرِ مِنْ نَشَاطِهَا وَفِيهِ بَعْضُ الْمَيْلِ .

وَالْمَعْلَمُ : الطَّرِيقُ . وَالْمَأْمُومُ : الَّذِي يُؤْتَمُّ . عَارِفَةٌ بِالطَّرِيقِ الَّذِي يَجِبُ أَنْ تَوَمَّهَ لَطُولَ ذَائِبِهَا ، وَكَثْرَةَ سِيرِهَا فِي الطَّرِيقِ الْمُخْتَلِفَةِ .

وَقَوْلُهُ : « حَصِصْتُ » خِيَطْتُ بِجِلْدِ أَطُومٍ ، يُقَالُ : إِنْ الْأَطُومَ : السَّلْحَفَاءُ الْبَحْرِيُّ الَّذِي يَجْعَلُ مِنْ جِلْدِهِ الذَّبْلُ<sup>(١)</sup> . وَيَشَبَّهُ جِلْدَ الْبَعِيرِ الْأَمْلَسِ بِهِ . وَيُقَالُ : الْأَطُومُ : سَمَكَةٌ فِي الْبَحْرِ غَلِيظَةٌ ، وَقِيلَ بَلْ هِيَ بَقْرَةٌ يَتَّخِذُ مِنْ جِلْدِهَا الْخِفَافَ لِلْحَمَّالِينَ . قَالَ الشَّامِيُّ يَصِفُ نَاقَةً :

وَجِلْدُهَا مِنْ أَطُومٍ مَا يُؤَيِّسُهُ طَلْحٌ كَصَاحِيَةِ الصَّيْدَاءِ مَهْزُولٍ<sup>(٢)</sup>

قِيلَ فِي تَفْسِيرِهِ : الْأَطُومُ : سَمَكَةٌ بَحْرِيَّةٌ تُخَصِّفُ الْخِفَافُ وَالنَّعَالُ بِجِلْدِهَا . وَيُؤَيِّسُهُ : يُذَلِّلُهُ ، وَالتَّايِّيسُ : التَّذْلِيلُ .

وَالطَّلْحُ : وَالْقِرَادُ هَاهُنَا ، وَالطَّلْحُ : الضَّئِيلُ الْمَهْزُولُ .

وَالصَّيْدَاءُ : حَصَى . وَالصَّيْدَانُ<sup>(٣)</sup> : حِجَارَةٌ .

وَصَاحِيَةٌ : مَا ضَحَا لِلشَّمْسِ مِنْهَا وَظَهَرَ .

وَقَالَ الْأَخْفَشُ فِي تَفْسِيرِهِ هَذَا الْبَيْتَ : الْأَطُومُ : طَى الْبَشْرَ بِالصَّخْرِ

الْأَسْوَدَ ، وَيُقَالُ : الْأَطُومُ : الصَّدْفُ .

وَقَوْلُهُ : « تَشْنَى مِلَاطِيْهَا » أَيْ تُبَاعِدُ بَيْنَهُمَا .

وَمِلَاطَاهَا : وَعَضْدَاهَا .

( ١ ) المراد بالذبيل هنا : الأسورة والأمشاط ، راجع اللسان ١٣ / ٢٧٢ .

( ٢ ) ديوان الشماخ ٧٩ « بضاحية الصيذاء » وفي اللسان ٤ / ٣٨٥١ « بضاحية » .

( ٣ ) اللسان ٤ / ٢٥١ .



سَعْدَانَةٌ : والسَّعْدَانَةُ من البعير : هى البلْدَةُ<sup>(١)</sup> ، أى تباعد بين عضديها كِرْكِرَةً<sup>(٢)</sup> ، أو بِلْدَةً مستديرة كإدارة الفُرُزُوم : وهى الخشبة المَدَوَّرَةُ التى يَحْنُو عليها الحَذَاءُ<sup>(٣)</sup> . وذلك محمود فى الإبل أن يتباعد عَضْدُ البَعِيرِ من زَوْرِهِ فى السير .

والْكُومُ : العِظَامُ الأَسْنِمَةُ ، واحدتها كَوْمَاءُ .

وقوله :

يَنْسِينُ أَصْوَاتَ الحُدَاةِ [ وَنَبْرَهَا ] طَرَبًا لِأَصْوَاتِ الصَّدَى والبُومِ<sup>(٤)</sup>  
أى أَلْفَتْ صوت الصَّدَى والبوم لكثرة سيرها فى الفيافي ، حتى صارت تطرب لذلك وتُنسى أصوات الحُدَاةِ .

وهذا من مبالغاته البعيدة الباطلة .

ولو قال : إلفاً لأصوات الصدى كان أشبه بالصواب قليلاً من الطَّرَبِ .

وهذه أبيات صالحة على ما فيها من التكلف .

\*\*\*

وقال :

الْهَمُّ ، وَالْعَيْسُ ، وَاللَّيْلُ التَّمَامُ مَعًا ثَلَاثَةٌ أَبَدًا يُقَرَّنُ فى قَرَنِ<sup>(٥)</sup>  
حَوْبًا حَلًا ، قَاسِمِينَ الْهَمَّ يَا أَبْنَتَهُ فَقَدْ خُلِقْتَ لِغَيْرِ الحَوْضِ والعَطَنِ<sup>(٦)</sup>

( ١ ) البلدة : ثغرة النحر . راجع اللسان ٦٣ / ٤ .

( ٢ ) فى اللسان ٤٥٢ / ٦ « الكركرة : رعى زور البعير والناقة ، وهى إحدى الثفنيات الخمس

وهى زور البعير الذى إذا برك أصاب الأرض وهى ناتئة عن جسمه كالقرصة ، وجمعها كراكر » .

( ٣ ) اللسان ٣٧٥ / ١٥ .

( ٤ ) م « الصدى والبوم » !

( ٥ ) ديوان أبى تمام ٢٣٤ وشرح التبريزى ٣ / ٣٣٨ .

( ٦ ) فى الديوان وشرحه « أقول للحررة الوجناء لا تهنى فقد » .

قوله : « حَوْبًا حَلَا » زَجَرٌ مِنْ زَجَرِ الْإِبِلِ<sup>(١)</sup> ، كَأَنَّهُ زَجَرَ نَاقَتَهُ ، وَقَالَ لَهَا : قَاسِمِيْنِي الْهَمَّ يَا ابْنَتَهُ : يَا بِنْتَ الْهَمِّ ، سِيرِي وَانْطَلِقِي فَقَدْ خُلِقْتُ لغيرِ الْحَوْضِ وَالْعَطَنِ ، أَيْ خُلِقْتُ لِقَطْعِ الْأَسْفَارِ لَا لِلْإِقَامَةِ .  
ولفظ. هذا البيت الأخير رديءٌ ، ونَسَجُهُ قبيح .

وأخذ البحترى معنى الأول فقال :

يَا خَلِيلِيَّ بِالسَّوَاجِيرِ مِنْ وَدْبٍ نِ مَعْنٍ وَبُخْتَرِ بْنِ عَتُودٍ<sup>(٢)</sup>  
اطْلُبَا ثَالِثًا سِوَايَ فَإِنِّي رَابِعُ الْعَيْسِ وَاللُّجَى وَالْبِيدِ

\*\*\*

وقال البحترى :

بَنَاتُ الْعَيْدِ تَعْتَادُ الْفَيَافِي إِذَا شِئْنَا أَسْتَمِرَّ بِهَا النَّمِيلُ<sup>(٣)</sup>  
وَمَا طَرَفًا زَمَانَ الْمَرْءِ إِلَّا مَقَامٌ يَرْتَضِيهِ ، أَوْ رَحِيلُ

وقال :

وإِذَا مَا تَنَكَّرْتُ لِي بِلَادُ أَوْ خَلِيلُ فَإِنِّي بِالْخِيَارِ<sup>(٤)</sup>  
وَحَدَانُ الْقِلَاصِ حَوْلًا إِذَا قَا بَلَنَ حَوْلًا مِنْ أَنْجُمِ الْأَسْحَارِ  
يَتَرَفَّرَقْنَ كَالسَّرَابِ وَقَدْ خُضَّ نَ غِمَارًا مِنَ السَّرَابِ الْجَارِي<sup>(٥)</sup>  
كَالْقَيْسِيِّ الْمُعْطَفَاتِ بَلِ الْأَسْهُمِ مَبْرِيَّةً بَلِ الْأَوْتَارِ<sup>(٦)</sup>

وهذا من أوصاف الإبل إذا أضمرها السير [وهي] في غاية الحسن والصحة والحلاوة في اللفظ. والنسج .

(١) اللسان ١ / ٢٣٠ .

(٢) ديوان البحترى ٦٩٢ ، ١ / ٦٣٣ دار المعارف .

(٣) ديوانه ٣٠١ .

(٤) ديوانه ٤٤٥ ، ٢ / ٩٨٧ .

(٥) م « يترقرن » .

(٦) م « الأوتاد » .

ومثله في الجودة والحسن قوله :

وَهِيَ الْعَيْسُ دَهْرَهَا فِي ارْتِحَالِ      مِنْ حُلُولِ ، أَوْ فُرُوقَةٍ مِنْ جَمِيعِ<sup>(١)</sup>  
 رَبِّ مَرَّتْ مَرَّتْ تُجَاذِبُ قُطْرَيْ      سَرَابًا كَالْمَنْهَلِ الْمَشْرُوعِ<sup>(٢)</sup>  
 وَسُرَى تَنْتَجِيهِ بِالْوَحْدِ حَتَّى      تَصْدَعُ اللَّيْلَ عَنْ بَيَاضِ الصَّدِيعِ  
 كَالْبَرَى فِي الْبَرَى وَيُحْسِبَنَّ أَحْيَا      نَا نُسُوعًا مَجْدُولَةً مِنْ نُسُوعِ<sup>(٣)</sup>

وقال :

سَوْفَ أُعْطِيَ السُّلُوءَ وَالصَّبْرَ مَا أَمَّ      نَحْ مِنْ طَارِفِ الْهَوَى أَوْ نَلِيدِ<sup>(٤)</sup>  
 بِالْمَهَارَى يَلْبَسَنَّ لَوْنًا جَدِيدًا      مُسْتَفَادًا فِي كُلِّ وَقْتٍ جَدِيدِ  
 فَهِيَ طُولُ النَّهَارِ بِيضٌ وَطُولُ الْ      لَيْلِ فِي أَقْمَصِ مِنَ اللَّيْلِ سُودِ  
 طَالِبَاتٍ فِي الْغَوْتِ غَيْثًا سَكُوبًا      وَحَمِيدًا فِي آلِ عَبْدِ الْحَمِيدِ

وهذا كل جيد بالغ ، وعذب حلو ، ومعان لطيفة لائقة .

\*\*\*

وقد أجاد كل واحد منهما وُصفَ إبله على الطريقة التي قصدها  
 واعتمدها ، وإن كانت معاني البحترى فيما ذهب إليه من الضمر حلوة  
 جدًا .

\*\*\*

فأقول : إنهما في الباب متكافئين .

(١) ديوان البحترى ٤٢١ ، ٢ / ١٢٧٩ دار المعارف .

(٢) البيت ليس في ديوانه ، وهو في طبعة مصر ٩١ / ٢ .

(٣) في الديوان « في التسوع » كالبهرى جمع برة وهي كل حلقة من سوار وقرط وخلخال  
 وما أشبهها . والبهرى : جمع برة وهي الحلقة من صفر أو غيره تجعل في لحم أنف البعير . والتسوع جمع  
 نسع ، وهي السير يضفر على هيئة أعتة الثعال تشد به الرحال ، وقال ابن الأثير : هو سير مضفور يحمل  
 زماماً للبعير وغيره ، كما في اللسان ١٠ / ٢٣٠ .

(٤) ديوانه ١ / ٧٦٩ دار المعارف .

\* \* \*

ولأبي تمام في وصف الإبل أشياء رديئة لم أكتبها ، وفيها قصيدة يصف فيها ناقة حج عليها - رديئة جداً أولها :

لَعَلَّكَ ذَاكِرُ الطَّلَلِ الْقَدِيمِ وَمُوفٍ بِالْعُهُودِ عَلَى الرُّسُومِ<sup>(١)</sup>

له فيها ألفاظ. مختلفة ، ومعان من معاني السوق . وقد تقدم في الباب<sup>(٢)</sup> قوله :

وَرَكِبَ كَأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ عَرَّسُوا عَلَى مِثْلِهَا وَاللَّيْلُ تَسْطُو غِيَاهِبُهُ  
لَأَمْرٍ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتِمَّ صُدُورُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتِمَّ عَوَاقِبُهُ

في أبيات [ما هي<sup>(٣)</sup>] من ذلك الباب ، ثم قال بعدها ما هو من هذا

الباب في وصف الإبل . وسبيلها أن تثبت في هذا الباب في أوله :

عَلَى كُلِّ مَوَارٍ الْمِلَاطِ تَهْدَمَتْ عَرِيكَتُهُ الْعَلِيَاءُ ، وَأَنْضَمَّ حَالِيَهُ<sup>(٤)</sup>  
رَعْتُهُ الْفَيَافِي بَعْدَمَا كَانَ حِقْبَةً رَعَاهَا وَمَاءِ الرُّوضِ يَنْهَلُ سَاكِبُهُ  
فَأَضْحَى الْفَلَاحُ قَدْ جَدَّ فِي بَرِي نَحْضِهِ وَكَانَ زَمَانًا قَبْلَ ذَلِكَ يُلَاعِبُهُ  
فَكَمْ جِرْعٍ وَادٍ جَبَّ ذِرْوَةً غَارِبٍ وَمِنْ قَبْلُ كَانَتْ أَتَمَكَّتُهُ مَذَانِيَهُ

قوله : «مَوَارٍ الْمِلَاطِ» فالْمِلَاطُ : عَضْدُ البعير . ومَوَارٍ : يريد

حركته في السير .

وعريكته العلياء : يعني سَنَامُهُ<sup>(٥)</sup> . تَهْدَمَتْ من طول السفر ، وكذا

انضم حَالِيهِ<sup>(٥)</sup> .

(١) ديوان أبي تمام ٤٢٣ .

(٢) في باب طلب الرزق ص ٢٦٧ .

(٣) م « في أبيات هو من » .

(٤) ديوانه ٤٤ وشرح التبريزي ١ / ٢٢٩ .

(٥) م « جانبه » .

وقوله : « يلاعبه » : لفظة ضعيفة المعنى ، وإنما جاء بها من أجل قوله :  
[جَدَّ] في بَرِّي نَحْضِهِ ؛ ليطابق بين الجد واللعب .

أى إن الفلا جَدَّ في أخذ لَحْمِهِ في سيرنا هذا السير ، فجعل مكان هذا  
القول : « وكان زماناً قبل ذاك يُلاعِبُهُ » على مذهبه في عشق « الطَّبَّاق » الذى  
لا بُدَّ له من أن يأتى به وإن حصل المعنى ضعيفاً رَكِيكاً ، وربما كان مُحَالاً .  
وقوله : « أَتَمَكَّنْتُهُ » أى أَصَمَّنْتُ تَامِكُهُ ، وهو سنامه .

والمَدَانِيبُ : مجارى الماء ، وهى أَبَدًا مُعْشِبَةٌ .

\*\*\*

ولئن كانا جميعاً أحسننا في هذا الباب فما وصفا مطيَّهما بالسرعة  
وصف « مسلم بن الوليد » إذ يقول :

إلى الأمام تَهَادَانَا بِأَرْحَلَنَا خَلَقَ مِنَ الرِّيحِ فِي أَشْيَاحِ ظُلْمَانٍ<sup>(١)</sup>  
كَأَنَّ إِفْلَاتَهَا وَالْفَجْرُ يَأْخُذُهَا أَفْلَاتُ صَادِرَةٍ عَنْ صَوْتِ مِرْنَانٍ<sup>(٢)</sup>  
تَنْسَابُ فِي اللَّيْلِ لَا تَرَعَى لِهَاجِسَةٍ كَأَنَّنِي رَاكِبٌ فِي رَأْسِ ثُعْبَانٍ<sup>(٣)</sup>

(١) ديوان مسلم بن الوليد ٧٦ طبع الهند والأول والثاني في ديوان المعاني ١٢٢ / ٢ وأمالى المرتضى  
٩ / ٥٥٤ وجاء في شرح الديوان يقول : إلى الأمام . يعنى هارون الرشيد - تهادانا بأرحلنا . أى حملنا  
بأرحلنا . خلق من الريح ، يعنى النوق . فى أشباح ظلمان أى فى أبداء ظلمان ، وهى ذكور النعام . شبه  
النوق بسرعتها فى السير بالريح . وذكر وثيمة فى كتاب الهدى : أن الإبل خلقها الله من الريح حين  
خلق الخلائق فى أول الزمان ، والشعراء المولودون قد كثروا من ذلك . والأشباح : الشخوص ، واحداها شبح  
بفتح الباء . « وفى م » تهاديننا بأرحلنا » وانظر ديوانه طبع دار المعارف ١٢٦ .

(٢) م « والبحر يأخذ » وفى الديوان : « صادرة عن قوس حسان » يقول : كأن إفلات هذه  
الناقة ، أى انبعاثها فى السير انبعاث ظبية رامها رام فأخطأها ، وقد سمعت وتر القوس وشعرت بالسهم  
فهى تفر ، شبه ناقته بها فى السرعة . وقوله : عن قوس حسان ، يقال لضرب من القسي : حسانية ،  
منسوبة إلى رجل أو بلد ، وصادرة : راجعة عن الماء . يريد أنها أرادت شرب الماء فأصابها رامياً تعمدتها  
بسهم فأخطأها فنفرت مسرعة » .

(٣) فى الديوان : « ينساب . . لا يرعى » أى لا يرعى سمعه لحركة فى الليل من صوت ، كأنه  
راكب فى رأس ثعبان ، يصف ، ما هو فيه من مزاولة السير فى الغلاة بالليل » .

وقد أفرط. الذى يقول ، وأحسن فى إفراطه :

مَرُوحٌ بِرِجْلَيْهَا إِذَا هِيَ هَجَرَتْ وَيَمْنَعُهَا مِنْ أَنْ تَطِيرَ زِمَامُهَا

وقال « الشماخ » :

\* تَكَادُ تَطِيرُ مِنْ رَأَى الْقَطِيعِ <sup>(١)</sup> \* .

وقال « الحُطَيْثَةُ » :

وإِنْ نَظَرْتُ يَوْمًا بِمُؤَخَّرِ عَيْنِهَا إِلَى عِلْمٍ بِالْغُورِ قُلْتُ لَهُ أَبْعِدْ <sup>(٢)</sup>

( ١ ) ديوان الشماخ ٥٩ وصله : « مروح تقتل باليد حرف » .

( ٢ ) ديوان الحطية ٢٣ « فى الغور قالت له » .

## باب الشحوب والتغير من الأسفار

قال أبو تمام :

نَظَرْتُ إِلَيْهِ فَمَا اسْتَتَمَّتْ لَحْظَهَا      حَتَّى تَمَنَّتْ أَنَّهَا لَمْ تَنْظُرِ<sup>(١)</sup>  
وَرَأَتْ شُحُوبًا رَابَهَا فِي وَجْهِهِ      مَاذَا يَرِيْبُكَ مِنْ جَوَادٍ مُضْمَرِ<sup>(٢)</sup>  
غَرَضُ الْحَوَادِثِ لَا تَزَالُ مُلِمَّةٌ      تَرْمِيهِ عَنْ شَرْرٍ بِأَمٍّ حَبْوَكِرِ<sup>(٣)</sup>  
سَدِكَتْ بِهِ الْأَقْدَارُ حَتَّى إِنَّهَا      لَتَكَادُ تَفْجُوهُ بِمَا لَمْ يُقْدَرِ<sup>(٤)</sup>

وهذا ما لا غاية وراءه في الحسن والصحة والبراعة .

قوله : « سَدِكَتْ بِهِ الْأَقْدَارُ » ، أَيْ لَزِمَتْهُ ، وَغَرِيَتْ بِهِ .

وقال البحترى نحو هذا البيت الأخير ولكن على وجه آخر وأحسن وأجلى ، قال :

وَلَوْ فَاتَنِي الْمَقْدُورُ مِمَّا أَرُوْمُهُ      بِسَعْيٍ لَأَذْرَكْتُ الَّذِي لَمْ يُقْدَرِ<sup>(٥)</sup>

\*\*\*

وقال أبو تمام :

نَكِرَتْ فَتَى أَلْوَى بِنَضْرَةِ وَجْهِهِ      وَبِمَائِهِ - نَكَدُ الْخُطُوبِ وَلُومُهَا<sup>(٦)</sup>

(١) ديوان أبي تمام ٢٩٦ .

(٢) في الديوان « شحوبا رابها في جسسه » .

(٣) وفيه : « عن شلق » وأم حبوكر : أعظم اللواحي ، كافى اللسان ٥ / ٢٣٤ .

(٤) م « سدكت بها » .

(٥) ديوان البحترى ٢١٥ .

(٦) ديوان أبي تمام ٣١٠ وشرح التبريزى ٣ / ٢٧٢ .

لا تُنْكِرِي شَيْمِي فَإِنِّي زَائِدِي حَزْمًا حِصَارُ النَّائِبَاتِ وَشَيْمُهَا<sup>(١)</sup>  
 فَلَقَبْلَ أَظْهَرَ صَقْلَ سَيْفٍ أَثَرُهُ قَبْدًا وَهَذَبَتِ الْقُلُوبُ هُمُومَهَا  
 وَالْحَادِثَاتُ وَإِنْ أَصَابَكَ بُؤُسُهَا فَهَوَ الَّذِي أَنْبَاكَ كَيْفَ نَعِيمُهَا  
 حِصَارُ النَّائِبَاتِ : بَيْضُهَا ، وَشَيْمُهَا : سُودُهَا . يريد أنه يزيد في حزمه  
 ومعرفته بالأُمور - ما يقاسيه من الخير والشر .

وقال :

لَا يَطْرُدُ الْهَمَّ إِلَّا الْهَمُّ مِنْ رَجُلٍ مُقْلَقِلٍ لِبَنَاتِ الْقَفْرِ النَّعْبُ<sup>(٢)</sup>  
 لَا تُنْكِرِي مِنْهُ تَخْدِيدًا تَجَلَّلُهُ فَالسَّيْفُ لَا يُزْدِرِي إِنْ كَانَ ذَا شُطْبٍ<sup>(٣)</sup>  
 وهذا كله جيد بالغ حسن نادر .

\* \* \*

وقال البحتري :

مَا تُنْكِرُ الْحَسَنَاءُ مِنْ مُتَوَغِّلٍ فِي اللَّيْلِ يَخْلِطُ أَيْنَهُ بِسُهُودِهِ<sup>(٤)</sup>  
 قَدْ لَوَّحَتْ مِنْهُ السُّهُوبُ وَأَثَرَتْ فِي يَمْنَتَيْهِ وَعَنْسِهِ وَقُتُودِهِ  
 فَلِفِضَّةِ السَّيْفِ الْمُحَلَّى حُسْنُهُ مُتَقَلِّدًا وَمُضَاوُهُ لِحَدِيدِهِ  
 تَمَّ الْبَابُ .

\* \* \*

وهذا ما قلت أذكره في آخر الباب من حال قيس بن زهير ، والحارث  
 ابن مُضاض ، والبراءض .

(١) في الديوان « لا تنكري همي » وفي م « حزنا » .  
 (٢) ديوان أبي تمام ١٥ وشرح التبريزي ١ / ١١٥ « الهم الأول : ما يجده الرجل في صدره بما  
 يوجب رحيه . والهم الثاني : الهممة . مقلقل : من القلقه وهي الحركة العنيفة . وبنات القفر : الإبل ،  
 جعلها بنات القفر لأنها تقطع بها . والنعب : جمع نعوب ، والنعبان : تحريك الناقة رأسها في السير ،  
 وذلك من النشاط » .

(٣) م « تخديدا تجلله كالسيف » يقال تخدد لحم الرجل : إذا هزل فصارت فيه طرائق ، وأصل  
 ذلك من الخد ، وهو حفر مستطيل في الأرض . لا يزدرى : لا يحتقر . وشطب السيف : طرائفه التي فيه .

(٤) ديوان البحتري ٦٥٨ ، ٢ / ٦٩٤ والأين : النعب .



فأما قيس بن زهير العبسي فإن بني بذر الفزاريين قتلوا أخاه مالكا فنشبت الحرب بين عبس وذبيان ابني<sup>(١)</sup> بغض.

وكان سبب ذلك رهان داحس والغبراء فقتل قيس حذيفة بن بذر وحمل ابن بذر وغيرهما . ودامت<sup>(٢)</sup> الحرب بينهما دهرًا طويلا حتى كادوا يفنون .

وتشاءمت العرب بقيس ، وكان سيدا حكيما أريبا حليما . فقال :  
لا أقم ببلاذ قتلت بها سادات قومي ولم أحلم ، ولم أقارب ، ولم أصلح  
فقال :

تَعَلَّمْ أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ مَيَّنَا عَلَى جَفْرِ الْهَبَاءِ مَا يَرِيمُ<sup>(٣)</sup>  
وَلَوْلَا ظُلْمُهُ مَا زِلْتُ أَبْكِي عَلَيْهِ الدَّهْرَ مَا طَلَعَ النُّجُومُ  
وَلَكِنَّ الْفَتَى حَمَلَ بَنِي بَذْرِ بَنِي ، وَالْبَنَى مَرْتَعُهُ وَخِيمُ  
أَظُنُّ الْحِلْمَ دَلَّ عَلَى قَوْمِي وَقَدْ يُسْتَجْهَلُ الرَّجُلُ الْحَلِيمُ

ثم خرج ضاربا في البلاد على وجهه متخليا من كل أهل ومال ، وصار إلى بعض نواحي عمان فهلك هناك . وله في هلاكه خبر . فهذه غربة قيس .

\*\*\*

وأما غربة الحارث بن مُضاض الجرهمي فإنه كان سيد جرهم في زمانه ، وكان إلى قومه حجابة بيت الله الحرام بمكة فغلبتهم عليه خزاعة ، فخرجوا وتفرقوا في البلاد .

(١) م « ابن » والتصويت من العقد الفريد ٥ / ١٥٠ .

(٢) م « فأدامت » .

(٣) في معجم البلدان لياقوت ٣ / ١١٥ « جفر الهباءة ؛ اسم بئر بأرض الشربة ، قتل بها حذيفة وحمل ابنا بدر الفزاريان ، قال قيس بن زهير وهو قتلها . ثم ذكر البيت الأول » . وذكر الأبيات في « الهباءة » ٨ / ٤١ وزاد في آخرها :

ومارست الرجال ومارسوني / فموج على ومستقيم

الموازنة - ثان

وفي ذلك يقول الحارث :

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَجُونِ إِلَى الصَّفَا      أَنَيْسُ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ<sup>(١)</sup>  
بَلَى ، نَحْنُ كُنَّا أَهْلَهَا فَآزَلْنَا      صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالْجُدُودُ الْعَوَائِرُ  
ويقال : بل قاتل هذه الأبيات بكر بن غالب بن الحارث بن مُضاض .

\*\*\*

فأما فَتَكَةُ الْبَرَّاضِ ، فهو برَّاضُ بن قَيْس بن رَافِع الكِنَانِي ، أحد  
بنى مالك بن كنانة بن خُزَيْمَةَ بن مُذَرِّكَةَ بن إِلْيَاس . وفتكته كانت بِعُرْوَةَ<sup>(٢)</sup>  
الرَّحَّال بن عتبة بن جعفر بن كِلَاب ، وكانت من أجله وقعة « الْفِجَارِ  
الْعُظْمَى »<sup>(٣)</sup> .

وسبب ذلك أَنَّ الْبَرَّاضَ [ و ] كان رجلاً شريراً فاتكاً - صار إلى  
النُّعْمَان بن الْمُنْذِر . ولما حضر الموسم جهز اللَّطِيْمَةَ إلى « سوق عُكَاظ » ،  
وهي من كُلِّ الْمَتَاع ، ولا يقال [ لها ] لطيمة إلا إذا كان فيها مسك وطيب ،  
فقال النُّعْمَان : مَنْ يُجِيزُهَا ؟ قال الْبَرَّاضُ : أَنَا أَجِيزُهَا على قومي بنى  
كِنَانَةَ ( قال : وعلى العرب أجمعين<sup>(٤)</sup> ) قال البراض : وعلى بنى كنانة .  
قال نعم ، على العرب والعجم ، وعلى الجن والإنس . فسار فيها عروة ، وأتبعه  
البراض حتى إذا كان بذى طلال قريباً من خيبر حَمَلَ عليه فقتله ، وكانت  
الْحَرْبُ .

(١) له في اللسان ١٦ / ٢٦٤ ولعمرو بن الحارث بن عمرو بن مضاض في سيرة ابن هشام ١٢٠ / ١ .

(٢) م « لعروة الرجال بن عمه » .

(٣) العقد الفريد ٥ / ٢٥٣ .

(٤) كذا في الأصل وفي العقد : « بن كنانة » . فقال النعمان : ما أريد إلا رجلاً يجيرها على  
أهل نجد وتهامة . فقال عروة الرجال . وهو يومئذ رجل هوازن : أكلب خليج يجيرها لك ، أبيت اللعن ؟  
أنا أجيرها لك على أهل الشيع والقيصوم من أهل نجد وتهامة . فقال البراض : أعل بنى كنانة تجيرها  
يا عروة ؟ قال : وعلى الناس كلهم » .

## باب

مضت أنواع النسب<sup>(١)</sup> كلها . وهذا باب أرسم فيه<sup>(٢)</sup> الأبواب التي خرجا فيها من النسب إلى المديح .

اعلم أنهما جميعاً قد تعمّلا في بعض قصائدهما النسب ، وصلا به النسب بالمديح ، وأعرضا في كثير من أشعارهما عن هذا المعنى ، وابتدأ بالمدح منقطعاً عما قبله . وكلا الوجهين قد فعله شعراء الجاهلية والإسلام . وكانوا كثيراً ما يقولون إذا فرغوا من النسب وأرادوا المدح أو غيره من الأغراض : « فَدَعُ ذَا » . فتجنبها المتأخرون واستقبحوها . وكذلك قولهم : « فَعَدُّ عَنْ ذَا » . وهي عندهم أحسن .

فمما قطعه أبو تمام مما قبله :

هُنَّ الْحَمَامُ فَإِنْ كَسَرْتَ عِيَافَةً مِنْ حَائِهِنَّ فَإِنَّهُنَّ حِمَامٌ<sup>(٣)</sup>

ثم خرج إلى المدح فقال :

اللَّهُ أَكْبَرُ جَاءَ أَكْبَرُ مَنْ جَرَتْ فَتَعَثَّرَتْ فِي كُنْهِهِ الْأَوْهَامُ

وقال :

حَلَمْتُ نِي زَعَمْتُمْ ، وَأَرَانِي قَبْلَ هَذَا التَّحْلِيمِ كُنْتُ حَلِيمًا<sup>(٤)</sup>

( ١ ) في الأصل الشيب .

( ٢ ) م « فيها » .

( ٣ ) ديوان أبي تمام ٢٧٩ .

( ٤ ) ديوانه ٢٩١ ، وفي م « وزعمتم » ومضى في ص ١٩٧ .

ثم قال :

مَنْ رَأَى بَارِقًا سُرَى صَامِتِيًّا جَادَ نَجْدًا سُهْلًا وَالْحَزُونََا

وقال :

أَوْ مَا رَأَتْ بُرْدَى مِنْ نَسَجِ الصَّبَا وَرَأَتْ خِصَابَ اللَّهِ وَهُوَ خِصَابِي<sup>(١)</sup>

ثم قال :

لَا جُودَ فِي الْأَقْوَامِ يُعْلَمُ مَا خَلَا جُودًا حَلِيفًا فِي بَنِي عَنَابِ

وقال :

لَوْ رَأَى اللَّهُ أَنَّ فِي الشَّيْبِ فَضْلًا جَاوَرَتْهُ الْأَبْرَارُ فِي الْخُلْدِ نِشِيبًا<sup>(٢)</sup>

ثم قال :

كُلَّ يَوْمٍ تُبْدَى صُرُوفُ اللَّيَالِي خُلْفًا مِنْ أَبِي سَعِيدٍ غَرِيبًا<sup>(٣)</sup>

وقال :

كَأَنَّ لَهُ دَيْنًا عَلَى كُلِّ مَشْرِقٍ مِنَ الْأَرْضِ، أَوْ ثَارًا لَدَى كُلِّ مَغْرِبٍ<sup>(٤)</sup>

ثم قال :

رَأَيْتُ لِعِبَاشٍ خَلَائِقَ لَمْ تَكُنْ لِتَكْمُلَ إِلَّا فِي اللَّبَابِ الْمُهَذَّبِ

وقال :

حَلَّتْ نُطْفٌ مِنْهَا لِنِكْسٍ، وَذُو الْحَجَا يُدَافُ لَهُ سُمٌّ مِنَ الْعَيْشِ مُنْقَعُ<sup>(٥)</sup>

(١) ديوان أبي تمام ١٩ وشرح التبريزي ١ / ٨٣ .

(٢) ديوانه ٢٦ وشرح التبريزي ١ / ١٦٨ .

(٣) ويروى : « رَغِيْبًا » و « عَجِيْبًا » .

(٤) ديوانه ٢٤ وشرح التبريزي ١ / ١٥٩ .

(٥) ديوانه ١٩٠ وشرح التبريزي ٢ / ٣٢٥ .

ثم قال :

لَقَدْ آسَفَ الْأَعْدَاءَ مَجْدُ أَبِي يُوسُفَ      وَذُ النَّقْصِ فِي الدُّنْيَا بِذِي الْفَضْلِ مُوَلِّعُ

وقال :

فَلَمْ تَرْحَلْ كَنَاجِيَةِ الْمَهَارَى      وَلَمْ تُرَكِّبْ هُمُومَكَ كَالزَّمَاعِ<sup>(١)</sup>

ثم قال :

بِمَهْدِيٍّ بَنَ أَصْرَمَ عَادَ عُودَى      إِلَى إِبْرَاقِهِ ، وَأَمْتَدَّ بَارَعَى

\*\*\*

ومن ذلك قول البحترى :

تَوَهَّمْتُهَا أَلْوَى بِأَجْفَانِهَا الْكَرَى      كَرَى النَّوْمِ ، أَوْ مَالَتْ بِأَعْطَافِهَا الْخَمْرُ<sup>(٢)</sup>

ثم قال :

لَعَمْرُكَ مَا أَلْدُنْيَا بِنَاقِصَةِ الْجَدَا      إِذَا بَقِيَ الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ وَالْقَطْرُ

وقال :

وَمَنْ يَطْلُعُ شَرَفَ الْأَرْبَعِينَ      يُلَاقِي مِنَ الشَّيْبِ زَوْراً غَرِيباً<sup>(٣)</sup>

ثم قال :

بَلَوْنَا ضَرَائِبَ مَنْ قَدْ تَرَى      فَمَا إِنْ رَأَيْنَا لِفَتْحٍ ضَرِيباً

وقال :

تَأْبَى رَبَاهُ أَنْ تُجِيبَ وَلَمْ يَكُنْ      مُسْتَخْبِرٌ لِيُجِيبَ حَتَّى يَفْهَمَا<sup>(٤)</sup>

(١) ديوان أبي تمام ١٩٣ وشرح التبريزي ٢ / ٣٣٨ وفي م « هويا » .

(٢) ديوان البحترى ٨٦ ، ٢ / ٨٤٤ دار المعارف .

(٣) ديوانه ٩٢ ، ١ / ١٥٠ دار المعارف « يحى من الشيب . . . » .

(٤) ديوانه ٢٢٩ ، ٣ / ١٩٥٩ .

ثم قال :

اللَّهُ جَارُ بَنِي الْمُدَبِّرِ كُلَّمَا      ذُكِرَ الْمَكَارِمُ مَا أَعَفَّ وَأَكْرَمًا<sup>(١)</sup>

وقال :

وَكَمْ مِنْ يَدٍ لِلَّيْلِ عِنْدِي جَمِيلَةٍ      وَلِلصُّبْحِ مِنْ خَطْبٍ تُذَمُّ غَوَائِلُهُ<sup>(٢)</sup>

ثم قال :

وَقَدْ قُلْتُ لِلْمُعَلِّيِ إِلَى الْمَجْدِ طَرَفُهُ      دَعِ الْمَجْدَ فَالْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ شَاغِلُهُ<sup>(٣)</sup>

وقال في وصف الغيث :

فَصَاغَ مَا صَاغَ مِنْ حَلَىٍّ وَمِنْ حُلَلٍ      مَا يُمْتَنِعُ الْعَيْنَ مِنْ وَشْيٍ وَدِيبَاكِجٍ<sup>(٤)</sup>

ثم قال :

إِلَى عَلِيٍّ بَنِي الْفَيَاضِ بَلَّغْنِي      سُرَايَ مِنْ حَيْثُ لَا يُسْرَى وَإِذْ لَاجِي<sup>(٥)</sup>

وقال :

مَا كَانَ هَجْرُكَ مَكْرُوهًا أَحَازِرُهُ      وَلَا وَصَالُكَ مَعْرُوفًا أَرْجِيهِ<sup>(٦)</sup>

ثم قال :

بَنُو ثَوَابَةِ أَقْمَارُ إِذَا طَلَعَتْ      لَمْ يَلْبَثِ اللَّيْلُ أَنْ يَنْجَابَ دَاجِيهِ

(١) في ديوان البحترى ٤ / ١٩٥٩ « ذكر الأكارم »

(٢) ديوان البحترى ٥٢ / ٣٠ / ١٦١٢ « عندى حميدة » .

(٣) في الديوان ٥٢ « طوقه » .

(٤) ديوانه ٣٨٧ ، ١١ / ٤ « ما صاغ من تبر ومن ورق وحاك ما حاك » .

(٥) م « لا تسرى » .

(٦) ديوانه ١٧٥ ، ٤٤ / ٢٤٢٣ .

وقال :

أَمِيلُ بِقَلْبِي عَنْكَ ثُمَّ أَرَدُهُ وَأَعْذُرُ نَفْسِي فِيكَ ثُمَّ أَلُومُهَا<sup>(١)</sup>

ثم قال :

إِذَا الْمُهْتَدَى بِاللَّهِ عُدَّتْ خِلَالُهُ حَسِبْتَ سَمَاءَ كَاثَرْتِكَ نُجُومُهَا<sup>(٢)</sup>

وقال :

وَهَلْ هِيَ إِلَّا لَوْعَةٌ مُسْتَسِرَّةٌ يُذِيبُ الْحَشَا وَالْقَلَابَ وَجَدًّا غَلِيلُهَا<sup>(٣)</sup>

ثم قال :

وَلَوْلَا مَعَالِي أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ لَأَضَحَّتْ دِيَارُ الْحَمْدِ وَحَشَا طُلُوعُهَا<sup>(٤)</sup>

فهذا الجنس من الخروج إلى المدح هو الأعم في أشعارهما .

\* \* \*

وأما الوجه الذى يجعلون<sup>(٥)</sup> له سبباً يَصِلُ النسيب بالمدح فعلى معانى شتى :

منها الخروج بذكر وَصْفِ الْإِبِلِ وَالْمَهَامِهِ إِلَى الْمَدْحِ . وهذا المعنى عام كثير فى أشعار الناس .

فمن ذلك قول أبى تمام :

يُصَبِّرُنِي إِنْ ضِيقْتُ دَرْعًا بِحُبِّهِ وَيَجْزَعُ أَنْ ضَاقَتْ عَلَيْهِ خَلَاخِلُهُ<sup>(٦)</sup>

( ١ ) ديوان البحرى ١٠٧ ، ٣ / ٢٠٢٣ .

( ٢ ) فى الديوان « مسيت السماء » .

( ٣ ) ديوانه ١٧٧٩ / ٣ طبع المعارف .

( ٤ ) هو أحمد بن محمد بن بسطام المتوفى سنة ٢٩٧ هـ .

( ٥ ) م « يجعلوا له » .

( ٦ ) ديوان أبى تمام ٢٣٠ « يمتنى . . ذرعا يحبه » فى شرح التبريزى ٣ / ٢٤ « ذرعا بنأيه » .

ثم خرج إلى مدح المعتصم فقال :

إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَقَدْ أَتَى عَلَيْهَا الْمَلَأَ أَذْمَاتُهُ وَجَرَائِلُهُ<sup>(١)</sup>  
نَصَرَنَ السُّرَى بِالْوَحْدِ فِي كُلِّ صَحْصَحٍ وَبِالسُّهْدِ الْمَوْصُولِ وَالنَّوْمِ خَاذِلُهُ<sup>(٢)</sup>  
رَوَّاحِلُنَا قَدْ بَزَّنَا لَهُمُ أَمْرَهَا إِلَى أَنْ حَسِبْنَا أَنَّهُمْ رَوَّاحِلُهُ  
إِذَا خَلَعَ اللَّيْلُ النَّهَارَ رَأَيْتَهَا بِإِرْقَالِهَا فِي كُلِّ وَجْهِ تَقَابِلُهُ<sup>(٣)</sup>  
إِلَى قُطْبِ الدُّنْيَا الَّذِي لَوْ يَمْدَحُهُ مَدَحْتُ بَنَى الدُّنْيَا كَفَتْهُمْ فَضَائِلُهُ

الْمَلَأَ - الْمُقْصُور - : الْمُتَّسِعُ مِنَ الْأَرْضِ .

وَالْأَذْمَاتُ : جَمْعُ دَمَتْ وَهِيَ الْأَرْضُ اللَّيْنَةُ .

وَالْجَرَائِلُ : جَمْعُ جَرَوْلَ ، وَهِيَ [ الْأَرْضُ ] الْخَشْنَةُ ذَاتُ الْحَجَارَةِ .

ومنه قول أبي تمام أيضًا :

الْيَوْمَ يُسْلِيكَ عَنْ طَيْفٍ أَلَمٍّ وَعَنْ بَيْلِ الرُّسُومِ بَلَاءُ الْأَيْتُقِ الرُّسْمِ<sup>(٤)</sup>  
مِنَ الْقِلَاصِ اللَّوَاتِي فِي حَقَائِبِهَا بِضَاعَةٌ غَيْرُ مُزْجَاةٍ مِنَ الْكَلِمِ  
إِذَا بَلَغْنَ أَبَا كُلْثُومٍ اتَّصَلَتْ تِلْكَ الْمُنَى وَأَخَذَنَ الْحَاجَ مِنْ أَمَمِ

ومن ذلك قوله :

سَبَبَتْهُ الرُّكَّابِ وَرَاكِبِيهَا فَتَى كَالسَّيْفِ هَجَعْتُهُ غَرَارُ<sup>(٥)</sup>

( ١ ) في الديوان وشرحه « أتتك أمير » وفي م « عليها الملى » .

( ٢ ) م « نصرت » .

( ٣ ) قال الصولي فيما نقل التبريزي « يقول : تجد في السير إذا أقبل الليل كأنها تقابله ؛ لأن سير النهار أحب إليها . و « تقابله » بالباء يدل على أن سير الليل أحب إليها بجمدها في الإرقال » .

( ٤ ) ديوانه ٢٦٨ وشرح التبريزي ٣ / ١٨٦ وفي م : « يسلبك » .

( ٥ ) ديوانه ١٤١ وشرح التبريزي ٢ / ١٥٥ .



أَطْلَّ عَلَى طُلَى الْآفَاقِ حَتَّى كَانَ الْأَرْضَ فِي عَيْنَيْهِ دَارُ<sup>(١)</sup>  
تَوَّم أَبَا الْحُسَيْنِ وَكَانَ قَدَمًا فَتَى أَعْمَارُ مَوْعِدِهِ قِصَارُ

وقوله :

وَبَسَاطٍ. كَانَمَا الْآلُ فِيهِ وَعَلَيْهِ سَخَقُ الْمَلَاءِ الرَّحِيضُ<sup>(٢)</sup>  
يُضْبِحُ الدَّاعِرِيُّ ذُو الْمِرَّةِ الْمِرْ جَمُ فِيهِ كَانَهُ مَأْبُوضُ<sup>(٣)</sup>  
قَدْ فَضَضْنَا مِنْ بَيْدِهِ خَاتَمَ الْخَوْ فِ ، وَمَا كُلُّ خَاتَمٍ مَفْضُوضُ  
بِالْمَهَارَى يَجْلُنَ فِيهِ وَقَدْ جَا لَتْ عَلَى مُسْتَمَاتِهِنَّ الْغُرُوضُ<sup>(٤)</sup>  
جَازِعَاتٍ سُودَ الْمَهَامِهِ تَهْدِي هَا وَجْهُ لِمَكْرُمَاتِكَ بَيْضُ<sup>(٥)</sup>

وقوله :

فَاطْلُبْ هُدُوءًا بِالتَّقَلُّقِ وَأَسْتَشِرْ بِالْعَيْسِ مِنْ تَحْتِ السُّهَادِ هُجُودًا<sup>(٦)</sup>  
مِنْ كُلِّ مُعْطِيَةٍ عَلَى عَالِ السُّرَى وَخَدَا يَبِيْتُ النَّوْمُ مِنْهُ شَرِيدًا  
تَخْدِي بِمَنْصَلَتِ يَظْلُ إِذَا وَنَى ضَرْبَاوُهُ حِلْسًا لَهَا وَقُتُودًا

(١) في الديوان وشرحه « على كل » .

(٢) ديوانه ١٨٢ وشرح التبريزي ٢ / ٢٩٠ البساط : الأرض الواسعة . والسحق : البالي .

ويروى : « السحل » وهو الثوب الأبيض . والرحيض : المنسول .

(٣) « الداعري » : الفحل من الإبل . والمرة : القوة ، ويروى « ذو الميعة » وهي النشاط . والمرجم : الذي يرى بنفسه الأشياء كأنه يرجمها . والمأبوض : الذي عليه إباحض ، وهو جبل يشد في مأبض البعير . وهو باطن الركبة .

(٤) المسنات : الإبل العظام الأسنة . يقول : هذه الإبل قد ذهب لحمها فجالت غروضها لأجل ذلك .

(٥) جازعات : من جزع الوادي إذا قطعه . وعنى بالسود الليلي . ويروى « سود المروارة » والمروارة : الأرض التي لا شيء بها . أي هؤلاء القوم يسرون بالليل السود بالمروارة .

(٦) ديوانه ٨٧ وشرح التبريزي ١ / ٤١٦ .

جَعَلَ الدُّجَى سِتْرًا وَودَّعَ رَاضِيًا بِالْهُونِ يَتَّخِذُ الْقُعُودَ قَعُودًا<sup>(١)</sup>  
 طَلَبَتْ رَبِيعَ رَبِيعَةَ الْمُنْهَى لَهَا وَوَرَدَنْ ظِلُّ رِوَاقِهِ الْمَمْدُودَا<sup>(٢)</sup>  
 قوله : « فاطْلُبْ هُدُوءًا فِي التَّقَلُّبِ » من قول عُرْوَةَ بْنِ الْوَرْد :

\* ولم تدر أُنَى لِلْمَقَامِ أَطُوف \* .

وقوله : « الْمُنْهَى لَهَا » أَى الذى أَكْثِرَتْ مِيَاهُهُ . ويروى « الْمُنْهَى » لَهَا  
 أَى الذى يُكْثِرُ لَهَا الْمَاءَ . وليس يريد الماء بعينه ، وإنما يريد الخصب والسَّعة  
 لَأَنَّهُ بِالْمَاءِ يَكُونُ .

وهذا الخروج كله جيد بالغ .

وله على هذا الوجه خروجات رديئة ومتوسطة لم أذكرها . ومنها قوله :  
 دَغَ عَنْكَ هَذَا إِذَا أَنْتَقَلْتِ إِلَى الْا حَذَحَ وَشُبَّ سَهْلُهُ بِمُقْتَضَبِهِ<sup>(٣)</sup>  
 فالسهل : ما يأتى به خاطره عَفْوَاً من غير فكر ولا طاب .

والمُقْتَضَبُ ما يقطعُه خَاطَرُهُ اقْتِطَاعًا بِالفكر والتَّعب ، ويقال : ناقة  
 قَصِيبٌ ، وهى التى رِيضَتْ ولم تُذَلَّ كل الذَّلِّ لِلْمَحْمَلِ وَالرُّكُوبِ .

فأما قول البحتري لإبراهيم بن المدبر<sup>(٤)</sup> فى عِتَابِ حُلُوْ :  
 دَغَ ذَا وَأَخْبِرْنِي بِشَأْنِ صَدِيقِنَا بِشِيرٍ وَهَلْ يُرْضَى لِـبِشِيرٍ شَأْنُ<sup>(٥)</sup>

( ١ ) سبقت روايته « الدجى جملا » .

( ٢ ) ويروى : « قَتِفَاتٌ ظَلَالُهَا الْمَدُودَا » و « فوردن ظل ربيعة المهودا » .

( ٣ ) ديوانه ٥٢ وشرح التبريزى ١ / ٢٧٥ .

( ٤ ) م « المدبر بن عتاب » .

( ٥ ) لعله بشر بن الفرج الذى مازحه بأبيات ختمها بقوله : « يحب الدناءة حب الوطن » راجع

ديوانه طبع مصر ٢ / ٣٠١ .

فإنَّ «دَعَّ» ها هنا حسنة ، وليست مثلها في الخروج من النسب إلى المدح .

ثم قال أبو تمام هو قوله : «دَعَّ عَنْكَ هذا» :

لَسْتُ مِنَ الْعَيْسِ أَوْ أَكَلَفَهَا وَخَدًّا يُدَاوِي الْمَرِيضَ مِنْ وَصْبِهِ<sup>(١)</sup>

إلى الْمُصَفَّى مَجْدًا أَبِي الْحَسَنِ أَدْ صَعْنَ أَنْصِياعَ الْكَذْرَى فِي قَرَبِهِ<sup>(٢)</sup>

قوله : «يُدَاوِي الْمَرِيضَ» ، يعني المريض في حاله لا في جسمه ؛ لأنه

يُدْنِيهِ مِنَ الْغَى .

والانصِياعُ : الانحراف في السير من النَّشاط والسَّعة . والكذْرَى القَطَا .

يعني إذا جنحت في الطيران وانحرفت نشيطة مسرعة .

\*\*\*

ومن هذا الباب قول البحتری :

فَالْعَيْسُ تَرْمِي بِأَيْدِيهَا عَلَى عَجَلٍ فِي مَهْمَةٍ مِثْلَ ظَهْرِ الثُّرَيْسِ رَخْرَاحٍ<sup>(٣)</sup>

نَهْدِي إِلَى الْفَتْحِ - وَالنُّعْمَى بِذَلِكَ لَهُ مَذْحًا يُقَصِّرُ عَنْهُ كُلُّ مَذَّاحٍ<sup>(٤)</sup>

وقوله :

سَيَحْمِلُ هَمِّي عَنْ قَرِيبٍ وَهَمَّتِي قَرَى كُلَّ ذِيَالٍ جُلَالٍ جَلَنَفَعٍ<sup>(٥)</sup>

(١) الذي بعده في الديوان وشرحه :

إني لذنو ميسم يلوح على صمود هذا الكلام أو حبه

وقال التبريزي : لست من العيس : أي لست صاحبها حتى أكلفها سيرا يشق صدر المهموم ويذهب

عدم الفقير . والوصب : الوجع ، أخذه من قول القطامي :

وسارت سيرة ترضيك منها يكاد وسيجها يشق الصداعا

(٢) في قربه ، أي في طلبه للماء ، ومنه ليلة القرب وهي التي يصبحون منها على الماء .

(٣) ديوان البحتری ٥٨ ، ١ / ٤٤٣ .

(٤) م «تهدى . . بذلك له» .

(٥) ديوانه ٨٩ ، ٢ / ١٢٣٨ ، والقرا : الظهر ، والذیال : طويل الذيل ، والجلال : الضخم .

وقال أبو العلاء المعري : ووصفه الجمل بذیال قلما يستعمل ، إنما يوصف بذلك الفرس والثور الوحشي .

والجلنفع : الغليظ الشديد وإنما توصف به الإبل ، وربما استعملوه في الظلم ، والأثنى جلنفعة . راجع

عبد الوليد ١٣٣ .

يُنَاهِيْنَ أَجْوَاَزَ الْفَيَافِي بِأَرْجُلِي عَجَالٍ إِلَى طَيِّ الْفَيَافِي وَأَذْرُعِي<sup>(١)</sup>  
مَتَى تَبْلُغِ الْفَتْحُ بِنَ خَاقَانَ لَا تُنْخِ بِضْنِكَ ، وَلَا تَفْزَعِ إِلَى غَيْرِ مَفْزَعِ  
الْجَلَنَفَعِ : المتناهي في سنه وقوته<sup>(٢)</sup>.

« يُنَاهِيْنَ أَجْوَاَزَ الْفَيَافِي... » بيت في غاية الحسن ، وجودة اللفظ .

وقول البحترى أيضاً :

وَلَقَدْ تَعَسَّفْتُ الْأُمُورَ وَصَاحِبِي حَزَمٌ يَلْفُ حُزُونَهَا بِسُهُولِهَا<sup>(٣)</sup>  
وَنَشَرْتُ أَرْدِيَةَ الصَّبَا وَطَوَيْتُهَا بِالْعَيْسِ بَيْنَ وَجِيفِهَا وَقَمِيلِهَا<sup>(٤)</sup>  
شَامَتْ بُرُوقُ سَحَابَةٍ قُرْشِيَّةٍ غَرِقَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ بَيْنَ سُيُولِهَا<sup>(٥)</sup>  
وقوله :

وإِذَا اسْتَضَعَبْتُ مَقَادَةَ أَمْرِ سَهَّلَتَهَا أَيْدِي الْمَهَارَى الْقُودِ<sup>(٦)</sup>  
حَامِلَاتُ وَفَدَ الثَّنَاءِ إِلَى أَبِ لَمَجٍ صَبُّ إِلَى ثَنَاءِ الْوُفُودِ  
عَلِقُوا مِنْ مُحَمَّدٍ خَيْرَ حَبْلِ لِرُوَاقِ الْخِلَافَةِ الْمَمْدُودِ<sup>(٧)</sup>  
وقوله :

تَشْكِي الْوَجَى وَاللَّيْلُ مُلْتَبِسُ الدُّجَى غُرَيْرِيَّةُ الْأَنْسَابِ مَرَّتْ بِقَيْعِهَا<sup>(٨)</sup>

(١) م « أجواز الفيافي » .

(٢) وكان خليفاً بالأملى أن يزيد بعد ذلك : وهي كلمة في غاية السخف .

(٣) ديوان البحترى ٣٤٥ ، ٣ / ١٧٧١ .

(٤) م في الديوان « أردية الدجى . . . والعيس » .

(٥) في الديوان : « بين سهولها » .

(٦) ديوانه ٦٩٢ ، ١ / ٦٣٤ والمهاري القود : الإبل الطويلة الأعناق .

(٧) يقصد محمد بن عبد الملك الزيات .

(٨) ديوانه ١٢٩٧ ، ٥ وإعجاز القرآن ٩١ وعبث الوليد ١٣١ والوجى : أن يشتكى البعير

باطن خفه . ومكان مرت : قفر لا نبات فيه . والبقيع من الأرض . المكان المتسع فيه أروم شجر من ضروب شتى .

وَلَكَسْتُ بِزَوَارِ الْمُدُوكِ عَلَى الْوَنَى      لَيْثُنَ لَمْ تَجُلْ أَغْرَاضُهَا وَنُسُوعُهَا<sup>(١)</sup>  
 تَوْمُ الْقُصُورِ الْبَيْضِ مِنْ أَرْضِ بَابِلَ      بِحَيْثُ تَلَاقَى غَرْدُهَا وَبَدِيعُهَا<sup>(٢)</sup>  
 إِذَا أَشْرَفَ الْبُرْجُ الْمُطِلُّ رَمِينَهُ      بِأَبْصَارِ خُوصٍ قَدْ أَرَنْتَ قُطُوعُهَا<sup>(٣)</sup>  
 يُضِيءُ لَهَا قَصْدَ السَّرَى لَمَعَانُهُ      إِذَا أَسْوَدَّ مِنْ ظُلْمَاءِ لَيْلِ هَزِيعُهَا  
 نَزُورُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَدُونَهُ      سُهُبُ الْبِلَادِ رَحْبَهَا وَوَسِيعُهَا

وهذه ألفاظ ومعان في غاية الصّحة والحسن ، وكثرة الماء .

وقوله : « غُرَيْرِيَّةٌ » منسوبة إلى فحل من فحول الإبل مذكور يقال له : غُرَيْر .  
 وَغَرْدُهَا وبديعها : قصران .

\*\*\*

وقال في ابن المدبّر :

إِنْنِي لَأَجِيءُ إِلَى عَزَمَاتٍ مُعْدِيَاتٍ عَلَى طَرِيقِ الْهُمُومِ<sup>(٤)</sup>  
 يَتَلَاَعَبْنَ بِالْفَيَافِي وَيُودِرِ نَ بِنَقِي الْمُسُومَاتِ الْكُومِ<sup>(٥)</sup>  
 التَّرَامِي بَعْدَ الْوَجِيفِ إِذَا أُسْتُوْ نِفَ خَرَقُ ، وَالْوَحْدُ بَعْدَ الرِّسِمِ<sup>(٦)</sup>  
 كُلُّ مَهْزُوزَةٍ الْمُقْدِّينِ تَلْقَى رَوْحَةَ الْجَبَابِ خَلْفَهَا وَالظَّلِيمِ<sup>(٧)</sup>

(١) في الديوان : « على الوجى » والأغراض : جمع غرض ، وهو حزام الرجل والنسوع : جمع نسع ، وهو سير مصفور تشد به الرحال .

(٢) في الديوان « غريها وبديعها » .

(٣) البرج : قصر للتوكل مكث به ثلاثة أيام فحم ، فأمر بهدمه . والخص : غفور العين .  
 أَرَنْتَ : أخلقت وبليت . والقطوع : جمع قطع بكسر القاف ، وهو الطنفسة تحت الرجل على كثر البعير .

(٤) ديوان البحري ٥٩٤ ، ٤ / ٢١٢٢ « على طرق » .

(٥) النقي : مخ العظام وشحمها ، كما في اللسان ٢٠ / ٢١٤ .

(٦) في الديوان « بعد الوجيفة . . » وفي طبعة المعارف « قبل الرسيم » .

(٧) قال ناشر الديوان في شرحه « المقذنين : مثني مقذ ، وهو آلة ، من قذ السهم : ألصق به الريش » وهو خطأ محض . والصواب ما قاله الأمدى . وفي طبعة المعارف « تلقى » .

جُنْحًا كَالسَّمَامِ يَحْمِلُنَ رَكْبًا طَلْحًا مِنْ ضُؤْلَةٍ وَسُهُومٍ<sup>(١)</sup>  
مَالَهُمْ عَرَجَةٌ وَإِنْ نَأَتِ الشُّمُقُ قَمَّةٌ دُونَ الْأَعْرُ إِبْرَاهِيمَ<sup>(٢)</sup>

قوله : « مَهْزُوزَةُ الْمُقَدِّينِ » ، فَاَلْمُقَدَّانِ : أصول الأذنين . وإنما يريد حركة رأسها عند السير ، وما أكثر ما تصف العرب ذلك .

وقوله : « تَلَقَّى رَوْحَةَ الْجَبِّ » إذا سارت مع حمار الوحش ، والظليم ، وهو ذكر النعام ، فوصلت غُدُوَّةً - وَصَلًا بعدها عَشِيًّا . يصفها بالسرعة والقوة عا السير .

وَالسَّمَامُ<sup>(٣)</sup> : جنس من الطير .

وَجَنَحَ يُجَنِّحُ في طيرانه ، أى يميل من النشاط . على أحد جناحيه وكذلك تفعل كرائم<sup>(٤)</sup> الإبل تتصرف في سيرها .

وقوله :

قَدْ أَقْذِفُ الْعَيْسَ فِي لَيْلٍ كَأَنَّ لَهُ وَشْيًا مِنَ النُّورِ ، أَوْ أَرْضًا مِنَ الْعُشْبِ<sup>(٥)</sup>  
حَتَّى إِذَا مَا أَنْجَلَتْ أَخْرَاهُ عَنْ أَفْقٍ مُضْمَخٌ بِالصَّبَاحِ الْوَرْدِ مُخْتَضِبٍ  
أَوْرَدَتْ صَادِيَةَ الْأَمَالِ فَأَنْصَرَفَتْ عَنِّي بِهَا ، وَأَخَذْتُ النُّجَجَ مِنْ كَثَبِ<sup>(٦)</sup>

( ١ ) م « جناحا كالسما » وهو تحريف ، وفي الديوان « كالسهم . . من سامة وسهوم » .

( ٢ ) في الديوان « غير الأعر » .

( ٣ ) م « والشام » .

( ٤ ) م « جرايم الإبل » !

( ٥ ) ديوانه ٤٩٩ ، ١ / ١١٩ .

( ٦ ) في الديوان « فأنصرفت بريها وأخذت » .

هَاتِيكَ أَخْلَاقُ إِسْمَاعِيلَ فِي تَعَبٍ مِنَ الْعَلَا ، وَالْعَلَا مِنْهُنَّ فِي تَعَبٍ<sup>(١)</sup>  
 أراد أوردت<sup>(٢)</sup> صادية الآمال بها أى بالعيس فانصرف عنى<sup>(٣)</sup> الآمال  
 الصادية ، وهى العطاش ، وأخذت النجح من كَثَبٍ ، أى من قُرب .

وقوله : « فِي لَيْلٍ كَأَنَّ لَهُ وَشْيًا مِنَ النُّورِ » [أى] فى ليلٍ شديد الظلمة ،  
 فإذا اشتدت ظلمته أشرقت كواكبه ما صغر منها و [ما] كبير . وأحسن  
 ما تكون السماء إذا كانت هذه حالها .

وإلى هذا المعنى ذهب ذو الرمة فى قوله :

وَلَيْلٍ كَجِلْبَابِ الْعُرُوسِ أَدْرَعَتْهُ بِأَرْبَعَةٍ ، وَالشَّخْصُ فِي الْعَيْنِ وَاحِدٌ<sup>(٤)</sup>  
 أراد الحلّى الذى [على] جلبابها . شبه الليل به فى حسن نجومه . وإنما  
 يريد أنه أدرع ليلاً شديد الظلمة ، مُضِئ الكواكب .

\*\*\*

وفى شدة ظلمة الليل يقول البحتري أيضاً :

وَاللَّيْلُ فِي صَبْعِ الْغُرَابِ كَأَنَّمَا هُوَ فِي حُلُوكَتِهِ وَإِنْ لَمْ يَتَعَبِ<sup>(٥)</sup>  
 حَتَّى تَجَلَّى الصُّبْحُ مِنْ جَنَابَاتِهِ كَالْمَاءِ يَلْمَعُ فِي خِلَالِ الطُّحْلُبِ<sup>(٦)</sup>  
 وهذا معنى ما سمعت فى شعرٍ قديم ولا محدث أحسن ولا أروع منه .

(١) يقصد الوزير إسماعيل بن بلبل .

(٢) م « أراد أو ردت بمعنى أو ردت » .

(٣) م « فانصرفت حتى الآمال » .

(٤) ديوان ذى الرمة ٢٩ وديوان المعاني ١ / ٣٤٢ والصناعتين ٢٣٣ وأخبار أبى تمام ٨٣

وأمالى المرتضى ١ / ٥٤٨ .

(٥) ديوان البحتري ٦٠١ ، ١ / ٨٠ « فى لون الغراب كأنه » .

(٦) فى الديوان « فى جنباته . . . يلمع من وراء » .

ثم قال :

وَالْعَيْسُ تَنْصُلُ مِنْ دُجَاهٍ كَمَا أَنْجَلَى  
يَطْلُبُنَ مُجْتَمَعَ الْعَلَا مِنْ وَاثِلٍ  
صَبِغُ الشَّبَابِ عَنِ الْقَذَالِ الْأَشْيَبِ<sup>(١)</sup>  
فِي ذَلِكَ الْأَصْلِ الزَّكِيِّ الطَّيِّبِ<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

وقال البحتري :

سَوْفَ أُعْطَى السَّلَوُ وَالصَّبْرَ مَا أَمْ  
بِالْمَهَارَى يَلْبَسُنْ ثَوْبًا جَدِيدًا  
نَحْ مِنْ طَارِفِ الْهَوَى وَتَلِيدِ<sup>(٣)</sup>  
مُسْتَفَادًا فِي كُلِّ وَقْتٍ جَدِيدٍ  
فَهِيَ طُولَ النَّهَارِ بَيْضٌ وَطُولَ الْ  
لَيْلِ فِي أَقْمَصٍ مِنَ اللَّيْلِ سُودٍ  
طَالَاتُ فِي الْغَيْثِ غَيْثًا سَكُوبًا  
وَحَمِيدًا فِي آلِ عَبْدِ الْحَمِيدِ<sup>(٤)</sup>

وقال في محمد بن علي القمي :

لَقَدْ عَلِمْتُ عِيدِيَّةَ الْعَيْسِ أَنْنِي  
خَرَجْنَا بِهَا فِي الْبَيْضِ بَيْضًا لَمْ نَرَأِدْ  
أَهْبُ إِذَا نَامَ الْهَدَانُ وَأُعْنِقُ<sup>(٥)</sup>  
دَادِي إِلَّا وَهَى مِنْهُنَّ أَمَحَقُ<sup>(٦)</sup>  
هَشْمَنَ إِلَى ابْنِ الْهَاشِمِيَّةِ أَوْجُهَا  
عَوَابِسَ لِلظُّلُمَاءِ مَا تَتَطَلَّقُ<sup>(٧)</sup>

قوله : « خَرَجْنَا بِهَا فِي الْبَيْضِ » . يريد في الليالي البيضاء ، وهي التي يكون القمر فيها طالعًا من أولها إلى آخرها .

وقوله : « بَيْضًا » : يريد الآدم من الإبل ، وهو الأبيض ، فإن خالطته

(١) هذا البيت مقدم في الديوان عن البيت الثاني . وما هنا أنسب .

(٢) وفيه : « الأطيب » .

(٣) ديوان البحتري ٢ / ٧٦٩ ، ٣ / ١٤٩٣ - ١٤٩٤ .

(٤) مضت روايته : « غينا سكونا » .

(٥) ديوانه ٥١٨ « أخب إذا » وجاء في اللسان ١٧ / ٣٢٦ « الهدان » : الأحق الجافي الوخم

الثقيل في الحرب . . . وقيل : الهدان . النوم الذي لا يصل ولا يبكر في حاجة » .

(٦) م « خرجت بها » .

(٧) في الديوان « عوابس للبيداء » .



حمرة فهو أصهب . وأظنه قال هاهنا بيضاً أراد حسننها وصفاء ألوانها وسمنها .

والدآدى : هى الليالى فى آخر الشهر ، وهى مظلمة .

أى لم نصل إليها حتى هزلت مطايانا ، وصارت أمحق منها . وإنما جعل الدآدى ممحقة لأنها آخر الشهر<sup>(١)</sup> .

والهدان : الرجل البليد الذى ترضيه بالكلمة فيرضى .

\* \* \*

وقال :

وَأَرَى الْمَطَايَا لَا قُصُورَ بِهَا عَنْ لَيْلٍ سَامِرَاءَ تَدْرِعُهُ<sup>(٢)</sup>  
يَطْلُبُنَّ عِنْدَ فَتَى رَبِيعَةٍ مَا عِنْدَ الرَّبِيعِ تَخَايَلَتْ بُقْعُهُ  
قوله : « تَخَايَلَتْ » . أى صارت مُخِيلَةً للنبات ، ظاهراً ذلك فيها .  
أو أن يريد صارت كالخيلا من النبات .

وقال :

كَالْبُرَى فِي الْبُرَى وَيُحْسِنُ أَحْيَا نَا نُسُوعًا مَجْدُولَةً فِي النَّسُوعِ<sup>(٣)</sup>  
أَبْلَغْتَنَا مُحَمَّدًا فَحَمِدْنَا حُسْنَ ذَاكَ الْمَرْثَى وَالْمَسْمُوعِ<sup>(٤)</sup>

وقال :

وَمَا نَنَى مُسْتَهَامًا عَنْ صَبَابَتِهِ مِثْلُ الزَّمَاعِ وَوَجَدِ الْعُرْمِيسَ الْأَجْدِ<sup>(٥)</sup>

(١) فى اللسان ١ / ٦٣ « أبو الهيثم : الثلاث التى بعد الحاق سمين دآدى ، لأن القمر فيها يدأدى إلى الغيوب أى يسرع . وقال الأصمى : فى ليالى الشهر ثلاث محاق ، وثلاث دآدى . والدآدى الأواخر وأنشد :

أبدى لنا غرة وجه بادی كزهرة النجوم فى الدآدى »

(٢) ديوان البحرى ٢٣٧ ، ٢ / ١٢٤٩ وفى م « لا قصور لها » .

(٣) ديوانه ٤٢١ ، ٢ / ١٢٨٠ .

(٤) يقصد القائد محمد بن يحيى الوائلى .

(٥) ديوانه ٤٢٤ ، ١ / ٥٧٤ والزماح : المضاء فى الأمر والعزم عليه ، والإسراع فى المشى .

والونعد : ضرب من سير الإبل سريع . والعريس : الناقة الصلبة الشديدة . والأجد : الناقة القوية الموثقة الخلق ، ولا يقال الجميل : أجد .

إِلَى أَبِي نَهْشَلٍ ظَلَّتْ رَكَائِبُنَا يَحِذْنَ مِنْ بَلَدٍ نَاءٍ إِلَى بَلَدٍ<sup>(١)</sup> .  
إِلَى فَتَى مُشْرِقِ الْأَخْلَاقِ لَوْسِيكَتْ أَخْلَاقُهُ مِنْ شُعَاعِ الشَّمْسِ لَمْ تَزِدْ  
وَقَدْ جَعَلَ الْبَحْتَرَى مَكَانَ النَّاقَةِ هَاهُنَا «فَرَسًا» فَقَالَ فِي مَدْحِ الشَّاهِ بْنِ  
مِيكَالَ :

فَتَنَاسَ مَنْ لَمْ تَرْجُ رَجْعَةَ وَدِّهِ وَوَصَالِهِ فَتَعَزَّ عَنْ ذِكْرَاهُ<sup>(٢)</sup>  
بِمُجْتَنِبِ رَحْبِ الْفُرُوجِ مُشْدَبِ نَابِي الْقَذَالِ حَدِيدُهُ أَذْنَاهُ<sup>(٣)</sup>  
ضَافِي السَّبِيبِ مُقْلَصٍ لَمْ تَنْخَزِلْ مِنْهُ الْقَطَاةُ ، وَلَمْ تَحْنُهُ شَطَاهُ<sup>(٤)</sup>  
صَافِي الْأَدِيمِ كَأَنَّ غُرَّةَ وَجْهِهِ فَلَقُ الصَّبَاحِ أَنْجَابَ عَنْهُ دُجَاهُ  
يَجْرِي إِذَا جَرَّتِ الْجِيَادُ عَلَى الْوَنَى فَيَبْدُ أُولَى جَرِيهَا أُخْرَاهُ  
يُذْنِيكَ مِنْ مَلِكٍ أَعْرَ سَمِينَعِ يُذْنِيكَ مِنْ أَقْصَى مَنَاهُ رِضَاهُ<sup>(٥)</sup>

\*\*\*

وقد خرج أبو تمام إلى المدح بوصف الخيل أيضًا فقال :

حَذَوْنَاهَا الْوَجَى وَالْأَيْنَ حَتَّى تَعَاوَزَتِ الرُّكُوعَ إِلَى السُّجُودِ<sup>(٦)</sup>  
إِذَا خَرَجَتْ مِنَ الْعَمَرَاتِ قُلْنَا : خَرَجَتْ حَبَائِيسًا إِنْ لَمْ تَعُودِي

(١) في الديوان « يَحِذِينَ » أبو نهشل : كنية محمد بن حميد بن عبد الحميد الطوسي الطائي .

(٢) ديوان البحتري ٤ / ٢٤٣١ - ٢٤٣٢ طبع المعارف .

(٣) المجنب : الجنوب ، أى المقود . والفرس المشذب : الطويل القليل اللحم . القذال : معقد العذار من الفرس خلف الناصية .

(٤) السبيب : شعر ذنب الفرس . مقلص : طويل القوائم منضم البطن . والقطاة : العجز ، وما بين الوركين أو مقعد الرديف من الفرس . وفى م « شطاه » والشطى : عظم لازق بالذراع . فإذا زال قيل شطى الفرس . وقوله : لم تخنه شطاه ، كقول امرئ القيس : « سليم الشطى » .

(٥) السمينع : السيد الشريف السخى الشجاع . ولعل « مناه » محرفة عن « مناك » ثم رأيتها في طبعة المعارف « مناك » .

(٦) ديوان أبي تمام ١٠٥ وشرح التبريزي ٢ / ٣٥ « حذوناها : أى جعلنا الوجى لها مثل الأحذية » .

فَكَمْ مِنْ سُودِدٍ أَمَكَنْتِ مِنْهُ بِرُمْتِهِ عَلَى أَنْ لَمْ تَسُودِي  
أَهَانِكَ لِلطَّرَادِ وَلَمْ تَهْوِي عَلَيْهِ ، وَلِلْقِيَادِ - أَبُو سَعِيدٍ<sup>(١)</sup>

\*\*\*

وقد جعل البحري أيضا « السفينة » مكان الناقة فقال :  
وَرَمَتْ بِنَا سَمْتَ الْعِرَاقِ أَيَانِقُ سَحْمُ الْخُدُودِ لُغَامُهُنَّ الطُّحْلُبُ<sup>(٢)</sup>  
مِنْ كُلِّ طَائِرَةٍ بِخَمْسِ خَوَافِقٍ دُعَجَ كَمَا ذُِعِرَ الظَّلِيمُ الْمُهْذَبُ<sup>(٣)</sup>  
يَحْمِلْنَ كُلُّ مُفَرَّقٍ فِي هِمَّةٍ فَضْلٍ يَضِيقُ لَهَا الْفَضَاءُ السَّبَسَبُ<sup>(٤)</sup>  
رَكِبُوا الْفُرَاتَ إِلَى الْفُرَاتِ وَأَمَلُوا نَشْوَانَ يُبْدِعُ فِي السَّمَاحِ وَيُغْرِبُ<sup>(٥)</sup>

قوله : أَيَانِقُ جمع أَيْنُقُ ، وهو جمع ناقة .

وهذا من المقلوب الذي جاء في كلامهم ، لأنَّ النون من شأنها أَنْ تتقدّم  
الياء ، فلو جاء على الاستقامة لكان أَيْنِقُ<sup>(٦)</sup> وَأَنَانِقُ . وهذا مثل مَلَكٍ وَمَلَائِكَةٍ ،  
وَالْأَصْلُ مَالِكٍ وَمَالِكَةٍ .

وقوله : « سَحْمُ الْخُدُودِ » . يريد سَوَادَ الْقَارِ .  
وَلُغَامُهُنَّ الطُّحْلُبُ : يريد الخضرة التي تتعلق بالسفن من طوال الْمُكْثِ  
في الماء .

وقوله : « خَمْسُ خَوَافِقٍ » . يريد أربعة مجاديف ، وسكان ، أو قائم الشراع .

ودُعَجُ : سَوَادُ الْقَارِ أَيْضًا .

(١) أبو سعيد : محمد بن يوسف الطائي .

(٢) ديوان البحري ٦٨٢ ، ١ / ٧٣ ولغام البعير : زبده .

(٣) في الديوان « يضيّق بها » .

(٤) فيه « وأملوا جذلان » .

(٥) م « لكان أَيْنُق » .

وقوله : « كما ذُِعِرَ الظِّلِيمُ » يريد سرعة السفن . وانْبِعَاثُهَا كما يَنْبَعِثُ  
الظليم وَيَجْفُلُ إذا فَزِعَ .  
والإِهْذَابُ : السُّرْعَةُ .

وقوله : « يَحْمِلُنَ كُلٌّ مُفَرَّقٍ » . أى مُتَقَسِّمٍ . فى هِمَّةٍ فَضْلٍ . أى همة  
واحدة . يضيق لها الفضاءُ لِعِظَمِهَا وَسَعَتِهَا .  
والفُضْلُ : الثوب الواحد الذى يقتصر <sup>(١)</sup> عليه الرجل والمرأة ويبتذِلُهُ  
للأعمال . قال امرؤ القيس :

\* لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفْضُلٍ <sup>(٢)</sup> \* .

وأظن البحترى أراد بقوله : « فَضْلٌ » . أى هِمَّةٌ واحدة <sup>(٣)</sup> . وَجْهٌ <sup>(٤)</sup> إليك  
دُونَ مَنْ سِوَاكَ ، وجعلها عظيمة على قدر الممدوح . أى اتسعت الهمة فيك  
وعظمت ؛ قد تقسمته وصار لا فضل فيه لغيرها .  
وهذه أبيات حسان .

\* \* \*

(١) م « يعتمر » .

(٢) بقية البيت كما فى ديوان امرئ القيس ١٣١ :

« وتضحى فتيت المسك فوق فراشها نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل »

(٣) لقد أغرب الأمدى فى ظنه فوقع بعيداً عن مراد الشاعر القريب الواضح . وبيان ذلك : أن  
الهمة : واحدة الهمم ، وهى ما يهيم به الإنسان من أمر ليفعله ، وهى توصف بالصغر والعظم ، فيقال :  
إنه لصغير الهمة ، وإنه لعظيم الهمة بعيدا . وإن همة لزاندة . وهذا المعنى هو الذى أراغ إليه البحترى .  
فغنى قوله : « فضل : أى زيادة . يريد أن هذه السفن تحمل أناساً قد فرقهم فى البلاد : مطوفين فى  
الآفاق بسبب ما انطلوت عليه صدورهم من همم عظيمة بعيدة المدى يضيق بها الفضاء الفسيح . فقول الأمدى :  
« فى همة فضل أى همة واحدة » خطأ محض ، لأن المعنى الذى قصد إثباته من كلمة « فضل » وتجشم  
الاستشهاد عليه بقول امرئ القيس « لم تنتطق عن تفضل » - قد تكفل به بيت البحترى الثانى الذى يقول  
فيه : إن جميع هؤلاء الذين قد فرقهم همهم وأزعجتهم عن أهلهم وأوطانهم قد ركبوا الفرات إلى الفرات الذى  
يلذ له الإبداع فى السباح ويسكره الإغراب فيه .

(٤) م « وجهها إليك » .

وقد قال أبو تمام في « السفينة » والمسير فيها إلى المدوح في قصيدة أولها :  
 دَنِفَ بَكَى آيَاتِ رَنَعٍ مُدْنَفٍ لَوْلَا نَسِيمُ تَرَابِهِ لَمْ يُعْرِفِ<sup>(١)</sup>  
 أُنْيَاتًا رَدِيئَةً جَدًّا لَمْ أَكْتُبْهَا<sup>(٢)</sup> .

والجيد النادر في وصف السفينة قول بشار يذكر مَسِيرَهُ إلى المَهْدَى :  
 وَعَثْرَاءُ لَا تَجْرِي بِلَحْمٍ وَلَا دَمٍ قَلِيلَةَ شَكْوَى الْأَيْنِ ، مُلْجَمَةِ الدَّبْرِ<sup>(٣)</sup>  
 إِذَا طَعَنْتَ فِيهَا الْقَبُولُ تَشْمَصُتْ بِفُرْسَانِهَا لَا فِي وُعُوثٍ وَلَا وَغْرِ<sup>(٤)</sup>  
 وَإِنْ قَصَدْتَ مَرَّتْ عَلَى مُتَنَصِّبٍ ذَلِيلِ الْقَرَا لَا شَيْءَ يَفْرِى كَمَا يَفْرِى<sup>(٥)</sup>  
 تَلَاعِبُ نَيْنَانِ الْبُحُورِ وَرُبَّمَا رَأَيْتَ نُفُوسَ الْقَوْمِ مِنْ جَرِيهَا تَجْرِي<sup>(٦)</sup>  
 سَمَوْنَا إِلَى الْمَهْدَى قَصْدًا وَإِنَّمَا قَطَعْنَا بِهَا أَمْوَاجَ بَحْرِ إِلَى بَحْرِ<sup>(٧)</sup>

فبلغ سيبويه قوله : « نَيْنَانُ الْبُحُورِ » فأنكر ذلك ، وزعم أن العرب لا تجمع النون - وهو الحوت - على نَيْنَانٍ . فبلغ ذلك بشارًا ، فقال : وَيَنَحَ : أما يقول : حُوتٌ وحيتان ، وُعُولٌ وغيلان ، فكذلك نون

(١) شرح التبريزي ٢ / ٣٩٤ وهذه القصيدة لا توجد في ديوان أبي تمام .

(٢) أولها ص ٣٩٦ :

حملت رجاء إليك بنت حديقة غلباء لم تفلح لفحل مقرف  
 نتجت وقد حوت الهنيدة وابتننت في شطرها وتبوعت في النيف  
 فأنت محمل وهي حمل بناتها تسرى بقائمتي خريق حرجف  
 فاعتامها ذو خبرة بفحولها ندس بجيلة حلقها متلطف

ثم يمضي في وصفها على هذا النحو في ثمانية أبيات آخر .

(٣) ديوان بشار ٣ / ٢٨٠ والأغاني ٣ / ٦٩ . والأين : الإعياء .

(٤) م « ولا دعر » والقبول : ربيع الصبا وهي رخاء السفن . وتشمست : ففرت وأسرعت في سيرها ، كما تفعل الدابة التي تنحس وتساق . والوعوث : جمع وعث وهو المكان السهل .

(٥) م « دليل » والقرا : الظهر .

(٦) م « أنكر » .

(٧) لم يرد هذا البيت في ديوانه ولا في الأغاني .

ونينان ، وتوعدَ سيبيويه وَلَدَغَه فكَفَّ سيبيويه عن تتبع شعره ، واحتجَّ بشيء  
[منه] تقرباً إليه ، وأستكفأفا لشره .

\*\*\*

وللبحتري في الخروج إلى المديح بذكر الإبل غير شيء لو استقصيته ،  
وأُتيت بجميع ما لأبي تمام فيه - لطال الباب . وما تركتُ لهما إلا وسطا  
ليس بجيد ولا رديء .

\*\*\*

ولا خفاء بفضل البحتري في سائر ما أوردته على أبي تمام .

وهذا وجه آخر من الخروج  
و وخروجهما إلى المديح بمخاطبة النساء

فمن ذلك قول<sup>(١)</sup> أبي تمام :

لَا تُنْكِرِي عَظْلَ الْكَرِيمِ مِنَ الْغِنَى      فَالْسَّيْلَ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالِي<sup>(٢)</sup>  
وَتَنْظُرِي خَبَبَ الرُّكَّابِ يَحُثُّهَا      مُخَيِّ الْقَرِيضِ إِلَى مُيِّمِ الْمَالِ  
وهذا معنى لطيف حسن .

\*\*\*

ومنه قول البحتري :

وَلَمْ أَنْسَهَا عِنْدَ الْوَدَاعِ وَنَشْرَهَا      سَوَابِقَ دَمْعٍ أَعْجَلَتْ أَنْ تُنْظَمًا<sup>(٣)</sup>  
وَقَالَتْ هَلِ الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ مُعَقَّبٌ      رِضًا فَيَعُودُ الشَّمْلُ مِنَّا مُلَاقًا  
وقوله :

قَامَتْ تَوَدُّعُنِي عَجَلِي وَقَدْ بَدَرَتْ      سَوَابِقُ مِنْ تُوَامِ الدَّمْعِ تُجْرِيهَا<sup>(٤)</sup>  
وَأَسْتَنْكَرَتْ ظِلْعِي عَنْهَا فَقَلْتُ لَهَا      إِلَى الْخَلِيفَةِ أَنْضَى الْعَيْسِ مُنْضِيهَا<sup>(٥)</sup>  
وما أكثر ما يستعمل الشعراء في خروجهم<sup>(٦)</sup> إلى المدح هذا الوجه .

(١) م « قال » .

(٢) ديوان أبي تمام ٢٤٦ وشرح التبريزي ٧٧ / ٣ « الركاب ينصها » .

(٣) ديوان البحتري ٩٤ ، ٣ / ١٩٨٢ .

(٤) ديوان البحتري ٣٦ « وقد حدثت » ، في ٤ / ٢١٠ كما هنا .

(٥) الذي في الديوان « أمضى العيس ممضيها » .

(٦) م « خروجها » .

ومن جيد ذلك قول جرير :

تَعَزَّتْ أُمُّ حَرْزَةَ ثُمَّ قَالَتْ      رَأَيْتُ الْمُورِدِينَ ذَوِي لُقَاحٍ<sup>(١)</sup>  
تُعَلِّلُ وَهِيَ سَاعِيَةٌ بَنِيهَا      بَأْنَفَاسٍ مِنَ الشَّيْمِ الْقَرَّاحِ<sup>(٢)</sup>  
سَامَتْحُ الْبُحُورِ فَجَنَّبَنِي      أَدَاةَ اللَّوْمِ ، وَانْتَظِرِي أَمْتِيَا حِي  
ثِقِيَ بِاللَّهِ لَيْسَ لَهُ شَرِيكُ      وَمِنْ عِنْدِ الْخَلِيفَةِ بِالنَّجَاحِ

( ١ ) ديوانه ٩٧ .

( ٢ ) ساعبة : جائعة . الشيم : البارد . والقراح : الماء الذي لم يخالطه شيء يطيب به كالعسل

والمر والزيت .



## وربما خرجا إلى المدح بيمين يحلقان بها

ومن ذلك قول أبي تمام :

حَلَفْتُ بِرَبِّ الْبَيْضِ تَدْمَى نُحُورُهَا . وَرَبُّ الْقَنَا الْمُنَادِ وَالْمُتَقَصِّدِ<sup>(١)</sup>  
لَقَدْ كَفَّ سَيْفُ الصَّامِتِيِّ مُحَمَّدٍ تَبَارِيحَ ثَارِ الصَّامِتِيِّ مُحَمَّدٍ<sup>(٢)</sup>

فالبيض : هى الأذم من الإبل ، يقال : بعير آدم إذا كان أبيض .

وقوله : «تباريح ثار» أراد أن سيفه كفّ تباريح ثاره ، أى كفّ ما برح به من الثار حتى أدركه .

ومن ذلك قوله :

لَا وَالَّذِى هُوَ عَالِمٌ أَنَّ النَّوَى صَبِيرٌ ، وَأَنَّ أَبَا الْحُسَيْنِ كَرِيمٌ<sup>(٣)</sup>  
مَا زِلْتُ عَنْ سَنَنِ الضَّمِيرِ ، وَلَا غَدْتُ نَفْسِى عَلَى إلفِ سَوَاكَ تَحُومٌ<sup>(٤)</sup>

\*\*\*

ومن ذلك قول البحتري :

حَلَفْتُ بِمَا حَجَبْتُ قُرَيْشٌ وَحَجَبْتُ وَحَاَزَ الْمُصَلَّى وَالْحَطِيمُ وَزَمَزَمُ<sup>(٥)</sup>

(١) ديوان أبي تمام ١٠١ وشرح التبريزى ٢ / ٢٤ « تدمى متونها » والمناد : المنحى . والمقتصد : المتكسر .

(٢) قيل : إن الثانى هو الأول . وقيل : الأول : محمد بن يوسف هذا المدوح ، والآخر : محمد بن حميد الذى قتله بابك ، وهما جيمعا من بنى الصامت .

(٣) ديوانه ٢٩٩ وشرح التبريزى ٣ / ٢٩٠ .

(٤) ويروى « سنن الوداد » .

(٥) ديوان البحتري ٩٦ ، ٣ / ١٩٢٩ .

وَأَهْلَ مِنَى إِذْ جَاوَزُوا الْخَيْفَ مِنْ مِنَى      وَهُمْ عُصْبُ شَتَى ، مُجِلٌّ ، وَمُحْرِمٌ <sup>(١)</sup>  
يُهْلَوْنَ مِنْ حَيْثُ ابْتَدَأَ الصُّبْحُ بَرْتَقَى      سَنَاهُ إِلَى حَيْثُ أَنْتَهَى اللَّيْلُ يُظْلِمُ <sup>(٢)</sup>  
لَقَدْ جَثِمَ الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ خُطَّةً      مِنَ الْمَجْدِ لَا يَسْطِيعُهَا الْمُتَجَشَّمُ

ومن ذلك قوله :

وَشَمَائِلُ الْحَسَنِ بْنِ وَهْبٍ إِنَّهَا      فِي الْمَجْدِ ذَاتُ شَمَائِلٍ وَجَنَائِبٍ <sup>(٣)</sup>  
لَيَقْصُرَنَّ لَجَاجُ شَوْقٍ غَالِبٍ      وَلَيَقْصُرَنَّ لَجَاجُ دَمْعٍ سَاكِبٍ <sup>(٤)</sup>

\*\*\*

وهما في هذا الباب متكافئان .

(١) م « عَصِيبُ نَوْصَى » .

(٢) م « انْتَهَى اللَّيْلُ » .

(٣) ديوانه ٦٩٧ ، ١٠ / ١٥٩ طبع المعارف .

(٤) في الديوان ٦٩٧ « شَوْقٌ بِالْغِ » وفي طَبْعَةِ الْمَعَارِفِ كما هنا . وبعد البيت :

فَالْعَزْمُ يَقْتُلُ كُلَّ سَقَمٍ قَاتِلٍ      وَالْبَعْدُ يَغْلِبُ كُلَّ وَجْدٍ غَالِبٍ

وربما خرجا إلى المديح بذكر الغيث ومباراته

فمن ذلك قول أبي تمام :

أَيُّهَا الْغَيْثُ حَيَّ أَهْلًا بِمَغْدَاكَ ، وَعِنْدَ السَّرَى ، وَحِينَ يَثْرُبُ<sup>(١)</sup>  
لَأَبِي جَعْفَرٍ خَلَّاتِقُ تَحْكِيهِ هِنًّ قَدْ يُشْبِهُ النَّجِيبَ النَّجِيبُ  
وهذا ليس بالشهي ، ولا الحلو العذب .

والجيد النادر قول البحتري :

أَقُولُ لِشَجَّاجِ الْعَمَامِ وَقَدْ سَرَى بِمُخْتَفَلِ الشُّؤْبُوبِ صَابَ فَعَمَّمَا<sup>(٢)</sup>  
أَقِلَّ وَأَكْثِرْ لَسْتَ تَبْلُغُ غَايَةً تَبِينُ بِهَا حَتَّى تُضَارِعَ هَيْثَمَا<sup>(٣)</sup>

وأجود من هذا وأحلى وأبلغ - قوله يمدح المتوكل :

قَدْ قُلْتُ لِلْغَيْثِ الرُّكَّامِ وَلَجٌ فِي إِبْرَاقِهِ ، وَأَلَحٌّ فِي إِزْعَادِهِ<sup>(٤)</sup>  
لَا تَعْرِضَنَّ لِجَعْفَرٍ مُتَشَبِّهَا بِنَدَى يَدِيهِ فَلَسْتَ مِنْ أُنْدَادِهِ

ومن الجيد النادر في هذا الباب أيضا - قوله :

رَبَاعٌ تَرَدَّدَتْ فِي الرِّيَاضِ مَجُودَةٌ بِكُلِّ جَدِيدِ الْمَاءِ عَذْبِ الْمَوَارِدِ<sup>(٥)</sup>

(١) ديوان أبي تمام ٥٨ وشرح التبريزي ١ / ٢٩٧ .

(٢) ديوان البحتري ١٢٧ ، ٤ / ٢٠٨٨ والصناعتين ٤٥٧ وعيار الشعر ١١٦ .

(٣) في الديوان ١٢٧ « لست تدرك » والهميم الغنوي : هو المملوح .

(٤) ديوانه ٤٣ ، ٢ / ٧٠٣ والصناعتين ٤٥٧ والبديع لأسامة ٢٨٨ « قلت للقيم » .

(٥) ديوانه ٥٤ ، ١ / ٦٢٤ .

إِذَا رَاوَحَتْهَا مُزْنَةٌ بَكَرَتْ لَهَا شَايِبٌ مُجْتَازٍ عَلَيْهَا وَقَاصِدٌ<sup>(١)</sup>  
كَانَ يَدَ الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ أَقْبَلَتْ تَلِيهَا بِتِلْكَ الْبَارِقَاتِ الرَّوَاعِدِ

وقال :

سُقَيْتَ رَبِّكَ بِكُلِّ نَوْءٍ جَاعِلٍ مِنْ وَبْلِهِ حَقًّا لَهَا مَعْلُومًا<sup>(٢)</sup>  
فَلَوْ أَنَّنِي أُعْطِيتُ فِيهِنَّ الْمُنَى لَسَقَيْتُهُنَّ بِكَفِّ إِبْرَاهِيمَا<sup>(٣)</sup>  
بِسَحَابَةٍ غَرَاءَ مُتَمَعَةٍ إِذَا كَانَ الْجَهَامُ مِنَ السَّحَابِ عَقِيمًا<sup>(٤)</sup>

فقوله : «سُقَيْتَ رَبِّكَ» - بيت ليس بالبارع لفظاً ولا معنى ، وما بعده

جيد حلو .

ولمَّا خَصَّ الْجَهَامَ لِأَنَّهُ الَّذِي قَدْ كَانَ فِيهِ مَاءُ فَرَاقِهِ ، ومثله لا يكون  
عقيماً . جعله كالمرأة الوالد .

وقال [أبو تمام] في هذا المعنى أيضاً :

شَجَا فِي الْحَشَا تَرْدَادُهُ لَيْسَ يَقْتَرُ بِهِ صُنَمَ آمَالٍ وَإِنِّي لَمَقْطَرُ<sup>(٥)</sup>  
حَلَفْتُ بِمُسْتَنْزِ الْمُنَى تَسْتَرْشَهَا سَحَابَةٌ كَفَّ بِالرَّغَائِبِ تُمْطَرُ  
إِذَا دَرَجَتْ فِيهِ الصَّبَا كَفْكَفَتْ لَهَا وَقَامَ يُبَارِيهَا أَبُو الْفَضْلِ جَنْفَرُ<sup>(٦)</sup>

وهذه ألفاظ . ومعان ونسج في غاية الرداءة والهَجَانة ، والبعد من البلاغة

والبراعة ، على ما فيها من التعقيد واتفاق المعاني .

فقوله : «حَلَفْتُ» يعنى نفسه .

(١) م « مجتاب عليها » .

(٢) ديوانه ٢٨٦ ، ٣ / ١٩٦٥ .

(٣) هو إبراهيم بن الحسن بن سهل المملوح .

(٤) م « السحاب عظيما » . والمثم : التي تضع اثنين في بطن واحد .

(٥) ديوان أبي تمام ١٥٩ وشرح التبريزي ٢ / ٢١٤ في مدح جعفر الخياط .

(٦) م « درجت فيها » .

و «مُسْتَنُّ الْمُنَى» : المحل الذى يستنّ فيه المنى ، أى يَطْرُدُ ، يَنْهَبُ وَيَجِيءُ ويكثر . يريد محل المدوح وساحته .

وقوله : «يَسْتَرْشُهَا . إِنَّمَا أَرَادَ يَسْتَرْشُ سَحَابَةَ كَفٌ فَقَالَ : «يَسْتَرْشُهَا» فقدم الكناية ، وجعل «سَحَابَةَ كَفٌ» بدلًا من الهاء والألف .

يقول : حللت بمحلّ تستنّ فيه المنى ، وتطلّب رشاش سحابة كَف .  
وقوله : «إِذَا دَرَجَتْ فِيهِ الصَّبَا» . يريد فى مُسْتَنُّ الْمُنَى . كَفَكَفَتْ لَهَا  
أى للسحابة .

وكفكفت : أى دنت وقربت .

و «قَامَ يُبَارِيهَا» أى يبارى الصَّبَا بِسَحَابَةِ كَفِهِ أَبُو الْفَضْلِ جَعْفَر .  
وهذان البيتان لا يتصلان بالبيت الأول . وإنما كان وجه الكلام أن يقول :  
شَجَاً فى الحشا كان تَرْدَادُهُ لَيْسَ يَقْتَرُ ، وكانت آمالى به صائِمةً ، فَحَلَلْتُ  
بِمُسْتَنِّ مُنَى مِنْ حَالِهِ وَصِفَتِهِ . حتى يتصل الكلام ببعضه ببعض .  
والحذف والاختصار فى كلام العرب موجود ، ولكن ليس فى مثل هذا .

\*\*\*

ومن هذا الباب ، وفيه بعض الغموض ، قوله :

إِنَّ الَّذِى خَلَقَ الْخَلَائِقَ قَاتَهَا أَقْوَاتَهَا لِيَتَصَرَّفَ الْأَخْرَاسُ<sup>(١)</sup>  
فَالْأَرْضُ مَعْرُوفُ السَّمَاءِ قَرَى لَهَا وَبَنُو الرَّجَاءِ لَهُمْ بَنُو الْعَبَاسِ

يريد أن الله تعالى ، جعل أقوات عباده من وجود مختلفة على قدر أزمانها .

وَالْأَخْرَاسُ : الدهور ، واحدها حَرْس .

يقول : فالأرض إنما تحيا بما تقرّيها السماء من الغيث ، وبنو الرجاء لهم بنو العباس ، أى بنو الرّجاء بنو العباس لهم ، أى لهم عِصْمَة ، كما يقال : الله لك ، أى مُعِينٌ ومُغِيثٌ .

ويجوز أن يكون أبو تمام ذهب في ذكر الأرض والغيث هاهنا<sup>(١)</sup> وجعل بنى العباس رجاء الناس لذلك ؛ لأنّ الناس في أيام عمر بن الخطاب ، رحمة الله عليه ، احتبس عنهم المطر فأخذ عمر بضِيعِ العَبَّاس وقال : اللهم إن هذا عم نبيك ، اللهم اسقنا غيثك . فما برحَ الناسُ حتى وافاهم المطر . فلعلّ أبا تمام ذهب إلى هذا المعنى . والله أعلم .

والبيتان رديئان نسجاً ولفظاً .

ولا محالة أن البحتري أيضاً في هذا الباب – يتقدم أبا تمام .

وهذا وجه آخر من خروجهما إلى المدح

وهو وصف الرياح ، وتشبيه أخلاق المدوح بها

فمن ذلك قول أبي تمام :

مِنْ فَاقِعِ غَضِّ النَّبَاتِ كَأَنَّهُ [دُورٌ] يُشَقِّقُ قَبْلُ ، ثُمَّ يُزَعْفَرُ<sup>(١)</sup>  
صُنْعُ الذِّى لَوْلَا بَدَائِعُ صُنْعِهِ مَا عَادَ أَصْفَرَ بَعْدَ إِذْ هُوَ أَخْضَرُ  
خُلِقَ أَطْلَ مِنَ الرَّبِيعِ كَأَنَّهُ خُلِقَ الْإِمَامِ وَهَدِيَهُ الْمُتَيْسِّرُ

فقوله : « خُلِقَ أَطْلَ مِنَ الرَّبِيعِ كَأَنَّهُ خُلِقَ الْإِمَامِ » - معنى صحيح .

« وَهَدِيَهُ الْمُتَيْسِّرُ » . فالهدى : سَمْتُهُ وَدَلُّهُ وَشَكْلُهُ . و « الْمُتَيْسِّرُ » .

قافية رديئة جداً .

\*\*\*

ومثله قول البحتري :

وَيُرِيكَ الْأَحْبَابُ يَوْمَ تَلَاقٍ بِأَعْتِنَاقِ الْحَوَازِ وَالْأَقْحَوَانِ<sup>(٢)</sup>  
صَاغَ مِنْهَا الرَّبِيعُ شَكْلًا لِأَخْلَا قِ حُسَيْنٍ [ذِي] الْجُودِ وَالْإِحْسَانِ<sup>(٣)</sup>

وهذا أيضًا خُرُوجٌ ليست له قوة لفظ [و] لا حلاوة فيه ولا معنى .

(١) ديوان أبي تمام ١٥٨ وشرح التبريزي ٢ / ١٩٦ .

(٢) ديوان البحتري ٤ / ٢١٩٨ وفي اللسان ٤ / ٢١ « والحوذان : نبت يرتفع قدر الذراع ، له

زهرة حمراء في أصلها صفرة وورقته ملوثة » وفي الديوان « باعْتِنَاقِ » وهو تحريف .

(٣) يقصد بمدح : الحسين بن الحسن بن سهل .

وهذا وجه آخر من خروجهما إلى المدح

منه قول أبي تمام :

صُبَّ الْفِرَاقُ عَلَيْنَا ، صُبَّ مِنْ كَثَبٍ عَلَيْهِ إِسْحَاقُ يَوْمَ الرُّوعِ مُنْتَقِمًا<sup>(١)</sup>  
وهذا خروج حسن<sup>(٢)</sup>.

وقال أيضًا :

فَلْيُبْلَغِ الْفِتْيَانُ عَنِّي مَالُكَأ أَنَّى مَتَى يَتَثَلَّمُوا أَتَهْدَمُ<sup>(٣)</sup>  
وَلَمْ تَلَمْ الْآيَامُ أَنَّى فَتُهَا بِأَبِي الْحُسَيْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْهَيْثَمِ

قوله : « مَالُكَأ » : جمع مَالِكَةٍ ، وهي الرِّسَالَةُ ، ونصبها على الحال .

وقال أبو تمام أيضًا :

وَعَاذِلِ هَاجٍ لِي بِاللَّوْمِ مَارُبَّةً بَاتَتْ عَلَيْهَا هُمُومُ الصَّدْرِ تَصْطَخِبُ<sup>(٤)</sup>  
لَمَّا أَطَالَ أَرْتَجَالَ الْعَذْلِ قُلْتُ لَهُ الْحَزْمُ يَثْنِي خُطُوبَ الدَّهْرِ لَا الْخُطْبُ  
لَمْ يَجْتَمِعْ قَطُّ فِي مِضْرٍ وَلَا طَرْفٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مَرْوَانَ وَالنُّوبُ<sup>(٥)</sup>

قوله : « الْحَزْمُ يَثْنِي خُطُوبَ الدَّهْرِ » - ليس بواجبٍ قاطعٍ على كلِّ حال . ولو كان ذلك كذلك لما رَأَيْتَ حازمًا قطَّ يصيبه خطب من الدهر يكرهه . ولكنه لما كان الحزم قد يفعل ذلك صلح أن يذكره .

(١) ديوان أبي تمام ٣٠٢ وشرح التبريزي ٣ / ١٦٨ .

(٢) بل هو خروج ردي .

(٣) ديوانه ٣١٢ وشرح التبريزي ٣ / ٢٥٠ « مَالُكَأ » وانظر اللسان ١٢ / ٢٧٢ .

(٤) ديوانه ٤٧ وشرح التبريزي ١ / ٢٤٨ ويروى « هُمُومُ النَّفْسِ » والمأربة : الحاجة .

(٥) م « يجتمع خط » .



وقال أبو تمام :

يَا أَيُّهَا السَّائِلِي أَنَا شَارِحُ لَكَ غَائِبِي حَتَّى كَأَنَّكَ حَاضِرُهُ<sup>(١)</sup>  
 إِنِّي وَنَصْرًا وَالرُّضَا بِجَوَارِهِ كَالْبَحْرِ لَا يَبْغِي سِوَاهُ مُجَاوِرُهُ  
 مَا إِنْ يَخَافُ الْخَذْلَ مِنْ أَيَّامِهِ أَحَدٌ نَيَقِّنَ أَنَّ نَصْرًا نَاصِرُهُ  
 قوله : « أنا شارح لك غائبي » . لست أراه شرح شيئاً ، وإنما ذكر أن  
 رضاه بجوار نصر كالبحر لا يبغى سواه مجاوره . وهذا خبر مُختصر ؛  
 والشرح لا يكون في نصف البيت .

فأما قوله : « ما إن يخاف الخذل » فليس يتعلق بقوله : « أنا شارح  
 لك غائبي حتى كأنك حاضره » .

وقد أخبر البحتري بخبر حسن هو أولى بالشرح من أبي تمام فقال :  
 وَمِنْ غَرَائِبِ مَا تَأْتِي الْخُطُوبُ بِهِ فِي أَوَّلِ مِنْ صُرُوفِ الدَّهْرِ أَوْتَالِ<sup>(٢)</sup>  
 أَخْلُوَّةٌ عَجَبٌ أَنْبِيكَ عَنْ خَبَرِي فِيهَا ، وَعَنْ خَبَرِ الشَّاهِ بْنِ مِيكَالِ  
 فَرَزْتُ مِنْهُ حَيَاءٌ مِنْ قُصُورِي عَنْ جَزَاوِ مَا زَادَ فِي جَاهِي وَفِي مَالِي<sup>(٣)</sup>  
 لَوْلَمْ أَعُوْضُهُ شُكْرًا عَنْ تَطَوُّلِهِ إِذْ لَمْ أَقَابِلْهُ إِفْضَالًا بِإِفْضَالِ<sup>(٤)</sup>  
 وقد ذكر هذا المعنى في غير موضع . وإنما أذكره في أبوابه إذا جاءت بإذن الله .

\*\*\*

وقال البحتري :

لَعَمْرُ أَبِي الْأَيَّامِ مَا جَارَ حُكْمُهَا عَلَيَّ ، وَلَا أُعْطِيَتْهُ ثُنَى مِقْوَدِي<sup>(٥)</sup>

(١) ديوان أبي تمام ١٥٦ وشرح التبريزي ٢ / ٢١٠ .

(٢) ديوانه ٢ / ١٧٢١ .

(٣) م « حياء عن » .

(٤) في الديوان لم لم أعوضه . . . إذ لم أكايله . . .

(٥) ديوانه ٢٣١ ، ٢ / ٧٧٢ « ولا أعطيتها » وهي في ملح أحمد بن محمد بن المذبر . وسبق

البيت الأول في الجزء الأول ٤٢٩ ، « مقول » وهو خطأ .

وَكَيْفَ أَخَافُ الْحَادِثَاتِ وَصَرَفَهَا عَلَى وَدُونِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ<sup>(١)</sup>

وقال :

فَإِنْ أَرَابَ صَدِيقِي فِي الْوِدَادِ فَكَمْ أَمْسَيْتُ أَخْذُرُ مَا قَدْ كُنْتُ أَمْلُهُ<sup>(٢)</sup>  
يَكْفِيكَ مِنْ عُدُوِّ فِي الدَّهْرِ تَجَعَّلَهَا ذُخْرًا - سَمَاعُ أَبِي بَكْرٍ وَنَائِلُهُ<sup>(٣)</sup>

وقال :

لَا أَمْدَحُ الْمَرْءَ أَقْصَى مَا يَجُودُ بِهِ نَيْلٌ يُكَسِّرُ مِنْ حَافَاتِ جُلْمُودِ  
حَسْبِي بِأَحْمَدَ إِحْسَانًا يُبَلِّغُنِي مَدَى الْغِنَى ، وَبِفِعْلٍ مِنْهُ مَحْمُودِ  
قوله : « وَبِفِعْلٍ مِنْهُ مَحْمُودِ » . يريد معونته إياه على أموره ، وبذلِّه  
جاهه له :

ومن طريف خروج البحرى وعجيبه قوله :

إِذَا الرَّجَالُ اعْتَمَتَ أَجْوَادَهُمْ فَاسْمُ إِلَى الْأَشْرَفِ مَا فَلَا أَشْرَفِ<sup>(٤)</sup>  
أَذْفَعُ بِأَمْثَالِ أَبِي غَالِبٍ عَادِيَةِ الْعُذْمِ أَوْ اسْتَعْفِفِ

ومن جيد ذلك ونادره أيضًا قوله :

يَرْجُو الْبَخِيلُ اغْتِرَارِي أَوْ مُخَادَعَتِي حَتَّى أَسُوقَ إِلَيْهِ الْمَدْحَ مَجَانًا  
لَأَكْسُونَ بَنِي الْفَيَاضِ مِنْ مِدْحِي مَا بَاتَ مِنْهُ لَشِيمُ النَّاسِ عُزَيَانًا  
وهذا في غاية الحسن .

(١) يقصد بمدوحه : أحمد بن محمد بن المدبر .

(٢) ديوان البحرى ٩٧٠ ، ٢ / ١٨٢٩ في ملح أبي بكر الكاتب ، المعروف بجرادة .

(٣) في الديوان « للدهر » .

(٤) ديوانه ٣٤٧ ، ١ / ٥٥٧ في ملح أحمد بن عبد الوهاب . في م « ما تجود » .

(٤) ديوانه ٢٣٣ ، ٢ / ١٣٦٠ - ١٣٦١ في ملح أبي غالب بن أحمد بن محمد بن المدبر .

واعتمدت : اخترت ، ومنه قول طرفة : أرى الموت يمتام للكرام ... » .

وقال :

هَلِ الشَّبَابُ مُلِمٌ بِي فَرَاجَةً      أَيَّامُهُ لِي فِي أَعْقَابِ أَيَّامِي <sup>(١)</sup>  
لَوْ أَنَّهُ نَائِلٌ غَمْرٌ يُجَادُ بِهِ      لَقَدْ تَطَلَّبْتُهُ عِنْدَ ابْنِ بَسْطَامٍ

وهذا أيضًا خروج حسن طريف .

ومن جيد خروجه <sup>(٢)</sup> أيضًا قوله :

لِتَسْرِيَنَّ قَوَائِي الشَّعْرَ مُعْجَلَةً      مَا بَيْنَ سَيْرِهِ الْمُثَلِّ وَشُرْدِهِ <sup>(٣)</sup>  
جَوَازِيًا حَسَنًا مِنْ حُسْنِ أَنْعَمِهِ      وَعَنْ بَوَادِيهِ فِي الْجَلْوَى وَعُودِهِ <sup>(٤)</sup>

\*\*\*

ومن طريفات الخروج أيضًا قول أبي تمام :

تَدَاوَى مِنْ شَوْقِكَ الْأَقْصَى بِمَا فَعَلْتَ      خَيْلُ ابْنِ يُوسُفَ وَالْأَبْطَالُ تَطَرَّدُ <sup>(٥)</sup>  
ذَاكَ السُّرُورُ الَّذِي آلَتْ بِشَاشَتُهُ      أَنْ لَا يُجَاوِرَهَا فِي مُهْجَةٍ كَمَدُ

وهذا - لعمرى - معنى فى غاية الحسن والحلاوة .

وقال أبو تمام :

تَوَاتَرَتْ نَكَبَاتُ الْعُسْرِ تَرَشُّقُنِي      بِكُلِّ صَائِبَةٍ عَنْ قَوْمِ عَضْبَانَ <sup>(٦)</sup>  
مَدَّتْ عِنَانُ رَجَائِي فَأَسْتَقَدْتُ لَهَا      حَتَّى رَمَتْنِي فِي بَحْرِ ابْنِ حَسَّانٍ <sup>(٧)</sup>

(١) ديوان البحرى ٤ / ٢٠٩٦ من قصيدة يملح بها أبا العباس : أحمد بن محمد بن بسطام .

(٢) م « خروجاته » .

(٣) ديوانه ٥٨٠ ، ١ / ٤٩٩ فى ملح الحسن بن مخلد .

(٤) فى الديوان « عن حسن » .

(٥) ديوان أبي تمام ٩٧ وشرح التبريزى ١٢ / ٢ • أى تمل عن غمك بفراق أحبتك بسرورك بما

فتحت خيل محمد بن يوسف الطائى » .

(٦) ديوانه ٣٢٤ وشرح التبريزى ٣ / ٣١٢ وروى : « نكبات الدهر » .

(٧) فى الشرح « رمت بى » .

بَحْرٌ مِنَ الْجُودِ يَرْمِي مَوْجُهُ زَيْدًا حَبَابُهُ الْوَدْقُ مَقْرُونٌ بِعَفْيَانٍ<sup>(١)</sup>  
وهذا من لفظ العوام وأشعار الصبيان .

ومن ردىء خروجه أيضًا قوله :

وَدَّعْ فُؤَادَكَ تَرْدِيْعَ الْفِرَاقِ فَمَا أَرَاهُ مِنْ سَفَرٍ التَّوْدِيْعِ مُنْصَرِفًا<sup>(٢)</sup>  
يُجَاهِدُ الشُّوقَ طَوْرًا ثُمَّ يَجْلِبِيهِ جِهَادُهُ الْقَوَافِي فِي أَبِي دُلْفَا<sup>(٣)</sup>  
وقد أصلحه الناس : « مُجَاهَدَاتُ الْقَوَافِي » . وبقى ما لا يمكن إصلاحه  
وهو قبح قوله : « يَجْلِبِيهِ » ، فإنها لفظة بشعة .

ومجاهدته للقوافي أيضًا معنى ردىء . وإنما كان ينبغي أن يقول :

إِنَّ الشَّعْرَ يُبَيِّسُ فِيهِ ، وَتَطْرُدُ قَوَافِيهِ بِمَدْحِهِ لَكثْرَةِ فُضَائِلِهِ ، وَيَأْتِي فِيهِ  
عَفْوًا ، وَلَا يَتَعَلَّرُ ، كَمَا قَالَ :  
تَغَايَرَ الشَّعْرُ فِيهِ إِذْ سَهَرْتُ لَهُ حَتَّى ظَنَنْتُ قَوَافِيهِ سَتَقَتِّلُ<sup>(٤)</sup>

\*\*\*

ومن ردىء خروجه<sup>(٥)</sup> أيضًا وقبيحه قوله :

يَعْجِبُنِي مِنْنِي أَنْ سَمَحْتُ بِمُهْجَتِي وَكَذَلِكَ أَعْجَبُ مِنْ سَمَاحَةِ جَعْفَرٍ<sup>(٦)</sup>  
مَلِكُ إِذَا الْحَاجَاتُ لُنْدَ بِحَقْوِهِ صَافَحْنَ كَفَّ نَوَالِهِ الْمُتَيْسِّرِ  
فلم عجب من سماعة جعفر؟ وإنما العجب من سماعة البخلاء ، فأما

(١) م « موجة أبدا » وفي الديوان وشرحه « فضة زينت » .

(٢) ديوان أبي تمام ٢٠١ وشرح التبريزي ٢ / ٣٦٢ .

(٣) م « الشوق طرا . . . فجاهدته » .

(٤) ديوانه ٢٢٧ .

(٥) م « خروجاته وقبيحها » .

(٦) ديوانه ٣٩٨ وفي م « أن سهرت » .

الكرماء الذين من عاداتهم البذل فما وجه التعجب من سماحتهم ؟  
وليس في البيت الثاني ما يوجب التعجب ، وإنما ذكر فيه أن نواله  
متيسر . وهو بيت ردىء .

\*\*\*

ومن ردىء خروجه <sup>(١)</sup> أيضاً لفظاً ومعنى قوله :

يقولُ أناسٌ في جَبِينَاءَ عَايَنُوا عِمَارَةَ رَحْلِي مِنْ طَرِيفٍ وَتَالِدٍ <sup>(٢)</sup>  
أَظْهَرْتَ كَنْزًا أَمْ صَبَحْتَ بِغَارَةٍ ذَوِي غِرَّةٍ حَامِيَهُمْ غَيْرُ شَاهِدٍ <sup>(٣)</sup>  
فَقُلْتُ لَهُمْ : لَأَدَا وَلَا ذَاكَ دَيْدَنِي وَلَكِنِّي أَقْبَلْتُ مِنْ عِنْدِ خَالِدٍ

وهذا من معاني العوام أن يقولوا لمن رأوا حاله قد حسنت : عَلَى مَنْ أَغْرَتْ  
أَوْ أَى كَنْزٍ وَجَدْتَ ؟ وما ظننت مثل هذا يُنْظَمُ في شعر .

وقوله : « أَقْبَلْتُ مِنْ عِنْدِ خَالِدٍ » كلام كالفارغ . وإنما كان ينبغي  
لمن ابتلاه الله بهذا المعنى أن يقول في جوابهم : نعم كنز خالد ، وأغار على  
ندى خالد . ولكنه ، لعمرى ، بَيَّنَّ المعنى في البيت الثانى ، وعرفهم سبب  
عِمَارَةَ رَحْلِهِ بأن قال :

جَذَبْتُ نَدَاهُ غُدْوَةَ السَّبْتِ جَذْبَةً فَخَرَّ صَرِيحاً بَيْنَ أَيْدِي الْقَصَائِدِ  
وهذا ، وأبيه ، معنى متناه فى بَرْدِهِ وَغَثَائِثِهِ وَرَكَائِهِ ، وَلَشْتِيمَةِ الممدوح  
عندى بالزنى أحسن وأجمل مِنْ جَذَبَ نَدَاهُ حَتَّى يَخْرَّ صَرِيحاً !!!

ولو لم يعلمنا أن ذلك كان غُدْوَةَ السَّبْتِ كيف كان يتم بَرْدُ المعنى .

و « جَبِينَاءُ » : اسم موضع ، فى غاية القبح والهجانة . فإنهم وإن كانوا

(١) م « خروجه » .

(٢) ديوان أبى تمام ٩٥ وشرح التبريزى ٢ / ٥ فى مدح خاله بن يزيد الشيبانى .

(٣) ويروى « أصادت كنزاً » .

قالوا ما قالوا له في هذا الموضع فإنه لم يك مضطراً إلى ذكره ، كما أنه لم يك مضطراً إلى ذكر غُدْوَةِ السَّبْتِ .

ومن سبيل الشاعر أن لا يذكر إلا ما حُسِّنَ من أسماء المواضع ، وأن يعتمد أسماء المواضع الغريبة المتكررة في أشعار الفصحاء ؛ ألا ترى أن «الفرزدق» أنكر على «مالك بن أسماء بن خارجة» وقد أنشده :

• حَبْدًا لَيْلَتِي بَتِلٌ بَوْنًا<sup>(١)</sup> •

فقال : أفست أبياتك بذكر بَوْنًا ، فقال له : ففى : «بَوْنًا» كان ذلك . قال : وإن كان .

\*\*\*

ومن خروجه الردىء قوله<sup>(٢)</sup> :

يَدُ الشَّكْوَى أَتَتْكَ عَلَى الْبَرِيدِ    تُمَدُّ بِهَا الْقَصَائِدُ مِنْ نَشِيدِ<sup>(٣)</sup>  
تُقَلِّبُ بَيْنَهَا أَمَلًا جَدِيدًا    تَدْرَعُ حُلَّتِي طَمَعِ جَدِيدِ  
شَكُوتُ إِلَى الزَّمَانِ نُحُولَ جِسْمِي    فَأَرَشَدَنِي إِلَى عَبْدِ الْحَمِيدِ

فقوله : «تُقَلِّبُ بَيْنَهَا» . يعنى القصائد .

وقوله : «أَمَلًا جَدِيدًا تَدْرَعُ حُلَّتِي طَمَعِ جَدِيدِ»<sup>(٤)</sup> لفظ ردىء جدًا ؛ لأن معنى الطمع والأمل والرجاء معنى واحد فى مقاصد الناس واستعمالهم ،

(١) الشعر والشعراء ٢ / ٧٥٧ والأغاني ١٦ / ٤٠ .

(٢) م «خروجاته الرديئة» .

(٣) ديوان أب تمام ١٣٦ وشرح التبريزى ٢ / ١٣٣ فى مدح عبد الحميد بن جبريل «القصائد

بالنشد» ويروى «تمديد القصائد» !

(٤) م «حلتى أمل» .

تقول : أنا آمل من الله تعالى الفرج ، كما تقول : أطمع وأرجو . وإنما يُنسَقُ بعضها على بعض لاختلاف اللفظ .

وتقول : قد انقطع من فلان الطمع ، وانقطع الأمل ، وانقطع الرجاء . وكذلك خاب .

فإن كان بين هذه الألفاظ فرق في أصل وضع الكلام [فقد أجريت] <sup>(١)</sup> مُجرى واحداً فلا فائدة إذا في قوله : « أَمَلًا جَدِيدًا تَدَرَّعَ حُلَّتِي طَمَعٍ جَدِيدٍ » .

ولو كان قال : تَدَرَّعَ حُلَّتِي عزم جديد كان أولى بالصواب ، إن شاء الله .  
قوله :

شَكَوْتُ إِلَى الزَّمَانِ نُحُولَ جِسْمِي فَأَرْشَدَنِي إِلَى عَبْدٍ الْحَمِيدِ

لو كان عبد الحميد طبيباً كان يكون معنى البيت مستقيماً ؛ لأنَّ الرجل الْمُعْتَرَّ <sup>(٢)</sup> الطالب الجدوى لا يشكو نحول جسمه إلى ممدوحه الذي يلتمس الفضل منه ، وإنما يشكو إليه اختلال الحال ، وقُصُورَ اليد ، فأما أن يشكو إليه نحول الجسم فإن ذلك غاية الخناعة <sup>(٣)</sup> والنَّذالة والانحطاط في المسألة .  
إنَّه <sup>(٤)</sup> يخبره بشدة جوعه وأن ذلك هو الذي أذاب لحمه . وهذا لا يقوله شاعر على هذا الوجه . بل إنما يذكر الخمص بوجه <sup>(٥)</sup> حسن ، ولفظ معتاد . ونحول الجسم فإنما يشتكى إلى الحبيب إذا كان من غلَّة أو عشق .

( ١ ) زيادة لازمة .

( ٢ ) م « المقتر » .

( ٣ ) م « الصناعة » .

( ٤ ) م « إنما » .

( ٥ ) م « وجه » .

ولو كان قال : شكوت إلى الزمان قصور حال ، كان أشبه من نحول  
الجسم الذى قد يكون من أشياء كثيرة .

أو لو كان ذكر هَجَرَ حبيبٍ وما لَحِقَهُ من الضنى والسقم - لَصَلَحَ أَنْ  
يجعل شكواه إلى الممدوح كما قال أبو نواس :

سَأَشْكُو إِلَى الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ هَوَاكُمُ لَعَلَّ الْفَضْلَ يَجْمَعُ بَيْنَنَا<sup>(١)</sup>

فقال الفضل : جعلنى قواده . وإنما أراد أبو نواس لعل الفضل يُشِيبُنِي بما  
أَصِلُ بِهِ إِلَى الْاجْتِمَاعِ مَعَكُمْ .

\*\*\*

وهذا الباب فى الخروج من النسيب إلى المديح مما لا خفاء بفضله  
البحترى فيه على أبى تمام .

\*\*\*



## وللمتأخرين خروجات ظريفة حلوة نادرة

فمن ذلك قول ابن وهيب :

رُبَّمَا أَبَيْتُ مَعَانِقِي قَمَرٌ      للحسن فيه مَخَايِلُ تَضِجُ<sup>(١)</sup>  
نَشَرَ الْجُمَانُ عَلَى مَحَاسِنِهِ      بِدَعَا وَأَذْهَبَ هَمُّهُ الْفَرَحُ<sup>(٢)</sup>  
يَخْتَالُ فِي وَدْقِ الشَّبَابِ بِهِ      مَرَحٌ وَدَاوُكُ أَنَّهُ مَرِحُ<sup>(٣)</sup>  
مَا زَالَ يُلْثِمُنِي مَرَاشِفُهُ      وَيُعِلُّنِي الْإِبْرِيْقُ وَالْقَدَحُ<sup>(٤)</sup>  
حَتَّى اسْتَرَدَّ اللَّيْلُ خِلْعَتَهُ      وَنَشَا خِلَالَ سَوَادِهِ وَضَحُ<sup>(٥)</sup>  
وَبَدَا الصَّبَاحُ كَانَ غُرَّتَهُ      وَجْهُ الْخَلِيفَةِ حِينَ يُمْتَدَحُ<sup>(٥)</sup>  
وحسبك بهذا حسناً يزيد على كل ما تقدم للطائيين.

\*\*\*

ومن المذاهب الطريفة في باب الخروج قول «بكر بن النُّطَّاح الحنفي»  
في قصيدة يمدح فيها مالكا الخُرَاعِي :  
عَرَضْتُ عَلَيْهَا مَا أَرَادَتْ مِنَ الْمُنَى      لِتَرْضَى فَقَالَتْ : قُمْ فَجِئْنِي بِكُوكَبِ<sup>(٦)</sup>

(١) الأغاني ١٧ / ١٤٨ ومعاهد التنخيص ٢ / ٥٨ وأنوار الربيع ٣٦٩ .

(٢) في الأغاني وما بعده «نشر الجمال» .

(٣) وفيها «في حلل الشباب» .

(٤) الصناعتين ٦٣ وزهر الآداب ٢ / ٥٩٨ .

(٥) الخليفة : المأمون . والبيت في معجم الشعراء ٤٢٠ والصناعتين ٦٣ ، ٤٥٥ ومعيار الشعر

١١٤ وزهر الآداب ٢ / ٥٩٨ .

(٦) الكامل للمبرد ٢ / ٧٠٨ والعمدة ٢ / ٣٨ .

فَقُلْتُ لَهَا : هَذَا التَّعَنُّتُ كُلُّهُ      كَمَنْ يَتَشَهَّى لَحْمَ عَنَقَاءِ مُغْرِبٍ  
 فَلَوْ أَنِّي أَصْبَحْتُ فِي جُودِ خَالِدٍ      وَعِزَّتِهِ مَا نَالَ ذَلِكَ مَطْلَبِي<sup>(١)</sup>  
 فَتَى شَقِيئِ آمَالُهُ بِسَاحِهِ      كَمَا شَقِيئِ قَيْسٍ بِأَرْمَاحِ تَغْلِبِ

\*\*\*

ونحوه قول الخليل<sup>(٢)</sup> في كلمة يمدح فيها عاصماً الغساني :

أَقُولُ وَنَفْسِي بَيْنَ شَوْقٍ وَحَسْرَةٍ      وَقَدْ شَخَصَتْ عَيْنِي، وَدَمَعِي عَلَى خَدَيَّ: <sup>(٣)</sup>  
 أَرِيحِي بِقَتْلِ مَنْ تَرَكْتَ فَوَادَهُ      بِلَحْظَتِهِ بَيْنَ التَّأْسَفِ وَالْجَهْدِ  
 فَقَالَتْ : عَذَابٌ بِالْهَوَى قَبْلَ مَيْتَةٍ      وَمَوْتُ إِذَا أَفْرَحْتَ قَلْبَكَ مِنْ بَعْدِي  
 لَقَدْ فَطِنْتُ بِالْجُودِ فِطْنَةً عَاصِمٍ      لِصُنْعِ الْأَيَادِي الْغُرِّ فِي طَلَبِ الْحَمْدِ  
 وهذا يسميه قوم « الاستطراد » . وهو حسن جداً .

(١) في الكامل « في جود مالك » وهو الصواب لأن الأبيات في مدح مالك بن علي الخزاعي .

(٢) الخليل لقب للحسين بن الضحاك ، لقب به لكثرة خلاعته ومجونه .

(٣) الأبيات له في الأغاني ٦ / ٢٠٣ والكامل ٢ / ٧٠٩ .

## باب المديح

أول ما أبدأ به من مدائحهما ذكر السؤدد والمجد وعلو القدر ، ثم ما يخص  
الخلفاء من ذلك دون غيرهم : من <sup>(١)</sup> ذكر الخلافة وما يتصرف عليه القول  
من معانيها .

وذكر الملك والدولة .

وذكر ما يخص أهل بيت النبوة من المدح دون من سواهم : من ذلك  
ذكر طاعتهم ، والمحبة لهم ، والمعرفة لحقهم .

وذكر الآلة التي كانت للنبي ، عليه السلام ، فصارت إليهم .

وذكر الآثار بالحرم ، وذكر علو القدر وعظم الفضل .

وذكر تأييد الدين وتقوية أمره .

وذكر الرأفة والرحمة . وذكر إفاضة العدل وإقامة الحق .

وذكر سداد الرأي وحسن السياسة والتدبير والاضطلاع بالأمور والحلم

والعقل .

وذكر الجلال والجمال والبهاء والجهارة والهيبة .

وذكر كرم الأخلاق ولينها .

وذكر ما ينبغي أن يمدح به الخلفاء من الجود والكرم .

وذكر ما ينبغي أن يمدحوا به من الشجاعة والبأس .

## أمر الخلافة وما يتصرف عليه القول من معانيها

قال أبو تمام في المعتصم :

إِنَّ الْخَلِيفَةَ حِينَ يُظْلَمُ حَدِثُ عَيْنِ الْهَدَى ، وَلَهُ الْخِلَافَةُ مَخْجَرُ<sup>(١)</sup>  
كَثُرَتْ بِهِ حَرَكَاتُهَا وَلَقَدْ تُرَى مِنْ فِتْرَةٍ وَكَأَنَّهَا تَتَفَكَّرُ<sup>(٢)</sup>  
مَا زِلْتُ أَعْلَمُ أَنَّ عَقْدَ مَرَامِهَا فِي كَفِّهِ مُذْ خُلِيتُ تَتَخَيَّرُ<sup>(٣)</sup>

قوله : « كثرَتْ به حركاتها » . يريد به ظهور الأمر والنهي والتدبير والسياسية .

ويريد بالفترة ما كان من إهمال هذه الأشياء . و « كأنها تتفكر » لفظ . ليس بالحلو ولا الشهي هاهنا .

وقال فيه :

فَلَاذَتْ بِحَقْوِيهِ الْخِلَافَةُ وَأَلْتَقَتْ عَلَى خِذْرِهَا أَرْمَاحُهُ وَمَنَاصِلُهُ<sup>(٤)</sup>  
أَتَتْهُ مُعِدًّا قَدْ أَتَاهَا كَأَنَّهَا وَلَا شَكَّ كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ تُرَاسِلُهُ

فالبیت الأول جيد بالغ .

والبيت الثاني في غاية السخف والرداءة ؛ لأنه جعل الخلافة قد أتته ، وجعله قد أتاه . وكان ينبغي أن يقتصر على إتيانه إياها ، أو إتيانها إياه وهو أجود .

( ١ ) ديوان أبي تمام ١٥٨ وشرح التبريزي ٩٦ / ٢ .

( ٢ ) م « حركاته فلقد ترى من فكره » .

( ٣ ) في الديوان « أن عقدة أمرها » .

( ٤ ) ديوانه ٢٣١ وشرح التبريزي ٢٦ / ٣ .

فَأَمَّا أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ الْحَالِينَ فَمَا وَجْهَهُ؟ وَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُعْلِمَنَا لِمَا تَوَجَّهَ كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى صَاحِبِهِ : أَئِنَّ التَّقْيَا ؟ أَفَى مُنْتَصَفِ الطَّرِيقِ ؟

وقصد هذا الرجل الإغراب في الألفاظ والمعاني ؛ ومن ها هنا فسد أكثر شعره .  
وقوله <sup>(١)</sup> : « ولا شك » من سخيْف الألفاظ وسَفْسَافِهَا ، وهى حَشْوٌ ردىء ،  
وليس بالبيت إليه حاجة .

\*\*\*

والجيد النادر في هذا قول البحترى في المهدى بالله :

بَارَكَ اللهُ لِلْخَلِيفَةِ فِي الْمُدِّ كَ الَّذِى حَاوَاهُ لَهُ الْمِقْدَارُ <sup>(٢)</sup>  
رُغْبَةً مِنْ خِلَافَةِ اللهِ قَدْ طَا لَتْ بِهَا رِقْبَةٌ لَهُ وَأَنْتِظَارُ  
طَلْبَتُهُ فَقَرًّا إِلَيْهِ وَمَا كَا نَ بِهِ سَاعَةً إِلَيْهَا أَفْتِقَارُ <sup>(٣)</sup>

ومثله في الجودة قوله فيه :

سَرَتْ تَتَبَّعَاهُ الْخِلَافَةُ رُغْبَةً إِلَيْهِ بِأَوْفَى قَصْدِهَا وَأَعْتِمَادِهَا <sup>(٤)</sup>  
فَمَا عَلِقَتْهُ خَبِطَ عَاشِيَةِ الدُّجَى وَلَكِنَّهَا اخْتَارَتْهُ بَعْدَ أَرْتِبَادِهَا

فهذه هى المعانى الصحيحة ، واللفظ المستقيم ، والسبك الرصين .

وما أحسن ما قال « سَلَمُ الْخَاسِرِ » فى المَهْدَى :

هَبَطْتُ إِلَيْكَ مِنَ السَّمَاءِ خِلَافَةً دَفَعْتُ إِلَيْكَ زِمَامَهَا وَقِيَادَهَا

( ١ ) م « قولك » .

( ٢ ) ديوان البحترى ١٠٥ ، ٢ / ٨٥٣ .

( ٣ ) م « طلبته فقر . . . ساعة إليه » .

( ٤ ) ديوانه ١١٠ ، ٢ / ٦٧٥ ويروى « سعت » .

ومثل قول البحتري قول « الحطيثة » :

أنت الإمام الذى مِنْ بَعْدِ صاحِبِهِ      ألقى إليك مَقَالِيدَ النُّهى البَشْرِ<sup>(١)</sup>  
ما آثروكَ بِهَا إِذْ قَدَّموكَ لَهَا      لكنْ بِكَ اسْتَأثَرُوا إِنْ كَانَتْ الْآثَرُ<sup>(٢)</sup>

وقال « ابن هرمة » فى المنصور :

وما النَّاسُ أَعْطَوْكَ الْخِلاَقَةَ عَنَوَةً      ولكنَّهُ مَنْ يُعْلِيهِ اللهُ يَسْتَعْلِي

ومن ذلك فى الجودة قولُ البحتري :

اليوم أَطْلَعَ لِلْخِلاَقَةِ سَعْدَهَا      وَأَضَاءَ فِيهَا بَدْرَهَا الْمُتَهَلِّلُ<sup>(٣)</sup>  
لَبِسَتْ جَلَالََةَ جَعْفَرٍ فَكَانَهَا      سَحَرٌ تَجَلَّلَهُ النَّهَارُ الْمُقْبِلُ<sup>(٤)</sup>  
جَاعَتُهُ طَائِعَةً وَلَمْ يُهَزَّزْ لَهَا      رُمُحٌ ، وَلَمْ يُشْهَرَ عَلَيْهَا مُنْصَلُ<sup>(٥)</sup>  
أَنَّى وَإِنْ كَانَتْ تَعَلَّتْ نَحْوَهُ      مِنْ قَبْلِ أَنْ يَقَعَ الْقَضَاءُ فَتُعْقَلُ<sup>(٦)</sup>  
حَتَّى أَتَتْهُ يَقُودُهَا اسْتِخْفَافُهُ      وَيُسَوِّقُهَا حَظٌّ إِلَيْهِ مُقْبِلُ<sup>(٧)</sup>

ويروى : « ويسوقها حظٌّ إليه مكمل » .

و « تُضَنَّع » كانت هاهنا أحسن من « تُعْقَل » فجاء بتعقل من أجل القافية .

\*\*\*

وقال أبو تمام فى الواثق :

إِنَّ الْخِلاَقَةَ أَصْبَحَتْ حُجْرَاتُهَا      ضُرِبَتْ عَلَى ضَخَمِ الْهُمُومِ هُمَامُ<sup>(٨)</sup>

(١) ديوان الحطيثة ٨١ « أنت الأمين » .

(٢) فى الديوان « لم يؤثرك . . . لكن لأنفسهم كانت بك الخير » .

(٣) ديوان البحتري ٢٥ « وأضاء فيه » ، ٣ / ١٧٥٤ - ١٧٥٥ .

(٤) فى الديوان ٢٥ « لبست خلافة .. تجلله النهار .. » والبيت مع سابقه فى الجزء الأول ص ٣٧٣ .

(٥) م « ولم يشهد » !

(٦) فى الديوان « وإن كان التلفت نحوه » . وفى طبعة المعارف « أنى وقد كانت تلفت نحوه » .

(٧) م « يقودها استخفافه » !

(٨) ديوان أبي تمام ٢٧٧ « ضخم المطام » .

ضخم الهموم: يريد ضخمَ الهمّة لا الهمُّ الذي يراد به الحُزن. وهذا لفظ  
هجين في هذا الموضع .

لَا قَدَحَ فِي عَوْدِ الْخِلَافَةِ بَعْدَمَا مَتَّتْ إِلَيْكَ بِحُرْمَةٍ وَذِمَامٍ<sup>(١)</sup>  
هِيَهَاتَ تِلْكَ قِلَادَةُ اللَّهِ الَّتِي مَا كَانَ يَتْرُكُهَا بِغَيْرِ نِظَامٍ  
إِزَتْ النَّبِيُّ وَجَمَرَةُ الْمُلْكِ الَّتِي لَمْ تَخْلُ مِنْ لَهَبٍ بِكُمْ وَضِرَامٍ<sup>(٢)</sup>  
مَذْخُورَةٌ أَخْرَزَتْهَا بِحُكُومَةٍ اللَّهُ تَشْدِخُ أَرْوُسَ الْحُكَّامِ<sup>(٣)</sup>

وقال أبو تمام في الواثق أيضاً :

جَعَلَ الْخِلَافَةَ فِيهِ رَبُّ قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - لِلشَّيْءِ : كُنْ فَيَكُونُ<sup>(٤)</sup>  
وَلَقَدْ رَأَيْنَاهَا لَهُ بِقُلُوبِنَا وَظُهُورُ خَطْبٍ دُونَهُ وَبُطُونُ<sup>(٥)</sup>  
وَلِذَلِكَ قِيلَ : مِنَ الظَّنُونِ جَلِيَّةٌ صِدْقٌ فِي بَعْضِ الْقُلُوبِ عُيُونُ<sup>(٦)</sup>  
وَلَقَدْ عَلِمْنَا مُذْ تَرَعَرَعَ أَنَّهُ لِأَمِينِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَمِينُ

قوله : « جعل الخلافة فيه ربُّ » بيت في غاية الركاكة والرداءة ؛  
لأن مثل هذا إنما يقال في الأمر العجب الذي لم يكن يُقدَّر ولا يتوقع .  
ولا يُظَنُّ أن مثله يكون ، فيقال إذا وقع ذلك : قُدْرَةُ قَادِرٍ ، وفعلٌ من  
لا يعجزه أمرٌ ، ومَنْ يقول للشئ : كن فيكون . فأما الأمور التي لا يتعجب  
منها ، ولا تُستغرب ، والعاداتُ جاريةٌ بها وبما يشبهها - فلا يقال فيها

(١) م « ثبتت إليك » .

(٢) م « الملك النى » .

(٣) في الديوان « لله تملو » .

(٤) ديوان أبي تمام ٣٢٩ وشرح التبريزي ٣ / ٣٢٦ .

(٥) أى كنا نقدر أنها تصير إليه بالمخايل الدالة ، وبينه وبينها مدة بعيدة .

(٦) م « ولذلك » .

مثل هذا ، وإنما يُسَبِّحُ الله تعالى ، وتُذَكِّرُ قدرته على تكوين الأشياء لو جَاءُوا بِأَبِي الْعَبَرِ<sup>(١)</sup> أَوْ بِجُحَا فَجَعَلُوهُ خَلِيفَةً .

فأما الواثق فما وجه تسبيح أبي تمام في أن أفضت إليه الخلافة وأبوه خليفة وهو المعتصم ، وجده خليفة وهو الرشيد ، وجد أبيه خليفة وهو المنصور ، وأخو جده خليفة وهو الهادي ، وأخو جد جده خليفة وهو السفاح ، وعماه خليفتان : الأمين والمأمون ؟ فذلك ثمانية خلفاء هو تاسعهم<sup>(٢)</sup> وقد عدد أبو تمام منهم خمسة في البيت فقال :

يَسْمُو بِكَ السَّفَّاحُ وَالْمَنْصُورُ أَلْ مَهْدِيُّ وَالْمَعْصُومُ وَالْمَأْمُونُ<sup>(٣)</sup>

وذكر الرشيد قبل هذا بأبيات ، وشبه الواثق به فقال :

[وَجَدُوا جَنَابَ الْمُلِكِ أَخْضَرَ] وَأَجَزَلُوا هَارُونَ فِيهِ كَأَنَّهُ هَارُونَ

فما وجه التعجب من خلافة مَنْ كانت هذه صورته ؟

وقوله : « وَلَقَدْ رَأَيْنَاهَا لَهُ بِقُلُوبِنَا » وقوله : « وَلِذَاكَ قِيلَ مِنْ الظُّنُونِ جَلِيَّةٌ صِدْقٌ » - فهذه كهانة عجيبة من أبي تمام في الواثق لم يفطن لها غيره .

وعلى أن هذين البيتين جيّدان في نظمهما ولفظهما ، ولكنه وضع المعاني في غير مواضعها .

وقوله : « لَأَمِينٍ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَمِينٌ » يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم .

(١) أبو العبر : هاشمي من بني العباس . كان أديباً شاعراً ماجناً يظهر الحماسة وله فيها كتاب اسمه : « جامع الحماقات وحاوي الرقاعات » . توفي سنة ٢٥٠ هـ وترجمته في طبقات الشعراء لابن المعتز ٣٤٢ والأغانى ٨٩/٢٠ - ٩٣ وتاريخ بغداد ٤٠/٥ .

(٢) نقل هذا النقد ابن سنان الخفاجي المتوفى سنة ٤٦٦ في كتابه سر الفصاحة ٢٣٤ ثم قال : « وهذا الذي ذكره أبو القاسم صحيح واضح » .

(٣) ديوانه ٢٣٠ .



وقد أصاب « أبو الجنوب مروان بن أبي حفصة » في هذا المعنى إذ يقول للأمين :

إِنَّ الْخِلَافَةَ قَدْ تَبَيَّنَ نُورُهَا لِلنَّاظِرِينَ عَلَى جَبِينِ مُحَمَّدٍ  
لِنِّى لَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَخَلِيفَةٌ إِنْ بَيْعَةٌ عُقِدَتْ وَإِنْ لَمْ تُعْقَدْ

وما أحسن ما قال « الحسين بن الضحاك <sup>(١)</sup> الباهلي » في المأمون أيضاً :  
رَأَى اللَّهُ عَبْدَ اللَّهِ خَيْرَ لِدَاتِهِ فَمَلَّكَهُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْعَبْدِ <sup>(٢)</sup>

\*\*\*

وقال البحتري في المتوكل ، وزاد على الإحسان :

اللَّهُ آثَرَ بِالْخِلَافَةِ جَعْفَرًا وَرَأَاهُ نَاصِرَهَا الَّذِي لَا يُخْذَلُ <sup>(٣)</sup>  
هِيَ أَفْضَلُ الرِّبِّ الَّتِي جُعِلَتْ لَهُ دُونَ الْبَرِيَّةِ ، وَهُوَ مِنْهَا أَفْضَلُ <sup>(٤)</sup>

وقال فيه :

إِنَّ الْخِلَافَةَ لَمَّا أَهْتَزَّ مِنْبَرُهَا بِجَعْفَرٍ أُعْطِيَتْ أَفْصَى أَمَانِيهَا <sup>(٥)</sup>  
أَبْدَى التَّوَّاضِعِ لَمَّا نَالَهَا رِعَا عَنْهَا ، وَنَالَتَهُ فَاخْتَالَتَ بِهِ تَيْيَهَا <sup>(٦)</sup>

وهذا هو المعنى الحلو ، والمدح الذى يليق بالخلفاء .

(١) م « الحسين بن أبي الضحاك » وهو خطأ .

(٢) البيت في طبقات الشعراء لابن المعتز ٢٦٩ وديوان المعاني ٢ / ٢٠٦ والفرج بعد الشدة ٧٤ / ١ ونهاية الأرب ٣ / ٢٥٦ .

(٣) ديوانه ٢٣ .

(٤) م « أفضل الدنيا » .

(٥) ديوانه ٢٨ ، ٤ ، ١٤٢١ .

(٦) في الديوان : « نالها دعة » .

وقال في المهدي :

زَادَ فِي بَهْجَةِ الْخِلَافَةِ نُورًا      فَهُوَ شَمْسٌ لِلنَّاسِ ، وَهِيَ نَهَارٌ<sup>(١)</sup>  
وَأَجَارَ الدُّنْيَا مِنَ الْحَيْفِ وَالْخَوِّ      فِ فَهَلْ يَشْكُرُ الْمُجِيرَ الْمُجَارُ

وقال في المتوكل :

عَادَتْ بِحَقْوَيْكَ الْخِلَافَةَ إِنَّهَا      قِسْمٌ لِأَفْضَلِ هَاشِمٍ فَلَا أَفْضَلَ<sup>(٢)</sup>  
وَتَمَنَّعَتْ فِي ظِلِّ عِزِّكَ وَأَغْتَدَتْ      فِي خَيْرِ مَنْزِلَةٍ وَأَحْصَنِ مَعْقِلٍ<sup>(٣)</sup>

أخذ قوله : « عَادَتْ بِحَقْوَيْكَ<sup>(٤)</sup> الخلافة » من قول أبي تمام :

عَادَتْ بِحَقْوَيْكَ الْخِلَافَةَ وَأَلْتَقَتْ      عَلَى خِدْرِهَا أَرْمَاحُهُ وَمَنَاصِلُهُ<sup>(٥)</sup>

وقال في المعتز :

حَامِلٌ مِنْ خِلَافَةِ اللَّهِ مَا يَنْ      جِزْ عَنْهُ ذُو الْأَيْدِ وَالْإِضْطِلَاعِ<sup>(٦)</sup>  
مُسْتَقِيلٌ بِالثَّقَلِ مِنْهَا رَجِيبٌ الـ      صَدْرٍ نَهَضًا بِهَا رَجِيبُ الْبَاعِ

وقال في المتوكل :

وَقَدْ سَرَفِي أَنْ الْخِلَافَةَ فِيكُمْ      مُخِيْمَةٌ مَا إِنْ يُخَافُ أَنْتَقَالَهَا<sup>(٧)</sup>  
لَكُمْ إِزْنُهَا وَالْحَقُّ مِنْهَا وَلَمْ يَكُنْ      لِيْغَيْرِكُمْ إِلَّا أَسْمُهَا وَأَنْتِحَالَهَا

وقال فيه :

وَأَرَى الْخِلَافَةَ وَهِيَ أَعْظَمُ رُتْبَةٍ      حَقًّا لَكُمْ وَوِرَاثَةً مَا تُنْزَعُ<sup>(٨)</sup>

(١) ديوانه ١٠٦ ، ٢ / ٨٥٤ في ملح المهدي بالله وفي م « شمس النهار » .

(٢) ديوانه ١٦ « بحقوقك » وفي ٣ / ١٦٢٧ كما هنا .

(٣) في الديوان « وأحسن معقل » .

(٤) م « بحقويه » .

(٥) ديوانه ٢٣١ « ولأذت بحقويه » .

(٦) ديوانه ١٣٢ ، ٢ / ١٢٤٤ .

(٧) ديوانه ٢٦٦ ، ٣ / ١٦٣١ .

(٨) ديوانه ٣٤ ، ١٣١١ .

أَعْطَاكُمُوهَا اللَّهُ عَنْ عِلْمٍ بِكُمْ وَاللَّهُ يَعْطَى مَنْ يَشَاءُ وَيَمْنَعُ

وقال في المعتز :

أَغْرُ مِنْ الْأَمْلَاقِ إِمَّا رَأَيْتَهُ رَأَيْتَ أَبَا إِسْحَاقَ وَالْقَرَمَ جَعْفَرًا<sup>(١)</sup>  
تَقَدَّمَ فِي حَقِّ الْخِلَافَةِ سَهْمُهُ إِذَا رُدَّ عَنْهَا غَيْرُهُ فَتَأَخَّرَا<sup>(٢)</sup>  
وَيُضْبِحُ مَعْرُوفًا لَهُ الْفَضْلُ دُونَهُمْ وَمَا يَتَدَعَاهُ الْأَبَاعِدُ مُنْكَرًا<sup>(٣)</sup>

وقال في المتوكل :

فَضْلُ الْخَلَائِفِ بِالْخِلَافَةِ وَاقِفٌ فِي الرُّتْبَةِ الْعُلْيَا ، وَفَضْلُكَ أَفْضَلُ<sup>(٤)</sup>  
أَوْقَيْتَ عَاشِرَهُمْ فَإِنْ نُسِبُوا إِلَى كَرَمٍ وَإِحْسَانٍ فَأَنْتَ الْأَوَّلُ<sup>(٥)</sup>

وهذا غاية في مدح الخلفاء .

وقال في المتوكل أيضًا بفضلِهِ على الخلفاء ، وأحسن كلِّ الإحسان :

وَمَا الْخُلَفَاءُ لَوْ جَارَوْكَ يَوْمًا بِمُعْتَلِقِكَ رَأْيَا وَاعْتِزَامَا<sup>(٦)</sup>  
أَلَسْتُ أَعَمَّهُمْ جُودًا وَأَزَكَا هُمُ عُدَا وَأَمْضَاهُمْ حُسَامَا ؟  
وَلَوْ جُمِعَ الْأَئِمَّةُ فِي مَقَامٍ تَكُونُ بِهِ لَكُنْتَ لَهُمْ إِمَامَا

ولست أعرف لأبي تمام في ذكر الخلافة غير ما قدمته .

(١) ديوانه ٧٦٣ ، ٩٣٢ وأبو إسحاق : المتصم ، وجعفر : المتوكل .

(٢) في الديوان « حق الإمامة . . . رد فيها » .

(٣) وفيه « يتدعاه » .

(٤) ديوانه ٢٦ ، ٣ / ١٧٥٧ .

(٥) في الديوان « ألفت عاشقهم فإن ندبوا » ! وفي طبعة المعارف « عاشرهم فإن ندبوا » .

(٦) ديوانه ٣٠ ، ٣ / ٢٠١٠ وفي م « بمعتليك » .

## ومن مدح الخلفاء ذكر الملك والدولة

قال أبو تمام في المعتصم :

بِالْقَائِمِ الثَّامِنِ الْمُسْتَخْلِفِ أَطَّادَتْ قَوَاعِدُ الْمُلْكِ مُمْتَدًّا لَهُ الطُّوْلُ<sup>(١)</sup>  
بِيَمْنٍ مُعْتَصِمٍ بِاللَّهِ لَا أَوْدُ بِالْمُلْكِ مَذْضَمٌ قُطْرَيْنِهِ ، وَلَا خَلَلٌ<sup>(٢)</sup>

قوله : « مُمْتَدًّا لَهُ الطُّوْلُ » . والطُّوْلُ : الحَبْلُ ، ولا وجه له هاهنا ، وليس يريد الطول بمعنى الزمان من قولهم : طَالَ طِيْلُكَ وَطَوْلُكَ وَطَوَالُكَ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يَكُونُ أَطَّادَتْ قَوَاعِدَ الْمُلْكِ مُمْتَدًّا أَزْمَانَهُ ، وَلَا يَصْلُحُ فِي الْحَالِ هَاهُنَا ، لِأَنَّ الْفِعْلَ وَهُوَ « أَطَّادَتْ » لَا يَكُونُ عَامِلًا فِيهَا ؛ لَا تَقُولُ : قَدْ اسْتَقَرَّ الْبِنَاءُ طَوِيلًا زَمَانَهُ ؛ لِأَنَّ اسْتِقْرَارَهُ لَيْسَ هُوَ مِنْ طَوِيلٍ مَدَّتِهِ فِي شَيْءٍ ، وَإِنَّمَا تَقُولُ : قَدْ اسْتَقَرَّ الْبِنَاءُ جَيِّدًا عَمَلُهُ ، وَمُتَقَنًّا أَسَاسُهُ ، أَوْ وَثِيقًا صَنْعَتُهُ ، أَوْ أَنْ تَقُولَ : طَوِيلًا شَرْفُهُ أَوْ عُلُوُّهُ . وَإِلَى هَذَا أَذْهَبَ كَأَنَّهُ أَرَادَ وَأَطَّادَتْ قَوَاعِدَ الْمُلْكِ مُمْتَدًّا لَهُ الطُّوْلُ أَيْ رَسَا أَصْلُهُ ، وَعَلَا فَرْعُهُ ، كَمَا قَالَ الْبَحْتَرِيُّ فِي الْمَعْتَزِ بِاللَّهِ :

بِكَ أَشْتَدَّ عَظْمُ الْمُلْكِ فِيهِمْ فَأَصْبَحَتْ تَقِيرُ رَوَاسِيهِ وَتَعْلُو مَرَاتِبُهُ<sup>(٣)</sup>

فَجَعَلَ مَوْضِعَ تَعْلُو مَرَاتِبِهِ : « مُمْتَدًّا لَهُ الطُّوْلُ » ، وَهَذَا غَيْرُ حَسَنِ وَلَا لَائِقٍ . بَلَى ، لَوْ قَالَ : « فَلْيُمْدَدْ لَهُ الطُّوْلُ » عَلَى الدَّعَاءِ كَانَ سَائِغًا ، إِلَّا أَنَّ « الطُّوْلَ » هَاهُنَا عَلَى كُلِّ حَالٍ غَيْرُ جَيِّدٍ ؛ لِأَنَّهَا لَفْظَةٌ مُشْتَرَكَةٌ<sup>(٤)</sup> .

(١) ديوان أبي تمام ٢٢٧ « اعتدلت » ومعنى « أطادت » : ثبتت .

(٢) ويروى « بالدين مذ » .

(٣) ديوان البحتري ١٣٧ ، ١٠ / ٢١٨ .

(٤) م « سائغاً لا أن » .

وقال أبو تمام في نحوه :

يُسْمِنُ أَبِي إِسْحَقَ طَالَتْ يَدُ الْهَدَى      وَقَامَتْ قَنَاةُ الْمُلْكِ ، وَاشْتَدَّ كَاهِلُهُ <sup>(١)</sup>  
وهذا بيت جيد . وقد قال قبله : . . . ؟ « وَأَضْحَى الْمُلْكُ قَدْ شُقَّ  
بَارِزُهُ » <sup>(٢)</sup>

وكان أحدهما يغني عن الآخر.

\*\*\*

وقال البحتري في المعترى :

أَقَامَ قَنَاةُ الْمُلْكِ بَعْدَ أَعْوَجَاجِهَا      وَأَرْبَى عَلَى شَغْبِ الْعَلَوِّ الْمُشَاغِبِ <sup>(٣)</sup>  
وقال البحتري :

مَلِكٌ حَصَّنَتْ عَزِيمَتُهُ الْمُدَّ      لَكَ فَأَضَحَتْ لَهُ مُعَانًا وَرَدَةً <sup>(٤)</sup>  
وقال في تعظيم الملك ، في المتوكل :

مُلْكٌ كَمُلْكَ سُلَيْمَانَ الَّذِي خَضَعَتْ      لَهُ الْبَرِيَّةُ قَاصِبِيهَا وَدَانِيهَا <sup>(٥)</sup>

\*\*\*

وأجود من هذا قول أبي تمام في المأمون :

فِي دَوْلَةٍ لَحَظَ الزَّمَانُ شُعَاعَهَا      فَارْتَدَّ مُنْقَلِبًا بِعَيْنَيَّ أَرْمَدٍ <sup>(٦)</sup>

(١) ديوان أبي تمام ٢٣٢ .

(٢) بقيته : « وقام فقام المدل في كل بلدة خطيبا » .

(٣) ديوان البحتري ١٥٣ ، ١٠٩ / ١ « قناة الدين » .

(٤) ديوانه ١٢٨ / ١ مصر ، ٢١ / ١ بيروت « معاناً ورداً » وفي طبعة المعارف ٧١٢ / ٢ « معاناً ورداً » المعان : المنزل ، والمكان ، والحصن والردة : العود والناصر .

(٥) ديوان البحتري ٣٧ ، ٢٤١١ / ٤ .

(٦) ديوان أبي تمام ١١٢ وشرح التبريزي ٤٨ / ٣ وقبله :

فانتاش مصر من التيا والتي بتجاوز وتعتف وتنفد

انتاش : تناولها وخلصها . يقول : هذه دولة جيدة نافذة ، أراد الزمان غلبتها ، وأن ينظر إليها

فأعشاه شعاعها ، فارتد ردماً » .

مَنْ كَانَ مَوْلِدُهُ تَقَدَّمَ قَبْلَهَا أَوْ بَعْدَهَا فَكَأَنَّهُ لَمْ يُوَلَدْ<sup>(١)</sup>  
وهذا من أجود ما يقال في مدح دولة وأبلغه .

\* \* \*

فأبو تمام في هذا الباب - على إساءته في الأبيات المتقدمة - أشعر من  
البحثرى .

( ١ ) قال التبريزى : « أى من لم يأخذ بالخط من هذه الدولة ، إما أولاً وإما آخرًا فكأنه لم يولد » .

مما يخص أهل بيت النبوة من المدح دون غيرهم  
ذكر طاعتهم ، والمحبة لهم : والمعرفة لحقهم

فمن ذلك قول البحتري في المتوكل .

مُخَالِفُ أَمْرِكُمْ لِلَّهِ عَاصٍ وَمُنْكَرُ حَقِّكُمْ لَاقٍ أَثَامًا<sup>(١)</sup>  
وَلَيْسَ بِمُسْلِمٍ مَنْ لَمْ يُقَدِّمْ وَلَا يَتَكُنَّ وَلَوْ صَلَّى وَصَامَا

وفيه قوله :

نُصَلِّيْ وَلِتَمَامِ الصَّلَاةِ أَعْتِقَادَنَا بِأَنَّكَ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُ إِمَامٍ<sup>(٢)</sup>

وفيه قوله :

فَضَّلَ اللَّهُ جَعْفَرًا بِخِصَالٍ جَعَلَتْ حَبَّةً عَلَى النَّاسِ فَرَضًا<sup>(٣)</sup>

وفي المعتز بالله قوله :

مَنْ أَبِي حُبِّكُمْ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ وَلَوْ صَامَ أَلْفَ عَامٍ وَصَلَّى<sup>(٤)</sup>

وقال فيه :

قَضَى اللَّهُ لِلْمَعْتَزِ بِاللَّهِ أَنَّهُ هُوَ الْقَائِمُ الْعَدْلُ الرَّشِيدُ الْمُوَفَّقُ<sup>(٥)</sup>  
مَحَبَّتُهُ فَرَضٌ مِنَ اللَّهِ وَاجِبٌ وَعَصِيَانُهُ سُخْطٌ مِنَ اللَّهِ مُوبِقٌ

(١) ديوانه ٣٠ ، ٣ / ٢٠١٠ - ٢٠١١ .

(٢) ديوانه ١٢ ، ٣ / ٢٠٠٣ .

(٣) ديوانه ٢ / ١٢١٦ والصناعتين ٦٣ وفيها « بنخلال » .

(٤) ديوانه ١٥٦ « أبي حبيب » وفي طبعة المعارف ١٦٥٧ / ٢ كما هنا .

(٥) ديوانه ١٤٩ ، ٣ / ١٥٣٦ وفي م « بالمعتر » .

وقوله في المهدي<sup>(١)</sup> :

أَقَرَّتْ لَهُ بِالْفَضْلِ أُمَّةٌ أَحْمَدُ فَدَانَ لَهُ مُعْجَزُهَا وَقَوِيْمُهَا<sup>(٢)</sup>  
وَلَوْ جَحَدْتَهُ ذَلِكَ الْحَقُّ لَمْ تَكُنْ لِتَبْرَحَ إِلَّا وَالنُّجُومُ رُجُومُهَا

\*\*\*

ولست أعرف لأبي تمام في هذه المعاني شيئاً .

(١) م « في المهدي » وهو تحريف .

(٢) ديوانه ١٠٨ ، ٣٠ / ٢٠٢٤ .



## ذكر الآلة التي كانت للنبي صلى الله عليه وسلم فصارت لإيهم

قال البحتري في المتوكل :

عليك ثيابُ المُضْطَفَى ووفارُهُ      وَأَنْتَ بِهِ أَوَّلَى إِذَا حَصَّصَ الْأَمْرُ<sup>(١)</sup>  
عِمَامَتُهُ ، وَسَيْفُهُ ، وَرِدَاؤُهُ      وَسِيَّمَاهُ ، وَالْهَدْيُ الْمُشَاكِِلُ ، وَالنَّجْرُ

وقال فيه :

يَتَوَلَّى النَّبِيُّ مَا تَتَوَلَّى      هـ وَيَرْضَى مِنْ سِيرَةٍ مَا تَسِيرُ<sup>(٢)</sup>  
حُزْنَ مِيرَاثِهِ بِحَقٍّ مُبِينٍ      كُلُّ حَقٍّ سِوَاهُ إِفْكٌ وَزُورٌ  
فَلَكَ السَّيْفُ ، وَالْعِمَامَةُ ، وَالْحَا      تَمُّ ، وَالْبُرْدُ ، وَالْعَصَا ، وَالسَّرِيرُ

وقال في المَهْدِيِّ بالله :

إِمَامٌ إِذَا أَمْضَى الْأُمُورَ تَتَابَعَتْ      عَلَى سَنَنِ مِنْ قَصِيدِهَا وَسَدَادِهَا<sup>(٣)</sup>  
مَتَى يَتَعَمَّمُ بِالسَّحَابِ ثُلُثٌ عَلَى      كَفَى لَهَا مُحْتَازِ لِرِثِ أَسْوَدِهَا<sup>(٤)</sup>  
وَلِنْ يَتَقَلَّدُ ذَا الْفِقَارِ يُضَفُّ إِلَى      شُجَاعٍ قُرَيْشٍ فِي الْوَعَى ، وَجَوَادِهَا

وقال في المعتز :

وَقَدْ تَرَكَ الْعَبَّاسُ عِنْدَكَ وَأَبْنُهُ      عَلَا طُلُنَ مَرَمَى النَّجْمِ حَتَّى تَحِيرَ<sup>(٥)</sup>  
هُمَا وَرَثَاكَ ذَا الْفِقَارِ وَصِيرَا      إِلَيْكَ الْقَضِيبَ وَالرُّدَاءَ الْمُحْبِرَا

(١) ديوان البحتري ٧٥٩ ، ٢ / ٩٩٣ .

(٢) ديوانه ٧٦٦ ، ٢ / ٩٠٢ « ماتتولاه » و « يرضى من سيره » .

(٣) الأبيات في ديوانه ١١٠ ، ٢ / ٦٧٥ - ٦٧٦ ومن المجيب أن الأول منها ورد في الديوان

٣٨ ضمن قصيدة يمدح المتوكل .

(٤) م « لها محتار لِرث » .

(٥) ديوانه ٧٦٤ ، ٢ / ٩٣٤ .

وَأَيُّ سَنَاءَ لَسْتَ أَهْلًا لِفَضْلِهِ وَأَوَّلَى بِهِ مِنْ كُلِّ حَيٍّ وَأَجْدَرًا  
وَأَنْتَ ابْنُ مَنْ أَشَقَى الْحَجِيجَ عَلَى الظَّلَامَا وَنَاشَدَ فِي الْمَحَلِّ السَّحَابَ فَأَمْطَرَا

\*\*\*

وقال أبو تمام في نحو هذا بمدح الواصل :

هَؤُمُ غَدَا الْمِيرَاثُ مَضْرُوبًا لَهُمْ سُورٌ عَلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ حَصِينٌ<sup>(١)</sup>  
فِيهِمْ سَكِينَةٌ رَبِّهِمْ وَكِتَابُهُ وَإِمَامَتَاهُ وَأَسْمُهُ الْمَخْزُونُ

فالسكينة وزنها فعيلة ، من السكون وهو الوقار . وهذه لفظة لا تلائم  
البيت كلّ الملازمة ؛ لأنه لا وجه لأن يقول فيهم : وَقَارُ رَبِّهِمْ ، لا سيما  
وقد قال : كِتَابُهُ وَإِمَامَتَاهُ وَأَسْمُهُ الْمَخْزُونُ . فالوقار ليس من هذه الأشياء  
في شيء<sup>(٢)</sup> .

والسكينة التي في قوله عز وجل : ﴿ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ  
مِنْ رَبِّكُمْ ﴾<sup>(٣)</sup> ، وقد قيل في تفسيرها : إنها حيوان له وجه مثل وجه  
الإنسان . وقيل : لها رأس مثل رأس الهرة وله جناحان . وقيل : بل هي  
ريح هفافة . وقيل : هي شيء من أمر الله عز وجل<sup>(٤)</sup> - فإن كان هذه  
أراد فما كان ينبغي أن يدعى للقوم<sup>(٥)</sup> مالا يدعونه لأنفسهم .

وقوله : « وَإِمَامَتَاهُ » يعنى النبوة والخلافة .

« واسمه المخزون » يعنى اسم الله الأعظم الذى إذا دُعِيَ به جل وعز أجاب .

( ١ ) ديوان أبي تمام ٣٣٠ وشرح التبريزي ٣ / ٣٢٧ .

( ٢ ) م « فى الشيء » .

( ٣ ) سورة البقرة : ٢٤٨ .

( ٤ ) راجع اختلاف أهل التأويل فى معنى السكينة ، فى تفسير الطبرى ٥ / ٣٢٦ - ٣٣٠

طبع دار المعارف . وقال أبو جعفر الطبرى : أن أولى الأقوال بالحق ما قاله عطاء بن أبى رباح : من  
الشيء تسكن إليه النفوس من الآيات التى يعرفونها .

( ٥ ) م « القوم » .

## ومن المجد والشرف في مدح الخلفاء ذكر الآثار بالحرم

نحو قول البحتري في المعتز:

لَكُمْ زَمْزَمٌ وَأَفْنِيَّةُ الْكَعْبَةِ وَالْحِجْرُ وَالصَّنْفَا وَالْمُصَلَّى<sup>(١)</sup>

وقوله في المتوكل:

نَعْدُ لَكَ السَّقَايَةَ (الْمُصَلَّى) وَأَرْكَانَ الْبَنِيَّةِ وَالْمَقَامَا<sup>(٢)</sup>  
مَكَارِمُ قَدْ وَزَنْتَ بِهَا ثَبِيرَا فَلَمْ يَرْجَعْ، وَطَلْتَ بِهَا شِمَامَا<sup>(٣)</sup>

وقوله في المتوكل:

لَكُمْ كُلُّ بَطْحَاءٍ بِمَكَّةَ إِذْ غَدَا لِغَيْرِكُمْ ظُهُرَانُهَا وَجِبَالُهَا<sup>(٤)</sup>  
وَأَنْتُمْ بَنُو عَمِّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ يَمِينُ قُرَيْشٍ إِذْ سَوَاكُمْ شِمَالُهَا<sup>(٥)</sup>

وقال فيه:

شَرَفًا بَنَى الْعَبَّاسُ إِنَّ أَبَاكُمْ عَمُّ النَّبِيِّ وَعِيصُهُ الْمُتَفَرِّعُ<sup>(٦)</sup>  
إِنَّ الْفَضِيلَةَ لِلَّذِي اسْتَسْقَى بِهِ عُمَرُ وَشَفَعَ إِذْ غَدَا يَسْتَشْفَعُ  
مَنْ ذَا يُسَاجِلُكُمْ وَحَوْضُ مُحَمَّدٍ بِسَقَايَةِ الْعَبَّاسِ فَيَكُمُ يَشْفَعُ

(١) ديوان البحتري ١٥٦، ٣ / ١٦٥٧ «لهم» .

(٢) ديوانه ٣٠، ٣ / ٢٠١٠ «ثبيراً فلم تنقص» .

(٣) م «قد ورثت . . . فلم ترجع» وشام : جبل بالعالية .

(٤) ديوانه ٢٦٦، ٣ / ١٦٣١

(٥) في الديوان «وأنتم بنو العباس عم محمد» .

(٦) ديوانه ٣٤، ٢ / ١٣١١ .

وقال في المعتز :

إِمَامٌ هُدًى تَأْوَى بِهِ مَكْرُمَاتُهُ إِلَى مَرْتَعٍ مِنْهُ بَطْنِ مَكَّةَ أَفِيحٍ<sup>(١)</sup>  
 لَهُ شَرَفُ الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَفَخْرُهُ وَزَمَزَمَ وَالرُّكْنَ الْعَتِيقَ الْمُمَسَّحَ  
 أَرَادَ شَرَفَ زَمَزَمَ .

## ومن باب السؤدد والشرف ذكر علو القدر وعظيم الفضل

قال أبو تمام :

اللهُ أَكْبَرُ جَاءَ أَكْبَرُ مَنْ جَرَتْ فَتَعَثَّرَتْ فِي كُنْهِهِ الْأَوْهَامُ<sup>(١)</sup>  
مَنْ لَا يُحِيطُ الْوَاصِفُونَ بِقَدْرِهِ حَتَّى يَقُولُوا قَدْرُهُ إِلَهَامُ

قوله : « الله أكبر » . يقول فيما أظنه عند قدوم المأمون من خراسان ،  
أى الله أكبر من كل أحد ، قد جاء أكبر من جرت فتعثرت في كنهه الأوهام .  
وكُنْهُ الشَّيْءُ : غاية صِفَتِهِ .

وقوله : « حَتَّى يَقُولُوا قَدْرُهُ إِلَهَامُ » من جنونه ؛ لَأَنَّ الْإِلَهَامَ هو ما يلقيه  
الله ، عز وجل ، في قلب الإنسان حتى يعرفه بغير تعرف ، ويعلمه من غير تعلم ،  
فيقول : لا يحاط بقدره إلا أن يكون ذلك إلهاماً من الله ، جل وعز ،  
فيعرف .

وقَدَّرُ كُلُّ شَيْءٍ : هو مَبْلَغُهُ ، تقول : سرنا قَدْرَ مِيلٍ ، وقدر فرسخٍ ،  
وأخذت منه قدر عشرين درهماً ، أى مبلغ عشرين .

ولما سمع الناس يقولون ، هذا أمر لا يُقَدَّرُ قدره ، وسمع قول الله عز وجل :  
﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾<sup>(٢)</sup> ، قيل في التفسير : ما عرفوه حق معرفته .  
فلأراد أن يَنْحُوَ بِقَدْرِ المأمون هذا النَّحْوُ فأخرجه بهذه العبارة المُسْتَكْرَهة .  
يريد أن قَدْرَهُ لا يُعرف إلا بالإلهام من الله جلّ جلاله .

(١) ديوان أبي تمام ٢٧٩ ز وشرح التبريزي ٣ / ١٥٣ وقد سبق الأول .

(٢) سورة الزمر ٦٧ .

وقد كان يكنى من هذا العويص الذى جاء به أن يقول كما قال البحرى  
فى المتوكل :

وَأَنْتَ - أَمِينَ اللَّهِ - بِالْمَوْضِعِ الَّذِى أَبَى اللَّهُ أَنْ يَسْمُوَ إِلَى قَدْرِهِ قَدْرٌ<sup>(١)</sup>  
فجعل قدره فوق [قدر] كلِّ ذى قَدْر . ومثل هذا لا يقال إلا لخليفة أو  
لأفضل الناس من أهل بيت النبوة .

وقد أفرط البحرى فى مدح إبراهيم بن المديبر ، وإن كان لم يُصَرِّح فى  
تفضيل قدره ، وذلك قوله :

دَنَوْتَ تَوَاضِعًا ، وَعَلَوْتَ قَدْرًا فَشَدَّانَاكَ أَنْجِدَارٌ وَأَرْتَفَاعٌ<sup>(٢)</sup>  
كَذَاكَ الشَّمْسُ يَبْعُدُ أَنْ تُسَامَى وَيَدْنُو الضُّوءُ مِنْهَا وَالشُّعَاعُ  
وما قيل فى التواضع ألطف من هذا ولا أحسن . ولو مدح خليفة بالتواضع  
لما وجد شيئاً يليق به غير هذا الوصف أو معناه .

\*\*\*

وقال أبو تمام فى المعتصم مادة (؟) فضل على فضله كل أحد من الناس .  
إِلَى قُطْبِ الدُّنْيَا الَّذِى لَوْ بَفَضْلِهِ مَدَحَتْ بَنَى الدُّنْيَا كَفَتْهُمْ فَضَائِلُهُ<sup>(٣)</sup>

وهذا تفضيل فى غاية الاستقصاء والجودة والحسن والصحة ، ولا يقال  
مثله إلا لخليفة من أفضل الخلفاء ؛ لقوله : مدحت بنى الدنيا .

(١) ديوانه ٤٥٦ ، ٢ / ٩٩٢ .

(٢) ديوانه ٢٢٨ ، ٢ / ١٢٤٧ « وبعدت قدرا فشأنك » .

(٣) ديوان أبي تمام ٢٣٠ وشرح التبريزى ٢٥ / ٣ .

ومثله في الجودة ، بل يزيد عليه - قول البحتري في المتوكل :

يَا بَنَ عَمِّ النَّبِيِّ حَقًّا ، وَيَا أَرْ كَى قَرِيشٍ نَفْسًا وَدِينًا وَعِرْضًا<sup>(١)</sup>  
بِنْتَ بِالْفَضْلِ وَالْعُلُوِّ فَأَصْبَحَ تَ سَمَاءَ وَأَصْبَحَ النَّاسُ الْأَرْضَا

ولو قال قائل مثل هذا لغير خليفة لكان قد تجشم أعظم الخطأ إذ ليس أحد من الناس يطالبه بأن يمدحه هذا المدح ، ولا أن يفضل هذا التفضيل .

وقال البحتري أيضًا في المهدي<sup>(٢)</sup> :

أَقَرَّتْ لَهُ بِالْفَضْلِ أُمَةٌ أَحْمَدُ فَدَانَ لَهُ مُعَوَّجُهَا وَقَوِيمُهَا<sup>(٣)</sup>

والتفضيلُ الحسنُ الذي لا غُلُوَّ فيه وكان قائله قد غلا - قولُ البحتري  
أيضًا في أبي ليلى الحارث بن عبد العزيز بن دُكَلَف :

يَبِينُ بِالْفَضْلِ أَقْوَامٌ فِي فَضْلِهِمْ مُوَحَّدٌ بِغَرِيبِ الذِّكْرِ مُنْفَرِدٌ<sup>(٤)</sup>  
تَوَحَّدَ الْقَمَرُ السَّارَى بِشُهُرَتِهِ وَأَنْجَمُ اللَّيْلِ نَشْرَ حَوْلُهُ بَدَدٌ

ومثله في الحسن قوله في الفتح :

وَلَمَّا جَرَى فِي الْمَجْدِ وَالْقَوْمُ خَلْفَهُ تَغَوَّلَ أَقْصَى جُهِدِهِمْ وَهُوَ وَادِعٌ<sup>(٥)</sup>  
وَهَلْ يَتَكَافَا النَّاسُ شَتَّى خِلَالَهُمْ وَمَا تَتَكَافَا فِي الْيَدَيْنِ الْأَصَابِعُ؟

(١) ديوان البحتري ٢٢ ، ٢ / ١٢١٦ وفي م « حقا وياركن قريش » .

(٢) م « المهدي » وهو خطأ .

(٣) ديوانه ١٠٨ ، ٣ / ٢٠٢٤ وقد سبق هذا البيت ص ٣٤٤ .

(٤) ديوانه ٧٧٤ ورواية شطر البيت الأول فيه « تنازع المجد أعجاد قفاتهم » . وطبعة المعارف ٦٤٦/٢ .

(٥) ديوانه ٧٢ ، ٢ / ١٣٠٣ ، « جرى المجد » .

وهذا كله عجيب في معانيه . ولكنهما في معانيهما حلو على قول معن  
ابن أوس :

وَمَا بَلَغْتَ كَفُّ أَمْرِي مُتَطَاوِلِ      يَدَ الْمَجْدِ إِلَّا حَيْثُ مَا نِلْتَ أَطْوَلُ<sup>(١)</sup>  
وما بلغ المهدون في القولِ مِدْحَةً      ولو أكثرُوا إِلَّا الَّذِي فِيكَ أَفْضَلُ<sup>(٢)</sup>

(١) في ديوانه ١٣ « من المجد » والبيت في مدح سعيد بن العاص .

(٢) م « بلغ المهدى » وفي ديوانه : « المهدون نحوك » .



## ومن باب المجد والسؤدد

قول أبي تمام في المأمون :

هَدَمْتُ مَسَاعِيهِ الْمَسَاعِي وَأَبْتَنَنْتُ خِطَطَ الْمَكَارِمِ فِي عِرَاضِ الْفَرْقَدِ<sup>(١)</sup>  
سَبَقْتُ خُطَى الْأَيَّامِ عُمرِيَّاتُهَا وَمَضَتْ فَصَارَتْ مُسْنَدًا لِلْمُسْنَدِ  
مَا زَالَ يَمْتَحِقُ أَعْلَا وَيَرُوضُهَا حَتَّى اتَّقَتْهُ بِكِيْمِيَاءِ السُّؤْدُدِ<sup>(٢)</sup>

قوله : « سَبَقْتُ خُطَى الْأَيَّامِ » أى طاولت الدهر في البقاء ، فجعل مطاولتها للدهر سيرا مع الدهر ، فلذلك قال : « سبقت خطى الأيام »  
« عُمرِيَّاتُهَا » : واحدها عُمرِيَّةٌ ، منسوبة إلى العُمر .

وقوله : « مَضَتْ فَصَارَتْ مُسْنَدًا لِلْمُسْنَدِ » ، فالمسند : الدهر ، أى صارت دَهْرًا لِلدَّهْرِ .

وهذا من كلام أهل الوَسْوَاسِ وَالْخَطَرَاتِ وَأَصْحَابِ السُّؤْدَاءِ .

وقوله : « بِكِيْمِيَاءِ السُّؤْدُدِ » مما أنكره عليه .

وقد أتى به « بَكْرُ بْنُ النُّطَاحِ » في موضعه فقال :

مَذْحُ ابْنِ عَيْسَى قَاسِمٍ فَاشْدُدْ بِهِ كِلْتَا يَدَيْكَ الْكِيْمِيَاءُ الْأَعْظَمُ<sup>(٣)</sup>  
لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الدَّهْرِ إِلَّا دِرْهَمٌ وَمَدَحَتُهُ لَأَتَاكَ ذَاكَ الدَّرْهَمُ

\*\*\*

(١) ديوان أبي تمام ١١٢ وشرح التبريزي ٢ / ٥٠ وفي م « في عراض الفدفة » .

(٢) م « ما زال يمتحق » .

(٣) م « عيسى قاسم » ! والقاسم بن عيسى : هو أبو دلف العجل ، أمير الكرخ ، المتوفى سنة ٢٢٦ هـ وترجمته في تاريخ بغداد ١٢ / ٤٧٦ والأغانى ٧ / ٢٤٨ طبع دار الكتب وانظر أخباره مع بكر بن النطاح في الأغاني ١٧ / ١٥٣ طبع بولاق .

وقال البحتري في المَهْتَدَى :

وَلِلْمُهْتَدَى بِاللَّهِ مَجْدٌ لَوْ ارْتَقَتْ إِلَيْهِ النُّجُومُ رِفْعَةً مَا تَهَدَّتْ<sup>(١)</sup>  
وهذا أبلغ من قول أبي تمام : « وَأَبْتَنَنْتُ خِطَطَ الْمَكَارِمِ فِي عِرَاضِ الْفَرْقَدِ »<sup>(٢)</sup> .

\*\*\*

ولهما في السؤدد والمجد والشرف في مدح سائر الناس ما أذكره مِنْ بَعْدُ فِي  
تأييد الدين وتقوية أمره .

وواجب أن يمدح الخليفة بهذا المعنى .

\*\*\*

قال أبو تمام في مدح المعتصم :

بِمُعْتَصِمٍ بِاللَّهِ قَدْ عَصِمَتْ بِهِ عُرَا الدِّينِ وَالْتَفَّتْ عَلَيْهِ وَسَائِلُهُ<sup>(٣)</sup>  
وهذا كان يصلح أن يقال لمن له نباهة وديانة وقولٌ بحق ، ولكن خصصه  
بالخليفة قوله : « وَالْتَفَّتْ عَلَيْهِ وَسَائِلُهُ »

وقال في الواثق :

بِهَارُونَ عَزَّ الدِّينُ وَأَشْتَدَّ رُكْنُهُ وَدَانَتْ دَوَانِيهِ وَقُرَّبَ شَاسِعُهُ<sup>(٤)</sup>

\*\*\*

وقال البحتري في المتوكل :

خَلَقَ اللَّهُ جَعْفَرًا قِيَمَ الدُّنَى يَا سَدَادًا ، وَقِيَمَ الدِّينِ رُشْدًا<sup>(٥)</sup>

(١) ديوان البحتري ٧٥٣ « مجد لو ارتقت » مداه النجوم رفعة « وفي م « رفعة » وطبعة المعارف ١ / ٣٧٠ .

(٢) م « الفدقد » .

(٣) ديوان أبي تمام ٢٣١ وشرح التبريزي ٣ / ٢٦ .

(٤) م « يهزون عز . . . وقرى شاسعة » .

(٥) ديوان البحتري ٢٠ ، ٢ / ٧١٢ .

فاختص هذا القول بالخليفة ؛ لأنه جعله قيماً على الدين والدنيا ،  
ولا يجوز أن يقال هذا لغير خليفة إلا أن يكون نائباً عنه .

وقال مثل ذلك في المُعْتَزِّ بالله :

لَقَدْ حَمَلَ الْخِلَافَةَ مُسْتَقِيلٌ بِهَا وَبِحَقِّهِ فِيهَا الْمُسِينُ<sup>(١)</sup>  
يُسُوسُ الدِّينَ وَالْدُنْيَا بِرَأْيِ رِضَا اللَّهِ فِي دُنْيَا وَدِينِ

وقال عبد الله بن السَّمُط بن مروان في المأمون :

أَضْحَى إِمَامُ الْهُدَى الْمَأْمُونُ مُشْتَغِلاً بِالدِّينِ وَالنَّاسِ فِي الدُّنْيَا مَشَاغِلُ<sup>(٢)</sup>  
فَلَمْ يَهْتَسْ لَهُ ، فَشَكِيَ ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ ، فَقِيلَ لَهُ : مَا زِدْتَ عَلَى أَنْ جَعَلْتَهُ  
عَجُوزاً فِي مُحَرَابِهَا وَمَعَهَا سَبِغَتُهَا .

فألا قلت كما قال جرير في عمر بن عبد العزيز<sup>(٣)</sup> :

فَلَا هُوَ فِي الدُّنْيَا مُضِيعٌ نَصِيبُهُ وَلَا عَرَضُ الدُّنْيَا عَنْ الدِّينِ شَاغِلُهُ<sup>(٤)</sup>  
وقال ابن هرمة :

فَرَعَتْ لِدِينِ اللَّهِ تَرْفَعُ وَهَيْهَ وَمَا بِكَ عَنْ كَسْبِ الْمَحَامِدِ مِنْ شُغْلٍ  
فَحَذَا حَلَوَ قَوْلِ جَرِيرِ .

وقال البحتري أيضاً في المتوكل مما لا يقال إلا لخليفة إلا أن يفرط  
مفرطاً . فيقوله لغيره :

(١) ديوان البحتري ١٣٨ ، ٤ / ٢٢٦٧ .

(٢) سر الفصاحة ٢٤٨ والصناعتين ١١٩ .

(٣) في ديوان جرير ٤٣٤ « وقال يمدح عبد العزيز بن الوليد » .

(٤) في الديوان ٤٣٥ « من الدنيا » .

حَلَفْتُ بِمَنْ أَدْعُوهُ رَبًّا وَمَنْ لَهُ  
لَقَدْ حُطَّتْ دِينَ اللَّهِ خَيْرَ حِيَاظَةٍ  
صَلَاتِي، وَتُسْكِي خَالِصًا، وَصِيَامِي<sup>(١)</sup>  
وَقُمْتُ بِأَمْرِ اللَّهِ خَيْرَ قِيَامٍ

وقال البحرى فى المتوكل :

عَلِمَ اللَّهُ كَيْفَ أَنْتَ فَأَعْطَا  
جَعَلَ الدِّينَ فِي ضَمَانِكَ وَالْدُّنْ  
لَكَ الْمَحَلَّ الرَّفِيعَ مِنْ سُلْطَانِهِ<sup>(٢)</sup>  
يَا فَعِشْ سَالِمًا لَنَا فِي ضَمَانِهِ  
وهذا لا يكون إلا لخليفة .

وقال فى المعتز بالله :

مَا زَالَ يَكْلَأُ دِينَنَا وَيَحُوطُهُ  
وَبِالْمَشْرِفِيَّةِ وَالْوَشِيجِ الذُّبْلِ<sup>(٣)</sup>  
وهذا يصلح أن يقال لبعض ولاية الثغور وغيرهم من الولاية ولا يخص الخليفة .  
وليس ذلك بعيب فى مدح الخلفاء ، ولكن إذا كان مما يخص الخليفة  
دون غيره كان ذلك أمدح له .

والعيب على الشاعر أن يمدح غير الخليفة بما لا يستحقه إلا الخليفة .

وقال فى المهتدى بالله مما يختص بالخليفة :

هَنَّتَكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَوَاهِبُ  
وَتَأْيِيدُ دِينَ اللَّهِ إِذْ رُدَّ أَمْرُهُ  
فَخَصَّصَهُ قَوْلُهُ : « وَتَأْيِيدُ دِينَ اللَّهِ إِذْ رُدَّ أَمْرُهُ إِلَيْكَ » .  
من اللَّهِ مَشْكُورٌ لَدَيْكَ جَسِيمُهَا<sup>(٤)</sup>  
إِلَيْكَ فَرَوَى فِي الْأُمُورِ عَلِيمُهَا

(١) ديوان البحرى ١٢ ، ٣ / ٢٠٠٣ وما أسخف قوله : « حلفت بمن أدعوه رباً ! ! »

(٢) ديوانه ٣٦ ، ٤ / ٢١٧٠ « المحل الجليل » .

(٣) ديوانه ١٦ / ١ طبع بيروت ، ٢ / ١٥٥ طبع مصر ، ٣ / ١٦٢٦ طبع المعارف ورواية

الشرط الأول فيها « بكرت جياذك والفوارس فوقها »

والشرقية : السيوف المنسوبة إلى مشارف اليمن ، والوشج : الخشب الذى تصنع منه الرماح . وذبل :

مفردها ذابل وهو الدقيق الملتصق الليط .

(٤) ديوانه ١٠٨ .

وقال أبو تمام فى تقوية الإسلام :

أَمْسَى بِكَ الْإِسْلَامُ بَدْرًا بَعْدَمَا      مُحِيتْ بِشَاشَتُهُ مُحَاقَ هِلَالٍ<sup>(١)</sup>  
أَكْمَلَتْ مِنْهُ كُلَّ نَقِصٍ بَعْدَمَا      نَقَصَتْهُ أَيْدَى الْكُفْرِ بَعْدَ كَمَالٍ<sup>(٢)</sup>  
أَلْبَسَتْهُ أَيَّامُكَ الْغُرَّ الَّتِي      أَيَّامُ غَيْرِكَ عِنْدَهُنَّ لَيَالٍ

إنما قال : « أمسى » ولم يقل : « أضحى » من أجل قوله : « بدرًا » ،  
لأنَّ البدر لا ضوء له فى الضحى .

وهذا يصلح أن يقال لوزير ولوالى الشغور ، وإن كان فى غاية الجودة .

وقال البحتري فى المتوكل :

يَا كَالِيَّ الْإِسْلَامِ فى غَفَلَاتِهِ      وَمُقِيمَ نَهْجِي حَجَّهُ وَجِهَادِهِ<sup>(٣)</sup>

وقال أبو تمام فى مديح محمد بن عبد الملك :

إِنَّ الْخَلِيفَةَ قَدْ عَزَّتْ بِتَوَلَّتِهِ      دَعَائِمُ الدِّينِ فَلْيَعِزِّرْ بِهِ الْأَدَبُ<sup>(٤)</sup>

ودعائم الدين قد توصف بأنها ثبتت ، وتمكّنت ، وأقامت ، وتوطّدت ،  
فهذا هو اللفظ المستعمل فيها ، ألا ترى أنها إذا وُصفت بضد هذا الوصف  
قيل : هت ، وسقطت ، وخرّت . ولا يقال : ذلّت . وإنما قال : « عزّت » من  
أجل قوله : « فليعزز به الأدب » . وهذا وإن لم يكن خطأ فليس بالجميل ؛  
لأنه لفظ موضوع فى غير موضعه .

( ١ ) ديوان أبي تمام ٢٦٥ وشرح التبريزى ٣ / ١٤٤ .

( ٢ ) فى الديوان « منه بعد نقص كل ما » .

( ٣ ) ديوانه ٤٣ ، ٢ / ٧٠٤ والكالى : الراعى والحافظ ، والنهج : الطريق .

( ٤ ) ديوان أبي تمام ٥٠ وشرح التبريزى ١٥ / ٢٦٣ ويروى : « بك الأدب » .

وقال أبو تمام في إسحاق بن إبراهيم المصعبى :  
 تَرْضَى السُّيُوفُ بِهِ فِي الرُّوعِ مُنْتَصِرًا وَيَعْصِبُ الدِّينُ وَالْدُّنْيَا إِذَا غَضِبَا<sup>(١)</sup>  
 وهذا مدح لا يليق إلا بأفضل الخلفاء ، وسبيل الشاعر أن يتفقد مثل  
 هذا ؛ فقد جرت به على قوم من الشعراء سَلَكَوا دُونَ هذا المسلك - مَكَارُهُ ،  
 وكان الحرمان أحسن أحوالهم التي عادوا بها .

ونحو هذا قوله في محمد بن يوسف :  
 حَيَاتُكَ لِلدُّنْيَا حَيَاةٌ ظَلِيلَةٌ وَفَقْدُكَ لِلدُّنْيَا فَنَاءٌ مُوَاشِكٌ<sup>(٢)</sup>  
 وهذا عموم ؛ لذكره الدنيا . ولا يصلح أن يكون إلا لخليفة ، أو من  
 ينفذ في أكثر بلاد الله أمره .  
 وهذا متجاوز لقدر محمد بن يوسف ، وفي المَمَادِح التي تُرَضَى  
 المَمْلُوكِينَ مُتَّسَع .

\*\*\*

وهو في هذا الباب أشعر من البحتري .

(١) ديوان أبي تمام ٢١ وشرح التبريزي ١ / ٢٤١ .

(٢) ديوانه ٢٢٦ وشرح التبريزي ٢ / ٤٦٧ .

ومما يجب في مدح الخلفاء ، كانت تلك حالهم  
أولم تكن ، ذِكرُ التُّقى والورع

قال أبو تمام في المأمون :

يَتَجَنَّبُ الْإِثْمَ ثُمَّ يَخَافُهَا فَكَأَنَّمَا حَسَنَاتُهُ أَثَامٌ<sup>(١)</sup>

هذا وصف لطاعة الله حَسَنٌ مُسْتَقْصَى . ولكنه أَلَمْ بمعنى قول أبي البتاهية :

يَعْتَدُ بِإِحْسَانٍ كُلِّ مُحْسِنٍ إِلَيْهِ بَعْدَ إِسَاءَةٍ كَانَ مِنْهُ<sup>(٢)</sup>

وعكس أبو تمام المعنى :

لَمْ تَنْتَقِصْنِي إِذْ أَسَأْتُ ، وَزِدْتَنِي حَتَّى كَأَنَّ إِسَاءَتِي إِحْسَانِي

بيت أبي تمام هذا من بيت أبي العتاهية<sup>(٣)</sup> .

\*\*\*

وقال البحتري في المهتدى بالله :

مُزَايِدُ نَفْسٍ فِي تَقَى اللَّهِ لَمْ تَدَعْ لَهُ غَايَةً فِي جِدِّهَا وَأَجْبَهَادِهَا<sup>(٤)</sup>

وما نَقَلْتُ مِنْهُ الْخِلَافَةَ شِيَمَةً وَقَدْ مَكَّنْتُهُ عُنُوءًا مِنْ قِيَادِهَا<sup>(٥)</sup>

وَلَا مَالَتِ الدُّنْيَا بِهِ حِينَ أَشْرَقَتْ لَهُ فِي تَنَاهَى حُسْنِهَا وَأَخْشَادِهَا

( ١ ) ديوان أبي تمام ٢٨٠ وشرح التبريزي ١٥٣ / ٣ وفي م « حسناتها » .

( ٢ ) م « وهذا بيت أبي تمام من » .

( ٣ ) ديوانه ١١٠ ، ٢ / ٦٧٦ . وفي م « لم يدع » .

( ٤ ) ل « نفلت » وفي الديوان « أمكته » .

وقال في المعتمد :

مَلِكٌ تُحْيِيهِ الْمَلُوكُ وَدُونَهُ سَيِّمًا التُّقَى وَتَخْشَعُ الزُّهَادُ<sup>(١)</sup>  
مُتَهَجِّدٌ يُخْفِي الصَّلَاةَ وَقَدْ أَبَى إِخْفَاءَهَا أَثَرُ السُّجُودِ الْبَادِي<sup>(٢)</sup>

وقال في المهدي<sup>(٣)</sup> :

فَضَلَ الْأَنَامَ أَرْوَمَةً مَحْمُودَةً وَتُقَى وَأَنْعَمَ فِي الْأَنَامِ وَأَفْضَلًا<sup>(٤)</sup>

وقال في المعتز بالله :

يَتَقَبَّلُ الْمُعْتَزُ فَضْلَ جُدُودِهِ بِخِلَالِ مَحْمُودِ الْخِلَالِ مُوَفَّقٍ<sup>(٥)</sup>  
وَيَظَلُّ يُخْشَى فِي الْإِلَهِ وَيُتَّقَى فِيهِ كَمَا يَخْشَى الْإِلَهَ وَيَتَّقَى<sup>(٦)</sup>

\*\*\*

ومع وصف الخليفة بالتقى والورع يجب أن يوصف بالرافة والرحمة .

قال أبو تمام في المعتصم :

رَعَى اللَّهُ فِيهِ لِلرَّعِيَةِ رَافَةً تَزَايِلُهُ الدُّنْيَا ، وَلَيْسَتْ تَزَايِلُهُ<sup>(٧)</sup>  
فَاضْحَى وَقَدْ فَاضَتْ إِلَيْهِ قُلُوبُهُمْ وَرَحْمَتُهُ فِيهِمْ تَفْيِضُ ، وَنَائِلُهُ<sup>(٨)</sup>

فقلوه : « فاضت إليه قلوبهم » ليس بالجيد ؛ لأن هذه لفظة غير مستعملة في مثل هذا . وإنما قال ذلك من أجل قوله : « وَرَحْمَتُهُ فِيهِمْ تَفْيِضُ » .

(١) ديوان البحري ١٦٣ ، ٢ / ٧٣٢ وفي م « تحيته » .

(٢) م « وقد أنى » .

(٣) في ديوانه ١٤٣ ، ٣ / ١٦٥٣ « وقال يمدح المعتز بالله » .

(٤) في الديوان : « أرومة مذكورة » .

(٥) ديوانه ٦٢٥ ، ٣ / ١٤٨١ .

(٦) م « كما تخشى الإله وتتقى » .

(٧) ديوان أبي تمام ٢٣١ وشرح التبريزي ٢٦ / ٣ .

(٨) في الديوان وشرحه « فاضحوا » .



وقال في الواثق :

فَعَلُّوْا وَقَدْ وَثَقُوا بِرَأْفَةِ وَائِقٍ بِاللَّهِ طَائِرُهُ لَهُمْ مَيْمُونٌ<sup>(١)</sup>

\*\*\*

وقال البحتري في المتوكل :

يُحِبُّهُ عِنْدَ الرَّعِيَّةِ أَنَّهُ يُدَبِّبُ عَنْ أَغْرَاضِهِمْ وَيُحَامِي<sup>(٢)</sup>  
وَأَنَّ لَهُ عَطْفًا عَلَيْهِمْ وَرَأْفَةً وَفَضْلَ أَيَْادٍ بِالْعَطَاءِ جِسَامٍ<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

وليس لأحدهما فضل في هذا الباب على صاحبه .

م . م . م

( ١ ) ديوان أبي تمام ٣٢٩ وشرح التبريزي ٣ / ٣٢٥ .

( ٢ ) ديوان البحتري ١١ « عن أطرافها » .

( ٣ ) م « عطفًا عليه » وفي الديوان « عليها ورقة » .

ما قالاه في الجمال ، والجلال ، والهيبة ، والبهاء ، والجهارة

قال أبو تمام :

إِنَّا غَنَوْنَا وَاثِقَيْنِ بِوَائِقٍ بِاللَّهِ شَمْسِ ضُحَى وَبَدْرٍ تَمَامٍ<sup>(١)</sup>

ثم قال بعد في القصيدة :

مَا أَحْسَبُ الْبَدْرَ الْمُنِيرَ إِذَا بَدَا بَدْرًا بِأَضْوَاءٍ مِنْكَ فِي الْأَوْهَامِ<sup>(٢)</sup>

قوله : « في الأوهام » قد عيبَ به ، وقيل لم يجعله مضيئاً في العين ، وجعله مضيئاً في الأوهام . والذي ذهب إليه أبو تمام معنى صحيح ؛ لأن وجه الإنسان لا يكون أضواءً من البدر ، فجعله أضواءً منه في الصدور وفي النفوس ، يريد الجلال والهيبة .

وأجود من هذا قول محمد بن وهيب :

تُعْظِمُهُ الْأَوْهَامُ قَبْلَ عِيَانِهِ وَيَضْدُرُّ عَنْهُ الطَّرْفُ وَالطَّرْفُ حَاسِرُ

وأحسن من قول ابن<sup>(٣)</sup> وهيب قول الأخوص :

تَرَاهُمْ خُضْعَ الْأَبْصَارِ هَيْبَتَهُ كَمَا اسْتَكَانَ لِضَوْءِ الشَّارِقِ الرَّمِيدُ

\*\*\*

وقال أبو تمام في خالد بن يزيد بن مزيد :

كَالْبَدْرِ حُسْنًا ، وَقَدْ يُعَاوِدُهُ عُبُوسُ لَيْثِ الْعَرِينِ فِي عَبْدِهِ<sup>(٤)</sup>

( ١ ) ديوان أبي تمام ٢٧٦ وشرح التبريزي ٣ / ٢٠٤ ويروى « إنا رحلنا » .

( ٢ ) في الديوان وشرحه « ما أحسب القمر » .

( ٣ ) م « أبي وهيب » وهو خطأ .

( ٤ ) ديوان أبي تمام ٩٤ وشرح التبريزي ١ / ٤٤٦ في عبده : أي أنف .

كَالسِّيفِ يُعْطِيكَ مِلَّةً عَيْنِيكَ مِنْ فِرْنِدِهِ تَارَةً وَمِنْ رُبْدَةٍ (١)  
وهذا غاية في حسنه وصحته وبراعته .

وقال في جعفر الخياط :

فَتَى فِي يَدَيْهِ الْبَاسُ يَضْحَكُ وَالنَّدَى فِي سَرْجِهِ بَدْرٌ وَلَيْثٌ غَضَنْفَرُ (٢)

وهذا مأخوذ من قول مسلم بن الوليد :

تَمْضِي الْمَنَايَا كَمَا تَمْضِي أَسْنَتُهُ كَانَ فِي سَرْجِهِ بَدْرًا وَضِرْغَامًا (٣)

وقد أحسن محمد بن وهيب كُلَّ الإحسان في قوله :

وَكَانَ ضَوْءُ جَبِينِهِ قَمَرٌ وَ[كَانَ] سَائِرَ خَلْقِهِ أَسَدٌ

\*\*\*

وقال أبو تمام في خالد بن يزيد بن مزيد :

وَقَدْ كَانَ مِمَّا يُضِيءُ السَّرِيرَ وَالْبَهْوُ يَمْلَأُهُ بِالْبَهَاءِ (٤)

مَضَى خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ [بْنِ] مَزْ يَدِ قَمَرٍ اللَّيْلِ شَمْسُ الضُّحَا

وهذا يَمَرُّ في « المرائي » .

\*\*\*

وقال البحتري في المهتدي بالله :

زَادَ فِي بَهْجَةِ الْخِلَافَةِ نُورًا فَهُوَ شَمْسُ النَّهَارِ وَهِيَ نَهَارُ (٥)

طَلَعَتْ تَمَلُّ الْقُلُوبَ وَوَجْهٌ خَشَعَتْ دُونَ ضَوْوِهِ الْأَبْصَارُ

(١) الربد : جمع ربة ، وهي كالكلف فيه .

(٢) ديوان أبي تمام ١٥٩ وشرح التبريزي ٢ / ٢١٥ « من يديه » .

(٣) ديوان مسلم بن الوليد ٣٩ « أى أسنته والمنايا سواء ، تفعل أسنته ما تفعل المنايا ، كأن في

سرجه بدراً في فخامة الخلق وحسن المنظر ، وليثا في الشجاعة . وصفه بالنجدة » .

(٤) ديوان أبي تمام ٣٤٨ .

(٥) ديوان البحتري ١٠٦ و ٨٥٤ / ٢ .

ذَكِّرُوا الْهُدَى مِنْ أَيْبِكَ وَقَالُوا هُوَ ذَلِكَ السَّيِّمُ وَذَلِكَ النَّجَّارُ (١)  
وَعَلَيْهِمْ سَكِينَةٌ لَكَ إِلَّا مَدَّ أَيْدِي يَوْمًا بِهَا وَيُسَارُّ  
بُهِتُوا حَيْرَةً وَصَمْنَا فَلَوْ قَدِ لَ : أَحْيِرُوا مَقَالَةً مَا أَحَارُوا (٢)  
وَقَلِيلٌ إِنْ أَكْبَرُوكَ لَكَ الْهَيْمَةُ بَنَةُ مِمَّنْ رَاكَ وَالْإِكْبَارُ

وقال في المتوكل لما خرج لصلاة العيد :

وَأَفْتَنَ فِيكَ النَّاطِرُونَ : فَأَضْبَعُ يَوْمًا إِلَيْكَ بِهَا ، وَعَيْنٌ تَنْظُرُ (٣)  
يَجِدُونَ رَوْيَتَكَ الَّتِي فَازُوا بِهَا مِنْ أَنْعَمِ اللَّهِ الَّتِي لَا تُكْفَرُ  
ذَكِّرُوا بِطَلْعَتِكَ النَّبِيَّ فَهَلَّلُوا لَمَّا طَلَعَتْ مِنَ الصُّفُوفِ وَكَبَّرُوا  
حَتَّى أَتْنَهَيْتَ إِلَى الْمُصَلَّى لِأَيْسَا نُورَ الْهُدَى يَبْدُو عَلَيْكَ وَيُظْهِرُ  
وَمَشَيْتَ مِشْيَةً خَاشِعٍ مُتَوَاضِعٍ لِلَّهِ لَا يَزْهُو ، وَلَا يَتَكَبَّرُ (٤)  
وَلَوْ أَنَّ مُشْتَقًا تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا فِي وَسْعِهِ لَمَضَى إِلَيْكَ الْمِنْبَرُ (٥)

وقال فيه لما دخل عليه وفد الروم :

وَرَأَيْتَ وَفَدَ الرُّومِ بَعْدَ عِنَادِهِمْ عَرَفُوا فَضَائِلَكَ الَّتِي لَا تُجْهَلُ (٦)  
لَحْظُوكَ أَوَّلَ لَحْظَةٍ فَاسْتَضَعَرُوا مَنْ كَانَ يُعْظَمُ فِيهِمْ وَيُبَجَّلُ  
وَرَأَوْكَ وَضَاحَ الْجَبِينِ كَمَا يُرَى قَمَرُ السَّمَاءِ السَّعْدِ سَاعَةً يَكْمُلُ (٧)

(١) في الديوان « هي تلك السيما » .

(٢) م « أجيروا مقالة ما أجاروا » .

(٣) ديوانه ١٨ « ورنا إليك الناظرون » ، ٢ / ١٠٧٥ .

(٤) في الديوان « لا يزهي » .

(٥) وفيه : « فلو . . . غير ما في وسعه لسمى » .

(٦) ديوانه ٢٤ ، ٣ / ١٦٠١ .

(٧) في الديوان « قمر السماء الهم ليلة يكمل » .

نَظَرُوا إِلَيْكَ فَقَدَّسُوا ، وَلَوْ أَنَّهُمْ  
 حَضَرُوا السَّمَاءَ . فَكَلَّمَا رَأَوْا الْقِرَى  
 تَهَوَّى أَكْفُهُمْ إِلَى أَفْوَاهِهِمْ  
 مَتَحِيرِينَ فَبَاهَتْ مُتَعَجِّبٌ  
 وَيَوَدُّ قَوْمُهُمُ الْأَوَّلَى بَعَثُوهُمْ  
 قَدْ نَافَسَ الْغَيْبَ الْحُضُورَ عَلَى الَّذِي  
 نَطَقُوا الْفَصِيحَ لَكَبَّرُوا وَلَهَلُّوا  
 مَالَتْ بِأَيْدِيهِمْ عُمْرُلُ ذَهَلُ  
 فَتَجَوَّرُ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ وَتَعْدِلُ<sup>(١)</sup>  
 مِمَّا يَرَى ، أَوْ نَاطِرٌ مُتَأَمِّلٌ<sup>(٢)</sup>  
 لَوْ ضَمَّهُمْ بِالْأَمْسِ ذَاكَ الْمُحْفِلُ<sup>(٣)</sup>  
 شَهِدُوا ، وَقَدْ حُسِدَ الرَّسُولَ الْمُرْسِلُ

قوله : « بَاهَتْ » ، من بَهَتْ يَبْهَتْ وقد قيلت ، وهى رديئة ، والجيد  
 بُهَتْ يُبْهَتْ .

وقال فى المعتز :

يُبْهَتْ الْوَفْدُ فِي أَسْرَةٍ وَجْهِ  
 سَاطِعِ الضَّوْءِ ، مُسْتَنِيرِ الشَّعَاعِ<sup>(٤)</sup>  
 وقال فيه :

إِذَا نَظَرَ الْوَفْدُ إِلَيْهِ قَالُوا :  
 وَأَجُودُ مِنْ هَذَا قَوْلِ ابْنِ هَرَمَةَ :

لَا يَرْفَعُونَ إِلَيْهِ الطَّرْفَ خَشْيَتَهُ  
 وَأَجُودُ مِنْ هَذَا قَوْلِ طَرِيحِ الثَّقَفِيِّ :

يَعْرِوهُمْ أَفْكَلٌ لَدَيْكَ كَمَا  
 لَا خَوْفَ ظُلْمٍ ، وَلَا قِلَى خُلُقٍ  
 قَفَقَفَ تَحْتَ الدُّجْنَةِ الصَّرِدُ<sup>(٥)</sup>  
 لَكِنْ جَلَالٌ كَسَاكَهُ الصَّمَدُ

( ١ ) وفيه « فتحيد عن » .

( ٢ ) فى الديوان « متحIRON . . . مما رأى » .

( ٣ ) وفيه « وبود قومهم الأولى بعثوا بهم » .

( ٤ ) ديوانه ١٣٢ ، ٢ / ١٢٤٤ .

( ٥ ) ديوانه ٧٧٩ ، ٢ / ٩٣٨ .

( ٦ ) فى اللسان ١٤ / ٤٥ « الأفكل على أفمل : رعدة تملو الإنسان ولا فعل له » . وقفقف :

أرعد من البرد ، والدجنة : الظلمة . الصرر : الذى أرعده البرد .

[وأصل] الباب كله قولُ الحَزِينِ الكِنَانِي :

يُغْضِي حَيَاءً ، وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ<sup>(١)</sup>

\* \* \*

وقال في المَتَوَكِّل :

الْيَوْمَ أَطْلَعَ لِلْخِلَافَةِ سَعْدُهَا وَأَضَاءَ فِيهَا بَذْرُهَا الْمُتَهَلِّلُ<sup>(٢)</sup>  
لَبَسْتُ جَلَالََةَ جَعْفَرٍ فَكَانَتْهَا سَحَرٌ تَجَلَّلَهُ النَّهَارُ الْمُقْبِلُ<sup>(٣)</sup>

وقال في المعتز ويذكر الزَّوَّ<sup>(٤)</sup> :

وَلَمْ أَرَ كَالْمُعْتَزِّ إِذْ رَاحَ مُوفِيًّا عَلَيْهِ بَوِجُهُ لَاحَ فِي الرَّوْنَقِ النَّضْرِ<sup>(٥)</sup>  
مَلِيًّا بَأَنَّ يَجْلُو الظَّلَامَ بِغُرَّةٍ تَخَاضَعُ لِكِبَارِهَا لَهَا غُرَّةُ الْفَجْرِ  
إِذَا أَهْتَزَّ غَبُّ الْأَرَبِيحِيِّ وَالتَّنْدَى وَأَسْفَرَ فِي ضَوْءِ الطَّلَاقَةِ وَالْبُشْرِ<sup>(٦)</sup>

(١) الوساطة ٢٩٦ والأغاني ١٤ / ٧٥ وغير منسوب في الكامل ١ / ٣٩٩ .

(٢) ديوان البحري ٢٥ ، ٣ / ١٧٥٤ وانظر ص ٣٣٤ من هذا الجزء .

(٣) في الديوان « بحله » .

(٤) في اللسان ١٩ / ٨٥ « الزو : القرينان من السفن » ثم قال في صفحة ٨٧ « الجوهري : وزو : اسم جبل بالعراق . قال ابن بري : ليس بالعراق جبل يسمى زوا ، وإنما هو سمع في شعر البحري قوله يمدح المعتز بالله حين جمع مركبين وشحنهما بالحطب وأوقد فيهما ناراً ، ويسمى ذلك بالعراق زوا في عيد الفرس يسمى الصدق فقال : « ولا جبلا كالزو » وقال الفيروزابادي في القاموس ٤ / ٣٣٩ « والزو كالتر : سفينة عملها المتوكل ، لا جبل ، وهم الجوهري ، وإنما غره قول البحري : ولا جبلا كالزو يوقف تارة وينقاد إما قدته بزمام

والبيت في ديوانه ١ / ١١ .

(٥) ديوانه ١٥٢ ، ٢ / ١٠٥٣ عليه : أي على الزو الذي ذكره قبل ذلك :

تعبت من فرعون إذ ظن أنه  
ولو بصرت عيناه بالزو لآزدرى  
إله لأن النيل من تحتته يجرى  
حقير الذي نالت يده من الأمر  
يروح ويغدو فوق أمواجه يجرى  
تصاد الوحوش في حفاقي طريقه  
وتستزل الطير العوالى على قصر

(٦) في الديوان « تحت الأريحية » .

وَقَابَلَهُ بَدْرُ السَّمَاءِ بِحُسْنِهِ فَبَدْرٌ عَلَى بَدْرٍ ، وَبَحْرٌ عَلَى بَحْرِ  
رَأَيْتُ بِهِاءَ الْمَلِكِ مُجْتَمِعًا لَهُ وَدِيْبَاجَةَ الدُّنْيَا وَمَكْرَمَةَ الدَّهْرِ

وقال فيه :

مَلِكٌ يَمَلَأُ الْعُيُونَ بِهِاءَ حِينَ يَبْدُو فِي تَاجِهِ الْمَعْقُودِ<sup>(١)</sup>

والخلفاء وملوك الإسلام لا يلبسون التيجان ، وأظنها كانت يتخذها الأحداث منهم فيلبسونها في خلواتهم ، ومع نسائهم ، ومن لا يَحْتَشِمُونَهُ مِنْ نُدَمَائِهِمْ . فَأَمَّا الْقَلَانِسُ الْمُعَمَّمَةُ الَّتِي تُرْصَعُ بِالْجَوْهَرِ فَلَا شَكَّ فِيهَا . وَمَنْ ذَكَرَ تِيجَانَ الْخُلَفَاءِ مِنَ الشُّعْرَاءِ فَلَعَلَّهُ رَأَى عَلَى رُءُوسِهِمْ هَذَا الْجِنْسَ ، فَقَدْ قَالَ الْبَحْرِيُّ أَيْضًا فِي الْمَهْتَدَى يَنْبَى عَنْهُ لُبْسُ التَّاجِ :

لَسَجَادَةُ السَّجَادِ أَحْسَنُ مَنَظَرًا مِنْ التَّاجِ فِي أَحْجَارِهِ وَاتَّقَادِهَا<sup>(٢)</sup>

وقال في المعتز :

كَأَنَّمَا التَّاجُ إِذَا مَا عَلَا غُرَّتُهُ بِالْذُورِ الزُّهْرِ<sup>(٣)</sup>  
[كَوَاكِبُ الْفَكَّةِ فِي أَفْقِهَا دَنَتْ فَحَقَّتْ غُرَّةَ الْبَدْرِ]<sup>(٤)</sup>

وقد تقدم من إنكار عبد الملك بن مروان على ابن الرقيات قوله :

\* يَغْتَدِلُ التَّاجُ فَوْقَ مَفْرِقِهِ \*

\*\*\*

(١) ديوان البحري ١٥٨ ، ٢ / ٧٢٩ « تملأ »

(٢) ديوانه ١١٠ ، ٢ / ٦٧٧ .

(٣) ديوانه ٦٣٠ ، ٢ / ١٠١١ .

(٤) زيادة لازمة ، وجاء في اللسان ١٢ / ٣٦٥ « والفكة : نجوم مستديرة بجبال بنات نعش .

خلف البهالك الراح » .

فأما الجلال ، والبهاء ، والهيبة ، وسائر ما مضى من ذلك في هذا الباب – فإنه واجب في مدح الخلفاء والملوك والعظماء ؛ لأنه من الأوصاف التي تخصهم ، ويحسن موقع ذكرها عندهم .

وكذلك جمال الوجه وحسنه مما يجب المدح به ؛ فإن الوجه الجميل يزيد في الهيبة ، وَيَتَيَّمَنُ به العرب ؛ لأنه يدلُّ على الخصال المحمودة ، كما أنَّ قبح الوجه والدَّمَامَةَ يسقط الهيبة ، ويدل على الخصال المذمومة ، وذلك ما تكرهه العرب ، وتتشاءم به ؛ لأنَّ أول ما تلقاه من الإنسان وتعاينه – وجهه .

ألا ترى إلى قول البحتري :

أَغْرُ كِبَارِقِ الْغَيْثِ الْمُرْجَى يُحَبِّبُ فِي الْأَبَاعِدِ وَالْأَدَانِي (١)  
تَخَاضَعَتِ الْوُجُوهُ لِحُسْنِ وَجْهِ يَدُلُّ عَلَى خِلَاقِهِ الْخِصَانِ

وقال في مثل ذلك :

حَسَنُ الْوَجْهِ وَالرُّوَاءِ وَكَمْ دَلَّ عَلَى سُودَدِ الشَّرِيفِ رَوَاؤُهُ (٢)  
مَاءُ وَجْهِ إِذَا تَبَلَّجَ أَعْطَا لَكَ أَمَانًا مِنْ نَبْوَةِ الدَّهْرِ مَاؤُهُ  
يَتَعَالَى ضِيَاؤُهُ فَيَجْلَى طَخِيَّةَ الْحَادِثِ الْمُضِبِّ ضِيَاؤُهُ (٣)

\* \* \*

وقد غلِطَ بعضُ المتأخرين في هذا الباب ممن ألف في « نقد الشعر » كتاباً – غلطاً فاحشاً (٤) ، فذكر أن المدح بالحسن والجمال ، والذم بالقبح والدَّمَامَةَ ليس بمدح على الحقيقة ، ولا ذم على الصحة ، وخطأ كل من يمدح

(١) ديوان البحتري ١٤٥ ، ٤ / ٢٢٧٧ .

(٢) ديوانه ٥٢٨ « حسن العقل » ، ١٠ / ٣٠ .

(٣) في الديوان « يتجلى ضياؤه . . . ظلمة الحادث » وهي بمعنى . والمضب : الذي غشيه الضباب

(٤) يقصد فدامة بن جعفر الكاتب ، مؤلف كتاب نقد الشعر .



بهذا أو يَدُمُ بذاك ، فعَدَلَ بهذا المعنى عن مذاهب الأمم كلها عربيَّها وعجميَّها ، وأسقط أكثر مدح العرب وهجائها . وقد بينت قبح غلطه في هذا نبينا شافيا مستقصي في كتاب منفرد<sup>(١)</sup> .

\*\*\*

وقال البحترى يمدح المعتز ويذكر ابنه عبد الله :

عَلَيْهِ مِنَ الْمُعْتَزِّ بِاللَّهِ بِهِجَةً أَصَاعَتْ فَلَوْ يَسْرِي بِهَا الرُّكْبُ لَأَهْتَدَى<sup>(٢)</sup>  
يَرُوقُ الْعُيُونُ النَّظَارَاتِ بِطَلْعَةٍ مِنَ الْحُسْنِ لَوْ أَفَى بِهَا الْبَدْرُ مَا عَدَا<sup>(٣)</sup>  
تَأْمَلْ أَمِينَ اللَّهِ فَرُطَ جَلَالَةٍ رَائِعَةٍ تَبْدُو عَلَيْهِ إِذَا بَدَا

وقد تصريف البحترى في المدح بالجمال والهيبة والجلال - تصرفا كثيرا

في غير مدح الخلفاء ، فقال في الفضل بن إسماعيل الهاشمي :

لَا تَطْلُبَنَّ لَهُ الشَّيْبَةَ فَإِنَّهُ قَمَرُ التَّأْمَلِ ، مُزَنَةُ التَّأْمِيلِ<sup>(٤)</sup>

وقال في الفتح بن خاقان :

تَكَشَّفَ اللَّيْلُ مِنْ لَأَلَاءِ غُرَّتِهِ عَنْ بَذْرِ دَاجِيَةٍ أَوْ شَمْسِ إِصْبَاحٍ<sup>(٥)</sup>

وقال يمدحه :

وَيُبْتَلِرُ الرَّاعُونَ مِنْهُ إِذَا بَدَا سَنَا قَمَرٍ مِنْ سُدَّةِ الْمُلْكِ مُطْلَعٍ<sup>(٦)</sup>

(١) اسمه « تبين غلط قدامة بن جعفر في نقد الشعر » ، وقد ألفه لأبي الفضل : محمد بن الحسين ابن العميد ، وقد قرأه عليه ، وكتب خطه ، في سنة خمس وستين وثلاثمائة . ما في معجم الأدباء ٨ / ٧٦ .

(٢) ديوان البحترى ١٣٤ ، ٢ / ٦٧١ .

(٣) هذا البيب وما يليه ، ليسا في طبعي الديوان . وهما في طبعة المعارف .

(٤) ديوانه ٦١١ ، ٣ / ١٦٦٣ .

(٥) ديوانه ٥٨ « داجية أو ضوء » ، ١ / ٤٤٣ .

(٦) ديوانه ٩٠ ، ٢ / ١٢٣٩ .

يَقُومُونَ مِنْ بَعْدِ إِذَا بَصُرُوا بِهِ وَيُذْعُونَ بِالْأَسْمَاءِ مَثْنَى وَمَوْحِدًا إِذَا حَضَرُوا بَابَ الرُّوَاقِ الْمَرْفَعِ<sup>(١)</sup>  
 إِذَا سَارَ كَفَّ اللَّحْظُ عَنْ كُلِّ مُبْصِرٍ سِوَاهُ، وَغَضَّ الصَّوْتُ عَنْ كُلِّ مَسْمَعٍ<sup>(٢)</sup>  
 فَلَسْتَ تَرَى إِلَّا إِفَاضَةً شَاحِصٍ إِلَيْهِ بَعَيْنٍ ، أَوْ مُشِيرٍ بِإِصْبَعٍ<sup>(٣)</sup>

الإفاضة : الدفع ، يريد أنه يدفع ببصره إليه ، وينحو به نحوه .  
 والإفاضة في الكلام أن يدفعوا أيضًا القول ، ويبعثوا الكلام . وهذه هيبة  
 وجلال ما وراءهما غاية . وكان المتوكل أولى بهذا الوصف من الفتح وإن كان  
 الفتح أوفر وأهيب .

\*\*\*

وقال البحتري في دخوله إلى الفتح :

وَلَا حَضَرْنَا سُدَّةَ الْإِذْنِ أَخْرَتْ رِجَالٌ عَنِ الْبَابِ الَّذِي أَنَا دَاخِلُهُ<sup>(٤)</sup>  
 فَأَقْضَيْتُ مِنْ قُرْبٍ إِلَى ذِي مَهَابَةٍ أَقَابِلُ بَدْرَ الْأَفْقِ حِينَ أَقَابِلُهُ  
 فَسَلَّمْتُ وَأَعْتَاكَتُ جَنَانِي هَيْبَةً تَنَازَعْنِي الْقَوْلَ الَّذِي أَنَا قَائِلُهُ  
 فَلَمَّا تَأَمَّلْتُ الطَّلَاقَةَ وَأَنْشَنِي إِلَى بِيْشِيرٍ أَنْسَتْنِي مَخَايِلُهُ  
 دَنَوْتُ فَقَبِلْتُ النَّدَى فِي يَدِ أَمْرِي جَمِيلٍ مُحْيَاهُ ، سِبَاطٍ أَنَامِلُهُ<sup>(٥)</sup>  
 صَفَتْ مِثْلَمَا تَصْفُو الْمَدَامُ خِلَالَهُ وَرَقَّتْ كَمَا رَقَّ النَّسِيمُ شَمَائِلُهُ<sup>(٦)</sup>

هكذا لعمري تمدح الملوك .

(١) في م والديوان « لأبلغ موفور الجلالة » .

(٢) م « إذا أحضرني باب » .

(٣) في الديوان « عن كل منظر » .

(٤) ديوانه ٥٢ ، ٣ / ١٦١٣ .

(٥) م « فقبلت الندى » .

(٦) م « المدام جلالة » .

وقال فيه :

مَهَيْبٌ تُعْظِمُ الْعُلَمَاءُ مِنْهُ جَلَالَةَ أَرْوَعٍ وَارِي الزُّنَادِ (١)  
يُودُّونَ التَّحِيَّةَ مِنْ بَعِيدٍ إِلَى قَمَرٍ مِنَ الْإِيوَانِ بَادٍ  
قِيَامٌ فِي الْمَرَاتِبِ أَوْ قُعُودٌ سُكُونٌ مِنْ أَنَاةٍ وَأَثَادٍ  
فَلَيْسَ اللَّحْظُ بِالْمَكْرُورِ شَرًّا إِلَيْهِ ، وَلَا الْحَدِيثُ بِمُسْتَعَادٍ (٢)

\*\*\*

وقال فيه أيضاً لما دخلت إليه بنو تغلب بعدما أصلحَ بينهم حتى سكنت  
حربهم . يقول ذلك في قصيدته المنصفة :

تَرَاعَوْكَ مِنْ أَقْصَى السَّمَاءِ قَقْصَرُوا خَطَاهُمْ وَقَدْ جَازُوا السُّتُورَ وَهُمْ عَجَلُ (٣)  
إِذَا قَلْبُوا أَبْصَارَهُمْ مِنْ مَهَابَةٍ وَمَالُوا بِلَحْظٍ خِلَتْ أَنَّهُمْ قُبْلُ (٤)  
وهذا من فاخر المدح ، ومُصِيبِ الوصف .

وفي اقتصاص مثل هذه الأحوال التي تشاهد يظهر (٥) حِذْقُ الشاعر وبراعته .  
والله الموفق .

(١) ديوانه ٦٩٨ طبع بيروت ، ١ / ١٣٩ طبع مصر ، ٢ / ٧٢٦ طبع دار المعارف « تعظم  
العظماء منه » وفي طبعة المعارف « يعظم » .

(٢) ديوانه ٧٢٦ / ٢ « بالمكروه شرراً » .

(٣) ديوانه ٦١ / ١ طبع بيروت ، ٢ / ١٦٥ طبع مصر ، ٣ / ١٦١٩ - ١٦٢٠ طبع المعارف  
م « تراؤل » وهو تحريف .

(٤) م في الديوان « إذا نكسوا » .

(٥) م « فيظهر » وهو تحريف .

## فهرس الموضوعات

الصفحة	
٥٨ — ٥	ذكر الفراق والوداع والترحل عن الديار والبكاء على الظاعنين
٥	ما قالاه في البكاء على الظاعنين
٧	ما لأبى تمام في البكاء على النساء المفارقات
١٠	من ابتدآتهما في معان شتى من باب الفراق
٢٠	ما جاء عنهما من ذلك في وسط الكلام
٢٠	البكاء على الظاعنين
٢٨	بكاء النساء المفارقات
٤١	ما ذكره من استيلاء النوى على الأحباب المفارقين
٤٤	ذكر الأنفاس والحرق والزفرات عند الفراق
٤٨	زوال الصبر وقلة التجلد
٥١	ما قالاه في قتل الفراق للمفارق وسفك دمه
	ما قالاه في الغزل من أوصاف النساء ونعوتهن وشدة الشوق والتذكر
٥٩	والوجد والغرام
٥٩	ذكر ابتدآتهما بتشبيه النساء بالظباء والبقر
٦٤	ابتدآتهما بذكر الثغور
٦٦	ابتدآتهما بذكر البكاء والدموع
٦٩	ابتدآتهما بذكر السهر وطول الليل
٧١	باب آخر من الابتدآت
٧٥	ابتدآت البحترى في ذكر العيون
٧٩	من ابتدآت البحترى في التشوق
٨١	ابتدآت البحترى في معان شتى
٨٣	ما جاء عنهما من أوصاف الغزل في وسط الكلام

## الصفحة

ذكر ما قالاه في البهجة وحسن الوجوه وتشبيه النساء بالشموس

والبذور والنجوم وغير ذلك . . . . . ٨٣

ما قالاه في وصف الثغور . . . . . ١٠٥

ما قالاه في وصف القدور والخصور والأخصاف وثقل الأرداف

وحسن المشي . . . . . ١١٠

\* \* \*

ما قالاه في شدة الحب والوجد والتشوق والغرام والحزن وانتهاز المواعيد

وإخلافها ونحو ذلك . . . . . ١٢١

في الحزن والوجد . . . . . ١٢١

في الشوق والصبابة . . . . . ١٢٣

ما قيل في الخلاف المحيين . . . . . ١٣٨

باب في نوح الحمام . . . . . ١٤٢ - ١٥٧

باب في وصفهما للأيام التي خلت والأزمان التي حمداها والتذكر

لها ، والأدب عليها ، ويتصل بذلك شيء من ذكر النساء

وأوصافهن . . . . . ١٥٨

ابتدأتها في هذا الباب . . . . . ١٥٨

ما جاء عنهما في وسط كلامهما من هذا الباب . . . . . ١٥٩

\* \* \*

ما جاء عنهما في طروق الخيال . . . . . ١٦٧ - ١٨٩

\* \* \*

ما قالاه في الشيب والشباب ووصف الكبر والعزوف عن الصبا . . . . . ١٩٠

ما لهما من الابتدآت في ذلك . . . . . ١٩٠

ما جاء عنهما في وسط كلامهما من ذكر الشيب والشباب ووصف

الشيب وذمه . . . . . ١٩٦

كره النساء للمشييب . . . . . ٢٠٢

## الصفحة

٢١٢	نزول الشيب قبل حينه
٢٢١	البكاء على الشباب والتعزى عنه والعزوف عن الصبا
٢٢٦	الاعتذار من الشيب
٢٢٧	مدح الشيب والتعزى عنه
٢٣٠	ذكر الكبر وشكوى الدهر وتغير الحال

\* \* \*

باب فى ذكر الزمان وظلمه واعوجاجه وتعذر الرزق على ذوى الحزم  
والفهم ، وتيسره لذوى الجهل والعجز ، وفى التعزى والصبر  
والقناعة ، وما قالاه فى ضد ذلك من بعد الهمة والنهوض فى  
طلب الرزق ، والسير على الإبل وقطع الفياق ، وفى مواعظ

٢٢٣	وآداب
٢٢٣	ما جاء عنهما من الابتدآت فى ذلك
٢٣٥	ما قالاه من هذه المعانى فى وسط الكلام
٢٣٥	فى ذم الزمان ومجاهدته والصبر على نوبه
٢٤٣	فى المواعظ والآداب
٢٤٤	فى الصبر والقناعة
٢٥٣	ذم ذوى الغنى على البخل وذكر مساعدة الدهر لذوى الجهل وتحامله على أهل الفضل والعقل
٢٦٣	ما قالاه فى طلب الرزق والنهوض إليه
٢٨٦ - ٢٧٤	ما ذكر فيه سرى الإبل
٢٨٧	باب الشحوب والتغير من الأسفار

\* \* \*

٢٩١	أبواب خروجهما من النسيب إلى المديح
٣١١	خروجهما إلى المديح بمخاطبة النساء
٣١٣	خروجهما إلى المدح باليمين

## الصفحة

٣١٥	خروجهما إلى المديح بذكر الغيث ومباراته
٣١٩	خروجهما إلى المدح بوصف الرياح وتشبيه أخلاق المدوح بها
٣٢٠	وجه آخر من خروجهما إلى المدح
٣٢٩	خروجات المتأخرين الطريقة الحلوة النادرة
	* * *
٣٣١	باب المديح
٣٣٢	أمر الخلافة وما يتصرف عليه القول من معانيها
٣٤٠	ذكر الملك والدولة
	ما يخص أهل بيت النبوة من المدح دون غيرهم من ذكر طاعتهم
٣٤٣	والحبة لهم ، والمعرفة لحقهم
٣٤٥	ذكر الآلة التي كانت للنبي صلى الله عليه وسلم ، فصارت إليهم
٣٤٧	من المجد والشرف في مدح الخلفاء ذكر الآثار بالحرم
٣٤٩	من باب السؤدد والشرف: ذكر علو القدر وعظيم الفضل
٣٥٣	من باب المجد والسؤدد
	ومما يجب في مدح الخلفاء ، كانت تلك حالهم أو لم تكن ، ذكر
٣٥٩	التقى والورع
٣٦٢ - ٣٧١	ما قالاه في الجمال والجلال والهيبة والبهاء والجهارة

رقم الإيداع	١٩٨٢/٢٩٨٥
الترقيم الدولي	٩٧٧-٠٢-٠٠٦٤-٦
ISBN	

١/٨٢/١٠٣

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)